

# إيليغ قديما وحديثا

تأليف

## محمد المختار السوسي

هياه للطبع وعلق عليه

محمد بن عبد الله الروداني

المطبعة الملكية - الرباط

1386 ـ 1966

# ايليغ

# قديما وحديثا

تأليف

## محمد المختار السوسي

هياه للطبع وعلق عليه

محمد بن عبد الله الروداني

المطبعة الملكية - الرباط

1386 ـ 1966

# تصدير

**بسم الله الذى تنهل الخيرات من فضله**
**والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه**

**وبعـــد** ، فالى مقام حضرة مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم ، جامع أشتات مكارم النوع الانسانى ، سيدنا ومولانا **الحسن الثانى** ، ابن الملك الهمام ، المجاهد الموفق الامام ، الذى أنار لشعبه سبيل الانقاذ فى الحندس الدامس، سيدنا ومولانا **محمد الخامس** ، قدس الله روحه، ونور ضريحة، أرفع ثمرة مجهود سوسى ضئيل ، بالنسبة لما يليق أن يقدم الى شرف مقامه الأثيل ، فى خدمة التاريخ المغربى عموماً وتصيير خفى احدى حقبه الخاصة واضحاً معلوماً .

وهو وان كان عنوانه « ايليغ » التى أسسها واستقر بها أبو حسون على بن محمد الادريسى السوسى السملالى ، الذى قلما يورد المؤرخون ذكره الا باقتضاب اجمالى ، فانه قد تناول أحد ملتقيات التيارات القوية فى مرحلة من مراحل تاريخ بلادنا المغربية ، فى وقت مزقت فيه وحدتها الانقسامات الداخلية ، وشرهت لاحتلالها الانتهازات الخارجية ، فهيأ الله لها الخلاص ، وقد كاد يعز منه المناص .

فى دولة لحظ الزمان عيونها ... فارتد مكتئباً بمقلة أرمد
من كان مولده تقدم قبلها ... أو بعدها فكأنه لم يولد

دولة سادتنا الشرفاء العلويين ، أجداد جلالته الصناديد الميامين ، « والمغرب ـ كما قال المؤلف فى صفحة 205 ـ ضعيف مفتقر القوى ، مفكك الأوصال ، الا أن الله سلم وعجل بالشرفاء العلويين الذين وحدوه من جديد ، خصوصاً الأسد الوثاب المولى اسماعيل » أدام الله عزهم وخلد فى الصالحين المصلحين ذكرهم ، خصوصاً واسطة عقدهم ، ومجدد مجدهم ملكنا الحالى ، ذا الشباب الحالى ، والتدبير العالى ، أدام الله له الفتح المبين والعز والتمكين .

واذا كان هذا الكتاب قد ظهر فى هذه الطبعة الأنيقة ، فى أبهج حلة وأحدث طريقة ، فان الفضل فى ذلك يرجع الى جلالته ، ومكارم سدته ، فانه لما صار خديمه المخلص الوزير ، المؤلف الأستاذ المختار السوسى الى عفو العلي القدير ، أصدر جلالته أبقاه الله فى عز ومناعة ، أوامره السامية المطاعة ، بطبع مخطوطات وزيره فى مطبعة جلالته الملكية ، وعلى نفقته الشخصية ، فكان ذلك سبب خروج هذا الكتاب من أضابير مسودته ، بهذه الأناقة فى حلته ، وقد جرى جلالته فى ذلك على نهج أسلافه الأولين ، سادتنا الملوك العلويين ، بما أحيوا من آثار ، أنفق فيها جهابذة العلماء نفيس الأعمار ، فأوشكت بعد وفاتهم أن يستولى عليها الاضمحلال ، فأنقذوها من براثينه بانتداب أفاضل الرجال وبذل الأموال ، بل زينوا جيد مملكتهم هذه بأحداث الطباعة ، فروجوا فيها للمعرفة أغلى بضاعة ، نظر الله الى أعمالهم بعين القبول ، ولقاهم من أفضل الجزاء فوق المامول .

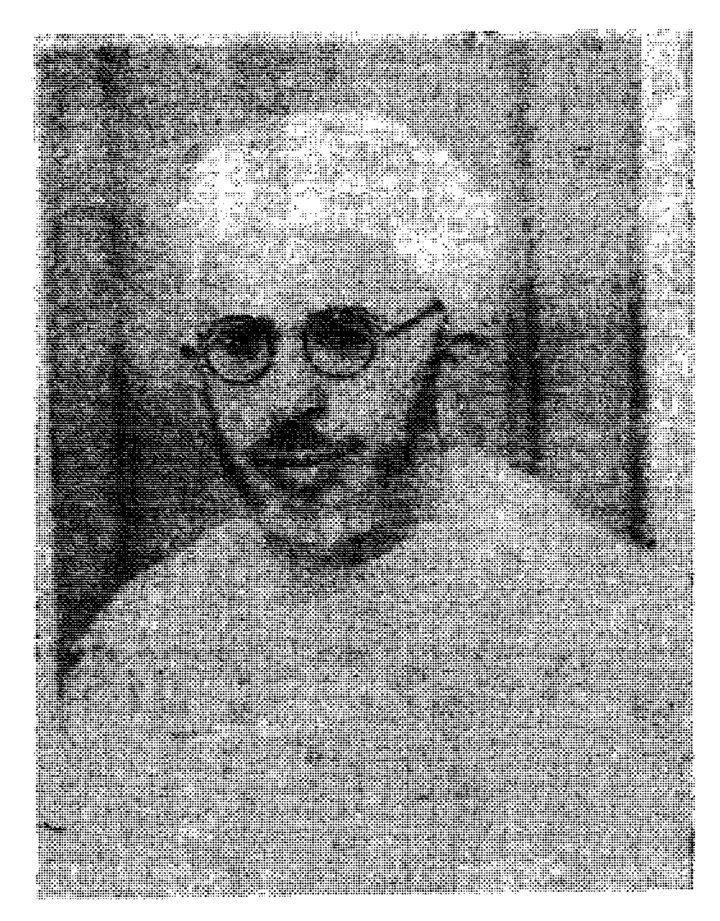
وجلالة مولانا الملك **الحسن الثانى** عند ما سار فى ذلك على نهج أسلافه الكرام ، سادتنا ملوك دولتهم العظام قرن الله وجودها بالدوام ، قد أرانا تعشقه مثلهم لانجاز جلائل الأعمال ، وتخليد مئاثرهم المثالية لاقتداء الأجيال ، أنجح الله أعماله ، وحقق آماله ، وأنقذ بمشاريعه من الفاقة والجهالة ، وهدى به من الضلالة ، فهو العالم العامل المقدر لآثار العاملين ، المشجع لمجهودات المنتجين .

عشق المكارم فهو مشتغل بها    والمكرمات قليلة العشاق
وأقام سوقاً للثناء ولم تكن    سوق الثناء تعد في الأسواق
بث الفضائل في البلاد فأصبحت    تجبى اليه محامد الآفاق

وان كل شكر ليقل في حق جلالته على هذه النعمة التي أسداها، والمكرمة التي أبداها، قرن الله وجهاته بالسداد والتوفيق، وهداه في هذه الدار الى أحسن طريق، وجعله في تلك من أنجى فريق، وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا يخيب لمن أحسن الظن به أملا، والسلام.

الرباط ـ الجمعة { 8 جمادى الثانية 1386
موافق 23 شتنبر 1966





صورة المؤلف

# ترجمة المؤلف

جرت عادة الناشرين للكتب أن يصدروها بتراجم مؤلفيها ليكون القراء على علم بأمرهم ، ولكن مؤلف هذا الكتاب ليس بخفي فنبينه ولا بنكرة فنعرفه ، فقد منحه الله شهرة طبقت الآفاق ، ورزقه من الصفات المحمودة ما توغل به في جميــع الميادين ، واشتهر به بين جميع الطبقات ، فهو العالم الأديب الفكــه المرح الصوفي المتقشف المتنسك الوطني السياسي اللبــق الذكــي النبيــه المتغافل الحيي الوزير الفقيه المحدث المؤرخ البحاثة ، الى غير ذلك مما يقـل ان يجتمع للناس ، ولكن أحدا لن يستطيع أبدا أن يصفه بالأوصاف المسترذلة كالانحطاط والأسفاف أو العتو والتجبر .

ومع ان أحواله وأوصافه ما تزال معروفة ولما يطل العهد بعد على وفاته، فقد رأينا من الواجب الحاق ترجمته هنــا اذ لا ســـرف في الخيــر وان لــم يكن خير في السرف .

فقد ولد في قرية الغ بناحية تازروالت بأقصى جنوب القطر السوسي بالجنوب المغربي ، في صفر عام 1318 هـ من أبوين كريمين ، والناس معادن ، هما الشيخ الصوفي الواصل العارف المربي سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي المتوفى في 28 ــ 12 ــ 1328 هـ ــ ص 184 ج 1 (المعسول) والسيــدة الفضلى رقية بنت الاستاذ العلامة الكبير محمد بن العربي الأدوزي المتوفاة في 12 ــ 3 ــ 1342 هـ ص 39 ج 3 (المعسول) ووالدها توفي في 5 ــ 12 ــ 1323 هـ ــ ص 149 ج ــ 5 ــ (المعسول) .

فنشأ في بلدته تلك حيث الطبيعة الجافة القفار من كل ملطف أو مرفه، يكافحها الانسان وتكافحه ، وحتى اذا لم ينتصر عليها فلا أقل من ان يتمرس بها ويتدرب على مواثبتها ، وكذلك ظل هذا المولود الى اقصى نفس من حياته ، وقد اختار له جده لأمه اسم محمد ولكن لما أخبره الوالد بأن له ولدا قبل هذا يحمل هذا الاسم أمر ان يضاف الى هذا وصف المختار لينماز عن الأول فكان محمدا المختار .

وبما أن أباه يشغل فى مجتمعه مركزا دينيا يدعو الى التفاف المتسمين بالدين والخير حوله ، فقد كان معلموه الأولون من اتباع والده ومريديه ، فعنهم أخذ القرءان ومبادىء المعارف العربية الاسلامية التى كانت متداولة اذ ذاك .
وقد شاءت الأقدار ان يفقد أباه بعد عشرة أعوام من ميلاده ، أى فى 28 - 12 - 1328 هـ ، ولكن محيط أهله من أقارب ومريدى الوالد كانوا يحدثونه على متابعة التعلم خصوصا أخاه الاكبر سيدى محمد خليفة والدهما على زاويته ، ص 33 ج 2 (المعسول) وصهرهما اليف والدهما سيدى سعيد بن محمد التاناني المتوفى فى 16 /11/ 1343 هـ - ص 5 ج 15 (المعسول) .

وكان من جملة المدارس التى التحق بها فى ايفاعه مدرسة تانكرت بافران القطر السوسى عند شيخ الأدب العربى الرائع الاستاذ الطاهر بن محمد الافرانى المتوفى رمضان 1374 هـ ص 69 ج 7 (المعسول) يساعده ولده العلامة الاديب سيدى محمد المتوفى 21 /3/ 1377 هـ ص 238 ج 7 (المعسول) والعلامة الاديب المتضلع المولى عبد الرحمان البوزاكارنى المستشهد بالرباط مدوسا بسيارة مساء 17 رمضان 1380 هـ والمدفون بمقبرة سيدى الخطاب بباب العلو بها ص 90 ج 10 (المعسول) فلم يفارقها حتى أصبح يتذوق الأدب الرفيع وصار له اطلاع فى ءالاته وفنونه مما اعانه على المضى فيه قدما ، ومن العجب ان غالب هؤلاء السوسيين الشلحيين يبرعون أول ما يبرعون فى العربية وءادابها فيتكون منهم فحول الكتاب والادباء والشعراء .

وبعد تقلبات شتى تعترى في هذه السن الايتام المهملين على حد تعبير الفقهاء ، ولا داعي لايرادها ومن أرادها فليطالع له كتاب « الالغيات » باجزائه الثلاثة ، فان عناية الله ساقته الى دخول مراكش بعد عشرة اعوام من وفاة والده ، أى في سنة 1338 هـ بقصد التمادى في طلب العلم ، فسكن مدرسة ابن يوسف ، واخذ يتردد على دروس الجامعة اليوسفية ، فلم يكن الى الآن أكثر من طالب عادى يتردد على حلقات اساتذة عاديين على النمط العتيق ، أى مزاولة ألفية ابن مالك ومختصر الشيخ خليل وجمع الجوامع والتلخيص مع جمود تفكير وتقليد بالغ فى تدين وصلاح وحسن نية ، الى ان حل بها في سنة 1342 هـ الاستاذ الحافظ شيخ الاسلام ابى شعيب الدكالى المتوفى عام 1356 الموافق 1937 م ، فرأى فيه مترجمنا من اتقان الحفظ وسعة الاطلاع وسمو المدارك والتصرف المحكم الحر والتدفق الغزير والفصاحة الخلابة ما جعله يعيد النظر فى كل ماضيه ومحيطه من معلومات واساتذة ، خصوصا ، ـ وهو وليد الوسط الدينى ، ـ قد شاهد كيف يكون اتقان العلوم الدينية من حديث وتفسير واصول، وكان كما قال : « ثم فى سنة 1342 هـ طلع علينا السعد بطلوع الشيخ أبى شعيب الدكالى ، فكان ذلك فى حياتى اجافة لباب وفتحا لباب ءاخر » ، فلزم الجد فى الدرس وجعل غايته أن يبلغ مبلغ ذلك الشيخ ، وحيث ان كلا ميسر لما خلق له فبينما صاحبنا يجد ويجتهد ليل نهار ليصل ما جعله نصب عينيه ، اذا بتحول ءاخر ، لا يقل عما احدثته رؤية الشيخ يدب الى حياته ، وذلك ان الاقدار ساقته عن غير ارادة منه الى طلب العلم بفاس فى مفتتح عام 1343 هـ صحبة شقيقيه الاستاذين الفاضلين القاضى سيدى عبد الرحمان المستشهد فى زلزال أكادير فى 3 رمضان 1379 ـ ص 268 ج 2 (المعسول) ـ وسيدى ابراهيم المستشار حالا بالمجلس الأعلى للعدل ، فكان من مظاهر عظمة المترجم ان ضم اليه اخويه هذين وتحمل اعباء نفقتهما وتعليمهما فكانا كما اراد واكثر .

ولم يكد هذا السوسى الذكى المتصوف الدرقاوى المنكمش الذى سبق له ان وعى ما وعى من امهات الفنون فى بلده وفى مراكش مع التعمق فى المواد الأدبية ـ لم يكد يخالط نجباء الفاسيين المترددين الى جامعة القرويين حتى كهربوه بكهربتهم وصهروه فى بوتقتهم ، وكان من حسن حظه ان دخل هذه

الجامعة فى وقت كانت فيه على ابواب تحول جديد تتهيأ له في اشخاص جماعة من اترابه من أبناء البيوتات المغربية المجيدة فى مثل مجد بيته واسرته ، منهم الاستاذ الجليل سيدى ابراهيم بن احمد الكتانى أبو المزيا كما يلقبه كلما ذكره في مؤلفاته وما أكثر ما يذكره ، والاستاذ العلامة المضحى المخلص الجليل سيدى محمد غازى المكناسى ، والعلامة الكبير الاستاذ سيدى علال الفاسى الذى يلقبه شاعر الشباب وقال انه رءاه لأول مرة شابا نحيفا عند قيامهم من درس فى مقامات الحريرى على شيخ الاسلام سيدى محمد بن العربى العلوى المطغرى المتوفى يوم الخميس 22 محرم عام 1384 هـ الموافق 4 يونيه سنة 1964 م ، ومولاى الصديق العلوى الاستاذ الجليل المتوفى فى أكتوبر 1936 الموافق رجب 1355 ، والسيد عبد الهادى مكوار الذى اشتغل بعد ذلك بالتجارة بالدار البيضاء وكان امينا لتمويل المدارس الحرة بها أيام كان التعليم مقترا على المغاربة ، والمتوفى بها فى 4 صفر 1381 الموافق 18 يوليوز 1961 ، وابناء الاسرة الفاسية المجيدة العلماء الاجلاء الذين منهم العلامة المؤرخ سيدى العابد الفاسى ، والاستاذ محمد الفرسيوى الوزانى القاضى حالا بمراكش ، وغيرهم ممن يكفى هؤلاء المذكورون كمثال لهم .

وفى هذا الوقت نفسه تعارف مع الاستاذين الرباطيين الجليلين الشيخ محمد المكى الناصرى والرئيس المحترم الحاج احمد بالافريج ، اذ كانا يردان على فاس للاتصال بتلك النخبة التى يربطهم بها ما كتبه الله لهما فى الأزل من المشاركة فى الكفاح ، فكانا يحضران الاسمار فى بيت المترجم بالمدرسة العنانية وربما يبيتان معه فيه ان اقتضى الحال (وسم الخياط مع الاحباب ميدان) كما يقولون ، كما كانوا يتصلون بامثالهم من تطوان كالاستاذين الأخوين الحاج عبد السلام بنونة وأخيه الحاج محمد .

قال عن هذا الطور فى « الالفيات » « ومن هناك تمخضت الفكرة الوطنية المتركزة على الدين والاخلاق السامية ، وكنت أصاحب كل المفكرين اذ ذاك ، وكانوا نخبة فى العفة والدين ، ينظرون الى بعيد » ، وهذا يعطينا صورة عن الوطنية المغربية الأولى التى كان هذا الاستقلال الذى نتمتع به ثمرتها ، والتى

استحالت مع تطاول الايام الى هذا الخليط من الاخلاق الأوربية الغريبة عنا كما نحن غرباء عنها ، وكان صيقل اذهانهم ومحك قرائحهم ومستمد مطامحهم هـو منتدياتهم فيما بينهم ودروس سيدى محمد بن العربى العلوى الذى يلقبه المترجم « موقظ الهمـم » .

ولما أرادوا البروز الى ميدان العمل حولوا الزاوية الناصرية بفـاس الى مدرسة قام على ادارتها الاستاذ الجليل سيدى محمد غازى ، وصاروا هـم اساتذة متطوعين فيها للتعليم اولا ثم لبث افكارهم وتعميم دعايتهم ثانيا ، وزيادة على التنظيمات الثقافية التى أحدثوها للمدارسة فيما بينهم وترأسها المترجم لأنه هو مقترحها فقد أسسوا جمعية سياسية سرية فى 12 رجب 1344 هـ ترأسهـا أصغرهم سنا وهو الاستاذ الجليل سيدى علال الفاسى .

وكانت السلطة الفرنسية غافلة عنهم لظنها انها أقبرت المغرب الـى الأبد ، ولكن لم تلبث حركتهم هذه ان لفتت الانظار فأغلقت المدرسة ونفـى الاستاذ محمد غازى خارج فاس ، فلم يلبث بعض من ليس بفاسى من هذه الجماعة كالمترجم والقاضى الفرسيوى ان ضاقت بهم فاس مـن جـراء المضايقـات الاستخبارية والتتبعات السياسية ، وحينئذ فارق فاسا بعد القبوع فى مدرسته عدة اشهر ، فارتحل الى الرباط سنة 1347 هـ حيث توجد جماعة من العلماء الذين يفكرون تفكيرا سلفيا محضا منهم شيخ الاسلام أبو شعيب الدكالى المتوفـى عام 1356 هـ الموافق 1937 م ، والعلامة الشريف سيدى المدنى بن الحسنى المتوفى عـام 1378 هـ والعلامة سيدى محمد بن عبد السـلام السايـح المتوفى بها عام 1367 هـ الموافق 1948 م ، فتفرغ للأخذ عنهم وملازمة مجالسهم ، كـل ذلك مع عدم التفريط فى تربية شقيقيه السيدين عبد الرحمن وابراهيم .

وفى الرباط خالط نخبة أخرى كانت هى مبدأ النور فيها ، منهم خليصه الذى لا يكاد يفارقه وهو الاستاذ الاديب الألمعى سيدى محمد بن العباس القباج الذى لا يفتأ يردد ذكره فى كافة كتبه ، والعلامة سيدى محمد بن أبـى بكـر التطوانى ، والعلماء الاجلاء سيدى أبو بكر بنانى وسيدى المصطفى الغربـى ، وسيدى المصطفى ابن محمد بن المبارك ، وسيدى عبد الله بن العباس الجرارى،

وسيدى التهامى المعروفى ، والشيخ عبد الرحمان الدكالى ابن شيخ الاسلام أبى شعيب الدكالى ، وسيدى عبد الله الركراكى قيم المكتبة العامة حاليا ، والشاعر الفحل سيدى الحاج محمد بن اليمنى الناصرى وغير هؤلاء ممن ينتابون دروس اولئك العلماء .

وهكذا نرى الاستاذ المختار السوسى تسوقه الأقدار الى مخالطة الأوساط الطيبة النيرة ليشحذ شفرة تفكيره على مختلف المشاحذ ويلون لوحة تصويره بأزهى الألوان ، فبعد النشأة الصوفية المتقشفة المتنسكة التى فتح عليها عينه بين والديه ، انتقل الى لطافة الشيخ الطاهر الافرانى وتموج مدرسته بالأدب الرائع الخلاب ، ثم الى الاجتهاد الهادىء الرتيب فى العلوم الدينية بالجامعة اليوسفية مع ابتداء الاطلاع على مبادىء مظاهر الحضارة ومآثر التاريخ بمراكش مما لا وجود له البتة فيما وراءها من القطر السوسى ، ثم الارتواء من معين الوطنية الصافى والاصلاح الشامل بين رواد المدرسة الناصرية وحلقة الشيخ محمد بن العربى العلوى بجامعة القرويين ، ثم الى عاصمة المغرب رباط الفتح حيث يثر معين العلم الصافى من فيض العلماء الثلاثة المذكورين وحيث المجتمع الرباطى المتزن الوقور الذى تنصهر فيه جميع الاخلاط وتنهضم كل المواد مع اللباقة والطموح وبعد المرمى .

فلما عاد الى مراكش سنة 1348 هـ عاد مزوداً بكل ما يؤهله للقيام بالدور الذىقام به فأثار حسد الحاسدين وتنافس النافسين وغضب المستعمرين، من انتاج أدبى رصين ، واطلاع فى المعارف فسيح ، وصبر فى الشدائد وطيد ، ووطنية صادقة لا تعرف النكوص على الاعقاب ، ولا المهاودة فى الاهداف ، وقد أدرك ان معاودة الاستيطان بسوس وأد لكل ما حصله وما خالطه ، خصوصا ان أهلها ما يزالون يغطون اذ ذاك فى تفكير القرون الوسطى من الوجهة الاجتماعية والفكرية ، فاختار المقام بمراكش ليكون صلة وصل بين القطر السوسى والحواضر المتيقظة المتوثبة .

وحيث ان الله تعلى اذا أراد أمرأ هيأ أسبابه ، فقد احله فى زاوية والده بالرميلة بباب دكالة تجاه المسجد الواسع الذىبنته هناك الحرة مسعودة

الوزكيتية والدة المنصور السعدى ، يعلم صغار بعض اخوته وبعض صبيان أسرته ويلقى بعض الدروس العامة بالمسجد المذكور ، فلم يكد جيران الزاوية يحسون فيها الحركة العلمية حتى صاروا يسوقون اليها أولادهم ثم صار غيرهم على اثرهم حتى أصبحت تلك الزاوية صورة مكبرة للزاوية الناصرية بفاس ، كما انها أصبحت محطة لكل مثقف ورائد معرفة ند من القطر السوسى نحو الحواضر المغربية ، وكان رحمه الله يحسن ايواء ابناء البيوتات العلمية السوسية ويشجعهم ويدربهم على تحمل التقشف وشظف العيش في سبيل تحصيل العلم، وكانوا يجدون عنده من الرحب والسعة ما يحبب اليهم القاء عصا التسيار لديه ، وله في ذلك لباقة واقدام وخبرة قل من يطيق الاضطلاع بها ، اذ كان يشحذهم ويدربهم عنده ثم يلقيهم في بيوت ذوى اليسار يعلمون اولادهم الذين كثيرا ما يكونون ملتحقين بالمدارس الفرنسية الحكومية فيفيدون ويستفيدون ، كما ينيط بهم بعض الدروس بالزاوية كل على قدر باعه وثقافته ، وقد نظم ذلك تنظيما محكما بسيطا كان هو فيه مثال الاستقامة والنزاهة والمواظبة والامتثال لأوامر الله ووحى الضمير ، فكان كل من فى الزاوية يجله ويكبره ويسرع الى امتثال أوامره ، فالدراسة جدية والقوت بسيط كاف ، والصلوات تؤدى جماعة فى أوقاتها ، والنوم بعيد العشاء ، والانتباه قبيل الفجر ، والمذاكرة حرة طليقة ، والخزانة زاخرة بالنفائس القديمة والحديثة ، لا يميز نفسه ولا اهله على الطلبة بشيء ولا يستأثر دونهم بشيء ، بل كثيرا ما يغمط أهل بيته حقوقهم ليرفه بها على الطلبة .

وهناك تجلى دور الاستاذ المختار فى الصوفية الوطنية اذا كانت حياة والده قد تقضت فى الصوفية النسكية ، وكانت الوطنية اذ ذاك غضةطرية تمثل نوعا من التنسك والعبادة ومن الجهاد فى سبيل الله الذى يرى ان التربة المغربية جزء من التراب الاسلامى العام الذى يجب على كل مسلم تهيىء الأسباب لتحريره ونصرته .

ولكن الحساد والمنافسين من جهة ، وتتبع الاستعمار له من فاس من جهة أخرى ، ما كانت لتغفل عن هذه الفسيلة الطيبة لتصبح دوحة باسقة يتفيأ

الناس ظلالها ، فكما تخربت جامعة القرويين وجامعة ابن يوسف وغيرهما باغراء نبغاء العلماء على اخلاء حلقاتهم بالوظائف السامية المدرة ، سار المستعمرون معه ايضا على نفس الطريقة لعله ينسحب من الميدان ، وكان من عادته عند ما يريد الخروج لأوطاره ان يرافق بعض الشادين من طلبته ، فكان من حظى أن أخرج معه ذات مرة فأمر سائق العربة العمومية ذات الفرسيـــن أن يتجـــه صوب مكتب الاستعلامات المعروف بدار زنيبر ، فلما دخل بقيت أنتظره بالباب ، ولما كنا في طريق الرجوع قال لى ان هؤلاء قد استدعونى وعرضوا على أى وظيفة اختارها ، فقلت لهم انما انا رجل دين وارشاد عام كما كان والدى ولا غرض لى بما يحولنى عن ذلك ، انهم يريدون ان يقطعوا على الطريق بوضع لهية من لهاهم في لهاتي ، وهيهات لهم منى ذلك ، وقد كنت ولله الحمد محل ثقته منذ التقينا من نحو ثلاثين سنة حتى صار الى عفو الله وواسع رحمته .

وما دمت بصدد قصة احواله فلا بأس أن أزج بالقارىء في قراءة كيفية اتصالى به ، لما فيها من مزيد الكشف عن نفسه رحمه الله ، فقد خرجت صبيحة يوم جمعة الى زيارة قبر والدى بالمقبرة الكبرى خارج باب الخميس بتارودانت بعد صلاة الصبح ، فلما وقفت على القبر وجدت ازاءه رجلين لم أتبين وجوههما قال أحدهما للآخر ها هو ذا ، فعلمت انه استاذى فى القرءان تلميذ والدى سيدى الحسن ابن مولود السكتانى رحمه الله ، فلما سلمت عليهما قال لى هذا سيدى عبد الله ابن الشيخ سيدى الحاج على واننا قد صلينا الصبح هنا وقضينا وطرنا من الزيارة فاذا قرأت ما تريد ودعوت فالحق بنا لبيتى ولم أكن قد رأيت سيدى الحاج عبد الله من قبل ، فلما التحقت بهما جعل هذا يحدثنى عن مدرسة اخيه المترجم بمراكش ويغرينى بالالتحاق بها ، ولكنى لم اعر كلامه أى اهتمام لان نشأتى فى اليتم علمتنى أن لا ارجو من أحد شفقة ولا رحمة ، ويرحم الله أبـــا الطيب على قوله :

ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس الخ

فلما قضى الله بالاتصال ساقتنى الأقدار الى مراكش ، فخطر لى أن أزور زاوية حى الرميلة فجعلت أسأل حتى وصلتها ، وما كدت أدخلها حتى لقيتـــه

رحمه الله خارجا عند المغرب ، وكان من عادته أن يخرج في ذلك الوقت عملا بالوصية القديمة « يا صاحب المساطر ، في المسا طر » فسألته عن نفسه ولم تسبق لي به معرفة ، فقال لي ومن أنت ؟ فما كاد يعرف من أنا حتى قال « أهلا وسهلا ، بضاعتنا ردت الينا » فأخذني من يدي وخرجنا وقد وجدت الى جانبه أخانا الاستاذ الاديب الحسن بن أحمد البونعماني الذي صرنا نطلق عليه بعد ذلك سيدي الحسن الشاعر ، فخرجنا ثلاثتنا نحو عرصة مولاي عبد السلام العمومية ، وجعل يمتحنني في الطريق دون أن أشعر ويسألني عمن يعرفهم من علماء تارودانت كالشيخ البركة القاضي سيدي موسى بن العربي الذي كان مشتغلا بخويصة نفسه في شبه انعزال ، واستاذنا الجليل سيدي احمد بن الحاج مبارك المصلوت المتوفي يوم الاثنين 26 رجب عام 1374 هـ قاضيا بتزنيت وتوجد ترجمته الحافلة ابتداء من صفحة 39 من الجزء 18 (المعسول) ، وفي أول هذا الجزء أيضا توجد ترجمة القاضي سيدي موسى المذكور ، والباشا العلامة سيدي محمد ابن عبد الله البيضاوي الشنكيطي المتوفى رحمه الله في 11 محرم 1365 هـ الموافق دجنبر 1945 م ، وقد كان باطنه غير سالم على هذا الباشا لمناقشة حادة كانت بينه وبين صديقه سيدي محمد بن العباس القباج على صفحات مجلة « المغرب » القديمة ، فلما اتصلا حمد كل منهما أوصاف الآخر ، وقد ذكره في ص 157 من رابع ، « خلال جزولة » وكنت أعمل على تصفية الجو بينهما فتم ذلك على نحو ما ذكره .

فلما عدنا الى الزاوية قرب العشاء تعشينا عشاء بسيطا على سطحها لأن الوقت وقت مصيف ، فهممت بتوديعه فسألني أين سأبيت فقلت انني قد أخذت حجرة في نزل ، فقال أو يليق بك أن أكون هنا وتبيت أنت في النزل ولا تترك ما عسى أن يكون لديك من مال حتى تنفقه على والدتك واخوتك ؟ ثم أرسل معي ثلاثة من طلبته لمساعدتي في اطلاق حجرة النزل والاتيان بحقيبتي ، فلما وصل وقت النوم فرش لي على السطح زربية صغيرة ثناها على فلقين ، فمددت يدي لاخراج ما أتوسد من حقيبتي ، فقال تأن حتى أريك ما ذا كان يتوسد أبوك لما كان مع أبي فوضع اجرتين تحت الزربية وقال نم ، فلم يكد يقترب الفجر حتى جاء يوقظني ويقول ان ابوينا لم يكونا ينامان هذا الوقت حتى

ننامه نحن ، وهكذا أحتلني بهذه الجرأة النادرة فكبر في نفسي واخضعني لارادته من أول يوم ، فبقيت معه الى ان فرق بيننا نفيه الأول ، واذ ذاك ابتدأنا هذه الأعمال التي انجزناها في وزارة التاج عن تاريخ سوس ، ولا ادعي ان لي يدا فيما كتبه من ذلك فهو الكل في الكل وانما انا تابع وممثل ومساعد أمين وحسبي بذلك شرفا .

وقد استنطقني أحد الحكام الفرنسيين ذات مرة في أكادير فكان مما سألني عنه أن أخبره كيف عرفت المؤلف واين ، فقلت له ان السؤال هو كيف تعارف أبي وأبوه ، واما أنا وهو فانما وجدنا طريقا مرسوما فاتبعناه .

بهرت الزاوية الدرقاوية بالرميلة المتحولة الى مدرسة أعين الحسدة والاستعماريين بماتعج به من طلبة بلديين وءافاقيين وبما يتوارد عليها من مفكرين من المدن الأخرى كالاستاذ محمد غازي وأبي المزايا الشيخ ابراهيم الكتاني واضرابهما والأعين لها بالمرصاد ، والدسائس تحاك ، منها ما اطلع عليه وما لم يطلع عليه ، ثم جاءت رئاسته لصندوق الجمعية الخيرية فأرادت السلطات تحويل قسط من ماليتها الى ما لا فائدة لها فيه فتعصب فأحست تلك السلطات بأن ما كان بيدها تتصرف فيه كيف تشاء قد استله منها من جاءت بهم ليساعدوها فاستبدوا عليها واذ ذاك تقرر نفيه عن مراكش ، ولا بأس أن أسوق هنا قصة تدل على صموده واستعداده لما يطرأ ، فقد خرجت معه ذات مرة نحو بيت احد مشاهير العلماء فلما اقترب بنا من داره قال لي قد بلغني ان هذا يشارك في دسائس تحاك حولي ففكرت كيف أوهمه انني لا علم لي بذلك فخطر لي أن أطلب منه سلفا لا غرض لي به ، فتسلف منه خمسة وسبعين فرنكا ، ظلت موضوعة في محل خاص حتى ردت اليه بعد نفي الاستاذ .

وكانت نتيجة تصلبه تجاه الاستعماريين ان جاء محمد بن العباس أحد أعوان الباشا الحاج التهامي الكلاوي والذي أصبح بعد ذلك من خلفائه بمراكش ، جاء عند شروق شمس يوم الخميس 28 ذي الحجة 1355 هـ يطلب الاستاذ ليلبي دعوة الباشا ، وكانت العادة ان يبقى مثل هذا عند باب الزاوية الى ان يجاب طلبه ، ولكن هذا دخل وسط الزاوية وصعد الدرج الى باب دويرة

الاستاذ حيث اهله ، فلفتت تلك الجرأة انظارنا ولكننا لم نبال اذ تعودنا رؤية امثاله منذ اشتغل الاستاذ بأمر الجمعية الخيرية ، فاذا بالاستاذ يخرج فيذهب مع ابن العباس فتنغلق عنا اخباره الى نحو اسبوع حيث وردت رسالته من اغرم باداوكنسوس في ناحية تارودانت تخبر بانه نفي الى الغ .

ولكنه لم يكد يستقر في الغ الفقر اليباب على فاقة ومسغبة حتى أخذ يجمع ما كان ينقصه من مواد التاريخ السوسي ويقول لنفسه يريدون مني أن أكون في سوس فها انذا فيه أكثر وأحسن مما يريدون ، واني لآسف لكون هذه الترجمة لا تستطيع ان تضم كل ما لدى لأحشره فيها حتي لا تصبح أكبر من الكتاب .

ولم يعد من منفاه بصفة تامة نهائية ، بعد شتى المحاولات الا بعد تسع سنوات ، أي في سنة 1364 هـ ، فاستأنف نشاطه بالزاوية مع افواج اخرى من الطلبة بأوسع واحسن مما كان ، ولما سادت تلك الفكرة التى تزعمها جلالة المغفور له **محمد الخامس** قدس الله روحه ، وهي تأسيس المدارس الحرة باسمه واسم الامراء انجاله حفظهم الله ، وكانت قد تحولت في الرباط مقبرة باب شالة الى مجموعة مدارس **محمد الخامس** ، عزم أهل مراكش على مثل ذلك في مقابر بني دغوغ بحارة رياض العروس ، فكان من حظ الاستاذ ايضا ان يترأس لجنتها، فوقع فيها مثل ما وقع في الجمعية الخيرية مع الفرنسيين ومن في جانبهم ، وشعر الفرنسيون بانه يسخر منهم حينما يعلن انه لا هم له في السياسة وانه انما هو رجل علم، ثم في الوقت نفسه يتصلب معهم ويتزعم التألب ضد اوامرهم .

كانت أحوال المغرب حين الحرب العالمية الثانية تتطور بسرعة كبيرة ، فبينما الضغط النهائي الذى لا متنفس معه اذا بالنخبة الوطنية وعلى رأسها جلالة الملك **محمد الخامس** تداهم فرنسة بوثيقة الاستقلال في 11 يناير 1944 م ، فتتوصل بها الاقامة العامة بالرباط ثم يقع صمت مطبق وهدوء من طرفها ظن البسطاء انهما من حلم فرنسة والواقع انها انما كانت تتأهب لما وقع بعد ذلك من انتقام ، مما لا يسعه المقام الآن ، وقد صادف ذلك وجود المترجم في زيارة لتادلة بترخيص من حاكم بلده عند مريد والده سيدى ابراهيم بن

البصير المتوفى عام 1364 ص 38 ج 12 (المعسول) ، ولكنه انفلت الى الـدار البيضاء ونزل عند الفاضل المرحوم سيدى احمد بن ابراهيم الحاحي صهر احمد السوسي الذى بنى جامع درب الكبير بالدار البيضاء وجعله أماما به ، وكـان الاستاذ يلبس اذ ذاك حذاءين نعلهما بمطاط عجلات السيارات ، وجبة غليظة خشنة من الصوف وخنيفا غليظا خشنا أسود ومتعمما بعمامة يتحنك ببعضهـا على عادة أهل ما يجاور الغ من الصحراء لكي لا يعرف ، وكنت ءاتيه بجرائد ذلك العهد كالسعادة والوداد وأحمل اليه ما تجدد من الأخبار ، وكان قد ترك وثيقة الاستقلال تروج للتوقيع بمراكش ، فاذا بالقضية تتطور واذا بفرنسة تمد اليد فى الناس واذا بها تحمل الرئيس السيد الحاج احمد بالافريج الى كورسيكة فلما وردت على الاستاذ عند الزوال وحملت اليه ما تجدد من الاخبار خاف آن تبحث عنه مراقبة منفاه فتجده بالدار البيضاء فتمنى ان لو كان له جناحـان ليطير بهما ، وتأمل مليا ثم قال لى كلمة تدل على فراسته ولم تلبث الايام ان صدقتهـا ، قال قـد قضى الأمر وتفرقعت القنبلـة ، فقد كانت فرنسة تحـاول أن تخلق بين المغاربة من يقبل أن يفاوضها على شيء مما دون الاستقلال كبعض الاصلاحات الداخلية ، اما الآن وقد قيلت كلمة الاستقلال فكل مـن قبـل أن يتفاوض على ما دونها سيراه الشعب المغربى خائنا استعماريا ، لكن اذا قتل الفرنسيون الحاج احمد فسيتأخر استقلالنا كثيرا ، اما اذا أعماهم الله عنـه فتركوه حيا فان الاستقلال لن يتأخر أكثر من عشرين سنة ، فكتب الله للرئيس الجليل النجاة واذا بالاستقلال يتم بعد احدى عشرة سنة من ذلك ، اما كيـف وصل الاستاذ الى منفاه فان شركاء التاجر الأرضى الفقيه السيد الحاج عابـد السوسي قد هيئوا كاميونا يذهب بسلع تجارتهم الى سوس فحملوه فيه وهو بتلك الثياب الخشنة حتى وصل الغ فدخل محله وقبع ، وما دمت بصدد ذكر فراسته فلأذكر انه بعد ما سمح له بالتجول فى الحواضر نهائيا جاء الى الـدار البيضاء وكنت لما التق به ، فاذا بي يعرض لى ما تعودناه فى تلك الايام ، اذ كنت مارا بساحة الباب الكبير صباحا اذا برئيس الشرطة السرية السياسية يطلب منى اللحاق به الى مكتبه ، وكنت أظن انه سيسألنى عن الاستاذ فعولت أن أتجاهل له وجوده بالدار البيضاء لأنى لم أره بعد ، ولكن لما سلم الله والتقيت

بالاستاذ عند الغداء قصصت عليه ما جرى فقال لى ان المغرب سينقسم عن قريب الى فئتين احداهما مع سلطات الحماية الفرنسية والأخرى مع جلالة السلطـان فليختر الانسان من الآن الجهة التى سينحاش اليها ، فلم يمض الا قليل حتـى خطب السلطان خطبته التاريخية بطنجة عام 1947 م وتكلم عن الاستقلال وعن الجامعة العربية فغضب لها الفرنسيون وانجر معهم المتملقون واذا بالمغـرب ينقسم كما قال .

استقر بعد التسريح بمراكش واستأنف أشغاله فى التعليم واربـى فيه على ما كان عليه قبل النفي وتحسنت العلاقات بينه وبين الباشا الحـاج التهامي الاكلاوى الذى كان يتبرأ له من أن تكون له يد فى نفيه السابق ، كما تم الاتصال بينه وبين جلالة السلطان المرحوم مولانا **محمد الخامس** قدس الله روحه ، كما هو شأن جلالته مع كل من ءانس منهم الاخلاص فى خدمة الوطـن ، فعينه جلالته في وفد الحج لسنة 1365 هـ كما عينه فى عضوية وفد أحبـاس الحرمين سنة 1367 هـ الى تونس .

فلما اظلت المغرب السحابة القاتمة التى عقبها خلع جلالة الملك عن العرش ، لم يجد الاستاذ بدا من ان ينحاز الى أحد الفريقين كما قال ، فاوحت اليه شجاعته التى لا تخونه ابدا ان غادر مراكش الى الدار البيضاء بصفة نهائية فى قفزة جريئة ، وكانت الدار البيضاء هى مركز الحركة الوطنية ، وكان الجو قد فسد ما بين جلالة الملك وباشا مراكش المتزعم لحركة الخلع مدفوعا بيد الفرنسيين ، ويقال ان الباشا قال عن الاستاذ المختار انه فر عنا فى وقت اشتدت فيه حاجتنا اليه ، ولكن هيهات لهذا الباشا أو غيره ان يزج بالاستاذ فى اتون الخيانة المستعر وحمأتها المنتنة .

فلما حل بالبيضاء انحشر اليه الطلبة من كل فج والتحق به كثـير ممن ضايقتهم الشرطة الفرنسية فى مراكش من أصحابه وانخرطوا كأساتذة فى المدارس الحرة وفى أى عمل يتيسر .

فلما كانت السلطات الاستعمارية تهيىء لخلع السلطان الذى اعياها امره ووجدته ركنا منيعا للوطنية ، وأسست سجن اغبالو ن كردوس بالصحراء

وصارت تسوق اليه كل من تظن انهم سيعارضون ارادتها فى السطو على العرش المغربى ، ذهب اعوانها لدار الاستاذ محمد الحمداوى ليلقوا عليه القبض وكان الاستاذ عنده فاشار عليه الحمداوى ان يندس بين النساء حتى يخرج الاعوان برب البيت ثم يذهب هو الى حاله ، فقال له معاذ الله ، او مثلى يختبىء بين النساء؟ فخرج امام الاعوان فلما رءاه رئيسهم ناداه قائلا انك قد كفيتنا مشقة أخذك من بيتك ، وان اسمك في لائحة من سنقبض عليهم ، فأخذوه من هناك الى اغبالـو ن كردوس حتى أفشل الله تلك السياسة وجعلت تباشير الانفراج تبدو فكان من أول المسرحين .

ولما من الله برجوع جلالة المولى **محمد بن يوسف** الى عرشه ظافـراً منتصراً يحمل الاستقلال والحرية الى الشعب المغربى ، كان الاستاذ فيمـن حظوا بثقة جلالته للعضوية فى أول حكومة في عهد الاستقلال اذ كان فيها وزيرا للأوقاف ، وفى فاتح مارس 1957 م تعين من الوزراء الثلاثة المستشارين بمجلس التـاج ، حيث ظل الى ان لقى الله وفيا للثقة التى رءاه أهلا لها جلالـة مولانـا **محمد الخامس** وجلالة ولده الملك الحالى مولانا **الحسن الثانى** أدام الله توفيقه وحفظه.

وفى وزارة التاج استدعانى للحاق به لنتعاون على تخريج مـا كان جمعه من أخبار سوس ، وهناك اعتكفنا فى جد ومواظبة على اخراج كتبه هـذه التى أصبحت المرجع الوحيد فى أخبار القطر السوسى ، فاشترى الآلات الكاتبة وجعلنا نضرب عليها المخطوطات ثم من هناك الى المطابع بفضالة والدار البيضاء والرباط وتطوان فقد بدأ اولا فى فضالة ، لكن لما راى مطبعتها تماطله تركها واتصل بمطبعة دار الكتاب بالدار البيضاء اما الرباط وتطوان فقلما يطبع فيهما، وكان يعمل فى ذلك باقصى ما يمكن من السرعة حتى انه كان يمانع فى تصحيح الاخطاء فى المضروب على الآلة الكاتبة ويقول عجلوا فان الامر اسرع مما تظنون ، فكان كأنما ينعي نفسهُ بذلك ، وحيث ان اشغال وزارة التاج قليلة فقد وجدنا ما يكفى من الوقت لانجاز برنامجنا وقد كان يقول ان الموظف كالعبد ، اذا كفته الدولة مهامه فيجب عليه أن يعمل ، كما ان العبد اذا وفر له سيده ما هو فـى حاجة اليه فان عليه أن يعمل ، وان جلالة الملك قد أسبغ علينا كل ما نتوقف

عليه فلم يبق لنا عذر في التخلي عن العمل بجد ونشاط ، ولا يفوتني هنا ان انوه بمجهودات الاستاذ الفاضل السيد ابن خلدون محمد بن مبارك فقد أدى معنا ما أنيط به في تحمل وصبر وفضيلة ، وقد كان الاستاذ يرهقنا ويضايقنا حتى كنا ربما نفارقه في المساء على شيء من سوء التفاهم ، ولكن لانكاد نصبح حتى تنسى مشاكل الأمس وقلقه ونستأنف العمل ، وكان رحمه الله يقول انه لما اسندت اليه وزارة التاج كثر عليه الطالبون للتوظف معه فيها كفاحا وبالوسائط ولكن لما علم ما ينتظر ان ينجزه فيها من اعمال انتقى لمساعدته فيها من يرجو منهم الوفاء للصحبة القديمة وتحمل ما عسى ان يكون في اخلاقه من حزونة كما كان يسميها رحمة الله عليه ، بل ربما أريناه نحن ما يسوؤه من حزونة اخلاقنا اذا ارهقنا ، فكان يغضى عن ذلك لما يعلم من انه انما هو تدلل منا عليه لما نعلم من حدبه علينا ووثيق صلتنا به، وان كان ذلك انما هو ظاهرى لا يعرقل في شيء ما نحن بصدده ولا ماله في انفسنا من اجلال واكبار ووفاء وتقدير .

وكما قدمت في صدر هذه الترجمة من انه رأى الضوء ونشأ في بلد يصارع اهله الطبيعة ويغالبونها ، فانه رحمه الله حافظ كل حياته على متانة نشأته الأولى ولم تفسده الرفاهية التي تفسد عادة من يخرجون من بيئة الى بيئة ، فلم يلبس قط القميص الافرنجي العصرى الضيق ولم يزل رحمه الله يلبس القميص الفضفاض السابغ ويستحم بالماء البارد متى شاء ، ويأكل خبز الشعير والزيت ، ويلوت الكسكس باللبن ، وينام بعد صلاة العشاء ويستيقظ قبل الفجر بكثير ، ويشتغل بمجرد ما يستيقظ حتى اذا طلع الفجر صلى ثم عاد الى العمل الى أن تطلع الشمس فيفطر ثم يشتغل الى الظهر ، فيصلي ثم يتغدى ثم ينام الى العصر ، وقلما يشتغل بالكتابة في المساء ، ولم يجده الفجر قط نائما ولا نام بعده ، ولا كسل عن الصلاة ولا افحش في نطقه ولو مزحا ، كما انه ربى أولاده وأهله على ذلك فكان كل من في بيته يستيقظ عند الفجر حتى صبينه الصغار والاضياف ، وكان اذ سمع اولاده يقولون دارنا دارنا لدار الحكومة التي بها سكناه يقول لهم ليست هذه دارنا بل هي دار السلطان ولا بد أن يطلبها منا يوما ما ، اما داركم فاطلبوا من الله أن ييسرها لكم .

وقد كان كأنه عداد الساعة فى الحركة الدائبة ، واذا كان الناس يجدون راحتهم فى الفراغ فان راحته هو فى العمل ، ومن ذلك انه لما علم قبيل نفيه الأول ان شيئا يحاك حوله جمع اكداسا من المجلات القديمة والروايات المختلفة المواضيع ويطلب لكل من اتصل به أن يعطيه ما عنده منها فاشتغل بهـا عـن الاهتمام بالمصير المنتظر حتى قضى الامر ، وهذه الآثار التى خلفهـا بعـده مطبوعة ومخطوطة شاهدة على دؤوب حركته .

فالمطبوع من مؤلفاته « سوس العالمة » فى مجلد واحد ، و « خـلال جزولة » فى أربعة مجلدات و « المعسول » فى عشرين مجلدا ، وكان على وشك وضع فهرس له فى مجلد خاص فادركه الاجل ، و « الترياق المداوى » فى اخبار والده ، و « منية المتطلعين الى من فى الزاوية الالغية من المنقطعين » و « ايليغ قديما وحديثا » هو هذا ، وكان فى نيته أن يجعله فى مجلدين فأخرجناه فـى واحد ، وثلاثة أجزاء من العشرة التى يتكون منها « من افواه الرجال » وبعـض « بين الجمود والميع » نشر تباعا فى مجلة « دعوة الحق » الحبسية .

وما يزال مخطوطا له « رجالات العلوم العربية فى سوس » وهو مجلد ضخم ، و «الرؤساء السوسيون » فى مجلد ، و « مترعات الكؤوس فى بعض ءاثار من ادباء سوس » فى مجلدين ، و « اتحاف النبيه، فى مناقب سيدى احمد الفقيه » المتوفى فى 17 ربيع الأول 1346 هـ ص 5 ج 16 (المعسول) و « رسالة الشباب » ضاع له مخطوطا ، و « المجموعة الفقهية » فـى فتاوى متأخرى السوسيين ، و « جوف الفرا » فى النصوص الادبية السوسية التى لم تناسب كتبه الاخـرى، و « طاقة الريحان ، من روضة الافنان » فى مجلد ، و « مجموعة العادات الالغية » و « قطاف اللطائف » ، و « حول مائدة الغداء » جمع فيه ما كان يخبره به السيد ادريس بن منوالسوسى الهشتوكى الذى كان رفيقا للسلطان المولى عبد الحفيظ ابن المولى الحسن الأول ووزيره ومفوضه فى مراكش فما وراءها بعد ان استقر المولى عبد الحفيظ بفاس، وقد شاهد كثيرا من الاحداث السياسية كعقد الحماية، وكان قلما يتغدى دون ان يرسل عبده لاستدعاء الاستاذ ليتغدى معه ، وكانت سكناه بالدرب الذى فيه الزاوية ، و « نضائد الديباج ، فى المراسلات بيـن المختار والقباج » أى الاستاذ الاديب سيدى محمد بن العباس القباج الرباطى صاحب كتاب « الادب العربى فى المغرب الاقصى » .

وقبل أن أضع القلم من هذه الترجمة أريد أن أخبر القارىء عن ناحية أخرى من نواحي نفسية الاستاذ المترجم ، وذلك انني كنت معه بعد صلاة المغرب في يوم ثامن ذى الحجة من احدى سنوات ايامنا بزاوية الرميلة، وجلسنا للكتابة لان من عادته كما قدمت ان ينفي عنه الهم بالعمل ، وكانت الفاقة التامة ضاربة اطنابها فلا اضحية ولا أى شيء من ضروريات العيد ، فاذا بالسيد عبد الحميد بن الفقيه الناظر السيد محمد بن عبد الله الرجراجي الرباطي مؤلف تاريخ السويرة ، وكان اذ ذاك ناظرا للاحباس بمراكش يدخل علينا ويناوله بطاقة صغيرة فيها بعد السلام (وبعد فخذ من الولد ما بيده لتستعين به على ما انت بصدده وادع له والسلام) ومع البطاقة قدر لا بأس به من المال فنشط الاستاذ وقام الى دويرته المتصلة هناك واتى بالشاى وبحبيبات من اللوز والجوز والزبيب ثم دعا للولد ، فلما خرج الولد ظهر الفرح والنشاط على الاستاذ كأنه يملك مخازن قارون ، فاذا بشخص يدخل ، فقال له الاستاذ كيف حالك ؟ فقال له كحال من اظله العيد وله عدة اولاد وليس فى بيته قوت ولا فى جيبه ثمن الأضحية فقال له الاستاذ ، قد نفد صبرك اما نحن ففى استطاعتنا ان نصبر الى الغد ، ومد يده الى ما اتى به ابن الناظر فاعطاه لذلك الشخص ولم يترك منه دانقا فعاد الى هدوئه ومسكنته وكتابته واثقا بالله الذى عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو .

هذا بعض ما نعلمه وما سمحت لنا الظروف بكتابته عن الاستاذ الجليل محمد المختار السوسى المتوفى بالرباط فى 29 جمادى الثانية عام 1383 هـ الموافق 17 نونبر 1963 م رحمه الله واناله رضاه الأكبر الذى كان مبتغاه ومطمحه حتى تلقب فى حالته المدنية رضا الله ، وقد دفن بمقبرة سيدى الخطاب بباب العلو ـ بالرباط .

وقبل اختتام هذه الكلمة أرى من الدين المتعين الوفاء به تقديم جزيل الشكر للأستاذ الفاضل البحاثة المؤرخ النشط النبيه سيدى عبد الوهاب ابن منصور ـ المدير العام لدار الاذاعة والتلفزة المغربية حالا ـ الذى أتاح لى هذه الفرصة أيام رئاسته للديوان الملكى حرسه برعايته ، ولجناب الاستاذ المتضلع

الفاضل الخير البحاثة سيدى عبد اللطيف الخطيب التطوانى الرئيس الحالى للديوان الملكى ، فقد بذل بعد سلفه فى انجاز هذا المشروع ما أرجو من الله أن يكافئه عليه ، والاستاذ البحاثة العلامة سيدى محمد بن عبد الهادى المنونى المكناسى الذى يمثل عن جدارة علم العلماء وسمو اخلاقهم على ما أمدنى به من تشجيع وتنشيط ، فجزاهم الله أحسن ما جازى محسنا عن احسانه والسلام .

**المعلق**



# تنبيه

جرت العادة أن يوضع فى آخر الكتب جدول الأخطاء التى لا يخلو منها كتاب ، وكثيراً ما ينهى المطالع قراءة الكتاب دون أن يتنبه الى ان هناك اخطاء مصوبة ، ولذلك رأينا أن نبين من الآن بعض ما تنبهنا اليه من اخطاء وقعت اثناء الكتاب ليطلع عليها القارىء الكريم من أول وهلة ويصلح عليها نسخته قبل الشروع فى القراءة .

1) ــ ان السطر الثالث ــ ترقيا ــ من صفحة 5 كله زائد ما عدا كلمتى (وفى طبقات) ، ومحله هو حيث ذكر فى ءاخر السطر الثانى ــ ترقيا ايضا ــ ابتداء من كلمة (عام 1316 هـ) الى ءاخر الصفحة .

2) ــ وقع فى السطر 15 من صفحة 94 ذكر ستالين خطأ بين من حضروا الاجتماع بين جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس قدس الله روحه فى 22 /1/ 1943 م وبين المأسوف عليه الرئيس الأميركى روزفلت بحى انفا بالدار البيضاء ، والحقيقة ان ستالين لم يحضر مؤتمر الحلفاء هناك وان كان حضوره متوقعا ، وذلك لسببين أحدهما انه هو الذى يسير بنفسه العمليات الحربية فى بلده ضد الجيوش الهتليرية ، والآخر ان ما سيقترحه على الحلفاء كان معروفا سلفا وهو فتح جبهة فى اوربة تخفف عنه الضغط الألمانى .

ولم يحضر من صفوف الحلفاء الا تشرشيل الذى كان اثناء مأدبة العشاء عن شمال الرئيس روزفيلت بينما جلس جلالة مولانا محمد الخامس عن يمينه ، وكان تشرشيل يظهر تضايقه من المحادثة التحررية التى اندفع فيها جلالة الملك بنشاط مع الرئيس روزفلت ، وكثيرا ما حاول تغيير مجراها باستطراد

حوادث سياسية هامة كمجيء الجنرال دوكول قائد المقاومة الفرنسية من لوندرة في ذلك المساء الى الدار البيضاء ، وقد اعجب الرئيس روزفلت بالرغبة الملحة التي وجدها عند جلالة الملك في تحسين حالة شعبه ، وليس تناول هذا الموضوع من مهمة هذا الكتاب .

3) ـ سقط في السطر الخامس ـ ترقيا ـ من صفحة 75 كلمات « كسرت سن جارية » بين صلى الله عليه وسلم وبين فأمر عليه السلام ، وذلك ظاهر من اختلال المعنى بدون تلك الكلمات .

4) ـ وقع في السطر 22 من صفحة 238 « ومن فوائده على الجاحظ في كتابه الحيوان » وصوابها « ومن فوائده انتقاده على الجاحظ في كتابه الحيوان »

5) ـ توجد في التعليق (585) قطعة لسعد بن ناشب من تسعة ابيات وقع فيها البيت السادس هكذا :

اذا هم القى بين عينيه همه * ولم يات ما ياتي من الامر هائبا

ومحل هذا الشطر الأول هو صدر البيت الثامن اما صواب هذا البيت فهكذا :

اذا هم لم تردع عزيمة همه * ولم يات ما ياتي من الامر هائبا

اما الاخطاء العادية فينبغي مراجعتها في جدولها اخر الكتاب على العادة .



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذى علم بالقلم ، وصلى الله على خير الأنبياء وعلى آله وصحبه وسلم .

امـا بعد ؛ فان فى نواحى سوس ، وفى أدواره التاريخية ، ما يستحق اعتناء خاصا ، وامعانا مستكشفا ، فانه قطر فسيح له عمارة متصلة من اعرق الأزمنة ، يسكنه هذا الجيل البربرى ، ثم لم يلبث بعد الموجة الاسلامية ان تحول بسرعة ، فمازجت منه التعاليم الجديدة اشغفة (1) لعلها لم تتفتح قبل لأية تعاليم اخرى تفتحها لتعاليم الاسلام (2) ، ولعل ذلك مما مازجه بالتدريج من اسر عربية غير قليلة لا يزال غالبها الى الآن معروفا ، فلا ريب أن لها على الشلحيين (3) السوسيين ايادى مستطيلة لمكانها من الاحترام من أجل تسربها

---

1) اشغفة جمع شغاف كسحاب ، وهو غلاف القلب ، يعنى ان التعاليم الإسلامية مازجت قلوب سكان القطر السوسى ، عبر بالمحل واراد الحال .

2) من المعلوم تاريخيا أن البرابرة لم يتمازجوا قط مع أى أمة من الأمم التى احتلت بلادهم قبل الاسلام ، بل انهم كانوا يقفون منها موقف الحذر وتربص الدوائر ، وكثيرا ما كانوا يعتصمون بجبالهم حيث يتعيشون من فوائد ماشيتهم وزراعتهم ريثما تحين لهم الفرصة فى اولائك المحتلين لينقضوا عليهم ، فذلك شأنهم مع الفينيقيين ثم الرومان ثم الوندال .

وليس فى قضية كسيلة البربرى التى أودت بحياة عقبة بن نافع الفهرى أى مخالفة لما ذكر المؤلف من التمازج بين البربر والعرب، اذ الثابت فى التاريخ أن كسيلة كان مدفوعا من طرف الروم.

3) الشلحيون نسبة الى كلمة الشلحة : اللهجة البربرية التى يتكلمها اهل القطر السوسى ، وهى احدى اللهجات البربرية المتنوعة .

تحت ظلال تلك التعاليم الاسلامية المستولية عـلى سكـان البلاد الاصليين ، وطبيعي أن يكون لابناء مؤسسي (4) تلك التعاليم في نفوس معتنقيها اكبـار واجـــلال .

فـي سوس من قبائل العرب اسر كثيرة كالمعافـرة اليمنيـين ءال أكـرامـوا (5) السملاليين (6) ، وءال القاضي أبي زيـد التامانـارتي صاحـب « **الفوائـد الـجـمـة** » (7)

---

4) مؤسسوها في القطر السوسي وموطدوها فيه ، وقد حفظ لهم ذلك مكـانة مرموقـة بيـن السوسيين الى الأبد ، فضلا عما هو مطوي في سجلات التاريخ مما يعرفه الباحثون .

5) أسرة سوسية مجيدة تتابع فيها العلماء والصلحاء ، ولم يكن للعلم اذ ذاك انفصـال عن الصلاح في سوس ، وتوجد أخبارهم مفصلة في الجزء السابع من المعسول ابتـداء مـن صفحـة 23 فمما فيه ما نصه : « وانتسابهم فيها هو المدون في تئاليفهم ورسومهم الى الامام أبي بكر بن العربي المعافري دفين باب المحروق بفاس ، والمتوفى عام 544 هـ . » الخ . كما يوجد باختصار في صفحة 324 من الجزء الثالث منه أيضا .

6) نسبة الى قبيلة ادا وسملال أي ءال السملالي ، احدى القبائل الكبرى بسوس ، وقد انجبت هذه القبيلة كثيرا من رجال العلم والفكر .

7) هو العلامة الجليل القاضي **أبوزيد** عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن ابراهيم المعافري الجزولي التامانارتي نسبة الى تامانارت التي في تخوم الصحراء المغربية لا تامانارت التي في حاحة ، قال في كتابه «**الفوائد الجمة باسناد علوم الأمة**» والمعافرة يسكنون جهة الجنوب من صحراء بلاد القبلة ( الجهة الشرقية مما يلي التخوم السوسية نحو الصحراء ) وهم من بلاد فائجة تامانـارت ، ومعناها الحد الفاصل مأخوذ من منار القبر والفدان ( أي الحقل ) لانها الحد بين بلاد الصحراء وبلاد التل ، ومنها كان عبد الله بن ياسين » .

وقد رباه أبوه على ما ظهر منه بعد ذلك من الصلاح والتدين ، فقد علمـه في صغره التوحيـد ومعنى الشهادتين وءاداب العادات الاسلامية على نحو ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم يقظـة ونوما وأكلا وشربا وقياما وقعودا ، وقال له « كن فقيها وفقيرا ولا تكن احدهما فقط فأحوال الفقهاء تنجيك مما في الفقراء من دعوى الصلاح ، وأحوال الفقراء تنجيك مما في الفقهاء من محبة الدنيا » وكـذلك كان رحمه الله .

وقد انتقل والده بكافة أسرته الى احدى القبائل المجاورة لتارودانت من جهة بابها المسمـى باب الخميس ، كمنتاكة وهركيتة وما جاورهما ، ومن هناك دخل أبو زيد لأخذ العلـم بتارودانـت سنة 991 هـ . وهو ما يزال ذا ذؤابة ، وقد توفي أبوه واخوته سنة 1007 هـ . بالطاعون الذي عـم المغرب من 1005 الى 1016 هـ . قال « ودفنوا بالمقبرة الجديدة التي على الجادة بالربع أحد أحواز تارودانت » ، وهذا المكان غير معروف اليوم كما لا يعرف غالب الأماكـن الذي ذكرها في كتابـه المذكور كحومة عيسى بن القاضي والمسجد الذي ساق اليه بعض الناس الماء لينهدم كي يضيفه الى حديقته ، وداره هو التي بناها أو بنيت له قبلة المسجد الكبير ، وما بقي معروفا من ذلك قليل كباب الغزو المعروف بباب تارغونت ودار ابن الوقاد التلمساني بحارة الجامع الكبير التي صحفت العامـة

وكثيرين في صحراء سوس ، منهم خناثة زوجة (8) مولاي اسماعيل ، وكالأنصار الخزرجيين أو الأوسيين سكان بعض الجهات بسوس ، وبعضهم في

---

اسمها دار ايت التلمساني — وايت معناها «ال — الى قولهم دار ايت لمساني ، وكمدفن ابن الوقاد هذا بالمقبرة الصغيرة الملاصقة للمسجد الكبير من قبلته ، وتسميها عامة أهل رودانة المحراب لأنها في اتجاه المحراب ولأن منها يدخل خطيب الجمعة .

وكان اول اخذه برودانة عن استاذ وخطيب مسجد قصبتها أبي عمران موسى بن احمد التودماوي (نسبة الى قرية تودمة بأيت صواب بالقطر السوسي) الذي كان استاذا للمنصور السعدي قبل ذلك ، قال : جئته لأقرأ عليه لوحي في « مورد الظمآن » فابطأ معي حتى ارتفع النهار،قال ولده الأمين محمد ابن موسى : لما دخل قالت له اهله ما الذي ابطاك اليوم عن غدائك ؟ فقال لها : ورد علي اليوم غلام بلوحه يلي قضاء هذه المدينة تحت ثلاثة امراء .

ونعرف من هؤلاء شيخه أبا زكرياء يحيا بن عبد الله بن سعيد الحاحي مصرخ زيدان ابن المنصور السعدي على الثائر ابي علي قتيل معركة كيليز سنة 1022 هـ ، فانه لما ثار ابو زكرياء هذا أيضا على زيدان انتدب تلميذه أبا زيد التامانارتي لقضاء سوس التي قاعدتها تارودانت ، ولكن وقع بينهما نزاع على وفر اموال الاحباس التي كانت الى نظر القاضي وحده وأراد الامير ان يصرفها الى جنوده فكان القاضي كلما ورد عليه أمر اميره بذلك اهمله حتى أحس القاضي بالشر ففر من المدينة الى قبيلة سندالة ، ولعلها اذ ذاك كانت تابعة لمنطقة نفوذ بودميعة ، فلما مات يحيا سنة 1035 بعد ان ظل مطاعا في رودانة 13 سنة قام من خلفه من أهله الى سنة 1039 هـ. فعادت لبودميعة ، الذي بقي مطاعا فيها الى ان مات سنة 1069 هـ. أي بعد وفاة التامانارتي بتسعة أعوام اذ الظاهر ان موته كان سنة 1060 لا سنة 1070 كما يقال ، ولذلك فلا نعلم هذا الامير الثالث لحد الساعة .

وقد كان المعروف من تآليفه هو « الفوائد الجمة باسناد علوم الأمة » ولكن وقع العثور اخيرا بالخزانة الملكية بالرباط على ديوان شعره ، كما قال بعض المترجمين ان له شرحا على لامية أحمد ابن عبد الله الزواوي التي اولها :

الحمد لله وهو الواحد الأزلي    سبحانه جل عن شبه وعن مثل

وهو مترجم عند الافراني في الصفوة ، وعند الحضيكي في وفياته ، وعند صاحب فهرس الفهارس الذي عده من كبار المحدثين .

8) هي خناثة بنت الشيخ بكار بن علي بن عبد الله المغافري ، زوجة السلطان المولى اسماعيل ، ووالدة ابنه السلطان المولى عبد الله ، وجدة السلطان المجاهد الصالح سيدي محمد بن عبد الله ، كانت على جانب كبير من الخيارة والتدين والمعرفة ، لها اعتناء بالحديث ورجاله، وجد خطها بهوامش المجلدين الثالث والرابع المخطوطين من الاصابة لابن حجر المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 4932 . كانت ثقة عند زوجها المولى اسماعيل بحيث كان يعهد اليها بتحرير الرسائل التي يخفي اسرارها عن كتابه ، وكان أهل الفضل والحياء الذين يانفون من التزاحم على أبواب الملوك يهرعون اليها للتشفع لهم في الملمات وقضاء المهمات ، فكانوا يجدون عندها من الاستعداد ما يطلق السنتهم بشكرها والدعاء لها .

ذهبت الى الحج سنة 1143 هـ. وصحبت معها حفيدها السلطان الأعظم سيدي محمد بن عبد الله وهو اذ ذاك دون البلوغ ، توفيت في 6 جمادى الأولى 1155 هـ . ودفنت بروضة الأشراف بالمدينة البيضاء فاس الجديد .

قرية كدورت في ايسى ، فهم احفاد ابى ايوب الأنصارى دفين الاستانة (9) ، وكالأزديين ءال قرية تازونت ازاء منازل العدانيين (I0) بمجاط ، يقولون انهم ابناء عكاشة بن محصن (II) ، وهناك ءاخرون في افران ، وكالبكريين التيميين القرشيين مثل الجشتيميين التمليين (I2)، وءال الطالب ابراهيم الوفقاويين(I3)، وءال أبلخير (I4) ، الاغشانيين ـ فيما يقال ـ وابناء سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ (I5) التامانارتي ، وابناء عمومته اللكوسيين (I6 ـ I7)

---

9) هو الصحابي الجليل ابو ايوب خالد بن زيد بن كليب ، الخ . الانصارى النجارى ، من السابقين الأولين الى الاسلام ، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وغزوة بدر الكبرى ، ثم لم يتخلف قط عن الغزو في حياته عليه الصلاة والسلام ولا بعدها ، ونزل الرسول عليه الصلاة والسلام في داره لما هاجر الى المدينة حتى بنى مسجده وبيته ، وكفاه بهذا شرفا ، توفي رضى الله عنه في غزوة القسطنطينية سنة 52 من الهجرة وقبره مشهور هناك .

I0) نسبة الى « اكوني ايعدان » محل في شرقي ايت موسى أحد افخاذ مجاط : قال عنها المؤلف رحمه الله في صفحة I44 من الجزء I8 من المعسول « قرية مر فيها علماء ، وكانت فيها مدرسة قديمة تدرس فيها العلوم ، وهذه الأسرة التى رفعت راية المعارف تنتسب ـ فيما يقول العدانيون ـ الى عكاشة بن محصن الصحابي الشهير ، ويقولون انهم من قبيلة الأزد ، وبهذا اخبرنى الفقيه الحسين التيمكيدشتي »

II) هو الصحابي الجليل عكاشة بن محصن الأسدى من بنى أسد بن خزيمة ، شهد بدرا وابلى فيها البلاء الحسن ، وانكسر سيفه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا او عودا فصار بيده سيفا ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة أحد وغزوة الخندق وجميع المشاهد ، وهو المذكور في المثل المشهور : « سبقك بها عكاشة » ، كان عمره يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم اربعاً وأربعين سنة ، وقتل في حروب الردة ، قتله طليحة الاسدى مدعي النبوة . وابوه محصن بكسر الميم وفتح الصاد .

I2) هم الاسرة السوسية العلمية الورعة المتقية التى تجل مناقبها عن الحصر ، وكفاها شرفا ان منها شيوخ الاسلام الثلاثة عبد الله بن محمد الجشتيمي المتوفى في سبيل الحج سنة II98هـ وولده عبد الرحمان المتوفى سنة I269 هـ ، وولده الحاج احمد بن عبد الرحمان المتوفى سنة I327 « والذى جاء مشتكيا في نازلة نزلت به الى السلطان المولى الحسن بمراكش فبقى في بابه نحو السنة لا يستطيع الوصول اليه ، ولكن لما اتصل به استبقاه لديه واتخذه اماما لصلواته الخمس نحو السنتين حتى صار يتشفع اليه بالقطع الشعرية ان يسرحه للرجوع الى سوس فسرحه أخيرا مبجلا مكرما ، ولتراجع تراجم الأسرة كلها في الجزء السادس من المعسول ابتداء من أوله .

I3) توجد تراجم الوافقاويين والايغشانيين في الجزء الثالث من المعسول .

I4) توجد تراجم الاوبلخيريين ( ايت اوبلخير ) ابتداء من صفحة I9 من الثالث من المعسول

I5) هو العلامة الصالح المصلح السنى الجليل محمد ـ فتحا ـ بن ابراهيم الشيخ ، لقب بالشيخ لما هو متفرغ له من العلم والارشاد ، توجد ترجمته الحافلة في الجزء السابع من المعسول ابتداء من صفحة II .

I6 ـ I7) توجد تراجم اللكوسيين والامانوزيين في كل من الجزءين الثالث والسابع من المعسول .

في أمانوز ، ومنهم اد عزى الافرانيون (18) أسرة الافراني الشهير (19) صاحب « **الصفوة** » و « **نزهة الحادى** » وءال يعزى وهدا (20) ، الساكنين في نواحي كثيرة بسوس، كئال تادرارت البعمرانيين (21) ، وكأناس من الصوابيين، ومن وادى سموكن اسرة ءال الطيفور (22) ، وكاسرة الألياسيين (23) الماسيين ، وكالعمريين العدويين القرشيين (24) كابناء عمرو التاموديزتيين (25) ،

---

18) كلمة اد بكسر الهمزة وسكون الدال معناها ءال فهي مثل كلمة أيت بفتح الهمزة واسكان الياء والتاء ، فهم ءال الشخص المسمى عزى ، ولذلك وصفهم المؤلف بالجمع في قوله **الافرانيون** نسبة الى ايفران سوس لا ايفران ناحية مكناس ، ومعناها الكهوف او المغارات فهي جمع لكلمة ايفر بكسر الهمز واسكان الفاء وكسر الراء ، وتوجد ترجمة بعضهم في ص 57 من الجزء التاسع من المعسول وكذلك في الجزء العاشر .

19) هو الاديب الكبير العلامة الجليل محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله الافراني اصلا المراكشي مولدا ونشأة ، فقد جاء والده الى مراكش فولد هو فيها ، ثم أتم تعلمه في فاس ، وتآليفه تنبىء عن غزارة علمه ، منها « صفوة من انتشر في اخبار صلحاء القرن الحادى عشر » و « نزهة الحادى في اخبار ملوك القرن الحادى » واعظمها « المسلك السهل الى توشيح ابن سهل » شرح فيه توشيح الشاعر الاندلسي ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاشبيلي ، فقد دل على طول باعه ، وسعة اطلاعه ، وكان من الفضل والخيارة بالمكانة التى أهلته الى تولى الامامة والخطبة بجامع ابن يوسف بمراكش ، وقد كان حيا سنة 1155 هـ . وتوجد اخباره في مقدمة كتبه غير ان من كتبوها ينسبونه الى بني يفرن اصحاب الدولة المعلومة وذلك خلاف الواقع ، كما انه مترجم « رحلة الوافد » و « الاعلام » للقاضي سيدى عباس بن ابراهيم المراكشي وفي صفحة 205 من عاشر المعسول وفي صفحتي 240 و 249 من ثاني خلال جزولة للمؤلف وتكلم عليه بروكلمان في الثاني من ملحقه .

20) هو العلامة الكبير الشيخ المجاهد يعزى وهدى بكسر الواو وتسكين الهاء وفتح الدال ، ابن محمد بن موسى اوصل الامام محمد بن سعيد الميرغتي نسبه الى أبي بكر الصديق ، ولد بقصر يعقوب المنصور بمراكش سنة 646 هـ. وتوفي عام 727 هـ. اتخذ زاوية في حدود الصحراء بأقصى الجنوب المغربي وهناك دفن ، توجد ترجمته وتراجم أهله في عاشر المعسول ابتداء من صفحة 166 .

21) تادرارت قرية في ايت بوبكر بأيت باعمران بالقطر السوسي ، وقد نزحت اليها هذه الأسرة من افلاوكنس بباعقيلة ( أدا وياعقيل ) وكان اصلها الاصيل من فكيك ، وقد تكون منها علماء فضلاء كثيرون ، فلتراجع تراجمهم في العاشر من المعسول ابتداء من صفحة 241 .

22) يوجد بعض ما يتعلق بئال الطيفور في ص 193 من الجزء 9 من المعسول ، وصفحة 265 من الجزء 11 منه ، وفي صفحة 196 من رابع « خلال جزولة » .

23) هذه أيضا احدى الاسر العلمية الكبرى في القطر السوسي وتوجد تراجمهم في المعسول ابتداء من صفحة 73 من الثامن عشر منه .

24) نسبة الى أمير المومنين عمر بن الخطاب العدوى نسبة الى جده السابع عدى بن كعب ابن لؤى القرشي .

25) هذه احدى كبريات الأسر العلمية السوسية الحافلة برجال العلم وشيوخ التصوف ، وكفاها ان منها العلامة الفقيه عمرو بن احمد المتخرج بالونشريسي وابن غازى ، والمشهور بالخطابة في رودانة والافتاء في كل القطر السوسي حتى عرف بعمرو المفتي ، وقد توفي بفاس سنة 968 أو 969 هـ . ومنهم ولده العلامة الفقيه النحوى العروضي الحيسوبي المنجم عبد الرحمان المشهور بالجراد ، توجد تراجمهم ابتداء من صفحة 150 من ثامن المعسول وفي الفوائد الجمة للتامانارتي ، عام 1316 هـ . وتوجد ترجمته ابتداء من صفحة 5 من التاسع عشر من المعسول وفي طبقات الحضيكي ، ومنهم الشيخ الجليل سيدى الحاج الحسن التاموديزتي المتوفى عام 1316 هـ وتوجد ترجمته الحافلة ابتداء من صفحة 5 من التاسع عشر من المعسول .

الباعقيليين ، وكابناء سيدى واساى (26) الماسى الذين منهم اسرة سيدى عبد الله بن داود باسافن ن أيت هرون (27) ، وكاسرة سيدى عياد السوسى (28) بقرية طامازط بالمنابهة ، وءال سيدى محمد بن ويساعدن (29) بسكتانـة ، وكالعثمانيين الامويين كالكرسيفيين (30)، وكاليزيديين الامويين القرشيين (31)،

---

26) هو جد احدى الأسر العلمية الصالحة بسوس ، واسمه عبد الرحمان بن لقمان بن طلحة الخ نسبه المتصل بسيدنا عمر بن الخطاب ، وهو مولود بمكة ، ثم انتقل الى رندة بالاندلس ، ومن هناك عرف في بعض كتب التاريخ بعبد الرحمان الرندى ، ثم انتقل الى رباط ماسة ، ولعله للرباط والجهاد ، فتوفي هناك ولا يزال قبره مشهورا وهو من رجال القرن الخامس الهجرى وترجمته فـي صفحة 238 من الجزء 16 من المعسول ، وصفحة 229 من ثاني « خلال جزولة » للمؤلف .

27) هو الرجل الصالح السائح المتجرد عبد الله بن داود بن سليمان ينتهي نسبـه الى عبـد الرحمان الرندى المذكور في الحاشية قبل هذه ، وهو جده الحادى عشر ، كان من رجال القرن الثامن الهجرى ، وترجمته في صفحة 242 من السادس عشر من المعسول .

28) هو عياد بن عبد الله المعروف بعياد السوسى كان من الفضل والصلاح في طبقة الشيـخ احمد بن موسى دفين تازروالت ، ومحمد بن ابراهيم الشيخ المتقدم في الحاشيـة (15) ومحمـد بن ويساعدن السكتاني الواورستي وهو من الاخذين عن الشيخ سيدى عبد الكريم الفلاح ، عن الشيخ عبد العزيز التباع ، عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولى ، توفي في 8 رجب 983 هـ. توجد ترجمته في الفوائد الجمة للتامانارتي المذكور في الحاشية « 7 » وفي صفحة 185 من ثالث « خلال جزولة » وفي غيرهما فهو من افذاذ المشاهير وقبره مشهور بقرية تامازط من قبيلة المنابهة على بعد نحو 35 كيلومتر شرقي تارودانت .

29) هو الشيخ الصوفي العلامة الجليل ، من سكتانة القطر السوسى ، تقصده المئات من الفقراء والطلبة والمساكين فيقوم بكل ما هم في حاجة اليه بل ويـداوى مرضاهم بنفسه ويقـول : « من لأصحاب الاسمال والاوساخ بعدى » من كراماته نجاته من بطش المنصور السعدى عند ما انتصر عليه وعلى محمد بن عبد الله المسلوخ في وقعة تينزرت ، فرجع الشيخ الى زاويته بسـكتانة فكـف عنـه المنصـور الذى كان من عادته ان يبطش بخصومه لأقل من ذلك ، اخذ عن الفلاح عن التباع عن الجزولى وهو مترجم في فوائد التامانارتي ووفيات الحضيكي وابتداءا من صفحة 230 مـن الجزء الـثالـث عشـر من المعسـول .

30) هذه الأسرة الكرسيفية الاموية العثمانية من كبريات الأسر العلمية بالقطر السوسى ، ان لم تكن أكبرها على الاطلاق ، فقد قال الاستاذ محمد المختار السوسى المؤلف رحمه الله في الصفحة 43 من الجزء السابع عشر من المعسول في ترجمة سيدى اسماعيل بن احمد بن بلقاسم ، اول من ذكرهم من الكرسيفيين ما نصه : « ولم أعرف الان في المغرب أسرة تسلسل فيها العلم ابا عن جد مدة زهاء ألف سنة الا هذه الاسرة ، والاسرة الفاسية بفاس التى عرفنا اول عالم منها من أواخـر القرن الخامس ، وهذه مزية انفردت بها الاسرتان وحدهما » .

وراس علماء الاسرة الكرسيفية هو ابو يحيا ابوبكر بن عمر بن نعمان الذى تخرج في قـرطبة بالاندلس وحمل منها الى القطر السوسى علما غزيرا خصوصا في التفسير والحديث ، وقد توفي عام 685 ودفن ببلده رحمه الله ، وترجمته في صفحة 63 من السابع عشر من « المعسول » اذ في هـذا الجزء توجد جمهرة اخبار الكرسيفيين وتفاصيل فرقهم ورجالهم ، كما توجد اخبار اخرى عنهم مهمة في صفحات 249 و 319 فما بعدها من الجزء الثالث منه أيضا .

31) هذه الاسرة العربية القرشية الاموية اليزيدية هي أيضا من الاسر العلميـة الصالحـة السوسية ، نسبتهم هذه الى يزيد بن معاوية بن ابى سفيان ، وتوجد تراجمهم ابتداء من صفحة 255 من خامس المعسول ، وابتداء ايضا من صفحة 160 من تاسعه .

ويسكنون في ايسي وفي ايغيرملولن وفي المنابهة (32) وفي غيرها ، وكالشرفاء العلويين الهاشميين وما اكثرهم، كالوكاكيين (33) بسملالة، وكالاحكاكين(34)، وابناء عمرو من تاكانت اوكضيض (35) ، وهم ابناء الاعمام في قعدد النسب ، وكابناء واسلام (36) المنبثين في بعقيلة ، وكالأغرابوئيين (37) هناك ايضا ، وكالسباعيين (38) هناك ايضا في كردوس وفي غيره ، وكئال ازاريف (39) الحامدين العلماء ، وكئال عبد الجبار (40) التمليين ، وكاحفاد سيدي محمد بن عمروالاسريري (41) المنبثين في تاغلولو بمجاط وفي اغبالو بماسة ، وفي ادا

---

32) مقرهم في المنابهة هو قرية تامازط حيث مدفن الصالح عياد السوسي فكانوا قائمين بالتدريس في المدرسة المجاورة لضريحه ، راجع الحاشية رقم 28 .

33) نسبة الى العلامة الصالح وكاك بن زلوبن أبي جمعة المشهور في التاريخ بأنه استاذ عبد الله بن ياسين السوسي التامانارتي مؤسس الدولة المرابطية اللمتونية ، وتلميذ أبي عمران الفاسي نزيل القيروان الذي أرسل اليه يحيا ابن ابراهيم الصحراوي ليبعث معه من تلاميذه من ينشر الاسلام في الصحراء فكانت هذه المزية من حظ عبد الله بن ياسين المذكور .

وينتهي نسب وكاك الى المولى ادريس بن ادريس الخ . وذلك ثابت بما لا شك فيه ، وهو من رجال « التشوف » وقد توفي عام 445 هـ . وقبره مشهور في (أكلو) بضاحية تيزنيت على سيف البحر.

وتوجد ترجمته وترجمة كافة فروع أولاده ومنازلهم وترجمة تلميذه عبد الله بن ياسين ابتداء من صفحة 30 من الحادي عشر من المعسول ، كما توجد أخبار بعض أولاده ابتداء من صفحة 128 من الثامن منه .

34) تراجع فيهم أولا ص 402 من الثامن عشر من المعسول ، ثم يرجع الى مراجعة كل فرع من الفروع المذكورة في محله . كما يراجع في شأنهم كتاب « ايليغ قديما وحديثا » في عنوان : « من هو الشيخ سيدي احمد بن موسى » .

35 معنى تاكانت في العربية هو الغابة واكضيض معناه الطائر اي غابة الطائر وابناء عمرو الشرفاء المذكور انهم منها تراجع في شأنهم ص 402 من الثامن عشر من المعسول .

36) يراجع في شأن الواسلامين الجزء الثاني عشر من المعسول ابتداء من صفحة 244 .

37) تراجع تراجمهم الكثيرة في الحادي عشر من المعسول ابتداء من صفحة 81 .

38) الكلام على هؤلاء الشرفاء السباعيين كثير متشعب ومفيد ممتع ، اذ هم علماء الفرسان وفرسان العلماء ، لا تفارقهم الأنفة والشمم والاباء حتى اذا تواضعوا ، ولذلك نحيل القارىء على مراجعة اخبارهم في الاستقصاء أثناء الكلام على دولة السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل الذي أوقع بهم وقعة كبرى شردهم بها الى الصحراء .

39) هذه ايضا احدى الأسر السوسية الكبرى المديدة الرجال في العلم والصلاح ، وهي من الأسر التي ثبتت لها نسبة الشرف ، واما تراجم هؤلاء السادة الاصاريفيين فتوجد مفصلة في ثامن « **المعسول** »ابتداء من أوله .

40) هو الشريف العلامة الصالح الجليل سيدي عبد الجبار بن ايكيلد ، دفين زاويته بأعلى وادي تيملت بفم تيزخت من قبيلة أملن بسوس ، وهو مشهور باستجابة الدعاء عند قبره ، هذا ملخص ما وجدناه عنه في صفحة 88 من السابع عشر من « **المعسول** » وقد ظفرنا بترجمته في الجزء الثاني من طبقات الحضيكي .

41) سيدي محمد بن عمرو الاسريري اللمطي من أهل القرن السادس الهجري وهو من أكابر الصالحين ، مترجم في « **التشوف** » وفي طبقات الحضيكي وفي صفحة 189 من الثاني عشر من « **المعسول** » ، كما انه مذكور في كل من صفحتي 15 و 16 من ثاني « **خلال جزولة** » للمؤلف

وتنـــان ، واوكدمت في جـبــل درن (42) وكالكثيريين (43) المنبثين حــوالى جبل الكست وفي هشتوكة وفي تييوت (44) وفي تامانار وفي اشت (45) ، وكالمزوارتيين الرسموكيين (46) والتامراويين (47) والانزاضيين ، وبعضهم في تارودانت وفي آقة ، وكالوازانيين في وادى نون (48) وكئال الحـاج بلقاسـم التيغشيتيين (49) جول الغ ، وكئايت "محمد التيزنيتيين ، وكئــال عمــرو الوجانيين (50) ، وكأبناء سيدى سليمان من أباينو (51) وقد انتشروا في آيت

---

42) جبل درن يقصدون به الاطلس الجاثم بين مراكش وتارودانت ، ويقول له السوسيون : أدرارن داران أى جبل درن .

43) الكثيريون السوسيون شرفاء ادارسة ، وهم أبناء عم كثيريي فاس ، استوطنوا جبال سوس ايام فرارهم من بني العافية ، وقد تكون منهم فحول في الرياسة والعلم ، ومنهم العلامة الصوفي المفتوح على يده سعيد بن احمد المتوفى عام 1296 هـ والمعروف عند السوسيين بسيدى سعيد الشريف ، توجد ترجمته في صفحة 304 من ثالث المعسول وفي صفحة 221 من ثامنه ، كما توجد تراجم كافة كثيريي سوس في صفحة 245 من تاسعه .

44) تيوت قرية بالقرب من تارودانت ، واهلها الذين ذكرهم المؤلف في صفحة 248 من تاسع المعسول وذكر منهم القائد محمد بن ابراهيم في عرض كلامه على الكثيريين يقال لهم أيت بلا ، ومع ما كان فيهم من السلطة على جبال اداوزدوت وانموزال وما جـاور ذلك الى اقـا وطاطـة فانهم كانوا زينة تلك الناحية بسبب اعتناقهم للطريقة التيجانية وتفانيهم في القيام باذكارهـا وبسبب قيامهم بمدرسة انشؤوها في قريتهم لحفظ القرءان ونشر العلوم العربية الدينية فكانوا يعلمون فيها اولادهم ويغدقون الخيرات على استاذها وطلبتها ويشجعون فيها القيام بالشعائـر الدينية وممن انجبته من أولادهم العلامة الاديب ابراهيم بن الحاج احمد المتوفى بفاس حوالى سنـة 1350 هـ راجع اخبارهم في الجزء 19 من المعسول ابتداء من 215 .

45) راجع عن اشت وعمن فيها من الكثيريين صفحة 27 من الثالث من «خـلال جزولـة » للمؤلف ، وصفحة 260 من التاسع عشر من المعسول .

46) هذه اسرة اخرى كبيرة تتابع فيها الافاضل كثير ، توجد تراجمهم في ثامن المعسول ابتداء من الصفحة 169 .

47) هؤلاء التامراويون نسبهم المؤلف الى محل يقال له تامرا وفيهم رجال اخيار فراجع في شانهم صفحة 190 من ثامن المعسول .

48) راجع في شانهم صفحة 163 من عاشر المعسول .

49) تراجع اخبار ءال الحاج بلقاسم التيغشيتي هؤلاء في صفحة 16 من الثالث من المعسول .

50) توجد اخبار ايت "محمد ــ فتحا ــ التيزنيتيين وابناء عمومتهم ءال عمرو الوجانيين في صفحة 199 من الجزء الثالث عشر من المعسول .

51) هو الرجل البركة الشريف سيدى سليمان بن الحسن ، وتراجع اخباره واخبار سلالته وعمومته ابتداء من صفحة 274 من العاشر من المعسول .

بعمران وفي ازاغار حوالى تيزنيت ، وكتال سيدى سليمان بوتوميت دفين ايكيسل (52) وكاناس من تارايست بكسيمة (53) اخوة الاغرابوئيين ، وكثايت بورى من تيصلمي وكالخالديين فى طاطة والفائجة وكثيرين غيرهم يحملون سمة الشرف ويحفظون انسابهم المتصلة ، كما يوجد ايضا ابناء اعمامهم الجعفريين — رغم ما زعمه ابن خلدون من انهم لم يدخلوا المغرب (54) — ككثيرين في ايلالن وكسكان أساكا بافران (55) واخوانهم الاسكينيين التيمليين ، وكتال علي بن يونس الاغشانيين (56) ، وكبعض الجراريين والايسيين والحامديين والسيموريين البعمرانيين ، وكتال سيدى عبد الله بن مبارك فى أقة (57) ،

---

52) هذا السيد من افاضل اصحاب الشيخ سيدى احمد بن موسى المتوفى عام 971 ه ويعرف بسيدى سليمان بوتوميت ، وبو معناها صاحب وتوميت هو الزميط المسمى عربيا بالسويق ، وسبب تكنيته بها ان شيخه سيدى احمد بن موسى زاره فاضافه بها امعانا في قهر النفس باظهار حال الصوفية في عدم البخل بالموجود وعدم التكلف بالمفقود ، وقد نبه المؤلف الاستاذ محمد المختار تغمده الله برحمته في ترجمة سيدى سليمان بن الحسن المذكور في الحاشية 51 ان سيدى سليمان بوتوميت هذا هو جد السيد مولاى الحاج الباعمراني المعروف في مراكش بهذا الاسم والذى بنى مدرستين حرتين وحبس عليهما كثيرا من املاكه ، وذلك فى عنفوان ايام الاستعمار (ولم يخش الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين) .

53) توجد اخبار هؤلاء الشرفاء أهل تارايست من ضاحية اكادير في صفحة 133 من الحادى عشر من **المعسول** . كما توجد في صفحة 71 من رابع « **خلال جزولة** » للمؤلف .

54) علق المؤلف رحمه الله في الاصل المخطوط على هذا المحل بقوله : « في كتاب طلعة المشترى في النسب الجعفرى » للناصرى مناقشة لابن خلدون فيما ذهب اليه من ذلك .

55) تراجع اخبار «ال اساكا هؤلاء في صفحة 215 من الجزء 12 من المعسول .

56) هو الرجل الصالح علي بن يونس ابن عبد الله ، ينتهى نسبه الى عبد الله بن جعفر بن ابي طالب يقال أنه سبب خراب مدينة (تامدولت) فانظر ذلك في ترجمته في صفحة 204 من ثالث المعسول ، وتامدولت مدينة قديمة باقا في التخوم السوسية الصحراوية وتوجد اخبارها في صفحة 86 من الجزء الثالث من «خلال جزولة » للمؤلف .

57) هو الشيخ الامام عبد الله بن مبارك بن علي بن الشيخ الامام محمد — فتحا — بن مبارك السوسي الاقاوى الذى جند جميع الامكانيات السوسية لقيام الدولة السعدية لما شاهد من تهديد البرتغال واسبانية بالاستيلاء على المغرب ، كان الشيخ عبد الله بن مبارك احسن وارث لجده محمد ابن مبارك ، انتهت اليه الرئاسة والشفوف في عهد المنصور السعدى فكان لا يستعمل ذلك الا في الخير ، قال فيه تلميذه القاضي التامانارتي كان « كامل الفضل متين العلم والدين . . . . شديد العناية باحياء القلب وصفاء الباطن . . . . كان مدار عبادته على المواساة واطعام الطعام وحضور الصلاة في الجماعة واصلاح ذات البين ، وتعاطي الاسباب ، وكان يؤثرها على التجرد لعموم نفعها . . . . ينزل الناس منازلهم ويسعى بنفسه وماله في قضاء حوائجهم ، ويصابر في صفائهم ويتحمل أذاهم . . . . ويرى ذلك من ارفع المقامات في زمانه ، قال : قرأت عليه صحيح الآثار للامام ابن الجوزى ، وكتاب الشفا لأبي الفضل عياض ، وكتاب المنهاج للغزالي ، قراءة بحث وتحرير ، وكان ينبه على كثير من الاسرار والغوامض فيها ، ولد في ذى القعدة سنة 936 ه وتوفي في 21 رمضان سنة 1015 ه . وقد اجمل المؤلف رحمه الله ترجمته في صفحة 173 من الثامن عشر من المعسول واورد هناك ما في فوائد التامانارتي وبعض زيادات .

وكبعض أهل تاسيلا الماسيين ، كما يوجد ايضا — فيما يذكر — العباسيون ، ان لم يصح ما ذكره ابن خلدون من عدم دخولهم الى المغرب (58) ، وكأبناء الزبير الاسدى القرشي في قبيلة آيت أسا (59) ، وكأبناء عبد الرحمان بن عوف الزهري القرشي ، وككثيرين غيرهم من أبناء العرب الذين لا يزال احفادهم يتباهون بالنسبة العربية التى ينتسبونها .

وفي صحراء سوس تتموج القبائل العربية من بنى هلال وغيرهم ، لا يزالون يحافظون على انسابهم وعلى لغتهم الى الآن ، واما في بحبوحة سوس فلا يتكلم فيها بالعربية الا في اولاد جرار بضواحي تيزنيت والا في قبائل تحيط بتارودانت (60) ، واما غالب هذه الاسر العربية الأصل فانها تشلحت حتى نسيت لغتها وان لم تنس غيرتها العربية الدينية (61) .

لكثير من ابناء هذه الاسر تاريخ ظاهر في تقلبات سوس تعليما وتهذيبا وسياسة ، فقد مرت منهم اسر لها شأن عظيم في حين من الاحيان ، كالبكريين في تارودانت أيام الدولتين الموحدية والمرينية (62) أو كالقواد (63) الذين

58) علق المؤلف رحمه الله في الاصل على ما هنا بقوله : « كان الثائر ابن ابى محلى يقول ان نسب اسرته يتصل بالعباس بن عبد المطلب » .

59) قبائل متعددة ما تزال الى الآن قائمة في تخوم الصحراء المغربية .

60) هي قبيلة هوارة في غربي تارودانت واولاد يحيا والمنابهة في شرقيها .

61) المعروف عند السوسيين ان كل موضع تقطنه جماعة من الناس لابد ان يكون فيه مسجد ، ولابد لكل مسجد من امام ومؤذن ومعلم ومن ميضاة يتوضا فيها الناس بالماء الساخن لجميع الصلوات الخمس ، وفيها بيوت للاغتسال به ايضا ، ولا تخلو اية قرية من مسجد من هذا النوع ، وربما كان في القرية الواحدة اكثر من مسجد كلها مجهزة بموقد عليه قدر عظيمة من النحاس الاحمر فيسقى الماء من بئر ويصب في مجرى فاذا به يخرج في الميضاة ساخنا ، وان في تارودانت على صغرها وبعدها عن العواصم اكثر من عشرين مسجدا من هذا النوع ، ولكل ذلك احباس تعوله . ومالا احباس له يقوم به سكان حارته ، وكان في كثير من القرى استاذان واحد لتعليم القرءان وعلومه وقراءاته ، والآخر لتعليم الشريعة والعربية .

62) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « يراجع الجزء السادس من تاريخ ابن خلدون » .

63) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يراجع القواد السوسيون في كتابنا « الرؤساء السوسيون » والعلماء السوسيون في كتاب « سوس العالمة » والأول من كتبه التى تركها بدون طبع يسر الله من يطبعها .

ينبغون من كثير من هذه الاسر قديما وحديثا فى تاريخ سوس ، ولكن لعل ءال ايليغ التازروالتيين الشرفاء السملاليين الذين لعبوا فى القرون الاخيرة ادواراً خطيرة فى الميادين السياسية ، نالوا مقاما لم يدركهم فيه احد من ابناء الجاليات العربية الاخرى ، فقد اثلوا سؤددا ومجدا ، ورفعوا فوق غيرهم راية وفقوا فى تقديمها بعض التوفيق .

وأهل ايليغ فريقان سكان ايليغ القديمة ، وسكان ايليغ الحديثة ، فايليغ القديمة اشتهرت بتطاول أهلها الى الامارة العامة ، وايليغ الحديثة ما علمت الا بالقيادة الكبرى القلبية التي لها سطوة أى سطوة لا يزال الى الآن طنينها يرن فى آذان السوسيين ، كما كان لها بعض استقلال عن العرش المغربى فلا تخضع له الا خضوعاً أدبياً دينياً من بعيد (64) فكان لايليغ بمجموع ما نالته قديما وحديثا شأن ليس لغيرها حتى الأسر التى تتلع عنقها الى الظهور فى كل نواحى سوس .

حقا كان لها شأن ، غير ان شأنها فى مناضد التاريخ المكتوب ضئيل جدا وما ذلك الا من أجل التفريط المستولى على اطراف المغرب من قديم ، فاداء لبعض الواجب خصصت هذا الكتاب للبحث فى موضوع «ايليغ قديماً وحديثا » ، ولا يعلم الا الله ما كنت أعانى من الجهود بادىء ذى بدء ، لعدم المراجع عدما باتاً — لأن الموضوع لا يزال بكرا لم يفترع بعد — ولعدم تطاول يدى كما أريد الى كل ما أريد مما هو مظنة فائدة بين فوائد هذا المقام .

ثم لما تهيأ لى الموضوع بجمع اطرافه ، وتذليل بعض ابحاثه واشرئت على ما ينيره بعض انارة تتميز بها السبل ، وتتبين بها الابواب ، استطعت ان امشى مشية مستقيمة ، فاكمل ما يمكن أن أكمله من النقص الكثير الذى يحيط

---

64) ان أهل سوس منذ كانوا وهم يعتقدون ان السلطان خليفة الله فى الارض ، وان علماءهم يرون انه اذا انعقدت البيعة لاحد من الملوك فان طاعته تصبح واجبة ، هذا اذا كان السلاطين من عامة الناس كالمرابطين والموحدين والمرينيين ، واما اذا كان السلطان من السلالة النبوية كما هو الحال فى الاشراف السعديين رحمهم الله وملوكنا العلويين وفقهم الله فان الاعتبار والاحترام يزداد ان فى شأنهم للعترة النبوية والنسبة القرشية .

بالبحث في الموضوع على مقدار الطاقة ، وهذا كله خير عذر أقدمه للقارئ الذى لابد أن يلمس بيديه نقصا غير قليل اذا ظهرت لعينيه ثلم شتى كلمـ سار فيه بالمطالعة وسبر بحوثه المتتابعة بمسبار التمحيص ، ولكننى أزعـ ـ وما أبرىء نفسي ـ اننى فتحت باب الموضوع على مصراعيه ، وبحسبى ان لا يخرج القارىء حتى يعرف عن « ايليغ قديما وحديثا » كل ما اعرفه ، وذلك غاية متمناى ، فان فزت به فزت بغاية المراد .

## تمهيد

اغمض السلطان مولاى احمد (65) الذهبى صقر السعديين عينيه سنة 1012 هـ فغادر المغرب مع ما انضوى تحته من الصحراء الكبرى وما وراءها من السودان الغربى الموالى لصحراء المغرب بين اولاده (66) الذين يتناطحـون

65) هو ابو العباس احمد المنصور بن محمد الشيخ الاول وكان اصغر اولاده ولد بفاس سنة 956 هـ ، وتربى بسجلماسة ، وبويع له بالملك في وادى المخازن سنة 986 هـ ممن حضرها ، ولما دخل فاسا جددت له البيعة العامة ، فكتب الى دول وقته يعلمها بانتصار المغرب في وادى المخازن وصيرورة الملك اليه ، فاخذت الوفود تتوارد على بابه بالتهنئة من البرتغال واسبانيـة وفرنسة والجزائر بل ومن الاستانة ، وكان محظوظا فى ملكه حازما ضابطا مبادرا ، الحق السـودان بمملكته الى بلاد النوبة وارسل قواده وجيوشه الى تلك البلاد يجبون له خيراتها ويسوقون اليه أهلها خدما وحشما فكثرت عليه الأموال وصار الذهب يجبى اليه بالأحمال والأثقال فازداد قوة وعظمة وصار من اقوى ملوك عصره ، ولو ان همته تعلقت اذذاك باسترجاع الاندلس لما اعجـزه ذلك خصوصا مع الاستعانة بالاسطول العثماني العتيد ، ولكن كان ما اراده الله من كل ذلك ، فمرض المنصور بسبب الوباء الجارف الذى عم المغرب من سنة 1005 هـ الى سنة 1016 هـ وتوفي بقصره بفاس العليا فى ليلة الاثنين 16 ربيع الاول 1012 هـ .

66) كان المنصور السعدى شديد الحرص على بقاء الملك فى أولاده ، فمهده لهم ودربهم عليه واخضع لهم الرقاب واذل لهم الرجال ، وفرقهم على ولايات النواحى المغربية ، وجعل ولاية العهد فى أبـهـة لا مزيد عليها لمحمد الشيخ الملقب المامـون ، وكان اذا مـلأ صندوقا من المال يغلقه ويقول اللهم لا تجعل فتحه على أى يد سوى يد با الشيخ ، فثار عليه فى حياته وهم بجلب الترك من الجزائر ، وبعد التى والتيا استطاع المنصور ان يسجنه فى مكناس ولم يجد فى نفسه ما يكفى من الشجاعة ليفعل معه مثل ما فعل السلطان المولى اسماعيل مع ولده محمد العالم لما ثار عليه بسوس ، فلما مات المنصور بايع أهل فاس ولده زيدان وبايع أهل مراكش ولده الآخـر أبا فارس عبد الله الواثق ، فأصدر أهل فاس فتوى بنوها على الحديث الشريف « إذا بويع ملكـان فاقتلوا الثاني منهما » فكانت سبب فتنة لم يتورع اى واحد من ابناء المنصور عن التلطخ بها ، واخرج « با الشيخ » من السجن فادلى فيها بدلوه حتى اقفرت من الرجال عدة نواح من المغرب وخصوصا مراكش ، واريقت الدماء واغتصبت الاموال وهتكت المحارم خصوصا فى فاس وفى مراكش ، ولم تنطف نارها من سنة 1012 هـ التى فيها مات ابوهم الى ان استولى المولى الرشيد العلوى على مراكش سنة 1079 .

على تسلق العرش وعلى الانفراد بصولجان الامارة يتناحرون فيما بينهم فيغرقون بايديهم فى ساعة واحدة ما كان اسلافهم لاقوا ما لاقوا فى جمعه ككتلة واحدة فى سنين كثيرة بعدما وزعه الثوار الناعبون من كل ناحية ، والأجانب الذين كادوا يتمكنون من كل سواحل المغرب عند انتثار عقد الدولة المرينية ، فأعاد زيدان (67) وابو فارس (68) ومحمد الشيخ الثاني (69) المملكة الى بركان يتطاير شررا ، تصطدم منهم الامة وءامالا شخصية متناحرة ، كأن دماء احمد الاعرج (70) ومحمد الشيخ الاول (71)

---

67 — 68 — 69) راجع عنهم الحاشية رقم 66 .

70) هو السلطان الشريف أبو العباس احمد الملقب الأعرج بن محمد القائم بامر الله ، وابوه محمد القائم هو الذى اجمع اهل السوس على مبايعته تحت اشراف ودعوة الشيخ الصالح "محمد بن مبارك الاقاوى المتوفى عام 924 هـ لما راوا العدو الاجنبي قد احتل سواحلهم الى اكادير والى اسفي فاستقدموه من اقا الى تيدسى المسماة أيضا ام الجريد حول هوارة بسوس ثم بعد ذلك سلم هو الامر لولده احمد الاعرج هذا سنة 918 هـ فكان بطلا صنديدا شرع فى الحين فى مناوشة البرتغاليين وذاق لذة الانتصار عليهم فازدادت مكانته عند الامة ، وكان اخوه "محمد الشيخ الاول عونا له وظهيرا وقائدا لجيوشه وبقيادته اخلى البرتغاليون حصن فونتي — اكادير الحالية — فقوى امره واشتدت شوكته ، فدخل مراكش سنة 930 هـ واتخذها عاصمته ، ثم لم يلبث الجو ان فسد بينه وبين اخيه "محمد الشيخ الاول ، ومع ان هذا كان وليا للعهد ، فانه لم ينتظر خلو العرش له بل سطا عليه وسجن اخاه ابا العباس وكل اسرته وصار يجرى عليهم الجرايات بمراكش سنة 946 هـ ولما قتل الاتراك "محمد الشيخ فى اكلاكال بجبل درن سنة 964 هـ عمد خليفته على مراكش القائد على بن بوبكر ازيكي — نسبة شلحية الى قبيلة ادا وزيكي بسوس — فقتل ابا العباس الاعرج وكل من معه حتى النساء والصبيان مخافة ان يخرجه المراكشيون من السجن ويبايعوه فكانت هذه احدى النقط الشوهاء فى تاريخ الدولة السعدية .

71) هو ابو عبد الله محمد الشيخ المهدى بن محمد القائم واخو احمد الاعرج ، ولد عام 893 هـ نشأ فى هذا الوقت المتلاطم الامواج وفى حجر والده الذى كان يهيئه للقيام بالدور الذى قام به ، وهو الذى وطد دعائم الدولة السعدية ، بويع عام 951 هـ فجعل يقاتل بقايا الوطاسيين الى ان دخل فاسا سنة 955 هـ فاتخذها قاعدة ملكه ولما كان بظاهرها أمر بعض المتلصصين ان ياتوه بالعلامة عبد الواحد بن احمد الونشريسي فدخلوا عليه مجلس اقرائه لصحيح البخارى بشرح ابن حجر بين العشائين ففرقوا عنه طلبته وأرادوا الذهاب به اليه ، فامتنع فقتلوه عند باب القرويين الموالى للشماعين ، و"محمد الشيخ اول من ترك من اهله التبدى واتخذ شارة الملك فامتد ملكه من تخوم الصحراء السوسية الى ابواب تلمسان ، وفى سنة 961 هـ عاد اليه ابو حسون المريني فى جيش من أتراك الجزائر ففر "محمد الشيخ الى مراكش يستجيش الجيوش فعاد الى فاس ولما مر بمكناس قتل الخطيب ابا الحسن على حرزوز لانه كان يندد به فى خطبه تنديدا فاحشا ، ثم دخل فاسا وقتل أبا حسون المريني ، ثم أحضر قاضي الجماعة عبد الوهاب بن محمد الزقاق فخيره فى القتلة التي يريدها ، فقال المرء مقتول بما قتل به ، فانظر ما تريد ان تموت به أنت فاقتلني به فقطع راسه بشاقور ، فمات هو ايضا به .

وعبـد الله الغالـب بالله (72) والمعتصـم (73) والمنصـور (74) لا تـجـول في شرايينهـم ، ثـم مـا انقضت سنـوات قليلـة عـلى اقبـار الذهبـي حتـى صـار الثـوار الجـدد ينتقصـون ثانيـا أطـراف المغـرب شيئـا فشيئـا ، فتضيق منطقة الدولة يوما فيوما ، وقد سقطت حرمـة من يتسنمون العـرش

---

72) هو ابو محمد عبد الله الغالب بالله بن محمد الشيخ الاول بن محمد القائم بامر الله ، كان خليفة لوالده بفاس ، وكان يميل الى الخير واهله ، وله حظ من العلم لا بأس به ، قيل ان موقت مسجد القرويين ابا عبد الله المزوار اطلع على وفاة محمد الشيخ عن طريق حركات النجوم في حينها ، فاسرع الى باب عبد الله الغالب وطلب لقاءه ومنعه العسس فكتب اليه ورقة بذلك ، وفي الصباح شرع الغالب بالله في الاستعداد للحلول محل والده ، فلما ورد الخبر من مراكش لم يجد عسرا في مبايعة أهل فاس له ، ولما علم أهل مراكش ببيعة أهل فاس بايعوه هم ايضا وذلك سنة 965 هـ ، فسار الى مراكش ، وكانت ايامه ايام هدوء ورخاء ، ولم يخض ما خاضه اهله من الحروب الا حرب الترك حين زحف اليه حسين باشا التركي من الجزائر سنة 965 هـ فالتقيا بوادي اللبن بناحية فاس ، فانهزم الترك ورجعوا الى الجزائر ، ومن علامة تعلقه بأهل الخير انه ارسل استاذه العلامة محمد بن يوسف الترغي الفاسي يرتاد له صالحا من صلحاء الوقت يسترشد به في دينه ، فجعل يطوف على صلحاء المغرب حتى رجع اليه بخبر سيدي احمد بن موسى دفين تازروالت فسار اليه السلطان هناك وبقي عنده ثلاثة ايام ، ثم لم ينقطع الاتصال بينهما ، فقد وفد هو على السلطان بمراكش ولكن لم ياكل من طعامه ولا أخذ منه هدية ، وقد اشتهر هذا السلطان بالخير حتى قال أهل عصره ثلاث عينات هي عيون الزمان : عبد الله الغالب ، وعبد الله ابن حسين المصلوحي وعياد السوسي ، وكذلك قضى حياته الى ان وافاه اجله بمرض الربو — ضيق التنفس — سنة 981 هـ .

73) المعتصم هو عبد الملك بن محمد الشيخ الاول ، لما توفي ابوه وتولى بعده اخوه عبد الله الغالب بن محمد الشيخ كما تقدم في الحاشية رقم (72) كان عبد الملك و احمد المنصور بسجلماسة ففرا الى تلمسان ثم الجزائر ثم التحق عبد الملك بالاستانة يستنجد السلطان مراد العثماني على ابن اخيه محمد بن عبد الله المسلوخ فتثاقل عنه ولما خرج النصارى في تونس وجه السلطان مراد اسطولا لتطهيرها فكان فيه عبد الملك ، وهو أول من بعث مع بعض اصحابه بشارة الفتح للسلطان العثماني سنة 983 فجعل هذا مكافأته نجدته على الرجوع الى المغرب ، ولما وصل معه الاتراك الى نواحي فاس خرج اليه ابن اخيه محمد بن عبد الله فانحاز عنه جنوده الى عبد الملك ففر الآخر الى مراكش ودخل المعتصم فاسا سنة 983 هـ ، ولا نطيل بما وقع بينهما وانما أخيرا توجه محمد المتوكل الى البرتقال يستنجدهم فجاء معه سباستيان يقود منهم جيشا جرارا فوقعت واقعة وادي المخازن التي مات فيها عبد الملك مسموما ومحمد المتوكل وسباستيان غرقا فسلخ المتوكل وحشي جلده تبنا وبويع فيها المنصور بعد ان ابلى بلاء حسنا في المعركة وكان هو والحاجب رضوان العلج قد علما بموت عبد الملك فكتماه حتى انتصر المسلمون .

74) راجع الحاشيتين 65 و 66 .

فلا يعتد بوعدهم ولا بوعيدهم ، فرأينا أبا محلي (75) تتمخض عنه سجلماسة ، وابناء ابى بكر الدلائى يتسامى امرهم فى جبال تادلة (76) ويمدون ايديا فيها

75) هو أبو العباس احمد بن عبد الله المعروف بابن ابى محلي ، احد اجداده ، أصلهم من مكناس وانتقلوا الى سجلماسة وبها ولد عام 967 هـ ثم مكث فى فاس اربعة اعوام اتقن فيهما النحو فكان كلامه عاليا نفيسا ، ثم التحق بالشيخ الصوفي سيدى محمد بن مبارك الزعرى ولازمه 18 سنة ، ثم رجع الى سجلماسة ومنها الى الحج سنة 1002 وفى هذه السنة انتقل الى وادى الساورة قرب بشار على نحو 80 كيلومترا منها ، وهى الآن عند الجزائريين — راجع « تقييد ما اشتمل عليه اقليم توات » للاستاذ عبد الوهاب بن منصور — فصار يلقب الساورى ، قال أبو علي اليوسي كان ابن أبى محلي يجهر بقوله أنا سلطان أنا سلطان ، يكررها ، فقال له صوفى ذات يوم « ثلاث سنين الا ربعا » فكان الامر كذلك .

وقد اظهر القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايام تناطح اولاد المنصور ، ثم دعا لنفسه وصرح بانه المهدى المنتظر فوقعت بينه وبين زيدان بن المنصور معارك استولى فيها على مراكش ودخل البديع ولم يكد يستقر به حتى تزوج والدة خصمه زيدان ، وولد له ولد فسماه زيدان كذلك كانما كان ينتظر لو طالت به الايام ان يتلقب بالمنصور ، فضاق زيدان بأمره فاستصرخ عليه شيخ القطر السوسي وعالمه يحيا بن عبد الله — راجع الحاشية 78 — ولما علم ابن ابى محلي بتحرك يحيا نحوه نشأت بينهما المناوشات الكلامية ثم التقيا فى كيليز فقتل ابن أبى محلي سنة 1022 هـ ودخل الصوفى الثانى الى قصر البديع وتبحبحه وكاد يقوم بمثل نفس الدور لولا تانيب زيدان وغيره ، فرجع الى رودانة حيث جاهر بالدعوة لنفسه مدة 13 سنة اذ مات سنة 1035 هـ وقد رمز ابو العباس احمد المريدى الى قيام ابن ابى محلي وقتله برمز توفق فيه كل التوفيق وهو : « قام طيشا ومات كبشا » اذ قام سنة 1019 ومات سنة 1022 هـ .

76) هذه ايضا اسرة عريقة نشأت في احضان الدين والعلم ، أولهم ابو بكر بن محمد بن سعيد مؤسس زاويتهم فى الدلاء ، فقصده اهل الفضل من فحول العلماء وكبار الصوفية لما يجدون [illegible] كنفه من نفاق بضاعتهم وتقديرهم قدرهم ، حتى توفى سنة 1021هـ فخلفه ولده محمد [illegible]ن أبى بكر وسار على منهاجه بل أربى عليه فيه ، وكان ينهى أولاده عن التعلق بزخرف [illegible] والتمتع بها ، فقصدته القبائل وسارعت الى خدمته تعينه على ما هو بصدده ، حتى مات سنة 104[illegible] هـ فخلفه ولده محمد بن محمد بن ابى بكر وهو الملقب بمحمد الحاج لانه حج عدة مرات مع جده ومع والده وصلى بالناس مرة فى عرفات فسمي بالحاج ، وهذا هو الذى تصدى منهم للانغمار فى السياسة فطمع فى الملك فاستولى على الدلاء وما جاورها ودخلت فى حكمه فاس ومكناس وخلع طاعة السلطان محمد الشيخ الثالث بن زيدان بن احمد المنصور ثم وقعت بينهما معركة بوعقبة سنة 1050 هـ فانهزم فيها محمد الشيخ الثالث فتقوى امر الدلائى وطمعه فى الرئاسة ثم وقعت ايضا معركة أخرى بينه وبين مولاى محمد بن الشريف العلوى انهزم فيها هذا فدخل عليه الدلائيون سجلماسة وفعلوا فيها الافاعيل ، كما انهم حاربوا المجاهد محمد العياشي وكانوا سبب هلاكه وحرمان المسلمين من فوائد جهاده لعدوهم ، فلما كانت ايام المولى الرشيد العلوى طردهم من فاس وتبعهم الى عقر دارهم فصيرها دكا وحملهم الى فاس هم وكافة اتباعهم العلماء ، وذلك سنة 1079 هـ ، وهم مترجمون فى كثير من كتب التاريخ بل هناك من التآليف ما هو خاص باخبارهم .

طول حتى صرح امرهم اخيرا بما كانوا يكنون، والمجاهد الكبير محمد العياشي (77) يبزغ امره تحت الوية المدافعة للاجانب حتى انتهى الى المبايعة من الناس على الامارة العامة كما رأينا أيضا ابناء الشيخ سيدى سعيد بن عبد المنعم الحاحى(78) وابناء الشيخ سيدى عبد الله بن حسين التامصلوحتى (79) ،

---

77) هو المجاهد الكبير سيدى محمد العياشي كان ملازما لشيخه سيدى عبد الله بن حسون السلاسي دفين سلا فاذا ببعض الناس يهدى الى الشيخ فرسا ، فاستدعى العياشي واركبه عليه وقال له : « هذا دنياك وهذا «اخرتك فاذهب وجاهد فى ازمور وانزل على أولاد بوعزيز ولابد لك من الرجوع الى سلا » فامتثل الأمر وجاهد فى كل من شواطىء دكالة والشاوية وطنجة وما حولها وسلا والمهدية وكان فى كل ذلك بين عدوين احدهما داخل من بقية السعديين ومن الدلائيين ، ومن لف لف كل منهما والآخر هو العدو الاجنبى الذى احتل الشواطىء المغربية واخذ فى التوغل الى الداخل ، ولكن كان الدلائيون سبب ضعفه فالتجأ الى قبيلة الخلط فقتلوه وقطعوا رأسه ودفن شلوه بروضة الشيخ ابى الشتاء وذلك فى 19 محرم 1051 هـ .

78) هذه الاسرة الداودية الادريسية الحاحية الشريفة حسبا ونسبا ، هى احدى الاسر السوسية الحافلة بالعلم والمجد والصلاح ، تشبه فى ذلك الاسرة الدلائية ، وسعيد هذا هو ابن عبد المنعم ، وقد يقولون عبد النعيم ، بن الحسن ابن ابراهيم بن عبد الملك بن الحسن بن داود الذى هو أول داخل منهم الى المغرب ، ويقال لأعقابه المنانيين لانه ورد من منى .

وقد قضى يحيا بن عبد الله بن سعيد هذا على المجد الدينى العلمى الذى أسسه اجداده على تقوى من الله ورضوان باقتحامه المعاركات السياسية حتى توفى بتارودانت سنة 1035 هـ فحمل الى تافيلالت بادا وزداغ فدفن حول والده .

وقد كان المنصور السعدى تخوف منهم وهم بالايقاع بهم اذ ارسل اليهم قائده منصور بن عبد الرحمان العلج فعسكر حول دارهم ايام عبد الله بن سعيد فالتجأ فيه الى الله فلم يلبث ان كفاه امر المنصورين معا بما ابتلى به المنصور السعدى من امر السودان فكان قائده ذلك ممن وجههم اليه .

وهم مترجمون فى الفوائد الجمة للتامانارتى ، وفى الاستقصاء ، ونزهة الحادى ، وقد أجمل المؤلف كل ذلك فى الجزء 19 من المعسول ابتداء من صفحة 73 وأوصل رجالات الأسرة الى 38 شخصا .

79) هو أبو محمد أو أبو احمد عبد الله بن حسين (تصغير حسن) فصار الناس يقولون حساين ويتسمى بها اولاده الآن ، هو من الشرفاء الادارسة بنى امغار أهل عين الفطر (طيط نفطر) المرسى العتيق بقرب الجديدة بدكالة ، نزله هؤلاء الشرفاء ، وكان منهم فى القرن السادس الهجرى العلامة الامام ابو عبد الله محمد بن ابى جعفر ابن اسماعيل المدعو امغار ، فاشتهر بهم هذا المحل وصار بفضلهم معقلا للعلم والدين أكثر من اربعة قرون ، وما زال طنين مجدهم يرن فى الآذان ، وما زال الناس فى دكالة وغيرها من اطراف المغرب يفتخرون بالانتساب اليهم الى الآن .

لازم سيدى عبد الله بن حسين الشيخ عبد الله الغزوانى بعد مجيئه لمراكش فتربى به ، وهو الذى اسكنه فى تامصلوحت ، فسكنها ووردت عليه الوفود خصوصا بعد موت شيخه المذكور .

وقد سال سيدى أبو المحاسن يوسف الفاسى عنه الشيخ السنى أبا عبد الله محمد المعروف بسيدى كدار ، فقال له : « كان شيخا جليلا كبير الشأن من أهل الرسوخ فى العرفان ، وكان قوى الحال ومع ذلك لا يستفزه ولا يغلبه فكان من أهل التمكين والكمال » ، توفى رحمه الله عام 997 هـ وقيل عام 979 هـ وقبره معروف بتامصلوحت واولاده بها كثير .

وابا كانون (80) يستثيرهم ما استثار الآخرين ، ولكن كل هؤلاء لم يدرك أحد منهم — لعل — مبلـغ ما ادركه ابناء الشيخ سيـدى احمد بن موسى مؤسسـوا « ايليغ » من المكانة واتساع الايالة وتوطـد الكلمة والبقاء تحت ظل الامـارة ستين سنة كاملة مع توالى اربعة من الامراء .

## من هو الشيخ سيدى احمد بن موسى ؟

في قبيلة سملالة اسر كثيرة يتصل نسبها بعلى بن ابى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، ويجمع تلك الاسر جذمان (81) كبيران ، فأبناء سيدى وكاك (82) استاذ عبد الله بن ياسين بطل اللمتونيين من ابناء ادريس ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن

---

80) علق المؤلف في الاصل على هذا المحل بقوله : « هو دكالي جرى ذكره في الفوائد الجمة » وقد ذكره ايضا الكانوني في كتابه « اسفي وما اليه » .

وتتميما للفائدة نورد هنا ترجمته ملخصة من الكتابين المذكورين ومن غيرهما : فهو ابو اسحق ابراهيم ابن علي بن الشيخ سيدى محمد كانون المطاعي ثم العبدى ، والشيخ سيدى محمد — فتحا — هو أول داخل الى هذه الناحية من هذه الاسرة ، ورد من اولاد مطاع القبيلة العربية المتشلحة المعروفة بالقرب من مراكش وهو من الصوفية الكبار ، توفى عن سن عالية سنة 981 هـ وقد كان سبب انتقاله هو الجهاد في شواطىء عبدة ودكالة ، فسار اعقابه على اثره فـي جهـاد البرتغاليين باسفي والجديدة ، ومنهم حفيده ابو اسحق ابراهيم بن علي هذا الذى ذكر هنا انه ثائر ، كان في أول أمره من أهل العلم الظاهرى النسك والصلاح ، وكان يحترف خطـة العدالـة شان العلماء في كل وقت ، كما كان من اهل الفروسية والشجاعة ككافة اهله .

امـا سبب ثورتـه فحيث ان سلطـان ذلك الوقت زيـدان بن احمد المنصور هادن برتغاليي الجديدة لا غراض له فى ذلك كانشغال خصومه الثائرين عليه بهم ، وكالاتجار معهم ، فان كل الذين ليست لهم اغراض مادية لم يرضوا منه ذلك ، ومادام يريد الانفراد بالتامر فان من واجبه في نظرهم ان يقوم لتطهير البلاد من الاحتلال الاجنبى كما فعل السعديون لاول قيامهم والمريون بعدهم ، وهؤلاء الذين لم يرضوا منه مسالمة المحتلين كانوا قبل مخالفتهم له يعترفون بولايته ويؤدون حقوقه ، وفي اخبار العياشي انه كان يبعث اليه في مراكش بما كان يحصل عليه فـي البريجة من الاسرى والغنائم وفي ذلك شاهد على انه كان مواليا له اول الامر .

وكان ابو اسحاق هذا ممن لم ترضهم مهادنة زيدان للبرتغاليين فتمادى عـلى محاربتهـم بالجديدة ، فتبعه الناس وكثرت جموعه ، فارسل السلطان زيدان جيشا لمحاربته بقيادة ابنه عبد الملك فانهزم جيش ابى اسحق وقتل واسر ولده وسيق الى مراكش في جماعة مـن وجوه اصحـابه وهو مترجـم في القسم الثانى من كتاب « اسـفي وما اليـه » للمرحوم محمد بـن احمـد الكانوني العبدى ، وفي الاستقصـاء .

81) الجذم : بكسر الجيم وفتحها ، الاصل والمنبت .

82) راجع الحاشية رقم 33

السبط بن علي بن ابي طالب ، وكذلك أهل تاكانت اوكضيض (83) فهم ادارسة، والآخرون الاحكاكيون (84) وهم اكثر انتشارا واعز نفرا وأعرق نسبا ، كانوا من ابناء الحسن المثنى ، فهم حسنيون على ما عند كثير من علماء الأنساب ، لا حسينيون على ما قيل ، الا انهم اختلفوا هل هم من ابناء ابراهيم بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ، وابراهيم هذا هو الذى ثار في البصرة على أبي جعفر المنصور العباسي ايام ثورة اخيه محمد بن عبد الله في المدينة بالحجاز ، قالوا ان كنيته أبو جعفر وانما يسقط لفظ الكنية وهو أبو قبل جعفر من اقلام الذين يحررون انساب سملالة فيقولون جعفر بن عبد الله الكامل ، ومعلوم ان اولاد عبد الله الكامل ليس فيهم من اسمه جعفر (85) فهذا قـول ذهب اليه كثيرون ، ويعكر على هذا شيئان : أحدهما ان المشهور بأبي جعفر من أولاد الكامـل هـو عيسى لا ابراهيم ، والثاني انه لم يعرف لابراهيم ولد في فاس ، والمقصود ان عقبه لم يدخل المغرب .

وهناك من يرى ان السملاليين من اولاد سليمان بن عبد الله الكامل ، ولكن هذا لم يشتهر كثيرا .

وهناك قول ءاخر يوازى هذا ذهب اصحابه الى ان في سلسلة النسب سقوط بعض اسماء ، وان سملالة من ابناء الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، وفي بعض ظهائر السلطان سيدى محمد بن عبد الله الذهاب الى هذا ، فيقولون في ءاخر سلسلة النسب هكذا : «اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابـن الحسن السبـط » .

---

83) راجع الحاشية رقم 35

84) راجع الحاشية رقم 34

85) علق المؤلف على هذا المحل بما نصه : « ويذكر عن العشماوى ان منهم جعفراً نشأ عقبه في المشرق ثم انتقل الى سـوس ، ولكن النسابين لم يذهبوا الى ذلك » .

وهذه سلسلة الشيخ سيدى احمد بن موسى كما تعددت منها نسخ كثيرة تكون في أيدى أهله : احمد بن موسى بن عيسى بن عمر بن أبى بكر بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن صالح بن طلحة بن أبى جمعة بن على بن عيسى بن الفضل بن عبد الله ابن جنيد — ويكتبه بعضهم كندوز وكلا الاسمين لقب له واسمه الأصلي هو ابراهيم — بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن حسين — وفى نسخ حسن مكبرا — بن اسمعيل بن جعفر بن عبد الله بن حسين — هكذا بالتصغير ، وذلك ما يؤيد ما تقدم لأن الحسن السبط لم يعقب الا من الحسن المثنى — بن الحسن بن على بن أبى طالب ، واذا أراد المحقق أن يكتب هذا على ما صح عند السلطان سيدى محمد بن عبد الله فليقل « جعفر بن عبد الله بن حسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على ابن ابى طالب » .

وأول من نزل سملالة من رجال هذا النسب هو ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن حسين ، ورد فى القرن الثالث فيما يذكر ، وقبره فى سملالة عند بومروان لا يزال مشهورا مزورا ، وهو الجد الأعلى لكل السملاليين الاحكاكيين .

من هذا النسب نشأ الشيخ سيدى احمد بن موسى فى أواسط القرن التاسع من ابويه سيدى موسى ، ولا يزال قبره معلوما يزار ، والسيدة تاونو ، التى لها أيضا مشهد يقصد وولادته تكون نحو 853 هـ . كان اولا يتسرع الى مواقع اللهو ، ويتترع (86) الى ميادين الشباب وملاعب الاقران ، فاذا بنفحة صوفية تفاجئه على يد بعض صوفية عصره المشار اليهم فى بلده (87) فلبس

---

86) ترع بكسر الراء وتفتح فى المضارع والمصدر : اسرع الى الشر ، فهو ترع بكسرها ، وتريع . وقال سعيد الخورى الشرتونى اللبنانى فى معجمه « أقرب الموارد » ما نصه : « تترع به الى الشر نزع ، والمتترع الشرير المسارع الى ما لا ينبغى له » .

87) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « قيل انه سيدى محمد الوجانى دفين سملالة . وقيل انه سيدى ابراهيم ابن على دفين ايمولا فى ايفشان ، حول اليغ ، ثم خبر سيدى محمد الوجانى يوجد فى صفحة 7 من الجزء I2 من المعسول ، وخبر سيدى ابراهيم فى صفحة 225 من الثالث منه أيضا .

لبسة جديدة ، وتخلق باخلاق اخرى ، فطلق مسقط رأسه ، وساح في المعمور يتقرى مشايخ عصره شرقا وغربا ، وذلك بعد ما القى رسنه (88) في يد الشيخ التباع المراكشي (89) ، فأمره أن يتابع سيره الى الامام ، فصار يغامر في القفار، ويقتحم الأخطار ، ويخوض المعالم والمجاهل ، فلم يدع شيخا مذكورا الا زاره ، والعناية تحتف به ، وحسن مقصده يفتح له دائما أبواب الخير ويسددونا ابواب غيره ، وروحه تستمد من الأرواح العلوية الربانية ما تطير به بدورهـ في مطارات الملأ الاعلى ، دام كذلك ثلاثين سنة ربما اختلف فيها فينـة بعـد فينة الى أهله لصلة الرحم واداء واجب البر بهم ، حتى بدا له فالقى عصاه فـي سوس ونوى الاستقرار نهائيا .

قطن في غير موطن أهله ، فقد القى مرساته في تازروالت ، وتنقل بيز بعض الجبال المحيطة بها حتى استقر في زاويته المشهورة الى اليوم ازا مشهده ، فبقي هناك ستين سنة في تربية العباد ، والناس يردون عليه مـر مختلف البلاد ، وقد ظهر بمظهر كبار الصوفية الافذاذ ، وكان محظوظا فـي مظهره مسعوداً في شهرته فقد انزوى في زاويته والقوافل تتـوارد عليـه والصادر يخبر الوارد في السبل بما يراه منه من احوال عجيبة غريبة ، فقـ أعطى التكلم على ما في القلوب ، فكانت احدى الغرائب التي تبهر زائريه ، مـ اخبات وانابة وتواضع وعدم الدعوى والاعراض عن الشهوات ، فلم يرخـص قط لنفسه حتى في زمن شيخوخته وضعف بدنه في تناول بعضها ، فلا يتجاو شملة في ملبسه ، ولا يركب مركبا في سيره ، مع وقوفه مع الشريعة وقوفـ تاما ، ولم يؤثر عنه من الشطحات ما يوثر عمن يغلبون على انفسهم من اصحاد الأرواح الصوفية ، وكان يسأل عما لا يستحضر حكمه في الشريعـة ، فهنـا

88) الرسن : حبل تقاد به الدواب كاللجام لا تكون له حكمة ولا يدخل في فم الدابة ، واذ يدار على اسفل وجهها مما يلي الفم ثم من فوق الاذنين ، والقى الى فلان رسنه جعل قياده في يد يسيـره كيف شـاء .

89) سيدي عبد العزيز التباع .

اجوبة من العلامة سيدى احمد بن عبد الرحمن التيزركيني (90) لاسئلة من الشيخ في مؤلف خاص ، وكان يزور اخوانه من مشايخ التصوف برجله كسيدى محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتي (91) ، وسيدى محمد بن يعقوب التاتلتي (92) ، وسيدى عبد الله الغزواني المراكشي (93) ، وسيدى عبد الله بن حسين التامصلوحتي (94) ، ويثني ايضا على أمثال سيدى عبد الرحمان بن علي التيلكاتي (95) ، ويرى نفسه دون معاصريه ، فرفعه الله بهذا التواضع حتى

---

90) راجع خبره معه في صفحة 46 من الجزء 12 من المعسول ، اما ترجمة التيزركيني فتوجد في صفحة 266 من الجزء الثالث عشر من المعسول وهو العلامة الجليل الفاضل احمد بن عبد الرحمان المسكدادى التيزركيني من الفحول الكبار رحل الى فاس وأخذ عن ابن غازى وعن الونشريسي الكبير وامثالهم في فاس وفي غيرها والف وعلم وهذب ، توفي سنة 958 هـ .

91) راجع في شأنه الحاشية رقم 7

92) هو الشيخ الواصل الكامل سيدى محمد بن يعقوب نزيل ايمي ن تاتلت ، من طبقة الشيوخ احمد بن موسى التازروالتي وعياد السوسي دفين تاماصت ومحمد بن ويسعدن واضرابهم ، يجل قدره عن الوصف الوجيز عمر نحو 120 سنة وتوفي سنة 963 هـ وترجمته في الفوائد الجمة للتامانارتي وغيرها ، وكل ذلك مجمل في الجزء 16 من المعسول ابتداء من صفحة 49 .

93) هو الشيخ ابو محمد عبد الله بن محمد بن عجال الغزواني ارسله اهله لاخذ العلم بفاس فصحب بها الشيخ الصوفي على صالح الاندلسي من قدماء اصحاب الشيخ عبد العزيز التباع دفين مراكش ثم صحب الشيخ عبد العزيز نفسه سنين ، ثم انتقل الى قبيلة الهبط قرب قبيلة غزوان وكان منها في محل يسمى فزنكار ولعله تاصروت ، وقد خافه سلطان وقته ابو عبد الله محمد بن الشيخ الوطاسي على عادة الملوك مع الصوفية فامر بحمله الى فاس فاختبره قاضيها ابو عبد الله المكناسي ثم توسط له عند السلطان على ان ينتقل الى فاس فاتخذ له زاوية في باب الفتوح ، فوقعت سنة جدب اخذ الناس فيها يجرون السواقي من الانهار فاجرى هو ساقية من وادى اللبن قرب فاس فاذا بنادمر الكديد أخي السلطان يقول له نحن أحوج منك الى تلك الساقية ، فسلمها لهم ، وبعد ارغامه على سكنى فاس جاءت هذه القضية فأفاضت جام غضبه على الوطاسيين ، فانتقل الى مراكش وهو يلوح في الطريق ببرنوسه ويقول يا سلطنة فاس اتبعيني الى مراكش ، وصادف ذلك اواخر الوطاسيين واوائل السعديين ، ولما حاصر بنو مرين مراكش وهو بها خرج يشاهد الحصار فلما اطل من اعلى السور اصابته رصاصة خرقت قميصه فقال هذه اخر حروبهم هنا فورد على ابى عبد الله المريني ما ازعجه الى الرحيل عن مراكش فلم يعد اليها ، لم يسعنا ان نورد هنا اكثر مما ذكرنا من اخبار هذا الرجل العظيم المفيدة الشيقة الموجودة في كثير من اخبار ذلك الوقت وخصوصا كتاب « ممتع الاسماع في اخبار الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع » توفي رحمه الله سنة 935 ودفن في زاويته بحارة القصور بمراكش .

94) راجع الحاشية 79

95) هو العلامة الكبير الصالح الصوفي الخير سيدى عبد الرحمان بن علي التلكاتي من اسرة علمية عظيمة ، كان في العصر الذهبي المغربي للتصوف ، وله شرح على « الشامل » لبهرام ، توفي عام 984 هـ ، وقبره مزار في تلكات بالسوس الاقصى وهو مترجم في غالب كتب التراجم السوسية كالفوائد الجمة للتامانارتي لان هذا من تلاميذ تلاميذه ، واخباره مجملة عند المؤلف رحمه الله في الجزء الثاني من «خلال جزولة » ابتداء من صفحة 133

وقع الاجماع على شفوفه (96) عليهم جميعا فى تربية اصحابه على معرفــة ا
نعالى وحدها . وهى التربية الاصطلاحية المعروفة عند القوم ، وقد شهد لـ
أقرانه بهذا الشفوف ولا يرون لانفسهم شيئا امامه ، وما ساد عليهم الا بهـ
النوع الخاص من التربية ، ويقول ارباب الفن أن اصحابها دائما يقلون ف
كل عصر ، حتى قال بعض المتأخرين (97) ان هذا المقام لم يكن فى سوس ا
للشيخ سيدى وكاك (98) ثم سيدى احمد بن موسى ثم انقطع حتى كان لا
العارفين (99) المتأخرين على راس القرن الماضى ، ولما تطلعت نفس السلطا
مولاى عبد الله الغالب بالله السعدى (100) الى شيخ يأخذ بيده ويهديه الى معر
الله ، ويوفق على يده الى ما يشرئب اليه من ادراك ما يدندن حوله الصوفية بع
العلامة الصوفى سيدى محمد الترغى (101) الفاسى يتتبــع مشايــخ عصــر
الظاهرين والخاملين وهم اذ ذاك متوافرون ، وبعد ما زار الجميع لم يقع بصره ع
من يوازى سيدى احمد بن موسى ، فوضع السلطان يده فى يده ، ورحل بكـ

---

96) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « صرح بهذا الاجماع ابن عسكر ف الدوحة — مخطوط — وزيدان بن المنصور السعدى فى رسالة الى يحيا بن عبد الله الحاحى — ج صفحة 114 — « الاستقصاء»

97) هو الشيخ المربى الكبير العالى الهمة الرفيع المقام البعيد النظر سيدى الحاج على احمد الالغى السوسى ، والد المؤلف رحمهما الله . توجد ترجمته الحافلة ابتداء من صفحة ؛ من اول المعسول

98) تقدم خبره فى الحاشية 33

99) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « سيدى سعيد المعدرى » وهو الشي الصوفى الكبير الشريف السملالى سعيد بن همو المعدرى من المعدر بضاحية تيزنيت بمما اكادير ، كان على اميته من الراسخين فى التصوف ، قد انضم اليه كثير من علماء عصره فطاط الرؤوس امامه حتى نالوا مقاصدهم اخذ عن الشيخ مولاى العربى الدرقاوى ، توفى عام 1300 وترجمته الحافلة توجد فى رابع المعسول ابتداء من صفحة 306

100) راجع الحاشية 72

101) هو العلامة الجليل الصوفى المخلص سيدى محمد بن يوسف الترغى الفاسى تـ الافرانى فى نزهة الحادى بانه مؤدب اولاد الملوك ، يعنى السعديين ، وقال عنه المؤلف رحمه انه كان مدرسا كبيرا فى فاس وفى مراكش وكل من ارخو سيدى احمد بن موسى ذكروا ان السل ابا عبد الله الغالب السعدى ارسل الترغى هذا يرتاد له شيخا مربيا فدله عليه ، وقال عنه الحض فى طبقاته ان عنه اخذت القراءات بجميع طرقها بالمغرب وانه توفى عام 1004 بالطاعون الذى فى ذلك الوقت وقال عنه صاحب الصفوة انه ولد بفاس ونشأ بمراكش ، وتنبغى مراجعة ترجمته « الفوائد الجمة » للتامانارتى .

جيشه وفي أبهة ملكه حتى نزل على الشيخ في تازروالت ، فاضافه الشيخ ثلاثة أيام ، ثم رجع الى مستقره بمراكش ، وناهيك بالمكانة التي تكون لشيخ ارتحل اليه سلطان وقته بكل جيشه حتى زاره واعلن بلسان الحال انه الشيخ الخاص للعرش المغربي فلا ريب ان هذا الشيخ الذى يربي السلطان بما يتربى به مثله ، كما انه يربي الفقهاء والعلماء والعامة بما يتربى به كل فريق ويصلح به حاله ، لشيخ قل أن يكون له نظير ، وقد زار مراكش بعد أن أخذ عنه السلطان ، فاظهر عفة هي المظنونة بمثله عما في يد السلطان وعن طعامه ، ثم جلس للناس عامة فوقع عليه زحام عظيم ، ووقف حجاب السلطان وقواده الكبار ينظمون فيه الناس ويقولون « من زار فليخرج » فقال الشيخ بل قولوا : « من جار فليخرج » وهي كلمة ما نطق بها الا لردع امثال اولئك القواد (102) .

لم تكن تربية الشخ لطبقة من الناس دون طبقة اخرى بل كانت للعامة وللخاصة ، يرى كل منها ما يوافق ذوقه ويواتي مشربه ، ولذلك وقع عليه ذلك الاجماع المذكور في التاريخ ، فعلا شأنه في كل المغرب علوا هائلا لم يدركه فيه احد من معاصريه السوسيين وغيرهم ، مع تعمير امتد الى 118 سنة ، وقد كان له من العلم ما يسدد خطاه في مزاولة شأن العباد ، ويستحضر أبياتا عربية يستشهد بها ، وقد كان اخذ من الفنون اخذا غير متوسع ، ويجول في التفسير وفي غيره ، وقد كان أمثال العلامة التصركيني(103)، والشيخ التامانارتي(104) والمحدث ابي زيد التيلكاتي (105) والنحوي المدرس سيدى محمد بن ابراهيم

102) علق المؤلف على هذا بقوله : « توجد الحكاية عند كثيرين ممن ذكروا الشيخ » ولزيادة الفائدة في هذه القضية نورد نص الافراني في « نزهة الحادى » وهو : « ومن ولاة مظالمه – يعني السلطان عبد الله الغالب السعدي – ابو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسي ، وهو والي الشرطة . وكان فقيها مشاركا . وذكر بعضهم ان الشيخ الصالح سيدى احمد بن موسى في بعض قدماته على مولاى عبد الله انحشر الناس لزيارته ، فوقف ابو عمران هذا يذود الناس عنه وهو يقول لهم رحمكم الله من زار خرج ، فسمعه الشيخ فقال له لا تقل ذلك بل قل من جار خرج » راجع ترجمة سيدى احمد بن موسى في الجزء 12 من المعسول .

103) راجع الحاشية رقم 00

104) راجع الحاشية رقم 7

105) راجع الحاشية رقم 95

الباعقيلي (106) والأستاذ الرحالة سيدى احمد بن محمد أدافال الدرعي (107) ـ وهم من هم ـ يخضعون له ويسلمون له تسليما ، بله غيرهم من الذين ليسوا من فطاحل العلماء .

طال عمر الشيخ حتى الحق الاحفاد بالاجداد ، فذهبت اجيـال فـي احترامه ونشأت أجيال أخرى ، فنال بذلك شرفا ءاخر أبهر وأروع في عيون الناس ، ولم يزده ذلك الا لزوم المحجة والتشبث بالشريعة ولم تغلبه موجـ الحقيقة كما يقع لبعض الصوفية الكبار ، فكان أعلى كعبا وأعظم شأنا وأحسن سمتا وأكثر خشوعا لربه ، وقد حفظ التاريخ دعوات حفظت عنه كانت ءاية م ءايات العبودية والخنوع .

اسلم رضى الله عنه الروح ليلة الاثنين لسبع خلون من ذى الحجـة سن 971 هـ (108) ، ودفن في وسط المقبرة العامة التى لم تتكون الا بعده ، وهـ قريبة من زاويته ، وعلى مشهده قبة عظيمة تقام حواليها ثلاثـة مواسـم فـ كـل سنـة .

---

106) هو العلامة الصالح الواسع الاطلاع سيدى محمد بن ابراهيم الباعقيلي ، كان يسـ نى قرية « ايت الطالب » من ادا وباعقيل بسوس ، وكان يعلم فى « ايت فروين » لقب بالنحـ لانه كان يستظهر كتاب سيبويه ويديم تدريسه لطلبته ، توفى عام 976 هـ ، توجد ترجمته صفحة 280 من الجزء 12 من المعسول .

107) هو ابو العباس سيدى احمد بن محمد بن احمد أدافال الدرعي الحسني السوسني أ، اهله من فيكيك ، مولده قرب 930 هـ ، ساعده الحظ فنشأ فى احضان شيوخ اجلة فى ب كوصيه سيدى محمد بن على التافجورتى ، ثم رحل الى فاس فأخذ بها عن جلة آخرين مثل الوهاب الزقاق وعلى بن هارون ، ثم رحل الى زيارة سيدى احمد بـن موسى فظـل يرحـل الـ مدة عشرة اعوام والف فى اخباره رسالة خاصة توجد ابتداء من صفحة 20 من الجزء 12 من المعـ وبعد وفاته صار يرحل الى المشرق فيحج ويلقى كبار المشايخ مثل سيدى محمد البكرى الـ توثقت بينه وبينه الصلة فاجازه واستفاد منه كثيرا ، ومثل الشيخ يحيا الحطاب واضرابهـ فكان بذلك من جلة الشيوخ وبرع فى كثير من الفنون وخصوصا الحديث ، وكان يرى و الاستبراء على كل امرأة اختلى بها اجنبى لغلبة الفساد ، واذا كان ذلك فى وقته فكيف يكون ا اليوم ، توفى عام 1023 هـ وقبره مشهور بدرعة ، وهو مترجم فى الاعلام للقاضى سيدى العـ المراكشى ، وفى اقتفاء الأثر ، وفى الصفوة للافرانى ، وفى الدرر المرصعة ، وفى طبقات الحضـ

108) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « هذا هو المحقق فى وقـت وفـ ولا اعتبار لغيره »

ذلك هو الشيخ سيدى احمد بن موسى الذى له اكثر مـن ثلاثمائـة شيخ ومريد كادوا يملؤون كل المغرب فى حياته ، ولم يكن له من معاصريـه فى كل مظاهره نظير ، كما انه مضى عنه الى الآن زهاء اربعة قرون ، ولم يظهر له ايضا فى كل مظاهره قرين فى كافة سوس ، والتاريخ أكبر شاهد على كـل ذلك لمن قدر ان يغربل الحقائق من بعض خرافات تمازج ترجمته (109) .

## ابناء الشيخ من صلبه واعقابهم

للشيخ خمسة ذكور وعدة بنات، أما الذكور فعبد الله و محمد ـ فتحا ـ وعلى والحسن وعبد الباقى ، وقد اعقبوا كلهم الخير الطيب ، وهـم اليـوم متفرقون فى بلدان مختلفة ، فى نواحى سوس ، وفى حاحة ، وفى حوز مراكش، وفى الحواضر وفى القطر الجزائرى ، ويذكر بعض المطلعين السياحين مـن مسنى كبار اولاده اليوم انه يعرف مساكنهم فى ثلاث وستين موضعا يعدهـا عدا ، وقد ذكر لنا ءاخر منهم ممن له اطلاع : ان أهل الزاوية مـن تازروالت واهل أداى والساكنين فى حمر بالحوز وفى أمكراد بحاحة ، وفـى تيديـلى بادا او تنان ، وفى تاغجيجت ، وفى اد شعو بالاخصاص ، وفى بويزاكـارن ، وفى الأرجام بأيت برابيم ، وفى ادكنيضيف من عقب عبد الله المعروف بعبدل ، والذين فى ايليغ بتازروالت ، وتينونمان هناك، وفى ايسيل ايزمورن وادصالح بمجاط ، وفى تيغيسيت بأيت عبل (110) ببعمرانة ، من عقب محمد ـ فتحا ـ ، والذين فى تومانار بتازروالت ، وأهل العوينة ، وايغبولة ، والجحيفـة فـى

---

(109) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « ترجم الشيخ فى الدوحة لابن عسكر ، وفى ممتع الاسماع فى اخبار الجزولى والتباع ، لسيدى العربى بن يوسف الفاسى ، وفى الاعلام بمـن حل مراكش واغمات من الاعلام للقاضى سيدى العباس بن ابراهيم المراكشى ، وفى الطبقات للامام الحضيكى وفى الفوائد الجمة باسناد علوم الأمة للقاضى ابى زيد التامانارتى، وفى البشارة للكرامى، وفى غيرها ، وله فى المعسول ترجمة لعلها أجمع ، وهناك مجموعـة متداولـة فى أخبـار سياحاتـه فيها بعض امور لعلها مكذوبة عليه ، وللعلامة احمد بن محمد ادافال مجموعة حسنة فى اخباره » وترجمته فى المعسول توجد فى صفحة 5 من الجزء 12 منه

(110) ايت تقدم ان معناها ، « ال » ، وعبل ، تصحيف عبد الله ، كذلك تنطق فـى اللسان الدارج ولكنها لا تكتب الا ايت عبد الله ، وبعمرانة يطلقونها على ايت بعمران كما يطلقون بعقيلة على ادا وباعقيل ، ورسموكة على ادا ورسموكت وسملالة على ادا وسملال ، ومعنى ادا هو « ال » ايضا

ضواحى تيزنيت ، واولاد الفقيه سيدى فارس فى تيزنيت من عقب علي ، والذين في مجاط فى الحوز ، وفى أمزميز ، وفى تاكارازت بتازروالت قبل ان تخرب وأهل مولاى البشير فى تيزنيت من عقب الحسن ، والذين فى وجان وبعض أهل الدرب بزاوية تازروالت ، وفى بونعمان من عقب عبد الباقى ، قال الحاكى هذا ما استحضره ، وربما يمتزج بعضهم ببعض فى هذه المواطن ، وهناك ءاخرون فى هوارة وفى الجزائر حيث لهم قرية خاصة وفى محلات اخرى لم يعرف من حكوا لنا عقب من هم ، ولسنا الآن بصدد تبيين أنسابهم على التدقيق ، وانما نريد أن نعرف اولاد الشيخ من صلبه ، وأن لهم عقبا باقيا ، وقد بارك الله فيهم حتى وصلوا اليوم أزيد من ألف دار ، وهم ممتازون فى كل محل يقطنون فيه ، محررون من وظائف العامة وتكاليفهم ، وقد غادر غالبهم مسكن جدهم تازروالت حتى أنهم ليقلون فيها قلة تلفت الانظار ، ولجلائهم اسباب كثيرة ، منها عدم الرضى بالاستخذاء لرؤسائهم اهل ايليغ ، ومنها المساغب التى لم تكن تغب تازروالت ، ومنها كثرة سياحاتهم فى البلدان عادة اتخذوها مستمرة يجمعون نذور جدهم من القبائل فيسقطون الى محلات توافقهم فيلقون فيها العصا ويقطنون .

واما بنات الشيخ فاحداهن كانت قرينة الرجل الصالح سيدى يعقوب الاكدمانى الغشانى وذكر ان اسمها عائشة ، وقبرها معروف وسط المدرسة الايغشانية (III) .

---

III) هو يعقوب بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الله بن علي بن يونس المشار إليه في الحاشية ويقدر المؤلف في المعسول لوفاته سنة 1025 هـ. ودفن فى قبة جده سيدى على بن يونس المذكور ا: وقد كان يخدم الشيخ سيدى احمد بن موسى فاعجبه منه تدينه وصلاحه فزوجه بنته . وان القار يرى ان المؤلف رحمه الله سمى هذه البنت عائشة لكنه فى ترجمة زوجها هذا بصفحة 207 من ث المعسول قال : « وحدثنى بعضهم ان اسمها ماماس » وهى بفتح الميمين مع تخفيف الاولى وتشد الثانية ، ثم ان المؤلف رحمه الله ترك هنا بياضا مقدار سطرين او ثلاثة بعد قوله : « المدرسة الايغشانية » لعله ليلحق فيه أخبار بنات الشيخ ، وحيث إن الأجل قد حال بينه وبين ذلك ن ننقل هنا ما ساقه من ذلك فى الصفحة المذكورة بعد لفظة ماماس وهو : «وكما حدثت أن لها أ بنتى الشيخ احداهما تسمى فاطمة ، مدفونة فى مقبرة « تيديلى » تزوج بها رجل من ايت داو وذكر ان قبرها مشهور اسفل قرية ايت عضيا ، هذا ما حدثنى به ذلك الفاضل — وهو س مبارك بن مومادين الانامرى الآتى الذكر — والعهدة عليه ، وقد تقدم فى ترجمة سيدى عبد الاخفش ان احد اجداده كان ايضا متزوجا باحداهن »

نشأ اولاد الشيخ الخمسة تحت ظل والدهم الظليل ، وازاء شجرته الباسقة ، ويقال ان لعبد الباقي يدأ في المعارف ، وقد رأينا مخطوطات من يده ،وقد بقوا كلهم سائرين في منهج والدهم بعد موته ، ولا نعلم لأحد منهم خروجا عن سياج الزاوية او خرقا لما كان عليه مقامهم المؤسس على يد والدهم الجليل .

## على ابن الشيخ

الا أن عليا رأيناه في سنوات 1006 هـ في تارودانت معتقلا بأمر مولاى احمد الذهبي سلطان ذلك العهد ، ولعل ذلك لا ينتج الا عما يتوهمه اصحاب السلطة من كل من لهم اتباع وشهرة واسعة من المعتقدين (112) — وقد علم في التاريخ تحرز السعديين دائما من ابناء الزوايا المشهورين ـ وقد يكون سبب اعتقاله انه حقيقة يتشوف الى مس أوامر العرش بمعارضة او انتقاد ، او كان ينفث ما لا يوافق استبداد الذهبي المشهور واعتسافه ، وربما يجول في صدره البروز الى الميدان مغترا بما لأهله من احترام واجلال عند الناس — وان كنا نستبعد ذلك في عنفوان سطوة الذهبي وايام بلوغ سلطته اوجها العظيم — فان كانت هذه الفكرة جالت حقا في فكر علي ابن الشيخ فان فكرة الثورة على السعديين انبثقت من ابناء الشيخ انفسهم في الوقت الذى كان فيه عرشهم في أوج عز تتذبذب دونه «امال الثائرين ، ولكن هذا انما هو احتمال بعيد جدا كما نرى ، وايا كان ، فان عليا لم يزل في معتقله حتى لقي حتفه سنة 1006 هـ فنقلت تجاليده الى مقبرة أهله بتازروالت ، وقد وصف بانه رجل صالح (113) خير ، دين ، ولهذه الاوصاف ، — زيادة على ما تقدم — نخال ان اعتقاله انما هو من بغي يد الذهبي العاسفة ، ويعرف عنها التاريخ ما يعرف من بطش بكل

---

112) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « وقد كان محمد الشيخ الاول السعدى قام باختبار عام لشيوخ الصوفية في عصره » .وتنبه القارىء الكريم الى ان ذلك مذكور في كل من نزهة الحادى للافراني وفي الدوحة لابن عسكر

113) وعلق رحمه الله على هذا بقوله : « الوفيات للرسموكي وطبقات الحضيكي »

كبير محترم اذا لم يبادر الى الاقعاء (114) تحت اقدامه ، وهو بنفسه يصدر عنه احيانا استحسان لمثل هذا البطش بلا روية ولا تبصر ، وهل ينسى التاريخ ما فعله بالشيخ احمد بابا السوداني (115) وتلك السلاسل (116) التي يجر فيها صفوف من الرجال والنساء وهن في المخاض في الطرقات بين فاس ومراكش ؟ ثم لا ينسى اكثر من ذلك هاتيك الاعذار الواهية التي يؤيد بها أمثال هذه السياسة المخزنية (117) وقد صدقت المرأة التي وردت الى بابه تشتكي من احد عماله ، فاذا بها تراه كما هو ، فقالت : « كنت اعجب للماء كيف كان رنقا في الجداول ، فلما رأيت منبع العين عرفت ان الماء كان عكرا من

---

114) من اقعى الكلب اذا جلس على موخرته ، واكثر ما يكون كذلك اذا كان ينتظر ما يلقى به اليه

115) هو العلامة الكبير ابو العباس احمد بن احمد بن احمد بن محمد بن عمر اقيت بضم الهمز وتشديد القاف مكسورة التينبكتوى السوداني شردهم المنصور السعدى عن بلادهم لما غزا السودان وشرد معهم كافة افراد اسرته فسقط الشيخ عن الجمل وكسرت رجله وانتهبت اموالهم وكتبهم وذخائرهم قال رحمه الله نهب لى الف وستمائة كتاب وانا اقل اهل كتبا ، وكان القبض عليهم اواخر المحرم عام 1002 هـ ووصلوا الى مراكش في رمضان عام 1003 هـ فسجنوا الى يوم الاحد 21 رمضان عام 1004 هـ ففرح الناس بتسريحهم من السجن وكان المنصور قد شرط عليهم سكنى مراكش الى ان كان الوباء الجارف الذى كان المنصور نفسه احد ضحاياه فتوفى به اكثر افراد اسرة الشيخ ونجاه الله هو .

وقد اقبل عليه طلبة العلم واقبل هو ايضا عليهم واستانس بهم كالمقرى صاحب نفح الطيب واضرابه ، وذلك لتواضعه وسعة علمه وحسن اخلاقه فانتفعوا به كثيرا وله تآليف عديدة من جملتها « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » الذى ذيل به « الديباج المذهب » لابن فرحون في تراجم كبار علماء مذهب الامام مالك رضي الله عنه وعنهم ، وهو مترجم في الاستقصاء وفي روضة الآس للمقرى — طبعة المطبعة الملكية بالرباط — ، وفي نزهة الحادى والاعلام للقاضي المراكشي .

116) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « صفحة 63 من الجزء الثالث ، الاستقصاء» ونص الحكاية من نزهة الحادى للافراني : « ويحكى ان الفقيه قاضي الجماعة بفاس ابا مالك عبد الواحد الحميدى رحمه الله مر ذات مرة مع فقهاء فاس واعيانها لمراكش بقصد التعييد مع المنصور كما هي العادة فمروا في طريقهم على سلسلة فيها رجال ونساء مسجونون وفيهم امرأة اخذها الطلق — باسكان اللام وجع الولادة — وهي في كرب المخاض فراوا من ذلك امرا يحز راءيه ، ويهم ناظريه ، فبقى ذلك في خاطر القاضي ، فلما جلس مع المنصور القى له ذلك واظهر منه الشكاية ، فسكت عن جوابه المنصور وهجره على ذلك اياما ، فلما فهم القاضي غضب المنصور تلطف له في القول واظهر التوبة لما ظهر منه وعده بادرة ، فقال له المنصور لولا ما رايت ما امكنك ان تجيء مع اصحابك عشرة ايام في امن ودعة ، فان اهل المغرب مجانين مارستانهم المحن من السلاسل والاغلال » ، وهذه الحال لا يرضاها الا من كان متكبرا جبارا

117) راجع اخر الحاشية قبله يليه

اصله » (118) ، ولكن ان كان اخذ على ابن الشيخ الرجل الخير الصالح الدين بتهمة ـ لعلها لم تكن بذات أصل ـ فانه بذر بذلك بذور ثورة لم تنشب أن اندلع لهيبها يوم ينخر الضعف عرش ابنائه من بعده ، ومن زرع الشوك هل يجنى الا القتاد .

## الثـــورة

كان الفقهاء السوسيون الجزوليون أول من أقام عماد الدولة السعدية حوالى سنة 918 هـ ، فنجحوا فى عملهم نجاحا باهرا ، ثم جنوا من وراء ذلك ثمرة يانعة ، فمدت عليهم الدولة السعدية ظلا وريفا ، واتخذت منهم لحاشيتها كتابا وشعراء وقوادا وسفراء ، ورؤساء للشرطة ، عرفت اسماء بعضهم فى التاريخ (119) ، ثم كانت تتفقد غير هؤلاء بالصلات ، فاستبحرت العلوم العربية

---

118) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « الاستقصاء في ذلك الجزء نفسه » ، ونص الحكاية ايضا من نزهة الحادى : « وذكر ان بعض عمال المنصور عدا على امراة من دكالة فاخذ لها مالا ، فقدمت المراة لمراكش تشكو له حيف عامله ، فلما شكت عليه لم يشكها ولا كشف ظلامتها ، فخرجت لأولادها وقالت لهم انصرفوا فانى كنت اظن أن رأس العين صاف ، والآن حيث وجدته مكدرا فلا غرابة اذا كدرت مياه جداوله » .

119) من اخبار الدولة السعدية مع اهل سوس انها بويعت بين اظهرهم فى تيدسى قرب ام الجريد فوق قبيلة هوارة حوالى تارودانت ، أما تيدسى التى هى وطنهم الأصلى فانها تقع فى درعة ، وانهم اول من رفع رايتها وسار فى ركابها وسبب قيامهم لنصرتها هو حاجتهم الى من يقودهم لطرد البرتغاليين من السواحل المغربية ، فالتجؤوا الى العلامة الصالح سيدى محمد بن مبارك الاقاوى المعتقد عندهم كثيرا ، فأشار عليهم بوالد أبى العباس الأعرج ومحمد الشيخ الأول وهو محمد القائم بأمر الله بن عبد الرحمان بن على ابن مخلوف بتاكاكمارت بدرعة ، وتكون منهم فى ظل هذه الدولة رجال يربو عددهم عن الحصر ، منهم على سبيل التمثيل موسى بن مخلوف الكنسوسى العلامة الذى ولى المظالم لعبد الله الغالب ، والوزير الخطير لأحمد المنصور عبد العزيز بن سعيد المزوار المعروف بولد مولاة الناس المولود بتارودانت سنة 956 والمعروف بالقائد عزوز صاحب جبل درن لانه كان واليا عليه وبيت اسرته فيه عريق لانهم من ذرية القائد مسعود ابن واسكار قائد جيش الناصر الموحدى فى عزوة العقاب بالاندلس ، وكان بخزانته خمسون الف مجلدا ، ومنهم والى مظالم المنصور ابو الحسن على بن سليمان التملى الذى كان يلى المظالم ايضا ايام عبد الله الغالب ، ومنهم محمد بن على الهوزالى المعروف بالنابغة احد كتاب المنصور وشعراء بلاطه ، ومنهم العلامة الاديب شيخ الكتاب الذى يرجعون اليه محمد بن يعقوب الأيسى ومنهم الأديب الكبير احمد بن يحيا الهوزالى قائد قواد محمد المامون بن احمد المنصور وفى رسائل المنصور السعدى الى أولاده كما فى رسائل ولده زيدان ما يؤكد ان هذه الدولة تعتمد على السوسيين وتعرف لهم الوفاء والاخلاص .

في سوس استبحارا عظيما يلفت الانظار ، ولا نشك فى أن السوسيين يريدون أن يعيدوا التاريخ نفسه بأن يؤسسوا من جديد دولة جديدة تقيم بين ظهرانيهم يجمعون بها كلمتهم المتفرقة بعد ان تفرق امر المغرب بسبب نزوات اولاد الذهبى وبعد ان انتثرت الاطراف من حكمهم وعمتها الفوضى ، وهذه الدعاية تنبعث من ءال علي ابن الشيخ سيدى احمد بن موسى الذين لا ينسون ما لاقوه من الذهبى من الاهانة ، على حين انهم يالفون من ءال محمد الشيخ الأول وابنه عبد الله — تلميذ سيدى احمد بن موسى — ان يوالوا لهم ولامثالهم احترامات زائدة ، ومثل هذه الدعاية المحكمة من مثل ابناء الشيخ سيدى احمد بن موسى — المجمع على مكانته — تجد بلا ريب ءاذانا مصيخة ورجالا عاملين لتنفيذ خططها .

هذا ما لا بد ان يتقدم ثورة أبناء الشيخ كما انه لا بد ان يتخلل الدعاية نشر محاسن ابناء الشيخ ومساوى ابناء الذهبى ، فيجسم ما كان صحيحا من ذلك ويختلق ما ليس له وجود ، وهذه طبيعة كل دعاية تحبك بلباقة وترمى الى غاية مقصودة ، فان كانت اخبار ذلك الدور افلتت من قلم التاريخ — فيما علمنا — فان قياس الغائب على الشاهد اشبه من غراب بغراب .

## كيف حال سوس فى هذا العهد

كان المغرب منذ استتب الامر للسعديين محوطا بسياج متين من قوة هذه الدولة الفتية ، فقد توحد امره بعد ما كان ايادى سبأ (120) ، وطرد العدو المحتل ، البرتغال ، من غالب شواطئه ، وخصوصا الجنوبية ، فانها

---

120) من الامثال تفرقوا ايدى سبأ أو ايادى سبأ : اى ذهبوا وتشتتوا فى البلاد تشتتا لا اجتماع بعده .

وسبأ هذا هو أبو عامة قبائل اليمن كانت سلالته مجتمعة هناك فى جنات نضرة ناعمة يسقونها من مياه سد كبير ، فاكثروا المعاصى والطغيان كعادة ذوى الثراء ، فارسل الله على ذلك السد فارة حفرته من اسفله فما زال الماء يوسع الثقب حتى انهار السد فجرف السيل المزارع والمساكن فذهبت المياه ويبست الحقول فاضطروا للارتحال عن المكان متفرقين فى الآفاق ، فصاروا مثلا .
قال الله تعالى فى سورة سبأ : « لقد كان لسبا فى مساكنهم ءاية جنتان عن يمين وشمال » كلوا من رزق ربكم واشكروا له » ثم قال تعالى : « فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم » الى ان قال تعالى « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق »

كلها طهرت منه ، وحين كان انبعاث هذه القـوة من سوس وكان السوسيون هم اول من نادى بأول امير من امراء السعديين وكانوا الشيعـة الأولى التـي اوتهم ونصرتهم نصرا مؤزرا ، واستماتوا بين ايديهم من اكادير الى تلمسان ، نالوا بذلك شفوفا بارزا في الدولة ، وتفتحت اعينهـم للسياسـة المرنـة ، واستناموا الى الانقياد للحكومة التى وجدوا في ظلها الوريف ما وجدوا ، فلهذا كله لا يصعب عليهم ان يفكروا في انشاء حكومة اخرى تخلف السالفـة منـذ اللحظة التى بانت لهم فيها بوادر اضمحلالها وطلائع انقضائها ، وقد وجدوا من ال الشيخ سيدى احمد بن موسى ما يحفزهم الى ذلك حفزا ، فقد وتـروا مـن الذهبى كما رأيت حين سجن على ابن الشيخ حتى هلك ، فلذلك لم يكد الذهبى يفقد من البديع وهو ما هو صولة وشدة ، وقد خلفه من شتتوا الأمر وبعثـروا القوة من الحكومة ، وجرؤوا الأمة على الاستهانة بهم بتهالكهم على العرش حتى تفرق المغرب اوزاعا وصارت نواحيه طرائق قـددا ، وفشـا الخوف ، ونهـب المتاع ، وقطعت السبل ، حتى ظهر من سوس ما ظهر .

وان أردنا أن نبنى هذا الحكم على اساس متين فلنصخ لمن كان حيـا اذذاك يصف كيف سوس بعد المنصور الذهبى ، فانه يقول بعد ما ذكر موت المنصـور : (121) .

. . . . فزلزلت الارض زلزالها ، ونالها من الفتن والفساد ما نالها ، فطاش الوقور ، وعاش المحقور ، ووضع النفيس ، ورفع الخسيس ، وفشـا العار ، وخان الجار ، ولبس الزمان البوس ، وجاء بوجه عبوس ، واورد مـاء الاختلاف ، وانضب ماء الوجوه والائتلاف ، فطأطأ الحق رأسه ، وأخفى المحق نفسه ، وتبرقعت الحسناء ، وحسرت عن وجهها الشوهاء ، واعتمل الخبيث ، واحتمل على الخبائث بالسن الحثيث (122) ، فتواردت المهالك، وسدت المسالك،

---

121) علق المؤلف على ما هنا بقوله «التامانارتي في الفوائد الجمة» ـ مخطوط ، راجع الحاشية 7 ـ

122) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « تتامل العبارة » يعنى انهـا غير مستقيمـة لان النسخ القليلة الموجودة من هذا الكتاب كلها محرفة بسبب تكرار نسخه ممن لا يفهمون ، ولذلك نرى المؤلف يتعب نفسه في ان يجد لكل عبارة مساغا، وما دام الامر انما هو مـن النسـاخ ، فـلا لوم على التامانارتي لان مكانته فوق ذلك .

وعم الجوع وتبرأ الكوع من البوع ، فانا لله وانا اليه راجعون ، فيالها من مصيبة ما أعظمها ، ولمحاسن الارض ما أحطمها (123) .

| | |
|---|---|
| لعمرك ما المصيبة هدم دار | ولا شــاة تمــوت ولا بعــير |
| ولكن المصيبة مــوت حــر | يموت لموتــه خلــق كثــير |

الى ءاخر ما قال .

وقد عظمت المصيبة حقا اذذاك ولها أسباب مختلفة ، منهــا مــوت السلطان الذهبي الذى كان يحكم المغرب بقهر واستبداد لم يقدر أحد أن يحرك معه رأسه ، فلم يكد حكمه يزول ، ورهبته تنجاب حتى سادت الفوضى وأتلــع كل مفسد رأسه ، وتلك ظاهرة مالوفة وراء كل حكم مبني على مثل مــا انبنــى عليه حكم الذهبي .

ومنها اختلاف أولاده بعده اختلافاً شديداً اذهب هيبة الحكومة مــن عيون الشعب ، وكان هذا الاختلاف نفسه مندلعا اثر موت الذهبي بسرعــة غريبة ، فانفصمت العرى بمثل نفس السرعة .

ومنها الوباء الذى فشا في سوس كثيرا من سنة 1006 هـ الى أن مات بسببه السلطان نفسه بعد احتياطه الشديد (124) منه سنة 1012 هـ ، ثم لــم

---

123) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « حطم الشىء كسره ، وهو ثلاثى متعد فيكون هنا من المبنى للمجهول ، وقد اجازه الكوفيون ، وورد كذلك في التعجب والتفضيل »

124) بلغ من احتياطه ما يرى القارىء نوعه فيما اجاب به خليفته بمراكش ولده أبــا فارس لما توجه هو الى فاس لتسوية أمور عصيان ولى عهده محمد الشيخ المامون ـ راجع الحاشية 65 ـ في رسالة مؤرخة بيوم الاربعاء 14 ربيع الاول 1011 هـ : « . . . اول ما تبادرون به قبل شىء هو خروجكم اذا لاح لكم شىء من علامات الوباء ولو اقل القليل حتى بشخص واحد ويبقى في القصبة وصيفنا مسعود والقائد محمد بن موسى بن بوبكر واترك معه مائة رام تتقوى بها رماتكم مع اصحاب السقيف وتوكلوا على الله واخرجوا » . . . . « ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق اسعدكم الله فالزموه ، واذا استشمرتم منه بسلامة ـ يعنى مع السلامة تفاءلا ـ بحرارة وتخوفتموها فاستعملوا الوصف من الوزن المعروف منه ولا تهملوا استعماله » . . . . « والبراءة ـ يعنى الرسالة ـ التى ترد عليكم من سوس من عند الحاكم او من عند ولد خالكم او من عند غيرهما لا تقرا ولا تدخل دارا بل تعطى لكاتبكم هو الذى يتولى قراءتها ويعرفكم مضمنها ، ولأجل ان الكاتب يدخل عليكم ويلا بس مقامكم فلا يفتحها الا بعد ادخالها في خل ثقيف وتنشر فتيبس وحينئذ يقرؤها ويعرفكم مضمنها » الى غير ذلك .

ينقطع الا بعد سنة 1016 هـ ، ولا مراء أن للموت الذريع الذى اصيب به الناس تأثيرا عظيما في انحلال الامور انحلالا عاما . وقد قال المؤرخ المذكور ءانفـاً في هذا الوباء بعد كلام :

(. . . . فمن نيف والف نزل الذى ينسف الأقطار ، ويجرف جرف السيول والأمطار ، طاعون السادس عشر بعد الألف) فلم يدع بيتاً الا صدعه ، ولا بابا الا قرعه ، ولا جمعا الا فرقه ، ولا داخلا الا طرقه ، حتى اغتال الملـك « المنصور » ، وكل أسد هصور ، فكسد سوقه ، ومطلت حقوقه ، وتعطلت مصادره وموارده ، وطمست سبله ومعاهده ، فركب أهله الهوان ، وشملهم الخـذلان) .

ومنها ، وهو أشدها وأعظمها واكثرها تأثيرا ، الجوع السائد اذذاك في كل المغرب ، وقد وقفنا على ءاثار اقلام كثيرة تواصفته بشدة وعنف ، كما وصفه المؤرخ المذكور ، فيما تقدم .

ومنها فقدان الرجال المحنكين الذين يقـدرون ان يتداركـوا ضعف العرش ، وقد كان استبداد الذهبى العاسف ازالهم من الرياسة فلم يدع امامه الا ابناءه والقـواد من عبيده ، فوقع فى غلطة المعتصـم العبـاسى وامثـاله فى ترك المملكة فى ايدى العبيد ، وعقبى الاستبداد لا تكون الا هكذا ، فتذكر استبـداد المنصور بـن ابى عـامر الذى قضى عـلى رجالات الاندلس وقـدم امامه على المملكة العبيد ورؤساء البربر الغرباء عن الأندلس ، كما يجب عليك أن تتذكر أيضا مثل ذلك فى استبداد الحاجب احمد بن موسى (125) وزيـر

125) كان احمد بن موسى بن احمد بن مبارك السوسى المنبهى حاجبا للسلطان المولى الحسن الاول ، وكان يطمع فى رئاسة الحكومة فلما ولاها السلطان لخاله السيد محمد المعطى الجامعى وولى أخاه السيد محمد الصغير وزارة الحربية غضب احمد وقال عن السلطان « ان هذا الرجل فقد عقله » فحنقها عليه السلطان واوصى الاخوين الوزيرين أن لا يطيعا له امرا وان يخالفاه فى كـل ما يريد ، فظن احمد ان ذلك منهما ، فلما مات المولى الحسن فى تادلة اعلن احمد بن موسى تتويج ابنه المولى عبد العزيز الصغير السن اذذاك ، واوغر صدره على الوزيرين الجامعيين بانهما يريدان تحويل الملك الى غيره ، وجعل يستفتى العلماء سرا فى شأنهما ، فلما دفن المولى الحسن فى الرباط وحل موكب المولى عبد العزيز بمكناس اوعز الى باشاها حمو بن الجيلانى البخارى بالقبض على الجامعيين وايداعهما سجن تطوان ، وصادر اموالهما حتى ماتا فى الفقر المدقع ، كما سجن صهرهما السيد العربى الزبدى الرباطى فى طنجة ، وفعل مثل ذلك بعمال النواحى وكافة الوزراء ثم رمى بالباشا حمو الى تارودانت حيث مات سنة 1318 هـ كما مات الوزير احمد نفسه فـى هذه السنة .

المولى عبد العزيز بن المولى الحسن الأول ، فقد ابعد رجالات المغرب الكبار عن الحكومة ، ولا ريب ان النتيجة واحدة .

ومتى فقد الرجال المقتدرون حوالى العرش فسرعان ما ينهار فتعود الفوضى جذعة الى الشعب ، وهذا ما وقع اثر موت الذهبى ، فرجع المغرب فى أقل من لمحة البصر الى ما كان فيه بعد ضعف المرينيين ثم الوطاسيين ، فيتطلب ذوو الغيرة والعقيدة الصحيحة عن بعيد من الحكومة ومن جوها رجلا ءاخر من أسرة أخرى يأخذ من جديد بضبع المغرب ليحاول ان ينتشله ثانيا من الهوة التى تردى فيها ، وحين كان الناس اذذاك لا يحدقون الا فى الزوايا التى كانت أمدتهم قبل بأول رجل من السعديين ، واذ كانت سوس من الاطراف المغربية التى اشتهرت بمثل هذه الغيرة ، واذ كانت زاوية الشيخ سيدى احمد بن موسى المجمع عليه ماثلة بين أعينهم وهى مظنة القيام بسد هذه الثلمة فى الدين ، فلا عجب اذن أن نرى هذا الامر واقعا ولو لم يتسبب قبلُ الذهبى فى ذلك باعتقاله لأحد ابناء هذه الزاوية ، فاسمع ما يقوله أوربى فى بودميعة الآتى اثناء وصفه له (126) .

(. . . . والمغاربة يتبعونه عن طيب نفس أملا منهم ان يدخلوا تحسينات على حكومتهم) الخ .

واذا كان هذا الشعور الذى يظن انه هو السائد اذذاك هو الذى ساد حقا بلا ريب ، فلا غرو ان ذلك الميدان مفتوح لكل ذى شعور وغيرة من الصادقين كما يفتح ايضا لكل من كانوا يتربصون بالحكومة الدوائر ممن

126) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « من مقال فى كازيت دو فرانس من مكاتبها بسلا فى تاريخ 5 نونبر 1631 م ، اورده دوكاسترى فى صفحة 429 من الجزء الثالث من السلسلة الاولى — فرنسة » .

بشرئبون الى الظهور ، ويلحون الحاحا دائما في التفتيش عن أمثال هذه الاسباب، فقد تفتحت لهم الابواب على مصاريعها فليدخلوا بلا استئذان ولا كبير مشقة الى الساحة التي طالما تشوفوا وتطاولوا نحوها ، ولكل شيء سبب ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولا يهمنا نحن ان ينبعث ابناء الشيخ عن شعور حي وعن عقيدة مخلصة ، او يكون بروزهم انما هو « للبغال البيض أو للثريد الأعفر » (I27) .

## ابراهيم بن محمد بن الشيخ في الميدان

هذا هو أول من نعرفه تصدى للامارة من أبناء الشيخ ، وقد قال فيه مؤرخ سوسي يعيش بعده بنحو قرن :

« ابراهيم بن محمد القائم في العشرة الثانية من القرن الحادى عشر ، توفي رحمه الله بالكصيب باسمن ليلة الاحد التاسع والعشرين من جمادى الاخيرة عام ثمانية عشر وألف ، وقد أوصى بالامر لابن عمه سيدى الحسن بن على بن سيدى احمد بن موسى » (I28) .

والكصيب الذى مات فيه ابراهيم يوجد في أسفل اسمن ببعقيلة الازاغارية ، ولا ندرى كيف توفي ابراهيم هناك ، أمقتولا أم حتف أنفه .

---

I27) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « قال بعضهم اظنه ابن عباس في ابن الزبير . انه كان يتطاول الى الخلافة منذ شاهد البغال البيض التي حج عليها معاوية ، وحكوا ان بعض العلماء قال في المتنازعين من اقران معاوية : انما يتحاربون على الثريد الاعفر ، ورضى الله عن الصحابة فما ابعدهم عن امثال هذه المقاصد ، وانما نريد تبيين ما يراد بالكلمتين »

والثريد طعام يتخذ من خبز مفتت يصب عليه مرق ولحم قال الشاعر :

اذا ما الخبز تادمه بلحم * * فذاك ، أمانة الله ، هو الثريد

والثريد الأعفر هو الأبيض من قولهم تعافر الثريد : ابيض ، كما يقال لليلة الثالثة عشرة من الشهر عفراء لاكتمال القمر فيها .

I28 علق المؤلف على هذا بقوله : الكرامى في « بشارة الزائرين » مخطوط ، و «بشارة الزائرين » هذه كتاب في الوفيات للعلامة داوود بن على بن محمد الكرامى من الاسرة الكرامية المعافرية الشهيرة ، راجع تفصيله في اخبار الكرامين في اوائل الجزء السابع من المعسول وراجع الحاشية 5 أول هذا الكتاب

وقد ورد في الصفحة 463 من الجزء الأول من مجموعة ديكاستري من السلسلة الاولى ـ هولاندة ـ من رسالة « ليكوا الى حكومة هولاندة مؤرخة سنة 1609 ميلادية ، ما نصه :

« . . . . . وولى مولاى أحمد ـ يعني الذهبي ـ مولاى الشيخ بفاس ، ومولاى أبا فارس خليفة له بسوس ، فلما توفي مولاى احمد جاء الباشا جوذر والقائد أحمد بن منصور والقيا القبض على مولاى الشيخ ومكنا مولاى ابا فارس بمراكش منه ، لان مولاى ابا فارس لما بلغه موت أبيه جاء مستعجلا من سوس الى مراكش حيث بويع (129) .

وفي صفحة 466 من الرسالة المذكورة ما نصه : « ولما انهزم مولاى زيدان سنة 1604 م قرب تادلة أمام جنود مولاى الشيخ التجأ الى الجبال ، ومنها الى سوس » . ثم قال : « . . . . . ثم ان مولاى ابا فارس عزم على الصلح مع مولاى زيدان بفاس » . وفي صفحة 469 من الرسالة : « فتوجه مولاى عبد الله الى مراكش حيث كان ينتظره مولاى زيدان باثنين وخمسين مدفعا وعشرة آلاف الى اثنى عشر الف رجل غير مدربين ، فشبت المعركة براس العين اليوم السادس من دجنبر 1607 فمات نحو 400 الى 500 فالتجأ مولاى زيدان مرة أخرى الى الجبال ، ومنها الى سوس . وفي ص 473 من الرسالة : « وبينما زيدان بفاس ومعه جيشه وهو يهتم بامور مولاى عبد الله ومولاى ابا فارس اللذين كانا بالجبال المجاورة يجمعون الرجال ، اذا بخبر مهم ورد من مراكش ، فاضطر

---

129) يحاول هذا الأوربي ان يحكي تناحر ابناء المنصور على الملك ولكنه يغلط في ذلك ـ لانه ليس من أهل مكة الذين هم ادرى بشعابها ـ والحقيقة عن ذلك هو ان مولاى محمد الشيخ الثاني الملقب المامون كان اذذاك سجينا بمكناس وكان عبد الله الواثق ابا فارس خليفة لابيه على مراكش حين خروجه منها للتوجه الى فاس للنظر في عصيان المامون ، فلما مات الذهبي اراد زيدان ابنه عامله على فاس أن يستحوذ على محمد الشيخ المامون ليكفي امره فسبقه اليه الباشا جؤذر ووجهه الى شقيقه ابي فارس بمراكش ، وقد علق المؤلف رحمه الله على ما نقله عن هذا الأوربي في قوله « لان مولاى ابا فارس لما بلغه موت ابيه جاء مستعجلا من سوس الى مراكش حيث بويع » بقوله : « هذا غلط فان ابا فارس كان ابوه الذهبي استخلفه بمراكش حين ذهب الى فاس حيث مات راجع « الاستقصاء ونزهة الحادي »

الى التوجه الى هذه المدينة ، وذلك ان احد الصلحاء اسمه مولاى ابراهيم قام بسوس ثائرا يدعى الاستحواذ على ناصية العرش المغربى ، وعدد اتباعه يزداد يوما فيوما ، فكثر عيثه فى تلك الناحية ، فارسل مولاى زيدان من مراكش ثلاثة ءالاف رجل لمحاربته ولكن هذا الجيش فر رجاله حين لم يتوصلوا بمؤونة ولا بأجرة » ثم قال صاحب الرسالة : « وقبيل سفرى ، وذلك فى 27 جانفيى 1609 م بيومين أو ثلاثة أرسل السلطان القائد حدو الطبيب ومعه نحو الفى رجل للاتيان بعيال السلطان وبماله من سوس ، لانه شاع بمراكش ان سيدى ابراهيم نهب زاوية ، والزوايا يودع فيها القواد الكبار عادة كعامة الناس أمتعتهم وأموالهم لتكون فى مأمن من غوائل العائثين ، حتى الملوك يفعلون ذلك ان اضطروا الى الفرار وذلك لان الناس يحترمون الزوايا ويرونها مقدسة ولا يتجرأ احد ان يهتك لها حرمة ، وبالمغرب زوايا ومستودعات من هذا النوع كثيرة يحترمها المغاربة احتراما كبيرا ، فشاع كما قلنا ان سيدى ابراهيم نهب احدى هذه الزوايا بسوس فحمل منها على ما يقال عشرين قنطارا من الذهب ، وزيادة على ذلك ، فانه نفسه غنى ، وقد كان ابوه محترما لدى الناس ، حتى انهم كانوا يقسمون به كما يقسمون بمحمد (صلى الله عليه وسلم ) ويستخلص من ذلك أن سوسا فى خطر ، ولا يدرى احد ما سيحدث بعد » .

من كلام هذا الاجنبى تعلم اهمية ثورة سيدى ابراهيم ، وكيف اولاد النهبى يوم ثورته وكيف يعرض السوسيون عنهم اعراضا تاما . فهذا زيدان كان ينهزم اليهم وبين ظهرانيهم اولاده وأمواله ثم لا ينصرونه ولا يهتمون به ، بل اقبلوا الى هذا الثائر الجديد يعلقون به ءامالهم ويجتمعون حوله شيئا فشيئا ، ولا ندرى الآن اين تلك الزاوية التى عدا سيدى ابراهيم على ما استودع فيها فاستوحذ عليه ، ولعل ما كان فيها كان من مال الحكومة فاستحله بكونه مبايعا من الناس بيعة الامارة .

وعند اليفرني (130) ان هذا الخبر ورد على زيدان بعد ما فر عنه ابو فارس وعبد الله بن الشيخ الى دار ابن مشعل (131) ، فرجع بسبب هذا الخبر الى مراكش الا انه لم يعين اسم الثائر ، وقد عرفنا اسمه الآن من تلك الرسالة الاجنبية ، وقد ساق اليفرني ذلك في حوادث اخر سنة 1017 هـ فعرفنا حينئذ السنة الهجرية التي ثار فيها المذكور ، كما عرفنا ايضا مثل ذلك في كلام الاجنبي المذكور .

ومما يتعلق بسيدي ابراهيم من وصفه بالغنى الكثير اننا رأيناه أقطع ما كان الى الآن من قرية تين ايسلان لئال سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ (132) التامانري ، فقد رأينا رسم اقطاعه لهم ثم رسم تأييد ذلك من بودميعة بعده ، ومن هنا نعرف انه كريم يحترم ذوي البيوتات ويقربهم اليه بالعطايا ، وذلك كله طبيعي من مثله .

ولسيدي ابراهيم هذا ابن اسمه أحمد وصفوه بأنه مرابط (133) ولي صالح توفي في فاتح جمادى الثانية عام 1065 هـ بهذا وصفوه وهو رجل عظيم

---

130) راجع الحاشية 19 واواخر الحاشية 66

131) ان المولى الرشيد لما فر من اخيه مولاي محمد مر بفاس الى ناحية تازة فوفد على الشيخ اللواتي المعروف بالتدين والتفقر ومحبة أهل البيت ففرح به واكرمه ، ورأى في تلك الناحية رجلا يصطاد على هيئة الملوك من الخيل والاتباع فقيل له انه يهودي من يهود تازة يسمى ابن مشعل يسكن على نصف مرحلة منها شرقا في البيداء ، وكان لليهودي طغيان على المسلمين هناك بماله وجاهه ، فاقبل المولى الرشيد على الشيخ اللواتي عاضا على سكين ، وتلك علامة الاستغاثة والاستعطاف . فقال له لبيك يا مولاي فلن ابخل عليك بنفس ولا نفيس ، فقال : أطلب أن تمدني بخمسمائة من اخوانك استعين بهم على القضاء على هذا اليهودي ، فامده بهم وتواعدوا دار ابن مشعل متفرقين خفية ليلا ، وتقدمهم المولى الرشيد ، وكان لا يخفى على الناس لشهرة اسرته وابيه واخيه ، فاستضاف اليهودي فاضافه ، وفي الليل دخل عليه خلوته وبطش به ، فدخل اصحابه وحمل كل ما في خزائن اليهودي ، وكان ذلك سنة 1075 هـ .

ثم قال النقيب مولاي عبد الرحمان بن زيدان : « ان ابن مشعل كانت له صولة على المسلمين واستهزاء بالدين واهله فنقض بذلك عهد الذمة ، فلم يبق لماله ولا لدمه حرمة ، ونذكر هنا قضية كعب بن الاشرف اليهودي وتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم من فتك به ليلا على نحو الصفة التي فعلها المولى الرشيد هنا ، وهي في صحيح البخاري وغيره »

132) راجع الحاشية 15

133 علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الكرامي في البشارة » — راجع الحاشية 128

من اركان دولة بودميعة الآتي ، وقد كان علامة متفننا معتنيا باستنساخ الكتب العليا ، وقد وقفت على كتب كثيرة منسوخة له في خزائن جزولة ، وهنـاك في خزانة ادوز مجموع حديثي بخط انيق عال في مؤخره ما نصه : « كتب لسيدنا الامام ، القائم بوظائف الاسلام ، عمدة الانام ، وملجأ الضعفاء المرتضى الاسعد سيدى احمد ابن السيد الاصيل الابر الحفيل سيدى ابراهيم كان الله له بمنه ءامين » بتاريخ الاحد 14 صفر 1046 هـ (134) ، وتلك المجموعة القيمة تـدل وحدها على مكانته العلمية ، اذ لا يستنسخ القيمات من اعلاق الكتب الا ذوو الافهام السامية ، وسترى له ذكرا يوم يكون بودميعة في درعة حين انسحب من تافيلالت ، فقد ورد على بودميعة خبر مرض له مشرف فازعجه ، وبمجموع هذا كله ندرك مقدار الرجل .

## الحسن بن علي بن الشيخ

والده علي هو الذى اعتقل في مطبق (135) تارودانت حتى هلك كما تقدم ، وقد قال ذلك المؤرخ بعد ذكره لابراهيم بالكلام السالف :

« وقد اوصى بالامر لابن عمه سيدى الحسن بن علي بن سيدى احمد بن موسى فتولى بعده حتى مات بتارشنين يوم الاربعاء الخامس من ربيع الثاني عـام 1020 هـ »

هذا كل ما قاله ، ولم يحدثنا بشيء من أخبـاره وبعض متقلباته ، ولم نجد له ذكرا الاهنا ، ولولا هذا المؤرخ لذهب اسمه ايضا كما ذهب كل ما يتعلق بأحواله ، وتارشنين المذكورة توجد في تازروالت ، لم تـزل تـعـرف بهـذا الاسـم .

---

134) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « تراجع محتويات المجموع ووصفه في الرحلة الثانية من ( خلال جزولة ) عند ذكر « خزانة أدوز » .

135) المطبق : على صيغة اسم الفاعل : السجن

## مجاذبة الامارة بين ابناء الشيخ

قال المؤرخ المذكور بعد ذكر الامير الحسن بن علي :

. . . « ثم كانت مخالفة بين أولاد الشيخ ومناوشات اذ ذاك ، حتى دخلت سنة احدى وعشرين وألف فتولى سيدى علي بن محمد بن محمد بن الشيخ » .

اذن تطلع افراد من احفاد الشيخ الى تولى الامر ، وقد استمرءوا اللقمة الجديدة واراد كل واحد ان ينفرد بها ، وان يتسم باكليلها ، ويدل ذلك على عقلية مسفة لأن الأمر لا يزال في مبتدئه ، ودعائمه لم توطد بعد ، وأدنى تنازع فيه قد يدنى الى لفشل تام فيما يحاولونه .

ثم ان هذه المجاذبة بادىء بده مما يدل على ان تلك الاسرة خالطها بعد الشيخ مؤسسها رضى الله عنه الشره الى الظهور والنهم الى الالقاب ، وكان جرثومة التصوف التى لا تكاد تثبت معها هذه الارادة الدنيوية لم تمر في تلك الدار ، ولو كان زيدان امير مراكش في ذلك الوقت 1020 هـ راسخ القدم في الحمراء وعنده بعض ارادة اهله لأمكن له بكل سهولة ان يجتث أصل هذه الاسرة الثائرة عليه ، وأن يدك صياصيها (136) ، ان كان لها صياص ، ولكنه في هذا الحين مشغول بالحروب مع اخوته ، ثم مع ابى محلى السجلماسى الثائر الجديد (137) الذى زعزع أركانه بخفة البرق ، فقد اندلق (138) من سجلماسة الى درعة بجيوشه المنصورة ، ثم صمد الى الحمراء ، ففر زيدان امامه من الحمراء برأس طمرة ولجام (139) ، وقد اتخذ الريح مركبا الى زاوية الشيخ

---

136) الصياصى جمع صيصة ، ومن معانيها الحصن وكل ما يمتنع فيه الانسان ، وذلك هو المـراد هنـا

137) راجع الحاشية 75

138) اندلق السيف انسل من تلقاء نفسه من الغمد ، واندلق السيل اندفع ، وهذا المعنى هو المراد هنا

139) الطمر بكسر الطاء والميم وتشديد الراء الفرس الجواد الطويل القوائم واللجام ومعنى نجا براس طمرة ولجام أى انجاه عدو فرسه وهو مثل مقتبس من قول حسان بن ثابت يعير الحارث بن هشام بن المغيرة اخا ابى جهل عمرو بن هشام لما انهزم يوم بدر مع المشركين ، وكان لما يسلم اذذاك وانما اسلم يوم فتح مكة :

ان كنت كاذبة الذى حدثتنـي ... فنجوت منجى الحارث ابن هشام
ترك الاحبة ان يقاتـل دونهـم ... ونجـا براس طمرة ولجـام

سيدى يحيا الحاحى (I40) ، ولو لا ما اصاب زيدان كما ترى من اخوته ومن ابى محلى هذا لامكن له قلع ما فى تازروالت يوم استولى الخلاف على اهلها ، ولكن (تكاثرت الظباء على خداش) (I4I) ، وصمد اليه ابناء الزوايا ذوات الحبايا من كل ناحية ، فهذه زاوية تازروالت ثائرة عليه ، وزاوية ابى محلى زاحفة اليه حتى تخرجه من البديع وتتربع فى ابهائه المرمرية ، فلم يجد بدأ من أن يلتجىء الى زاوية أخرى لعلها تدافع عنه أبا محلى ، غير ان التى التجأ اليها قد ثارت ايضا بدورها قريبا من هذا الوقت ، كما تتحفز زاوية اخرى من الدلائيين الى الثورة ايضا بعد برهة من الدهر ، ومن هنا يعرف القارىء ما أدركته الزوايا اذ ذاك ، وهذا بعينه ما كان يتخوف منه "محمد الشيخ الأول فقلب لأصحاب الزوايا ظهره ولا يرون وجهه الا متجهما ، ولا يؤنسون من أساريره بشاشة ، لاكن الذنب على الربان الذى فرط فى تسيير الدفة (I42) :

اذا غاب ملاح السفينة وارتمت

بها الريح يوما ضببتها الضفادع(I43)

ثم ان تفاصيل المجاذبة بين ابناء الشيخ مطوية بالاغفال الذى لا يزال الى الآن مستولياً على أقلام المغاربة ، وذلك عندهم عادة قديمة بكى منها حتى تقرحت الاجفان .

---

I40) راجع الحاشية 78

I41) هذا شطر بيت هو :

تكاثرت الظباء على خداش * * فما يدرى خداش ما يصيد

I42) الدفة بالفتح : خشبة تجعل فى مؤخر السفينة تسهل امالتها يمينا وشمالا ، وهى مولدة عربيها السكان بضم سين

I43) ضبب على الشىء اذا شدد القبض عليه ، وضبب عليه احتوى عليه ، أى استحوذت عليها الضفادع وسيرتها ، ومعنى ذلك اغراقها

## علي بن محمد بودميعة

هو علي بن محمد بن محمد ابن الشيخ ، فهو ابن اخي ابراهيم الامير الأول ، وهو الثالث من أمراء هذه الاسرة ، وهو وحده الفائز بما لم يفز بــه أحد من أهله ، وقد توطدت امارته ، وطالت أيامه ، وعلا شأنه حتى كان أعظم رجل من « ملوك الطوائف » اذذاك بالمغرب ، وأوسعهم ايالة ، وأعظمهم سعدا ، ولو كان من الرجال الاشداء لأمكن له ان يستغل فرصة من أبناء الذهبي الضعفاء فيقتحم عليهم بلاطهم الذي يتلاعب به ولدتهم ووصفانهم (144) فيجمــع كلمة المغرب ، ولكنه كما ظهر لنا ، لم يكن بذلك المقدام الذي يقول « أما قبر في الثرى ، واما قدر في الثريا » ، ومن لا يغامر لا يؤسس الدول ، وبيــن القنــا والقنابل (145) ، اذا اكفهر الجو بنقــع الجحافــل تؤسس الممــالك ، ويتميز الفائز من الهالك .

---

144) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « وصفهم بهذا الوصف الدلائيون في رسالة منهم الى محمد الشيخ الثالث ص 142 ج 3 الاستقصاء » ومحمد الشيخ هذا هو ولد زيدان بن احمد المنصور السعدي الذهبي كان قبل الاخير من ملوك السعديين والاخير هو ولده احمد بن محمد ابن زيدان بن احمد الذهبي ، لم يبق لمحمد الشيخ هذا سوى مراكش وبعض اعمالها ، ويكفي دليلا على ضعفه انه ارسل قاضيه ابا عبد الله المزوار يستعطفهم ليكفوا عنه ، ولما دخل مولاي محمد بن الشريف فاسا بعث اليه هذا بقصيدة يهنئه فيها ، بويع بعد اخراجه من السجن سنة 1045 هـ وتوفي عام 1064 ، فبويع ولده احمد فتقوى عليه اخواله الشبانات وراموا الوثوب على الملك فاشارت عليه امه بالتوجه اليهم والتكلم معهم عسى ان ينكفوا فقتلوه غيلة وبايعوا واحدا منهم هو عبد الكريم بن ابي بكر الشباني وذلك سنة 1069 هـ وبموت احمد بن محمد الشيخ هذا انتهت الدولة السعدية فطويت صحفها والبقاء لله وحده

145) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « القنابل جمع قنبل ، وهو جماعة من الخيل ، وقد اعتاد الكتاب اطلاق اللفظة على قذيفة المدفع ، فاعترض ذلك امير البيان ـ يعني به الامير المجاهد شكيب ارسلان رحمه الله ـ في حواشيه لكتابه « اناتول فرانس في مباذله » وقال أظن ان اصل الكلمة القنبرة والجمع قنابر بالراء ، وقد شبهت القذيفة بالقنبرة وهو طائر معروف ، هذا ما قال ، ثم وقفت انا على استعمال الكلمة بالراء لا باللام في كلام للصاياني ، وللناصري في الاستقصاء ، وللشرقاوي المصري في تحفة المتأخرين. فالقنابل اذن للخيل والقنابر لقذائف المدافع»

وقوله طائر معروف ، قال طرفة بن العبد :

يا لــك من قنبرة بمعمــــر ... خلا لك الجو فبيضي واصفــري
ونقــري ما شئت أن تنقــــري ... قــد رحل الصياد عنك فابشري
ورفــع الفــخ فماذا تحــذري ... لابد من صيدك يوما فاصبــري

## من هم اخواله ؟

في قرية وسط وادي تانكرت بافران تسكن اسرة ءال بلقاسم بن علي انتقلت من سملالة ، ولعلها من الشرفاء الاحكاكيين (146) . وهي اسرة علمية نالت شرفا كبيرا ومجدا مؤثلا ، ومقاما مرموقا في الرئاسة والقضاء ، ولا يزال الى الآن طنين ذكرهم في ذلك الوادي ، وقد ابتدأ أمرهم ، فيما نعلم ، من القرن العاشر ، فمن هذه الأسرة المجيدة فاطمة بنت احمد بن بلقاسم بن علي ، فقد ورد عند مؤرخ سوسي (147) في شأن بلقاسم بن علي ما يلي :

« ابو القاسم بن علي الافراني كان رضي الله عنه فقيها عالما عاملا » ذلك ما ذكر عنه ولم يتعرض لوفاته ، وقد سيق بين أهل القرن الحادي عشر ، ولكن الحقيقة انه من أهل أواسط القرن العاشر ، ولا يزال ذكر اسمه عطرا في تانكرت الى الآن ، وقبره مشهور في مقبرة تنسب اليه .

وورد عن احمد بن بلقاسم علي لسان عالم ثبت مطلع (148) في تانكرت انه صالح مزور مقصود في عهده ، وله مكانة وشرف ولمقامه العالي صاهره أهل الزاوية التازروالتية .

---

146) راجع الحاشية 34

147) علق المؤلف علي هذا المحل بقوله « الحضيكي » ويشير به الى ان ذلك مذكور في طبقات العلامة الامام الكبير احد مفاخر القطر السوسي بل المغرب أجمع محمد – فتحا – بن احمد الحضيكي الجزولي الايسي (نسبة الى محل في تارسواطت يسمي ايمين ايسي) المولود هناك سنة 1118 والمتوفى به سنة 1189 هـ راجع اخباره في الجزء الحادي عشر من المعسول صفحة 298 .

148) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « هو سيدي البشير الناصري » وسيدي البشير هذا هو العلامة الاديب الجليل البشير بن المدني بن احمد بن الحسن بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد فتحا ابن ناصر الدرعي الشيخ العظيم الشهير ، كان سيدي البشير هذا قرينا للاستاذ الطاهر بن محمد الافراني ورفيق حياته . ولد في تانكرت بقبيلة املن سنة 1292 هـ وتوفي سنة 1306 هـ ، وكان من الادباء المطلعين المتثبتين المتنين يروج في النوازل وفي الاصلاح بين القبائل وكان موفقا في ذلك الى ابعد الحدود حتي صار حضوره في منازعاتهم بشرى الانفراج دائما ، ولما تم احتلال القطر السوسي قبع في داره ووجد حسن الاعتذار في فالج اصاب بعض اعضائه . فكان رجال الاحتلال يترددون اليه ليسالوه عن الاخبار والتواريخ فكان يتظاهر بجهله بما يريدون وبانه عاجز عن البحث في الدفاتر بسبب مرضه ، فلما اعياهم تسويفه وواهي اعذاره يئسوا من انتفاعهم به وتركوه . راجع ترجمته في اخبار فروع الناصريين في الجزء العاشر من المعسول .

وحين عرفنا شأن هذه الزاوية اذذاك ندرك انها لا تصاهر الا اسرة تحتل قمة الشرف ، وذروة المجد ، ومن هذه الاسرة القاضي عبد الملك بن احمد بن بلقاسم ، فقد تولى القضاء في عهد بودميعة ابن اخته ، وقد ذكره مؤرخ (149) بما نصه : « سيدي عبد الملك بن احمد بن بلقاسم قاضي افران » ، وزاد على ذلك مؤرخ اخر (150) أنه كان رضي الله عنه فقيها دينا خيرا قاضيا في بلده ، ووجدته مكتوبا عليه بخط لا أعرفه انه علامة كبير صالح متقن للعلوم متق لله ، وقد ذكر المطلع المذكور (151) انه رأى شكله وخطه في الرسوم القديمة .

ومن هذه الأسرة ايضا القائد محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن بلقاسم بن علي ، ولاه ابن عمته بودميعة على تلك الناحيـة الى تيسينت ازاء طاطة ، ويذكر بصولة عظيمة وبنفوذ خطير وبرسوخ في الرئاسة .

والقرية التي كانت مركز الاسرة تسمى الجمعة ، وهي مثوى اولئك الفقهاء والقضاة والرؤساء ، وقد خربت اليوم ولا يزال مسجدها قائما ، وانما تسمى الجمعة لاقامة صلاة الجمعة فيها ، ولم تزل القرية عامرة بالاسرة مزدهرة برجالاتها مقصودة في وقت صلاح أهلها كما تقصد في الابان الذي كان فيه القضاء والرئاسة في يد قاضيها ورئيسها ، ولم تنفك كذلك حتى صاح فيهـا الدهر ونعب على اطلالها البوم ، ولا شك ان ذلك يقع يوم القضاء على « ايليغ » كما سيـأتي .

---

149) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الوفيات للرسموكي » وللتعريف بهذه الوفيات وهذا الرسموكي لم نجد امامنا الا ما قاله عنه المؤلف في الجزء الخامس من المعسول صفحة 28 ولكن المؤلف نفسه رغما عن ثنائه الحافل على الكتاب وعلى طول باع مؤلفه وعلى كون داود الكرامي في « بشارة الزائرين » والامام الحضيكي في طبقاته ينقلان عنه لم يستطع ان يعرف اسمه ، وحسبنا بعد ذلك ان نرشد القارىء الى ما ذكره المؤلف في المعسول ، وفوق طاقتك لا تلام

150) علق المؤلف على ما هنا بقوله « الحضيكي »

151) قال المؤلف رحمه الله « سيدي البشير الناصري » ، راجع الحاشية 148

وحين عرفنا مجد الاسرة ومكانتها وانافتها عرفنا من اين احد الشقيس الذين تكون منهما الامير بودميعة ، فلا ريب انه معم مخول ، ولا ينزع الانسان كاخواله (I52) .

### كيف ابتداء امره ؟

رايت كيف كانت المناوشات بين رجالات الاسرة ، فقد انقسموا ما بينهم ، فدارت منازعات ، ولا تزال الأسمار الى الآن تتحدث ببعضها ويروى المتحدثون ان ما بين ءال تاكارازت ، وهم ءال سيدى الحسن بن علي ، وبين احفاد بودميعة ، سكان ايليغ كان متاصلا من قديم ، وان العداوة بينهم نشأت مع انبثاق فجر امارتهم ، ومن هنا يرى المتأمل ان ما ذكره المؤرخ المذكور اثر وفاة الامير سيدى الحسن بن علي صحيح ، وان النزاع كان بين فريق وفريق ، فقد كان ءال سيدى ءمحمد ابن الشيخ في جانب ، وكان ءال سيدى علي ابن الشيخ في جانب ءاخر ، كل يتطاول الى الاستحواذ على الرئاسة ، وقدشمت (I53) امرهم بعد ان كان مجتمعا ، فقد راينا الامير ابراهيم ابن ءمحمد اوصى بالامارة لابن عمه الحسن بن علي ، وكأن ءال سيدى الحسن بن علي ابوا الا أن يرثوا ذلك بعد موت صاحبهم الحسن المذكور ، ويلح الآخرون ءال سيدى ءمحمد ان يرجع اليهم الامر كما كان فانهم اصحابه منذ اول يوم ، فهكذا يكون الخلاف بينهم فيما نرى ، فتدور بينهم المنازعة الى ان خلص الامر للاسرة الاولى

---

I52) المعم الذى اشبه اعمامه والمخول الذى اشبه اخواله ، ونزع الولد اباه ، ونزع الى ابيه اشبهه ، قال شوقي رحمه الله في قصيدته توت عنخ امون يخاطب الشمس ويمدح ملوك قدماء المصريين بانهم اشبهوا اباهم امون :

أ أم المالكين بنى امــون ليهنك انهم نزعوا امونا

اى انهم اشبهوه في علو الهمة والطموح الى المعالي .

I53) يقال شمت الامر يشمت بالكسر شتا كضرب بضرب ضربا وشتاتا وشتيتا ، وتشتت وانشت واستشت : تفرق .

ءال سيدى محمد بقيام الأمير بودميعة ، وانمـا يسمى بودميعة ،أى صاحب الدميعة، لأن دميعة لا تفارق احدى عينيه، وهى تصغير دمعة، وتكون هذه الدمعة من مرض ألم بعينه ، وبعض المتعصبين له يؤولون ذلك على أن عينه لا تـزال تدمع من خشية الله ، فنقول له ولماذا لا تدمع العين الاخرى اذن ؟ وقد نص فى التاريخ على ان احدى عينيه هى التى تدمع ، فيكون ذلك من شىء ألم بها .

وفى بعض كتب الأدب ، فى حديث بين اديبين أوائل القرن الثـانى عشر عند ذكر شعر الاديب محمد امحاولو الائيسى (154) ما ياتى :

« فقلت له هل تحفظ شيئا من ذلك ؟ قال لا ، الا اننى استحضر شيئا مما قاله فى سيدى على بودميعة حين بايعه الناس ، وكان والدى يروى ذلـك عن سيدى محمد بن الحسن لأن والدى لم يدركه ، أى لم يدرك أمحاولو ، فقد مات وأبى صغير ، قال من قصيدة مطلعها :

| | |
|---|---|
| النـصر طوع يديـك والتمكين | فانهض فانك طالـع ميمـون |
| فالسعد يخدم والجحافل والقنا | والسابغـات وصارم مسنـون |
| اطللت من افق الامارة بعد مـا | ساءت من ابنـاء الملوك ظنـون |
| شغلوا بلهوهم المديد فضيعوا | مـا انه ، عهد الجدود ، مصون |
| وتشاغبوا ما بينهم حتى تهـد | مت المدائـن كلهـا وحصـون |

الى ان قال فى ءاخر القصيدة

| | |
|---|---|
| انهض بهمتك التى يدرى نهـا | ذاك المقام الفارع(155)المحصون |

154) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا لقب له ، وسترى اسمه مترددا امامك ، وهو من قبيلة ايسى » وقد تعرض المؤلف فى الجزء 18 من المعسول ابتداء من صفحة 307 لبعض اخباره باوسع مما هنا وقال انه قد يكون توفى اوائل سنة 1112 او 1113 هـ

155) الفارع بالعين المهملة : المراد به العالى المرتفع

هكذا البيت على ما أظن

| | |
|---|---|
| فالناس كلهـم وراءك ينهضـو | ن ليجدع المستأسد المـأفـون |
| فلعل زيدان المهزم تنقـضـى | . . . . . (156) |
| فعلى الظبا يقضى الغرير وكل من | هو بالجبايا واللهـى مفتـون |

الى ان قـال :

| | |
|---|---|
| فالمغرب الاقصى جميعـا نـاظر | يوما تجول عليه منك يميـن |
| فيرى العدالة كيف كانت والهدى | والعز بالاسلام كيف يكـون |
| والعلم كيف يكون نشر ضيائه | فى الناس حتى يعلم المسكـين |
| فاذن يكون المغرب الاقصى على | ما الهند تغبطه به والصين(157) |

قال وقد بقيت ءاخر القصيدة أبيات اخرى انسيتها ، وهي تنيف على ثمانين بيتا ، وقد ذكر لى والدى رحمه الله انه سمع ممن حضر انشادها ممـن ادركهم من العلماء ان ذلك كان عند قبر الشيخ سيد احمد بن موسى رضى الله عنه ، وقـد حضر كل العلماء الكبار والصالحون والأشياخ ونفاليس (158)

---

156) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « بياض فى الاصل ، وليلتفت القارىء الى ان زيدان وصف هنا بالمهزم سنة 1021 هـ ولا ريب انه هزم قبل ذلك فى معارك ، ثم هزم ايضا كثيرا بعد 1021 هـ فانه لم تنصر له راية ، ولعل هذا الشاعر اول من وصفه بذلك » والذى نريد ان ننبه اليه القارىء هنا هو انه هزم فى 27 معركة . فاذا كان هذا الشاعر قد وصفه بالمهزم فانه لم يصفه الا بوصف اكتسبه بالعادة والتكرار .

157) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا الشطر مما وقع فيه الحافر على الحافـر ، فقد استعمله بعضهم من سنين من غير ان يطلع على ما هنا »

158 نفاليس : هذه الصيغة فى هذا الجمع عربية وان كانت الكلمة نفسها غير عربية فهى فى هذا الاستعمال كعصفور وعصافير مثلا ، ولكن مفردها فى اللغة الشلحية السوسية ليس نفلوس كعصفور بل أنفلوس ، واحسن كلمة نعربه بها هى النقيب والعريف قال الله تعالى : « ولقـد أخذ الله ميثاق بنى اسراءيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا » وجمعه فى لغته انفلاس بكسر الهمـز واسكان النون والفاء ثم لام ألف ثم سين ساكنة ايضا ، وهم الذين يتولون النظر فى ضبط امور القبائل حتى ربما يكون منهم من يستبد على الآخرين فيكون له الامر دونهم

القبائل ، وكان والدى يضحك ويقول أخبرنى بعض من حضر أن بعض الشلحيين النظامين من أهل اللعب فى الأعراس قام أيضا يغنى بمدح سيدى على، فاراد بعض الفقهاء ان يسكته ، فقال له سيدى على دعه ، فبقى حتى أتم ما قال : فيقول والدى اثر ذلك لا أدرى ما الفرق بين الرجلين الا اذا عظمنا العربية فقط (159)

ذلك ما رشح به التاريخ لا عن قصد . فالقى بعض ضوء على الكيفية التي صاحبت دولة بودميعة أول بزوغها ، فهؤلاء الذين حضروا كلهم يمكن ان يفسر حضورهم باحد امرين : اما بكون بودميعة غلب الفريق الآخر وشتت شمل أنصاره فالتف عليه أنصاره وشيعة بنى أبيه ءال سيدى محمد ابن الشيخ ، فاستدعوا الناس الجفلى فحضروا كلهم ، واستقدموا من كانوا يقفون من بعيد ينتظرون كيف تنفصل المشاغبة بين المتنازعين ، كالعلماء وامثالهم ممن لا يالفون أن يقتحموا الزحام ، فيكون ذلك الجمع الحافل عند قبر الشيخ تيمنا به وبتربته ، على ما يعتاده الناس في امثال هذه المواقف التي تستمد فكرتها من الدين ، واما بكون الناس سعوا بالصلح بين الفريقين فاختاروا من عند انفسهم عليا بودميعة ، فأقاموه عن رضى منهم لا عن تغلب ، وكيفما كان الامر فقد وقعنا على قبس ، وان كان ضئيلا ، في ذلك الحديث بين الاديبين ، ولولاه لبقينا فى ظلمات بعضها فوق بعض .

---

159) علق المؤلف على هذا المحل بقوله « نفحات الشباب للروداني – مخطوط » ونفحات الشباب كتبه اديب روداني لا يعرف – مع الاسف – اسمه لأن الموجود من الكتاب مبتور ، وقد قال في اوله ان ثلاثة ادباء علماء من الجبال السوسية جاءوا الى تارودانت لحضور سرد صحيح البخاري في رمضان في مجلس المولى محمد – فتحا – العالم بن السلطان المولى اسماعيل وكان خليفة لوالده هناك وكانوا يبحثون عن دار للسكنى واتفق ان كان في منزله متسع لهم فهياه لهم واسكنهم فكانوا ياوون اليه بعد الخروج من مجلس الخليفة فكانت تروج بينهم بحوث علمية ادبية وكان هذا الروداني يسجلها ، واذا كنا الآن لم نظفر بالكتاب كله فان المؤلف رحمه الله قد ادرج الموجود منه بنصه في الجزء 18 من المعسول ابتداء من صفحة 286 فرحم الله الاستاذ المختار ورحم الله ذلك الأديب الروداني الذى نرجو أن نجد اسمه على نسخة تامة من كتابه ان شاء الله ، وهو مما يجب ان يقرأ .

واما تلك القصيدة فانها تشبه في وعودها وتمنياتها ما نسميه اليوم بخطبة العرش عند افتتاح دورة برلمانية ، أو عند تسلق امير من جديد عرشه ، على ان قوله :

فيرى العدالة كيف كانت والهدى والعـز بالاسـلام كيـف يكـون
والعلم كيف يكـون نشر ضيائـه في النـاس حتى يعلـم المسكـين

ممـا يلفت النظـر ، فقد يقـال ان هذه الفكـرة ممـا يتخـذه البـاحث كدليل على رقي البيئة اذذاك حتى تتطلب المثل العليا وتجعلها في بنود اقتراحاتهـا وتمنياتها ، وتدعم بها دعاياتها وخصوصا ما في البيت الثاني من الاهتبـال بالعلم ، وانظر قوله (حتى يعلم المسكين) تجده مثلا أعلى في تعميم المـدارس وتيسير الثقافة لكل أحد ، قد يقال كل هذا ، وقد يقال ان ذلك انما هو مـن الشاعر فقط ، وربما يقول الشعراء ما يتخيلونه وحدهم أو يقلدون فيه «اخرين» وكلا الاحتمالين ممكن ، ومن يعرف كيف الحالـة العلميـة بسوس اذذاك لا يستبعد الفكرة الأولى .

على انني لو لم انقل بيدي البيت الثاني من البيتين لقلت انه مصحف عن مثل هذا :

والأمن كيـف يكون مـد رواقه • في النـاس حتى يـامن المسكين

وقد عظم استغرابي لأول وهلة لمثل هذا المعنى الذي هو الى العبارة العصرية الحاضرة اقرب منه الى العبارات التي نعهدها اذذاك ، ولكن بعد ان ثبت ذلك ثبوتا لا شك فيه لم يبق الا ان ننزل عنده ، فان التاريخ لا يتكون الا من الواقع ، وبذلك تنسج قضاياه ، وكل من يحاكم امثال هذه الامور الى الاذواق فقط في الوقت الذي يكون فيه الامر واقعيا واراد ان يعتمد على ذوقه في دفع الواقع فانه لا يعد مؤرخا بل مفسدا للتاريخ ، وانما يعتمـد بعـض الاعتماد على الاذواق في التاريخ ويتحاكم اليها اذا لم يكن نص او شبه نص يثير ظنا قويا ، فنحن هنا نسلم ولابد هذه الدعاية العلمية ، ويجب علينا أن نفهم ذلك كما يفهمه أهل ذلك العصر في ذلك القطر ، فان للقبائل السوسية مسابقة

من قديم الى تأسيس مدارس العلم ، فلا تكاد تجد قبيلة ولو ضعيفة الا فيها مدرسة علمية (160) ، والذى يقصد اذذاك بالعلم هو العلم الدينى من عربية وفقه وما اليهما من علوم الحديث والقرءان ، فاى استغراب اذن فى ان يقوم عالم متحمس لعلمه يود لو انتشر علمه عند كل الناس فى المغرب ، فيملى منيته أمام أمير جديد يستنهضه الى الاعتناء بالعلم واهله .

فهؤلاء السعديون نعرف منهم فى سوس وفى غيره اعتناء عظيما بالعلم واهله ، فقد وقفنا لهم على ءاثار كثيرة فى سوس تدل على هذا (161) ، بل هذا مولاى رشيد لم يكد يستولى على المغرب حتى اعتنى بالعلم واهله غاية

---

160) علق المؤلف رحمه الله على ما هنا بقوله : « ينبغى مراجعة الباب الرابع من كتاب سوس العالمة للمؤلف » ولما رجعنا الى ذلك وجدناه يقول : . . . . « وكثيرا ما تكون فى كل قبيلة مدرسة او مدارس متعددة ان كانت القبيلة كثيرة الافخاذ ، فتبنى كل فخذ مدرستها على حدة ، وهذه المدارس تسمى مدارس علمية ليكون الفرق بينها وبين كتاتيب القرءان التى لا تخلو منها اى قرية وان صغرت ، والمعتاد ان تقوم القرية بالمسجد الذى يكون فيه الكتاب القرءانى ، فقد يكون الامام للصلوات هو المعلم للقرءان دائما ، واجرته على سكان القرية يعطونه قدرا معلوما من الحبوب ومن الصوف ومن الزبد ، لكل دار تمخض تلك السنة ، لان المشارطة مع الامام تكون على السنة ، ويزيدون فوق ذلك ان يحرثوا له فى ارضهم — او ارض المسجد ان كانت له ارض كما فى كثير من الاماكن — ويحصدوا له . واما المؤونة فانها نهارية على كل دار غداء وعشاء وهجوريا — اى ما يؤكل بين الغداء والعشاء ويعرف فى الشلحية باسم اكاز بتشديد الكاف المعقودة — فى الغالب ، فهذا هو قانون مساجد القرى التى تضم كتاتيب القرءان ، واما المدارس التى تقرأ فيها القراءات السبع او فنون العلوم فان لها نظاما ءاخر ، اذ تشارط القبيلة الاستاذ الفقيه مسانهة على اجرة معلومة من محصولهم : حبوبا واداما زيتا او سمنا او هما معا ، ومؤونة الطلبة تكون من هرى المدرسة الذى يجمع فيه ثلث الاعشار من اصحاب المدرسة ، يقف المكلفون بذلك على المحاصيل فى البيادر حتى يوخذ حظ المدرسة — والمكلفون هم انفلاس المذكورون فى الحاشية رقم 158 أو من ينيبونه عنهم اذ هذه احدى وظائفهم — او يقيد بانه فى ذمة صاحبه ، ثم اذا تم الدراس يقع النداء العام الذى كثيرا ما يكون من اعلى سطح المسجد بجمع ذلك فى يوم خاص يتواعدون فيه وسط سوق القبيلة ، فترى البهائم قوافل الى المدرسة من كل طريق ، ومن ذلك تكون مؤونة الطلبة المرابطين فى المدرسة ومؤونة استاذهم ، ومفتاح الهرى قد يكون فى يد الاستاذ ، وقد يكون فى يد امين معين ، والغالب ان تتخذ خادم تطبخ للطلبة والاستاذ ما ياكلون فى نفس المدرسة غداء وعشاء » الى ان قال : « اما ادارة المدرسة والتكلم فى شؤون الطلبة فانها فى يد الاستاذ الذى يحترم احتراما كبيرا ، وهو مفتى القبيلة وقاضيها الطبيعى » وقد اقحمنا فى كلامه ما بين العارضات للتوضيح .

161) حديث هؤلاء الاشراف السعديين لبس بسر ، فقد جاء فى اخبار محمد الشيخ الاول انه كان من العلم بحيث يحاور العلماء والقضاة والمفتين بما يجعل للصواب فى جانبه ، وان عبد الله الغالب ممن ياخذ الناس عنهم الحديث ، وان المنصور من تلاميذ المنجور وموسى بن مخلوف التودماوى وان مجالسه من مجالات فحول العلماء ، اما المولى الرشيد فمن اعتنائه بالعلم بناؤه لمدرسة الشراطين مكان دار الباشا عزوز بفاس ولمدرسة ابن صالح بمراكش وانه كان يحضر بنفسه مجالس العلماء بالقرويين ومن جملتهم الامام الحسن اليوسى ، وهذا الموضوع مما يضيق عنه هذا التعليق

الاعتناء ، فهل ينتظر ممن يحومون حول بودميعة الا ان يشيدوا بمثل ذلك اشادة منصدرة عن الغيرة الدينية ؟ ولا ريب ان ذلك الاستغراب الذى حصل لى لأول وهلة من ذلك البيت ، كما يحصل لغيرى متى سمعه بادىء بدء ، يزول الآن بهذا الذى قلناه .

هذا وهناك فى ألسنة الناس كلام ءاخر حول انبثاق فجر بودميعة ، وذلك ان شجرة لا تزال معروفة فى قرية السوق من قبيلة تانكرت بافران تنعت الى الآن بان البيعة كانت تحتها لبودميعة من تسعمائة فارس من الافرانيين والأدائيين والتيفجيجتيين ، ويمكن لنا ان نحمل هذه البيعة على انها كانت الأولى من أهل هذه الجهة ، ثم لما استتب الأمر لبودميعة اجتمع ذلك الجمع الحافل ثانيا عند ضريح الشيخ سيدى احمد بن موسى ، ويؤتى لنا ان لأخوان بودميعة اهل سيدى بلقاسم بن على التانكرتى يدا طولى فى الأخذ بضبع ابن اختهم وتأييده حتى يتمكن ، وربما كونوا له شيعة خاصة من أهل تلك الجهة تكون نواتها من تلك الخيل التى يذكرون انها أول من قدم اليه البيعة .

ويجول فى خاطرى فكر ءاخر ، فيتراءى لى ان تلك البيعة التى تكون من هناك من أول يوم انما هى بيعة سيدى ابراهيم أول أمير من الاسرة ، فتصح الأولية على حقيقتها ولا يهمنا هنا ما يقوله الناس من ان البيعة لبودميعة ، لأن الناس كانوا يجهلون ، حتى خاصتهم ، ان ابراهيم والحسن كانا أميرين قبل بودميعة ، حتى ذلك السيد الذى حدثنى بكثير من أخبار تلك الجهة ، ويظن به اطلاع كثير لم يكن يدرك فى هذا كل ما ادركناه منه . ولكن هذا الفكر لا يتجاوز دائرة الاحتمال فقط ، فان وجد ما يدعمه ، او وجد ما يقوله الناس ما يدعمه ، فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب ، والا فان الاحتمال أوسع دائرة ، ومن لا يعجبه هذا الاحتمال ورأى منه انه يدفع ما يقوله الناس بتوهم فقط ، فله رأيه ، ولرأيه طفاوة (162) من الحق ، الا ان الاحتمال لا يزيد فى التاريخ شيئا بل كثيرا ما اضربه .

---

162) الطفاوة بالفتح ما يطفو فوق الماء كزبد القدر ونحوه ، يقال : اصبنا طفاوة من الربيع اى شيئا منه ، اى لرأيه نوع من الحق

كذلك انبعثت البيعة لبودميعة المولود لنحو 1001 هـ (163) فهو شاب جلد قوى العضلات ، وله اذذاك 21 سنة فقط ، فلئن صح انه منتخب للامارة لا متغلب فان من انتخبوه ليعرفون ما يصنعون ، فلا يليق للعظائم الا الشباب ، ومن قدمهم اليها فقد اعطى القوس باريها ، واما ان ثبت انه متغلب وانه انما انتزع الصولجان من منازعيه بقوته فأجدر بالشباب الذى يتغلب فى هذه السن ان يستحوذ على المعالى ويسير الى الامام بخطا متزنة فـ (كل صعب على الشباب يهون) .

## الأمير الجديد يستميل اليه بالسياسة

ان من ذكروا فى المجمع المتقدم ءانفا يوم البيعة العامة للامير بودميعة لا يتجاوزون رؤساء قبائل جزولة الذين يمثلون قبائل الجنوب الغربى السوسى ، ولذلك ينتظر أن يستدعى أهل القبائل الاخرى للانخراط فى هذه البيعة ،فيكاتب أماثل الناس يستمالون الى أن يولوا وجوههم شطر هذه الدعوة الجديدة ، وهو طبيعى فى مثل ذلك الموقف ، ولا ريب ان أمر الأمير الجديد انما يتوطد بالأناة وحسن العقيدة فى ءال الشيخ ، وبحسن المفاهمة التامة لعدم عصبية مكينة يستند اليها .

وقفنا على رسالة كتبها الأمير الجديد فى هذا الدور الى سيدى يحيا بن عبد الله بن سعيد الحاحى بطل وقعة كيليز (164) التى سقط فيها أبو محلى قريبا سنة 1022 هـ والمقصود منها ما ياتى :

. . . . « اما بعد فنشكر الله اليك على ما انعم علينا من جمع كلمة هذه القبائل كلها ، على توافر علمائها الذين هم الجماعة التى هى اهل الحل

---

163) علق المؤلف رحمه الله هنا بقوله : « يظهر ذلك من البشارة للكرامى »

164) من المعلوم ان زيدان بن المنصور الذهبى استصرخ ابا زكريا يحيا بن عبد الله بن سعيد بن عبد النعيم الحاحى الاصل الروداني الاستيطان الفيلالى المدفن — تافيلالت جبل درن — على ابى محلى فكان اللقاء فى كليز فهلك ابو محلى فى اول المعركة وتشتت جموعه ، راجع الحاشيتين — 75 و — 78 —

والعقد المتمشية الأمة تحت ظلها ، فقد كان ولا شك وصلك ما جرى بين أهل البيت من ابناء الشيخ سيدى احمد بن موسى رضى الله عنه من شقاق وحروب ، كادت تكون منها لجهتنا هذه ندوب ، حين توالت منها خطوب ، ولكن الله سلم ، وان كان من ذلك بعض الم ، تم لنا الأمر ، ولله الحمد والشكر ، وقد كنا عرفنا انك تتردد كيف يصلح أمر الاسلام ، بعد ما كان منه بما وقع بين ابناء السلطان أبى العباس من الانهدام ، وقد كنت تتظاهر بمشايعة زيدان ، ولكننا نخبر انه لا يجازيك عن ذلك بالاحسان ، فرأينا ان نعرض عليك أمرنا هذا الذى رأيته تم ، لعلك تهتدى فتدخل فيه مع من معك ثم ، فتكون لك السابقة ، وما مثلك من يكون فى اللاحقة ، ولو رأيت العلماء والرؤساء حول ضريح جدنا رضى الله عنه يدعون بانابة وخشوع لأيقنت ان هذا الأمر قائم ان شاء الله قيام هيكل عظيم لا ترى فيه من صدوع ، ولك ان أجبت وما تلكأت ولا تمجمجت ، ولا توقفت على مراسلة اخرى ولا احتججت ، ان تكون لك منا يد لا تنسى ءاخر الدهر ، واحترام زائد كما تقتضيه مكانتك تسحب بها فى الدنيا اردية الفخر ، وبين يدى الله غدا أعظم الاجر ، وما مثلك من ينبه ويبرهن له ، ويقف نفسه موقف المعذلة ، وهؤلاء العلماء وجهناهم اليك ، لعلك تمد اليهم يديك ، ونحن في انتظار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار (165) .

فاجاب سيدى يحيا الوفد بهذه الأبيات :

ايرجو علي ان أكـون لـه عبـــدا
الـم يدر انى ربمـا فقتـه مجـــدا
واستغفر الرحمـان فيمـا اقـولـه
وان كان تنبيـه المجهلـة القصـدا
يريد ابن موسى خطـة الملك بالدعـا
ولما يسم من سيفه فى الطلا الحـدا

165) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « الرسالة بتمامها فى كتاب المترعات » ويعنى به رحمه الله كتابه « مترعات الكؤوس فى ادباء سوس » وهو كتاب مهم جمع فيه كثيرا من ءاثار السوسيين النفيسة ، وتركه رحمه الله مخطوطا مع حرص كبير كان فيه على التعجيل بطبعه .

ولما يجل بين الصفـوف مقـانيـــا
اذا حملت في زحفها تصدم الســدا
فهذى ميادين السيـادة فليقـــــم
اليها اذا ما شاء من امـــره الجــدا
فان فاز فيها كنت أول تـابـــــع
والا فأبعد ان أرى الرجل الفردا(166)

هكذا كان الجواب يتضمن مطاولة فى المجد ، وسخرية مـن ارادة الملك وتدعيمه باستمطار نفحات من الأضرحة ، وقد كنا نعرف فى مكان ءاخر تجهم سيدى يحيا دائما لهؤلاء المتفقرة الذين يسرون الحسو فى الارتغاء (167)، يريدون الدنيا ويبهرجون للناس تغريرا بهم بالزهد فيها (168) ، ثـم أعلـن بصراحة فى ءاخر تلك القطعة انه لا يجيب الا اخيرا ، يوم يجيب كل الناس فلا محيص له عن ان يكون احدهم مضطرا ، فهو جواب بليغ الأسلوب ، يفضـح نوايا كل من يدعى انه يغار على الدين وعلى الأمة فيبرز الى الميدان بتلك الحجة ، مع ان أساس مقصوده هو الملك والتطاول على الناس .

## المصادمة بين يحيا وبودميعة

صار يحيا يوالى القوارص بعد ذلك الى بودميعة من روائع شعـره ، فيملأها بحماسته احيانا ، واحيانا بالوعظ ، ومما حفظه التاريخ من ذلك قوله فى مطلع قصيدة يخاطب أهل ايليغ :

اذا شئتم ان ترتقوا للغوارب * فميلوا الى سمر القنا والقواضب

---

166) قال المؤلف هنا : « المصدر نفسه » يعنى « المترعات »

167) اسر الشىء ، جعله سرا ، والحسو الشرب ، والارتغاء ازالة الرغوة عن اللبن ، أى تظاهر بانه انما يزيل الرغوة عن اللبن ولكنه فى الواقع يحسوه ، يضرب لمن تظاهر بالقناعة بالتافـه المرغوب عنه ليتوصل للمهم المرغوب فيه .

168) قال المؤلف معلقا هنا : « فى كتاب المترعات » ، اقول ليحيا فى هذا المعنى «

فكان ذلك يبلغ من بودميعة مبلغا هائلا ، ويستفز من انفته ما يستفز ، حتى تسنت له قوة ما ، فوافقت مجيء هذه البائية ، فاراد أن يلقي عليه درسين، يجيبه اولا بشعر مثل شعره، ثم يجيبه بألسنة (القنا والقواضب) فأمر كاتبه احمد بن محمد أمحاولو الايسي ، فقال ، وقد رمى يحيا بمثل ما يرمى به ءال ايليغ ، ويزنه (169) بأنه انما يعرف الاشعار لا معانقة السيف البتار :

تشب تنانير الوغى بالمكاتب
وتهرب من ايقادها بالكتائب
ففي كل يوم منك شعر كانما
على الشعر تأسيس الأمور المصاعب
فلم نر الا أن نجيبك بالوغى
وبالجند جند الله أعظم غالب
فبارزهم ان كنت شهما كما نرى
كثيرا اذا راسلتنا بالمكاتب
« محا السيف اسطار البلاغة وانتحى
اليك أسود الغاب من كل جانب » (170)

ثم أرسل وراء الجواب جيشا الى تلك الجهة .

ذلك ما جاء في كتاب أدبي (171) عرضاً أثناء ادبيات ، فهذه المصادمة الكلامية كانت قبل أن يثور يحيا على تارودانت فينزعها من بودميعة ، وربما

---

169) زنه يزنه زنا ، كنصر ينصر نصرا ، بالشيء : اتهمه به

170) علق المؤلف على هذا بقوله : « البيت كتبه ابو مسلم الخراساني الى مروان الجعدي بعد ما كتب اليه رسالة كبيرة بانشاء عبد الحميد يستميله بها ، فمزقها وكتب البيت على طرف صغير منها » وذلك مبسوط في اخبار سقوط الدولة الاموية وقيام العباسية

171) علق المؤلف رحمه الله على ما هنا بقوله : « النفحات » ويعني كتاب ذلك الروداني الذى قال فيه : وسميتها « نزهة الالباب ، في ذكريات الاحباب » وقد اقترح بعضهم ان تسمى « نفحات الشباب » ولك ان تختار ما تشاء من الاسمين — راجع الحاشية 159 —

كانت هي السبب الخاص حتى برز بدوره الى الميدان ، ونزا على زيدان ، بعد ما كان ءاخذا بحجزته (172) ، قائما بنصرته ، يوم زحف اليه أبو محلي ، الا اننا لم نعلم بين يحيا وزيدان الا محاربة كلامية تدوولت بينهما مراسلة ، واما ما بينه وبين أمير ايليغ فقد صرح الشر بينهما ، وكانت معارك شتى ، وفي التاريخ ما يلي :

« لما ثار الفقيه أبو زكرياء سار الى تارودانت فتغلب عليها وملكها من يد أبي حسون — بودميعة — بعد ان وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كبيرة » (173) .

كذلك اصطدم ابناء الشيخين سيدي سعيد بن عبد النعيم وسيدي احمد بن موسى ، وتطاردوا في ميادين الملك ، فكان لم يكن بين جديهم ما بينهما من المواصلة الربانية ، والاخوة الصافية ، وهذه عقبى الاطماع والارتماء على الدنيا ، فانها تدنس الاعراض ، وتقطع الارحام ، وتباعد ما بين الاوداء .

من ذلك النص نعلم تعدد المعامع بين الرجلين ، ثم انتهت بنزع يحيا قاعدة سوس تارودانت من بودميعة بعد ما انخرطت اولا في ايالته ، ومن تصفو له تارودانت تصفو له كل قبائل راس الوادي من أولوص (174) الى أكادير ، الا ان اكادير نفسه لا يزال فيه ولاة زيدان الى ان انتزعه منهم بودميعة كما ياتي :

---

172) الحجزة كالعقدة معقد الازار ، وموضع التكة من السراويل ، يقال فلان طيب الحجزة أي عفيف ، وشديد الحجزة أي صبور ، وهذا كلام ءاخذ بعضه بحجزة بعض اي متناظم متناسق ، وكذلك كان يحيا مع زيدان من قبل متناسقين منتظمين

173) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ص 123 . ج 3 ، الاستقصاء »

174) راجع الحاشية 28

وقد تكون هذه الثورة من يحيا حوالى 1023 هـ في الوقت الذى يرتمع فيه الراس الى الامارة العامة ، وان يكن ابتداء امره انما هو لاجل مدافعة بودميعة باسم زيدان ، ثم لم يصرح امره الا بعد ، وايا كان فقد استطاع يحيا ان يقتطع من ايالة بودميعة منطقة تأتمر بأمره ، وقد ذكر اسم قبيلتى ادا وكنسوس واولاد جرار (175) بين القبائل التى تأتمر بأمره سنة 1022 هـ ، ولكن القبيلتين خرجتا من يده بلا ريب يوم تنضم تارودانت الى بودميعة ، ضرورة ان مواطن القبيلتين تقع فيما بين ايليغ وتارودانت ، ولا يتصور ان تستولى ايليغ على تارودانت ما لم تتمكن من أزاغار الذى هو موطن اولاد جرار ، ومن الجهة التى فيها قبيلة ادا وكنسوس ، ويكاد موطنها يطل على السفح الشمالى للاطلس الصغير ، وهو السفح المشرف على رأس الوادى (176) ولا نشك الآن كثيرا فى كون هاتين القبيلتين رجعتا بعد الى ايالة يحيا اثر ثورته ، لأن موقعهما لا يساعد على ذلك ، فأما اولاد جرار فان كان المقصود هذه القبيلة الموجودة الآن فى ضواحى تيزنيت ، وهي بين سحر ايليغ ونحره (177) ، فيبعد كل البعد ان تؤول اليه لأن كل ما فى ايدينا يدل على ان ايالة بودميعة كانت من أول وهلة ممتدة الى هشتوكة وماسة ، ثم لم يتقلص ظلها قط عن تلك الجهة ، فلا يتأتى الا ان تظل دائما في ايالة ايليغ ، نعم هناك جراريون ءاخرون يذكرون فى جهة ايت باها الا انهم لم يحملوا فيما نعلم اسم هذه القبيلة عند الاطلاق ، على ان ءايت باها وقعت فى موقع يبعد ايضا ان تمتد اليه يد يحيا .

---

175) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ذكرت القبيلتان فى الرسالة التى ارسلها يحيا الى ابى محلى ، وهى فى الاستقصاء »

176 المراد بالوادى هنا وادى سوس الذى يشق القطر السوسى من اعلى اولوص ليصب فى البحر حوالى اكادير ، وبهذه المناسبة ننبه القارىء الكريم الى ان فى اللغة البربرية كلمات كهذه فيها زاى مفخمة ويكتبها السوسيون صادا معقودة اى عليها ثلاث نقط اما ابن خلدون فقد ذكر فى مقدمته ان النواحى البربرية التى شاهدها تكتبها بصاد وسطها زاى لتدل الصاد على تفخيم الزاى وذلك ككلمة اولوص هذه ـ بفتح الهمز وتسكين الواو الاولى ـ ومثلها تاماصط قرية عياد السوسى، وكاماريف وكتاصاليت بمعنى الصلاة ، وراس الوادى يطلق على اولوص فما حوله

177) النحر معروف والسحر بفتح السين واسكان الحاء وفتحهما وضم الاولى واسكان الثانية الرئة وبين السحر والنحر هو الصدر ، اى ان اولاد جرار متصلة بايليغ فيبعد ان تمتد اليها اطماع غيره

ولهذا نرى ان الحد بين ايالة يحيا وايالة بودميعة فى هذه الناحية امتد من شرقى هشتوكة فيمر بسفح الاطلس الصغير من الجنوب الى الشرق الى سكتانة ، فالاطلس الصغير كله لبودميعة ، كما ان الاطلس الكبير ليحيا فى الجهة التى توالى تلك الناحية ، وهذه المنطقة التى ليحيا وفيرة القبائل حتى استطاع ان يجمع منها جيشا عظيما يلبى به استغاثة سلا يوم استغاثت به (178) ، فقد قيل ان جيشه (179) وصل مائة ألف ، وذلك فى سنة 1025 هـ فقد وصل بالجيش الى ايمينتانوت ثم رجع بامر زيدان ، وبامتثال يحيا أمر زيدان سنة 1025 هـ نعلم انه لم يصرح بعد أمره الى مجابهته فى تلك السنة ، ومن قدر هذا الجيش ، وان كان يظهر فى تكثيره غلو ومبالغة ، نعلم ما استطاع به يحيا مدافعة بودميعة عن تارودانت وكل راس الوادى الى هوارة .

هذا ما اصطدمت واياه ايليغ يوم قامت للامارة ، ولم نعلم لها معاندا ءاخر فى كل سوس سوى يحيا هذا ، بل جرى على الالسنة ان كل السوسيين دخلوا فى بيعة امير ايليغ طواعية من اول يوم بلا حرب ، وذلك ما كان ينتظر من السوسيين نحو ابن شيخهم الجليل سيدى احمد بن موسى ، فلولا يحيا لتجاوزت بيعة بودميعة فى فجر يومها الاطلس الكبير الى حاحة فالحوز ، الا انه وقف وقوف المعاند فتوقف كل من اليه ومن وراءه من أهل الاطلس عن البيعة ، وفى جهة الصحراء من الجنوب ، وكذلك فى جهة الشرق الى تخوم درعة كان الناس يتتابعون فى الانخراط فى البيعة ، فقد صفا ما بين تخوم درعة الى ساحل البحر المحيط السوسى لبودميعة فى الوقت الذى كان فيه يحيا وجيشه العتيد يدافع حكم بودميعة عن جهات تارودانت .

---

178) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « الفوائد الجمة » وقد تقدم الكلام عنها مرارا

179) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « من مجموعة فيها وقائع سوسية توجد فى كتاب بالخزانة العامة بالرباط »

## درعة تنضوى تحت ايليغ

أول سنة أطلت فيها ألوية أهل الساحل ـ كما يسمى به السوسيون اذذاك فى درعة وما اليها ـ هى سنة 1029 هـ (180) ، فقد زحف جيشهم بقيادة سعيد بن عبد الله المراكشي ، فدارت رحا الحرب بينه وبين الزيدانيين الراسخين فى القصبة المخزنية القديمة ـ تونزولين ـ فدامت المعارك أكثر من ثلاث سنين هلك فيها كثير من الجانبين حتى عقد النصر لراية السوسيين فاستولوا على ذلك الوادى الطويل من اعلاه الى اسفله ، وقد صرح بعض أهل ذلك العصر ان درعة لم يحتلها بودميعة الا بعد موت يحيا ، الا ان الذى يظهر جمعاً بين النصين ان سعى بودميعة فى ذلك ابتدأ قبل موت يحيا بسنين ثم لم تزل الحرب سجالا بين الجيشين حتى صفا الامر للسوسيين بعد موت يحيا سنة 1035 هـ ، وهذا الجمع هو المتعين بلا ريب ، فان العقل يقضى ان لا يتم الامر الا شيئا فشيئا ، وحين كان الزيدانيون يدافعون عن ذلك الوادى الذى يعتبرونه موطنهم الاصلى كانوا ولا بد يدافعون بقوة ومصابرة تسترسل سنين ، وهذا الذى قضى به العقل هو الذى تأيد بعينه بما ترى في صفحة 190 من الجزء الثالث من السلسلة الاولى المطبوعة فى فرنسة من مجموعة دى كاسترى، نقلا عن كتاب « **اهل الأندلس الواردين على سلا وعلى العياشي** » (181) لما تكلم صاحب الكتاب على القرصان من أهل سلا وما كانوا يأتون به من العبيد من شواطىء اسبانية ، قال : « ان مولاى زيدان الف منهم جيشا جعله تحت قيادة الزاروى قائد سلا ـ واسمه عبد العزيز ـ وهذا الجيش مؤلف من 400 جندى (182) ارسله للحاق بمحلة (183) كانت تحارب فى درعة جيش سيدى

---

180) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « من تلك المجموعة فى المكتبة العليا بالرباط ، وبعهم منها فى محل «اخر ان ابتداء الحرب هناك كان سنة 1031 هـ ، بل صرح بذلك ، وتلك المجموعة كتبت بخط محرف كثيرا ، وانما يستانس ببعضها »

181) راجع الحاشية 77

182) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « وهريسون الانجليزى ذكر انهم الف ، كما علقه على ذلك صاحب المجموعة »

183) المحلة : المحل يحله القوم وينزلون فيه ، فهو محل لحلولهم ، كالحلة بفتح الحاء وكسرها ، وحيث ان الجيوش اذا عسكرت بالمحل فقد حلته اطلق المغاربة على الجيش محلة وذلك هو المراد هنا .

علي بن محمد — بودميعة — ، ولما طال العهد على الجيش ، وقلت المؤونة شق الجيش العصا فرجع الى سلا وحاول قائده المذكور ان يرده مرة اخرى فاخفق في محاولته ، لأن هؤلاء الأندلسيين مغترون بقوتهم ، فقرروا اعلان استقلالهم باطنا الا أنهم أخفوا مقصدهم ، فكتبوا الى المولى زيدان يعلنون لـه ولاءهم وتشبثهم بعرشه ، ويقترحون استبدال هذا القائد بقائد ءاخر ، فأمر زيدان باعتقال الزاروى سنة 1625 م ، — ثم قتل سنة 1626 م — ، فارسل اليهم قائدا ءاخر اسمه المملوك حاجب في ءاخر شهر مارس 1627 م »

أقول ان في هذا النص ما نفهم به سبب اندحار الزيدانيين من درعة سنة 1625 م — وتوافق عام 1034 هـ — من ان ذلك بسبب قلة المؤونة وعدم طاعة الجند ، فنكص على عقبه ، فاخلى درعة للجيش السوسي ، وذلك بعد مارس 1627 م (184) — الموافق عام 1036 هـ — ، وذلك هو الذي انفصلنا عليه قبل ، وقد علمنا الآن اسم القائد الزيداني المدافع عن درعة وهو عبد العزيز الزاروى ، كما عرفنا قبل القائد السوسي المهاجم لها وهو سعيد بن عبد الله المراكشي .

## تاسيس ايليغ

اشتهر الآن في الأحاديث ان منشأ ءال بودميعة من حصن تاكوجكالت ، وهو موضع حصين فوق جبل عال مشرف على بسيط تازروالت شرقيا ، توفر فيه الماء والحواجز الطبيعية للدفاع ، قالوا انهم لم يزالوا هناك حتى اسس بودميعة مدينة ايليغ ، وهذا القول تؤيده الرسوم القديمة ، فان الاراضي التي تسقى بعين تتفجر عند حصن تاكوجكالت قد صارت الآن كلها الى أيدي المجاطيين ، ولكن صارت اليهم بالشراء من افراد هذه الاسرة ، وكل من لم يشتر منهم لا يعد ملكه صحيحا ، وهذا أمر ذاع وشاع ولا ينكره أحد ، هذا مع ان مساكن ءال الشيخ هي قرية الزاوية ازاء مشهده ، ولا يمكن عادة ان ينتقلوا منها الى مثل مكان ذلك الحصن الا لضرورة ماسة .

---

184) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ان كان اعتقال الزاروى من درعة وتعيين خلفه هناك ، والا فيكون اخلاء درعة قبل هذا التاريخ »

قالوا ان سبب تأسيس المدينة « ايليغ » ان الأمير كان يصطاد يوما فى تلك الناحية فاعجبه المكان فاستخار الله فشرع فى تأسيس دار فيه ، ثم بدا له فتوسع فى المشروع وجعل المكان عاصمة امارته ، لأن ذلك الحصن الموجود فى قنة الجبل لا يمكن ان يصار اليه من تازروالت بسهولة ، ولا يتأتى ذلك الا من جهة مجاط فقط ، واما من غير هذه الجهة فالتسلق اليه من الجبال الشديدة الوعورة صعب ، ثم ان ما كان يحفز اسلافه الى الانجحار فى ذلك الحصن — ان صح انهم احتاجوا فى وقت ما الى الانجحار فيه فرارا من عدو — قد زال الآن بعد ما تمهدت الامارة وتوطد الامر ، وكانت كلمتهم على أهل جوارهم من الناس هى العليا ، ولا ينبغى للامارة ان تتحصن الا وراء حرابها ، والحاجة الآن فى وقت الامارة ماسة الى ما تتوفر فيه العمارة وتظهر فيه ابهة الرئاسة اكثر مما تمس الى حصن فى قمة جبل ، ثم ان هذا الحصن مع كل هذا قريب من العاصمة الجديدة ولا يبعد عنها الا باميال غير كثيرة ، ومتى احتيج اليه فانه على طرف الثمام (185)

اجتهد الامير فى ادارة السور على العاصمة المؤسسة ، وفتح فيها أبواباً مختلفة ، وانتدب الناس الى سكناها ، وقد فصل فيها اسواقا مختلفة بدكاكين مصفوفة ، وجعل لها أربعة أبواب : باب العين وباب ءازاغار ، وباب تالعينت وباب الملاحين ، هكذا وجدناه مقيدا (186) ، بيد بعض من يظن بهم عدم الاعتساف ، وقد ذاع ان الامير فرض السكان على القبائل ليرتحلوا من قراهم الى المدينة الجديدة لتعمر بهم ، ولا يزال معروفا الى الآن فى شرقى المدينة وفى غربها محل ينزل فيه الافرانيون والاعراب الصحراويون ، فكثر فيها الناس ومال اليها التجار وغيرهم من ارباب الحرف .

---

185 الثمام كالغراب نبت ضعيف قصير ، وكون الشيء على طرف الثمام معناه انه سهل التناول

186) علق المؤلف رحمه الله على هذا المكان بقوله : « بعض علماء سوس من اهل الثانى عشر ، وقفت على المقيد فى خزانة بالفائجة ولا اعرف اسم هذا المقيد »

ومما يتعلــق بذلك ان طائفة من الاسرائليين اتخذوها مسكنا فأسســوا فيها كنيسة يؤدون فيها شعائر دينهم ، فحدثت بعد ذلك محاورة بين الفقهاء فيما اذا كان يجوز احداث كنيسة جديدة في بلاد اسلامية أولا ، فمنهم من مال الى ان ذلك معمول به منذ الفتح الاسلامي في كل المدن الاسلامية المحدثة على ايدي المسلمين ، فكم بلد محدث أسست فيه الكنائس ، ومنهم من اصم اذنيه وابى ان ينقاد ، فتضاربت فتاوى الجزوليين ، فرفع الامير سؤالا في الحادثة الى قاضي الحمراء سيدي عيسى السكتاني السوسي (187) فاجابه في الموضوع ، والسؤال والجواب موجودان في كتب التاريخ (188) ، وانما يهمنا من السؤال هذه الفقرات :

---

187) احسن ما نترجم به هذا العلامة هو ان ننقل بالحرف ترجمته من صفحة 15 من الجزء الخامس من المعسول لانها تعطي عنه نظرة عامة وموجزة ايضا : « عيسى بن عبد الرحمان السكتاني ابو مهدي قاضي تارودانت ثم قاضي مراكش ، صاحب الفتاوى الشهيرة ، وصاحب القضية المعلومة بينه وبين يحيا بن عبد الله بن سعيد الحاحي ، يوم عزم على ما عزم عليه ، وقد اطلعت على مراسلة بينهما وهي في الاستقصاء ولم تحضر عندي الآن .

وعيسى السكتاني اشهر من نار على علم ، وذكره في التواريخ كلها يتارج للقارئين طيبه . فلا نطيل بسوق ترجمته وان كان من اعيان السوسيين لاننا لا ناتي فيه بجديد ومجموعة فتاويه مشهورة وفي الفتاوى البرجية — راجع الحاشية 188 — بعض فتاويه ، وهناك مراسلة في قضايا بينه وبين تلميذه ابن يعقوب — هو العلامة الكبير الصالح المتوفى عام 1052 بتازاموت بجزولة ، ترجمته في نفس الجزء من المعسول — يصفه فيها عيسى بفقيه سوس ويحليه أحسن تحليـة ، توفي وهو على قضاء الحمراء في 7 صفر عام 1061 هـ ، وهو ركراكي النسبة فيما اشتهر عنه ، وفي (الفوائد الجمة) ذكر له كثير » .

ويعني رحمه الله بقوله « يوم عزم على ما عزم عليه » يعني من الوثوب على السلطة والاستحواذ على الملك ، والمراسلة التي بين يحيا وبين ابي مهدي في « نزهة الحادي » وهي مفيدة لمن اراد ان يعرف نفسية الرجل التي رفعت قدره بين أهل عصره ، ومضمنها نهيه له عن الثورة على السلطان الشرعي وتأييد النهي بالنصوص الشرعية والافكار المنطقية

188) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ص 132 ج 3 الاستقصاء ، وفي الفتاوى البرجية فتاو جزولية في الموضوع — مخطوط »

وهذه الفتاوى البرجية هي مجموعة فتاو لفقهاء سوسيين موثوق بهم ، وانما قيل لها البرجية نسبة الى جامعها اولا ، ثم مرتبها ثانيا ، فجامعها هو القاضي علي بن محمد بن ابي بكر البرجـي الرسموكي المتوفى اواخر القرن الحادي عشر الهجري ، واما مرتبها فهو العلامة محمد بن احمد بن مسعود المتوفى في اوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وقد قال في اولها : « هذا تقييد نبذة مـن اجوبة جماعة من المتاخرين من فقهاء سوس من مغربنا الاقصى ، رضي الله عنهم وحباهم من الخيـر ما لا يحصى ، حسبما وجدتها مرقومة بخط الفقيه القاضي سيدي علي بن محمد بن محمد بن ابي بكر ابن احمد بن يعقوب الرسموكي مختلطة غير مبوبة ، وفصلتها اثنى عشر بابا مرتبـة تقريبـا لعثور الطالب على المطلوب »

« وبعد فقد تقرر عند سيدنا أمر هذه الحضرة العلية العلوية « ايليغ » أدام الله بهجتها ، كما رفع كغيرها من الحواضر درجتها ، وانها محدثة فتوفرت ببركة بانيها عمارتها ومبانيها ، فاتخذها مسكنا أهل السهول والحزون ، وجمعت لطيب تربتها بين الضب والنون » (189)

من هنا نعرف كيف ينظر الامير وحاشيته الى مدينتهم ، فهى فى نظرهم « كغيرها من الحواضر » ، أى كالقاهرة فى نظر المعز وحاشيته جوهر وشيعته ، وكبغداد فى نظر المنصور العباسى وأهل سواده ، وكمراكش فى نظر يوسف بن تاشفين وفقهائه ، وكفاس فى نظر المولى ادريس والملتفين حوله من بربره وعربه ، « فلها بهجتها ، ورفعت درجتها » كما رفعت درجات سواها ، وقد توفرت عمارتها وسكنها مختلف طبقات الناس فجمعت ما بين الضب والنون ، وأهل السهول والحزون، فذلك ما قاله فى ايليغ الأولون ،

---

189) الضب حيوان برى يقولون انه لا يرد الماء ابدا ، والنون نوع من السمك ، فكان اجتماعهما من المستحيل حتى صار مثلا فى الاستحالة ، غير ان بعض المحرومين من الادباء وهو ابو اسحاق الصابى يرى ان اجتماعهما ربما كان ممكنا ، وان الاكثر منه استحالة هو اجتماع المال والادب فقال :

| | |
|---|---|
| قد كنت اعجب من مالى وكثرته | وكيف تغفل عنه حرفة الادب |
| حتى انثنت وهى كالغضبى تلاحظنى | شزرا فلم تبق لى شيئا من النشب |
| واستيقنت انها كانت على غلط | فاستدركته وافضت بى الى الحرب |
| الضب والنون قد يرجى اجتماعهما | وليس يرجى اجتماع المال والادب |

وقد ولع الناس بمدح المنازل الواقعة على المياه كالانهار والبحار لما فى مواقعها من الطرافة والتسلى باصطياد حيوانات البر والبحر معا ، ومن احسن ما ورد فى ذلك قول شاعر يصف موقع قصر كان بالبصرة :

| | |
|---|---|
| زر وادى القصر نعم القصر والوادى | لابد من زورة من غير ميعاد |
| زره فليس له ند يشاكله | من منزل حاضر ان شئت او بادى |
| تجد به السفن والظلمان حاضرة | والضب والنون والملاح والحادى |

والظلمان جمع ظليم وهو ذكر النعام ، والضب والنون تقدما ، والملاح هو النوتى اى العامل فى السفن البحرية ، والحادى هو الذى يحدو الابل اى يرتجل لها الاراجيز لتنشط للسير

ثم قال فيها حديثا ـ بعد ما هدمت ايليغ القديمة واقيمت فى محلها ايليغ الحديثة ـ بعض الأدباء (190) من سكانها اخيرا من ابيات :

ايليغ ارض خيرها واسع          وفضلها ليس له دافع
يا من يسوى ما سواها بها          هل يستوى المعتر والقانع
حصباؤها در وتربتها          مسك وان عرفها ساطع
ونبتها الريحان يشفى بها          من حلها فى راحة هاجع

ثم ان اسم ايليغ مشهور لمواطن متعددة من قرى سوس ، فهناك قرية فى قبيلة ادا وزكرى وأخرى فى الفائجة أزاء تاتلت (191) ، كلتاهما تحمل هذا الاسم عينه ، وما يقوله بعض الناس من ان اصل هذه الكلمة واطلاقها على تلك العاصمة نشأ من قول الامير حين رأى المحل يوم الصيد المتقدم قبل فاعجبه موقعه : ايليق (أى يليق) ، يقصد ان هذا المكان لائق (192) معجب يصلح للسكنى ، ثم اطلقت كلمة « ايليق » على المكان عند تأسيس المدينة فيه ، ثم تغيرت الكلمة بتطاول الزمان وتداولها فى الألسن الى « ايليغ »

190) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « سيدى محمد بن احمد الخياطى من المتخرجين من مدرسة الغ ، وبقية الابيات فى ترجمته فى المعسول » فعثرنا على ترجمته فى ءاخر الجزء العاشر منه ، وقال عنه المؤلف فيها انه مولود سنة 1306 هـ ومتوفى سنة 1346 هـ ، وانه من الاسرة العينية المسكدادية المذكورة فى جزئه 13 ، وانه كان يتولى القضاء فى ايليغ كابيه وجده ، وان له قطعة يعارض بها عينية الامام السهيل الخثعمى دفين مراكش سنة 581 هـ المشهورة فى التوسل ، والتى اولها :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع          انت المعد لكل ما يتوقع

واما بقية القطعة المذكورة فى الاصل فالذى وجدناه فى المعسول بيتان فقط وهما :

رب غفور بلد طيب          بمائه ، وروضه يانع
ذات الظلال والمياه التى          معينها من كوثر نابع

191) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « انتقل الزكريون من تلك القرية بالفائجة فنقلوا معهم اسم قريتهم ، هذا ما يقولون »

192) علق المؤلف على هذا المحل : بقوله : « لاق الشىء يليق ، فاللفظة عربية ثم تشلحت كئالاف غيرها تتبعناها فى كتاب خاص يسر الله اتمامه »

كل هذا يدفعه ان هذا الاسم معتاد ان تسمى به البلاد كما رايت ، والغالب ان المكان كان يحمل ذلك الاسم قبل تأسيس المدينة فيه ، لأننا لم نر من الاسم ما يدعو الى اختياره كاسم عاصمة ، ولو كان ذلك الاسم متولدا من اختياره عند التأسيس لصار ولا بد مما يدل على مباهاة كما تراه فى اسم الزهراء والزاهرة والباهية والقاهرة ورباط الفتح ، وسر من راى (193) ، ومثل ذلك ، وكأن من قال هذا راى ما قيل فى التسمية بمراكش وفاس فاحب ان يتحذلق بدوره ، والحقيقة ان مؤسسى ايليغ هم كمؤسسى فاس ومراكش كلهم سدج بدويون لا يهتبلون بالاسماء كما يهتبلون بالمسميات ، على ان دفع ذلك المقول يكفى فيه ما مر من سؤال الامير للقاضى عيسى السكتانى ، وقد سمى العاصمة ايليغ ولما يمض على بنائها اذذاك الا سنوات ، ولما تتداول الكلمة حتى يمكن تأثير الألسنة فيها .

ومثل هذا يقال أيضا فى الذى قالوه — كما مر — فى كون الامير خرج الى الصيد فرأى المكان فاعجبه ، وقال ان هذا المكان يليق للسكنى ، فان هذا لا يقال الا فى الأمكنة البعيدة التى لا تطرق كثيرا ، واما ذلك المكان فانه تحت انف قرية الزاوية التى ينشأ منها كل ءال الشيخ ، وقد مرت به الطرق ولا يمكن عادة ان يجهل الامير المكان من صغره ثم لا يتفطن لحسن موقعه الا بعد امارته ، وكأن ناسج الحكاية تحذلق ايضا فأراد أن يكون حول تأسيس ايليغ ما يشبه ما عرف فى التاريخ عن تأسيس فاس ، ولم يدر ان بين المكانين بونا بعيدا .

هذا وقد أكثرت التفتيش عن وقت تأسيس هذه المدينة فلم أجد ذلك عند أحد ، الا اننى بينما كنت افتش فى خزانة ازاريف (194) اذ وجدت فى طرة كتاب ما نصه بعد ذكر اسم بودميعة :

---

193) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « اسس الزهراء عبد الرحمان الناصر والزاهرة ابن ابى عامر ، والباهية بمراكش الوزير احمد بن موسى ، والقاهرة جوهر باسم المعز ، ورباط الفتح يعقوب المنصور ، وسر من رأى المعتصم العباسى »

194) راجع الحاشية — 28 —

« . . . . . وشرع فى بنـــاء ايليــــغ سنة 1021 هـ ، وسكن فيه سنة 1031 هـ » فعرفنا ان الامير صمد الى تأسيس عاصمته بمجرد ما بويع من الناس، ثم استمر البناء عشر سنين ، ثم اتخذها له ولحاشيته مسكنا ، ولا ريب انــه لا يزال بعد ذلك يزيد فى بناياتها ، وسترى فى فصل ما بينه وبين الأوربيين انه كان يستخدم اسراهم فى البناء ، فسبق المولى اسماعيل فى استخدامهم ، فقد علمنا ان غالب بنايات مكناس كان بايدى هؤلاء الأسرى .

قد زرت اطلال هذه المدينة سنة 1361 هـ فرأيت شارعا من شوارعها يشقها من نحو الشرق ، وحواليه ءاثار دكاكين التجار لا تزال اسسها ظاهرة بينة ، وفى هذا الشارع دار الامير الواسعة ، واثارة بارزة (195) ، مــن بينهــا موضع حمام وهرى كبير ، وفيه ايضا المسجد الجامع ، وهو غير بعيــد مــن الدار ، وهناك موضع السجن وهو سرداب محفور تحت الارض ، تذكرت حين وقفت عليه سجن البديع وسجن مكناس ، وباب هذا السجن لا يزال مفتوحا يشبه باب مطمورة ، وقد درت حول ما بقى من ءآساس السور فتراءى لى ان المدينة المسورة بهذا السور الذى تراه غير متسعة فهى دون السويرة (196) بكثير ، ولا تزال جدران صغيرة تقف باسافل بعض ابراجها ، وهى دون القامة، والسور مبنى بلوح المركز ، وبعض الابراج يسمى الصقالة (197) فدل هــذا الاسم على ان المدافع وضعت هناك ويظهر لى ان هذا المسور انما هــو دار

---

195) الاثارة والاثرة بضم الهمز واسكان المثلثة : البقية من العلم والكرمة المتوارثة ، والمراد هنا البقية مطلقا

196) المراد بها المدينة المشهورة حالا فيما بين الشياظمة وحاحة والتى هى من تاسيس السلطان المولى محمد بن عبد الله ، اسسها هناك ليخنق بمرساها امر مرسى اكادير الذى كثيرا ما يستبد به الثوار السوسيون فيتجرون منه مع الاجانب الاوربيين ويستوردون منهم الاسلحة لمقاومة السلطة المركزية الشرعية كما وقع ايام بودميعة نفسه ، وهناك مدينة اخرى قديمة تحمل نفس الاسم تبعد عن هذه الجديدة بنحو 17 كيلوميتر ، وعامة الناس يكتبونها بالصاد ، غير ان حذاق الادباء كالمؤلف يكتبونها بالسين اخذا لها من السور ، راجع صفحة 175 من ثانى فهرس الفهارس

197) الصقالة تطلق على المكان الذى توضع به المدافع للدفاع عن المرافىء

الامير وحاشيته فقط ، وقد اخبرت ان الابنية اتسعت خارج هذا السور بكثير ، ويصدق هذا الخبر وجود اطلال كثيرة ممتدة الى بعيد ، فهناك المحل الـذى يقطنه الافرانيون ، وكذلك المحل الذى فيه منازل الاعراب ومسكـن اليهود يبتعد عن هذا المسور ، فبذلك ندرى ان كل ما تنتشر فيه اليوم قرية ايليـغ الحديثـة كان اذذاك مسكونا معدودا من المدينة أديـر عليه سور ءاخر قـد تهدم ايضا ، وكثرة الجداول المندثرة ووجود اطلال منتشرة في خارج هـذا المسور مما يقوى ما يذهب اليه الناس هناك ، وقد وقفت في وسط اطـلال الجامع فجال في نفسي تلك الدروس العليا التي كانت تلقى فيه ، فكأنني ارى اليوسي الوارد على ايليغ يجلس في احد جوانب الجامع يستمع الى احد العلماء الذين كان يأخذ عنهم اذذاك (198) ثم تذكرت ايضا ازدحام الناس فـي هـذا المسجد يوما اثر قيامهم من مجلس احد الوعاظ ، فادت شدة الزحام الى موت أحد الحاضرين (199) ، وبعد ان قضيت في جولتي حول ذلك ما قضيتـه فـي

---

198) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « فهرس اليوسي ــ مخطوط ــ » واليوسي هذا هو العلامة الجليل المفتوح عليه المدرس الكاتب الشاعر المحدث المفسر وهلم جرا ، ابو علي الحسن ابن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن داود بن يدراس اليوسي البوحديوى ، وفهرسه قليل توجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط ، ذكر فيه عن ابتداء تعلمه ان الحياء من استئذان استاذ الكتاب للذهاب لقضاء الحاجة كان ينفره من التعلم ، وكثيرا ما تظاهر لاهله بانه ذهب الى الكتاب في حين انه انما يختبيء الى ان يخرج التلاميذ فيذهب الى البيت كانما كان في الكتاب فعلم اهله ذلك فزاروا به ضريح الشيخ ابي يعزى فدعا الله عنده ان يمنحه العلم والمال والحج فادركها كلها . وقد بلغ من علمه انه حج صحبة ولده ابي عبد الله محمد عام 1101 هـ فلم يستجيزا احدا من علماء المشرق مصريين وغيرهم اكتفاء بما عندهما من العلم ، ومع ذلك فقد ناله الزمان واهلـه بما ينالون به امثاله من أهل الفضل والصلاح مما هو معروف في ترجمته الموجودة بكثرة ، وقد ضرب في كافة انحاء الغرب بحثا عن كبار العلماء ليأخذ عنهم فأخذ عن أهل زاوية الدلاء وعن ابن ناصر بدرعة وعن عبد العزيز الرسموكي في ايليغ واثنى في فهرسته على علمه وطريقة تدريسه ـ راجع الحاشية رقم 203 وتلاميذه من فحول العلماء كثير كأبي علي الحسن بن رحال المتوفى عام 1140 هـ ، وشيخ الجماعة بفاس ابو عبد الله محمد المسناوى الدلائي المتوفى سنة 1136 هـ ، والامام أبي الحسن علي بن محمد المكارى الرباطي المتوفى عام 1118 هـ وقد قال فيه الامام ابـو سالم العيـاشي :

من فاته الحسن البصرى يصحبه    فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

توفي سنة 1102 هـ

199 علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « وجدت ذلك بخط الخياط الجد التازروالتي في كناش له » ولاخباره تلميح في ترجمة حفيده ءاخر الجزء العاشر من المعسول ، كما ان اخبار جميع اسرته المسكدادية توجد في الجزء الثالث عشر منه

عشية طلقة (200) وقفت اترحم على تلك الدولة المزهرة ، وعينى شاخصة الى قمة أكمة علياء كانت مدافع المولى الرشيد تلقى منها قدائفها المدمرة على المدينة يوم محاصرتها حتى خر سقف ذلك الهرى المتقدم على كل من التجأوا اليـه فهلكوا فى الهالكين ، فصارت المدينة اذذاك نسيـا منسيـا الا من ذاكـرة التاريـخ (201) .

## الايليغيون يستردون تارودانت بعد موت يحيا

رأيت فيما تقدم ما كان فيه يحيا تجاه بودميعة فقد وقـف امامـه كالصخرة العظيمة التى تقف فى سيل الوادى فى مخرم من مخارمه ، فقد وقف بقوة عظيمة وصولة عنيفة دون انتشار ايالة الدولة الجديدة ، فيقاومه بكل ما فى مستطاعـه مقاومـة عنيفـة تتكون من قواف ينقذف بها الخيال الشعرى فيكون تأثيرها عند من يعرفها أنسف من تأثير ما ينقذف من أفواه المدافع ، ومن معارك وحروب عظيمة ، حتى قدر ان يزحزحه عن تارودانت حيث بقى نحو ثلاث عشرة سنة يجر النار الى قرصه ، ويغترف قصد امتلاء مزوده ، ولم يزل كذلك حتى قضى نحبه فى سادس جمادى الثانية عام 1035 هـ (202) ، فخلفـه فى رئاسة حزبه ابن اخيه احمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد ، فحاول ان يقف امام ايليغ الا انه غير محظوظ ، ويظهر انه ليس له مثل عزيمة عمه ، ولا كان له مثل تأثيره فى الناس ، فان ليحيا شفوفا بعلمه الجم ، وحسـن سمته ، وصراحته بما يراه حقا ، ولذلك نرى ان ابن اخيه معذور ان لم يقدر أن يملأ مركزه بكل جدارة ، ولهذا لم يطل به الامر حتى زحف اليه أهل ايليغ

---

200 علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يوم طلق : معتدل لا حرارة فيه ولا برودة »

201 هدم المولى الرشيد ايليغ سنة 1081 تعليق للمؤلف فى صفحة 310 من الجزء 18 من المعسول

202) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « وجدنا ذلك بخط بعض المعتنين بالتقييد »

فلم ينشبوا ان احتلوا تارودانت ونزعوا من يده كل تلك الناحية ، ومما يتعلق برجع تارودانت أن الامير بودميعة زارها فكان امام اول صلاة تراويح صلاها فيها هو القاضي ابو فارس عبد العزيز الرسموكي (203) ، فيمكن ان هذا وقع الآن ، ويمكن ان يقع عند استيلائه عليها من اول مرة (204) .

هذه تارودانت رجعت الى ايالة ايليغ ، ولكن كيف رجعت اسلما ام حربا ؟ وفى أي سنة رجعت ؟ اما كيف رجعت فانها رجعت سلما ، وستـرى من الرسالة الآتية ما يدل على ذلك ، والحامل على ضعف أحمد بن محمد خالف يحيا هو وقوع خلاف بين جيشه ، واليك نص ذلك ، ففى ص 40 ج 3 مـن السلسلة الأولى . فرنسة . ما نصه (205)

« انقسم جيش يحيا الى ثلاثة أقسام : أهل مراكش مكثوا مخلصـين للمرابط ـ يعنى بودميعة ـ وأهل سوس مخلصون لابن اخى يحيا او ابن اخته، وأهل حاحة التحقوا بعبدة » .

وفى ص 358 من نفس الجزء أيضا بين مذكرات عـن المغـرب مـا نـصـه :

---

203) هو العلامة الجليل القاضي عبد العزيز بن ابى بكر بن احمد الرسموكى البرجـى مـن قرية البرج برسموكة ، ـ راجع الحاشية رقم 198 ـ اخذ عن الشيخ الكبير عبد الله بـن يعقـوب الذى درس بتازاموت خمسة وثلاثين سنة حتى الحق الابناء بالآباء واجداد والمتوفى بهـا سنـة 1052 هـ عن 84 سنة ، كما اخذ عن أبى مهدى عيسى السيكتانى بتارودانت ـ راجع الحاشية 187 ـ وقد عظم شأنه فى حياة شيخه الأول ، وصار من جهابذة علماء سوس علما وعملا ، ساجل بعض أهل مراكش فى الفقه والادب فبذهم ، وتولى القضاء بايليغ وفيها ورد عليه اليوسى واخذ عنه واثنى فى فهرسته على ذكائه وسعة علمه ، وله تاليف عديدة مفيدة ، توفى شهيدا بالغرق فى احد انهار هشتوكة بسوس يوم الجمعة تاسع جمدى الثانية سنة 1065 هـ ، ترجمه الحضيكى فى طبقاتـه ، والرسموكى فى وفياته ، واليوسى فى فهرسته ، واجمل المؤلف كل ذلك عنه رحمه الله فى ترجمته ابتداء من صفحة 20 من الجزء الخامس من المعسول

204) احال المؤلف هنا على ما تقدم فى رقم ـ 202

205) يعنى من كتاب ديكاسترى المترجم فى الحاشية ـ 128 ـ

« وتارودانت مدينة جميلة على بعد نحو I2 من اليابسة (206) ، وهي في قبضة صالح ماسة اشتراها من صالح ءاخر بمئتي دوكة فقط (207) .

اقول : عرفنا الآن وقوع الخلاف بين الجيش الذى خلفه يحيا ، وان المراكشيين منهم هم الذين سهلوا استيلاء بودميعة على المدينة ، كما عرفنا انه دفع فى تملكها دراهم معدودة لبعض الخائنين من المرابطين فى الحاشية التي بقيت بعد يحيا ، ولا نخال ان احمد بن محمد خلف يحيا هو الذى تولى ذلك بنفسه ، وانما الذى يظهر ان ذلك صدر من بعض المخالفين عليه من أهله .

واما السنة التي رجعت فيها المدينة الى بودميعة فهى سنة I039 هـ بعد موت يحيا بثلاث سنين ، وسترى النص على ذلك .

من تامل كيفية رجوع هذه المدينة بسبب الدعاية فقط ادرك مقدار ما يتمتع به بودميعة اذذاك من السمعة الحسنة عند الناس لان الدعاية لا تجدى الا مع سمعة طيبة ، وكيف لا يكون كذلك وهو يصيخ الى علماء عهده ويراعيهم ويتقبل ما ينصحونه به ، بدليل انهم يجرؤون على ذلك بكل طمانينة وبين ايدينا الآن رسالة كتبها اليه قاضى تارودانت أبو زيد التامانارتى (208) اثر استرجاعها نعرضها لان فيها فوائد جليلة تبين لنا روح تلك الايام ، وما هى المثل العليا عند ارباب الفضيلة فيها زيادة على فوائد اخرى تتعلق بالموضوع .

قال : ولما ولى الرئيس أبو الحسن الجزولى أمر سوس سنة تسع وثلاثين والف ، بعد وفاة شيخنا أبى زكرياء بن عبد الله بن سعيد الحاحى كتبت اليه بما نصه :

---

206) علق المؤلف على هذا المحل بانها على بعد 8I كيلومترا من اليابسة ، وذلك هو الواقع اذ ذلك هو ما بينها وبين اكادير

207) كلمة الدوكة من اصل لاتينى ، وتكتب بالفرنسية ducat وهى سكة ذهبية ضربت لاول مرة فى البندقية فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وكانت فى اوائل القرن العشرين تعادل I2 فرنكا ، فاذا كانت من الفضة قيل لها ضوكاطون ducaton

208) — راجع الحاشية رقم — 7 — وهذه الرسالة منقولة عن كتابه « الفوائد الجمة ، باسناد علوم الامة »

« غوث الدهر وجابر كسره ، وتحفة المغرب وفاديه من اسره ، وجامع امره ، وقامع شره وذعره ، ومخمد ضرام جمره ، الماجد الهمام ، وظل الامن الوارف على الانام ، سيدنا ابو الحسن ابن السيد المبرور ، المنعم المشكور ، ابى عبد الله ابن ابى عبد الله ابن الشيخ الكامل الواصل الرباني، غوث الاغوات، وقطب الاقطاب ، الذى يقصر عن احصاء مناقبه الخطاب ، اسوتنا ووسيلتنا ، وشيخ شيوخنا ابى العباس احمد بن موسى بن عيسى بن عمر ، كلأ الله بعصمته علاءه ، ووالى فى مراقى العز اعتلاءه ، سلام على مكانتكم المكينة ، ورحمة الله وبركاته تحفان مقامكم العلى بالوقار والسكينة ، هذا وقد اتصل بمعظم جنابكم فى محل سكناه بقبيلة سندالة (209) فتحكم لقاعدة سوس سلما لا حربا ، فتقاذفت اليكم قبائلها عجما وعربا ، فشكرت الى الله من زوال المانع من شق العصا ، لأكاتبكم بما يجب على الاستقصاء ، فاعلم انى كنت استنشق نسيم الأرج ، وارتقب من الله الفرج ، وارجو الولوج فى حوزتكم ، والانحياش لشيعتكم ، لما اعلم فى ذلك من صلاح العباد والبلاد ، وانحسام مادة الظلم والفساد ، وكنت اضرب فى وجه من يجهم وجهها ، وينكر تجاهها ، ويصد عن سبيلها ، ويتلوى عن ذكر جميلها ، حتى لقيت من ذلك ما الله يجزى عنه بفضله، ويزيح المه بقوته وحوله ، وقد تلقى اهل الحاضرة وسائر من يعتبر من أهل البوادى وهذه الجبال ، هذا الفتح الميمون بالبشائر ، واذاعوا به فى الاهلين والعشائر ، وعدوه غبطة لا توازى ، ونعمة من الله لا تجازى ، واطمأنت نفوسهم، وزال عنهم به بؤسهم ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وبتيسيره وحسن تدبيره تتوالى الخيرات وتتزداد البركات ، وقد أملوا بهذا الفتح العزيز اعزاز بلادهم ، واحراز طارفهم وتلادهم ، وحفظ اقطارهم من كل عوار ، ودفاع من عسى ان يثور فيها من الثوار ، والرفق بهم بما تطاير اليهم من رفقكم بما

---

209) سندالة احدى القبائل السوسية القريبة من تارودانت

الى نظركم من الاقطار ، تمم الله ذلك بيمن الاقبال ، والسعد القائم المتوال هذا فيمن هم بالصلاح ، ولهم بين العباد الفوز والفلاح ، واما فئة البغي والخسران وطوائف الظلم والعدوان ، فقد سقط في ايديهم ، وشالت نعامتهم واختتأ (210) في اسمال الخمول خاصتهم وعامتهم ، وطارت قلوبهم روعا ، وضاقوا مما نزل بهم ذرعا ، فما وجدوا ارضا تقلهم ، ولا سماء تظلهم ، ولا امكن لذؤبان خطافهم الا الشرود ، ولا لغربان اذا يتهم الا الطيران بمفتت الكبود ، وعن زمن قريب بحول الله (يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين) (211) فيعم بلاد الله الامان ، وتعود كل (قرية ءامنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان) ، وتأمن هوادج الحرم في نجوعها ورجوعها ، ويسكن روعها في منامها وهجوعها ، وتنسرب شاء الغياض حيث شاءت برعائها ، وسقبان الفدافد اينما توجهت برغائها (212) ، وتنتهج مناهج الأمن في فلواتها ، وتسيح في الارض بضخم ذراها وعلواتها ، وتبتهج طوائف الدين في مناراتها ومساجدها، والعلوم الشرعية في منصاتها ومعاهدها، والحرف الحاجية في مصادرها ومواردها ، والمعايش في رغدها ورياشها (213)، والأسباب في ازديادها وانتعاشها ، حتى يحفظ للمصالح نظامها ، ويتم للبرية وئامها ، فأكرم بها خصلة جمعت لكم شرف الدارين ، وضمت لكم من رحمة الله كفلين ، واوقار العدلين ، وهي الوراثة النبوية التي يجب على وارثها ان يقدرها

---

210) اختتأ اختتاء : انكسر من حزن او مرض فتخشع ، والمراد هنا خاف وذل

211) هذا اقتباس من سورة التوبة ، والافعال فيها مجزومة على انها جواب امر سابق وهو قاتلوهم ، اذ الآية هي قوله تعلى : « قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم » الاية ، فابقاها صاحب الرسالة على جزمها وان كان سياق كلامه يقتضي رفعها

212) السقبان جمع سقب وهو ولد الناقة، والرغاء صوت الابل والنعام والضباع والفدفد الفلاة

213) رغد العيش : طيبه وخصبه واتساعه ، والرياش كالكتاب : الخصب والمال وحسن المعاش ، وفاخر المتاع

قدرها ، ويحفظ من الخسوف شمسها وبدرها ، ويلم بالعدل والتيسير أمرها وشعثها ، ويجمع بالفضل والاحسان متفرقها ومتشتتها ، ويعظم حرماتها وشعائرها ، ويسدد الى مناهج الحق انظارها ، حتى يشكر في الملاء الاعلى سعيه ، ويثبت في ديوان العناية رعيه ، فيصبح فرحا مؤيدا منصورا ، ينقلب له كل عسير ميسورا ، وكل قليل مباركا موفورا ، واذا فتح الله لسيدنا أيده الله هذه المدينة وفكها من اسرها ، واستنقذها من وبال أمرها ، فليعتن بها ، وليختر من يقم كناسها (214) ، ويطهرها من فاحش ادناسها ، فقد طالما تمخط شيطان الغواية في اطوارها واجناسها ، واجلب بخيله ورجله على اطباق اناسها، حتى عطلت بها صوامع يؤذن فيها بكرة واصيلا ، وهدمت منها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، واستحبوا العمى على الهدى ، وغلبت على طباعهم الفة الردى ، وهي على ذلك منذ مات المنصور رحمه الله في مدة تنيف على خمس وعشرين سنة ، لم يقم فيها للعدل فرض ولا سنة ، فتحتاج أيدكم الله لئاس (215) من بطانتكم بحسن علاجها ، ولبيب يشرع للرشاد منهاجها ، ويصرف عن العذب الفرات أجاجها ، حتى يعود الى القويم مزاجها ، وتتسع بحسن نظره اعمالها وفجاجها ، وقد علم من سيرة سلف الأمة اعتبار الامصار ، بمزيد الاستبصار ، لكون الاقطار ، بمنزلة العيون والابصار ، وأبهة الاسلام وعدة الأعصار ، وخصوصا هذه المدينة التي هي كالفاتحة لبقية أمصار المغرب، والباب الموصل الى الغرب (216) واقصاه المغرب ، وانتم بحمد الله في قطر اشتهر علماؤه ، وامتاز في الدين فضلاؤه ، قطر نفذ من مشكاة النبوة مصباحه ، واسفر بالهداية في الاقاليم صباحه ، وازدان اوله وءاخره ، وفي العلم والديانة

---

214) قم يقم بالضم من باب نصر : كنس ، والاسم القمامة ، والكناس بكسر الكاف بيت الظبي والمراد من يكنس ساحتها ويطهرها

215) الأسي وجمعه اساة كقاض وقضاة : الطبيب

216) الغرب عند اهل سوس مراكش فما فوقها الى جهة فاس

مناقبه ومفاخره ، وشهد من مضى من كبار الملوك بشهامته وشجاعته ، وفي عراقة الحسب باصالته وجزالته ، وفي غرر المشاهد الاولية بصلابة عصائبه ، ودربة كتائبه ، فليعرف لهم ذلك ، وليستعن بهم فيما هنالك ، فهم الشعار والدثار (217) ، والرعيل (218) الآول المختار ، والانصار الذين تبوأوا الدار ، والجناح الذى انتم قوادمه ، والغارب الذى انتم قوائمه ، فلتبتهج بذلك نفوسكم ، ولترتفع به رؤوسكم ، وما حقكم الا أن تتمثلوا فيهم بقوله :

اذا ما المطايا قد بلغن ربوعها ** حرمن على الاثقال بعد ظهورها

ثم الأمر الذى هو ملاك (219) الآمور ، واليه مرجع الخاصة والجمهور ، العدل الذى جعله الله عمدة ارضه وسمائه ، وجعله ـ تشريفا له ـ من جملة اسمائه ، به يرفع الميزان ، وبه يقعد على منابر الكرامة عن يمين الرحمان (220) ، وله تنقاد العجم الشرس (221) ، وعليه يعين القطب والجرس (222) ، وبه ترسل السماء ودقها ، وتخرج الأرض بركتها ورزقها ، وبه تعمر الارجاء ، ويتقوى الرجاء ، وفي منطوق الحكمة : « اذا نطق العدل بدار الامارة ، فتق لها بالعمارة » ومن عظم الجرأة على الله ان يشرك احدا في ملكه ، ثم يدخل عليه الجور في حكمه ، وفي نصيحة ابن الخطيب :

---

217) الشعار من اللباس هو الذى يلي الجسد ، وله معان اخرى غير مقصودة هنا ، والدثار هو الثوب الذى يكون فوق الشعار

218) الرعيل الجماعة ، ويقولون الرعيل الاول اى الجماعة المتقدمة على غيرها

219) الملاك بكسر الميم : القوام وملاك الشيء قوامه

220) هذا طرف من الحديث الشريف : « ان المقسطين على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمان وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهلهم وما ولوا عليه »

قال العلماء ومعنى كونهم عن يمين الرحمان : انهم في حالة حسنة

221) الشرس جمع اشرس كالحمر جمع احمر : من ساء خلقه وصعبت عشرته

222) القطب جمعه اقطاب ، والجرس جمعه اجراس هما في اصطلاح الصوفية من رجال الغيب الذين يترقى الى احوالهم العباد والنساك القاهرون للنفس الامارة المقيدون لها

بالعدل والفضل فاحفظ زر طائره * * فالعدل والفضل ان تعلم جناحاه

والمعين على سلوك هذه الجادة الناجية ، بعد تقوى الله العظيم ، الاقتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الكافية الواقية ، واتباع السلف الصالح الذين هم القدوة الصافية ، ثم من بعدهم علماءِ الامة وحملة شريعة هذه الملة ، ففي اللجوء الى ذلك السلامة ، وتمام العصمة ، وفي مشورتهم سقوط الملامة ، وغاية المعذرة ، وقد أشار ابن الخطيب الى هذا المعنى بقوله :

وشاور العلماء المستضاء بهم * * فان معذرة السلطان شوراه

وقد استفاض ان الملك الزاهد الصالح باني مدينة مراكش ومتقن احكام الاسلام في المغرب ، ومطهره من دنس مذاهب الطوائف ، يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني رحمه الله وجد بركة هذه الخصلة فاتسع له ما لم يتسع لاحد قبله ولا بعده من العمال (223) ، واجتمع له ما لم يجتمع لاحد من الجيوش والأموال ، وعمر مئة سنة ، وهو يأكل الشعير ويلبس الصوف في اكثر الاحوال ، وملك من اقصى بلاد افريقية ومن اقصى بلاد الأندلس ، وسوس الأقصى في سائر جهاته الى جبال الذهب من بلاد السودان ، ولم يوجد له في ذلك رسم مكس ولا مغرم ، الا ما يجبى اليه من الزكوات والاعشار واخماس الغنائم ، والجزية واموال البغاة وطوائف العدوان ، فعلى الوالي العاقل ان يتعلق بهذه الخصلة التي هي ابقى لعمره ، وافسح لمدته ، واحصن لحوزته ورعيته ، ولأن من تعلق بها يجلب بها دعوات اولياء الله تعالى ، وصلحاء المومنين وضعفاء المسلمين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من عباد الله من لو اقسم على الله لأبره » (224) ومن سعى له في ضدها فقد سعى في

---

223) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا صحيح ولو في مقابلة الموحدين لانهم وان زادوا عليه بالجزائر وتونس وليبية فقد زاد عليهم بالصحراء والسودان ، فتأمل »

224) هذا حديث صحيح ، وسببه ان الربيع بضم الراء بنت النضر بن ضمضم عمة انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر عليه السلام بالقصاص فقال اخوها انس « يا رسول الله اتكسر ثنية الربيع ؟ لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا انس كتاب الله القصاص » فاذا بأهل الجارية يعفون ، فتعجب النبي عليه السلام وقال : « ان من عباد الله تعلى من لو اقسم على الله عز وجل لابره » ، وسبب التعجب ان انس اقسم على فعل غيره الذى لا يعرف ايوافق مراده ام لا ، فابر الله تعلى قسمه

قصر عمره ، وخراب دولته ، وتلاشى امره ، فليتحفظ من بطانته من ذلك وليتعوذ بالله وبعصمته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل امير بطانتان بطانة تأمر بخير وبطانة تأمر بشر ، والمعصوم من عصمه الله » وقد مر بنا في المذاكرات في هذا المعنى حكاية عجيبة ، وهي ان ملكا من ملوك المسلمين اعتسف على رعيته فدفعوه عنهم فاستجار بملك من ملوك الروم ، فإنزله لما وفد عليه في دار فيها نارنجة خضراء يانعة ، عليها قيم يتعهدها بالسقي وغيره ، فقال : لا أسافطك (225) بما طلبت من المدد حتى تيبس هذه النارنجة، فسقط في يد الملك المسلم وأيس من الرجوع الى بلده ، فجعل يدعو عليها أن تيبس ، فلم يمض الا قليل من المدة حتى يبست وسقط ورقها ، فجاء ملك الروم وقال له : ما صنعت بهذه النارنجة حتى يبست في قليل من المدة ؟ فقال : انك ظلمتني بالحبس وليس لي ناصر ، فرجعت الى الله ادعوه في تيبيسها فأجاب الله دعوتي فيها ، فقال له ملك الروم : هذا انت وحدك تدعو الله عليها لكونك مظلوما فأجاب الله دعوتك ، وهي لم تباشر ظلمك ، فكيف بمن يباشر الظلم ويدعو عليه أهل قطر أو أقطار ظلمهم ، افلا تجاب دعوتهم عليه ؟ فدعوات رعيتك التي ظلمتها هي التي اخرجتك من بلادك ، فتاب ورده لرعيته مكرما .

ومن هذا المعنى ما حكى لنا عن مولانا جدك رضي الله عنه لما وفد على الملك ابى عبد الله مولانا محمد الشيخ رحمه الله فانزله بمشور دار الامارة بتارودانت فأتاه الناس يزورونه ، فوقف خادمه الرجل الصالح صاحب شرطة الامير زكرياء بن الغازى (226) يذود الناس عنه ويقول « من زار خرج يرحمكم

---

225) يعني بقوله لا اسافطك : لا ارسلك ولا اوجهك بما تحب وتطلب ، والكلمة شائعة في الاستعمال الدارج

226) الذى فى نزهة الحادى وغيرها ان صاحب الشرطة الذى قال ذلك هو ابو عمران موسى ابن مخلوف ـ راجع الحاشية 102 ـ وان الملك الذى وقع ذلك فى ايامه هو عبد الله الغالب ، ولم تبين محل وقوعه ، قال المؤلف معلقا على هذا المحل : « يحكى ايضا ان هذا وقع مع الغالب بالله فى مراكش ولعل ما هنا أصح » ولعل مما يؤيد ذلك انه فى دار الامارة المذكورة الى الآن قبة معروفة بقبة سيدى احمد بن موسى ، وان فى ساحة اساراك بتارودانت مسجدا يسمى مسجد سيدى احمد ابن موسى

الله » فقال له الشيخ : بل قل « من جار خرج يرحمكم الله » فارسلها مثلا، فخذها وصية جدك ، وابن عليها اساس مجدك ، ثم يجب ان تعان هذه الخصلة التى هى روح الوئام ، وحياة الانام ، باقامة سور علائها ، وتوفير جيوشها التى بها تستقل امارتها ، وتكمل عمارتها ، بملازمة مادة التسكين والتيسير ، واجتناب دواعي الضغطة والتعسير ، وبتعهد الرعايا باخذ ما دعا اليه الوقت بوجـه لا يثير نفرتها ، ويهيج نعرتها (227) ، ثم بملاقاة الحوادث بقوة الجاش وصلابـة القلب حتـى يصغر فى عين واليها كل عظيم ، ويهون لديه كل واصب (228) اليم ، كما اشار الى ذلك أبو الطيب بقوله :

على قدر أهل العزم تاتى العـزائم  وتاتى على قدر العظيم العظائـم
ويعظم فى عين الصغير صغيرهـا  وتصغر فى عين العظيم العظائـم

ثم بالقدرة على ضرب الرقاب ، وسل الحسام ، واغماده فى جماجـم شرار ولد سام .

فكم آية تهدى الورى وتروعهـم  واصدقها بالمجرمـين حسـام

وهذه هى نتيجة القياس ، وفذلكة قضاياه التى عليها مدار مصلحـة الناس ، ثم بشكر نعمتها ، والاعتراف بمنتها ، لاستدامة رحمتها وبركتهـا .

« رب اوزعنى أن أشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحـا ترضاه ، واصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلميـن »

---

227) النعرة بضم النون وفتح العين : الهيجان والاضطراب اخذا من هيجان الدواب اذا عضتها النعرة او دخلت فى انوفها وهى ذبابة ضخمة زرقاء

228) الواصب الدائم : قال الله تعلى فى سورة الصافات : « ولهم عذاب واصب »

وهذه نصيحتي لــك ، واعيذها بالله أن تكون نصيحة دريد بن الصمة (229) لأخيه عبد الله ، والسلام » .

تلك هي الرسالة الطويلة النفيسة ، وقد فهمنا منها امورا ، منها : كون ايليغ استردت تارودانت سلما لا حربا ، وان تلك المدينة كانت قاست عيثا وجورا ، فتأمل من ايليغ عدلا يزيل عنها ما قاسته ، ومنها كــون سيرة ايليغ العادلة المشهورة عند كل أهل ذلك العصر هي التي أمالت اليها الأعناق ، وفتحت نحوها القلوب ، ومهدت لتوسع ايالتها السبل ، ومنها معرفة المثــل العليا التي يحب امثال القاضي التامانارتي أن يتمشى عليها أمير ايليغ في حكمه ليستتب له الأمر ، وقد ضرب ايضا عــلى مثــل الوتــر الــذى كان الشاعــر أمحاولو (230) جسه في قصيدته النونية المتقدمة ، فذكر الأخذ بأيدى العلم ، وما العلم اذذاك الا العلم الذى يدور عليه الشرع الحنيف ، فتأيد بهذا ما كان سلف لنا ازاء ذلك البيت من قصيدة أمحاولو .

---

229) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « من قصيدته الدالية المشهورة التى منها

امرتهـم امـرى بمنعـرج اللـــــوى فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد »

ودريد بن الصمة بن الحارث من شعراء العرب وفرسانهم المغاوير ، كان اخوه عبد الله سيد قبيلة بنى جشم بن بكر بن هوزان فغزابهم وبنى عمهم بنى نصر بن بكر قبيلة غطفان فساق ابلهم فلما كان بمحل يقال له منقطع اللوى اراد ان يستريح فيه بضعة ايام فنهاه اخوه دريد وذكره ان القوم سيتبعون ابلهم ليستردوها فلم يطعه فجاءت غطفان وتحارب الفريقان فقتل عبد الله وجرح اخوه دريد واستردت الابل ، فقال دريد قصيدته المعلومة التى اولها :

ارث جديد الحبل من ام معبـــــد بعاقبـة واخلفـت كـل موعـــــد

ومنها البيت الذى هو محل الشاهد هنا وهو :

امرتهم امـرى بمنعـرج اللـــــوى فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

وبعـده :

وقلت لهم ان الاحاليف كلهـــــا قعود على ماء التليـل نتهمـــــد
وقلت لهم ظنوا بالفـى مـدجـــج سراتهـم فى السابـرى المســرد
فلـما عصونى كنت منهم وقــد ارى غوايتهـم واننـى غيـر مهتـــدى
وهل انا الا من غزية ان غـــوت غويت وان ترشد غزية ارشـــد

230) راجع الحاشية 154

والعلم كيف يكون نشر ضيائه * * في الناس حتى يعلم المسكين

وقد زاد التامانارتي ذكر الاخذ بايدى أصحاب الحرف ، لأنه حضرى يعرف ما للاخذ بأيدى المحترفين من العمارة التى تزدهر بها الايالة ، ومها غير ما تقدم مما تقرأه في السطور وبين السطور ، خصوصا ما لوح اليه القاضى من ان عهد يحيا كان جائراً ، ومن جوره ما وقع منه الى هذا القاضي حتى عزله ، والغالب انه ينصحه فلا يصيخ له ، ولعل كل ذلك واقع فيكون ذلك هو السبب الحقيقى في تقوض امر ءال يحيا بسرعة ، فغادروا مركز الرئاسة الى زاويتهم بتافيلالت حيث يزاولون المرابطية بعد أن خابوا في مزاولة الملك :

اعطيت ملكا فلم تحسن سياسته * * كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

**من هم ءال يحيــا**

نكون مقصرين ان مررنا باسرة سيدى يحيا دون أن نلقى عليها نظرة ولو موجزة يمكن بها اعطاء صورة واضحة لأسرة جاذبت زيدان وبودميعة حبال المملكة ازمانا ، بعد ان كانت من الحياض الصوفية الصافية ازمانا اخــرى ، ولا يصح لنا أن نوازن اسرة ءال بودميعة باسرة ءال يحيا الا بعد ان نستعرض من حياة رجالاتها كما استعرضنا رجالات الاسرة الاخرى ، فالمقارنة لا تكون الا بين معروفين ليصح الحكم بينهما حكما يكون بالقسطاس المستقيم .

هذه الأسرة المباركة تسمى ءايت داود (231) وترفع نسبها الى احمد ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، ويقولون انهم اخوان الكثيريين (232) السوسيين ، وأول من عرف من الأســرة داود دفين مكان قرب قرية ءايت داود بقبيلة ادوبوزيا من قبائل حاحة ، ثــم

---

231) راجع الحاشية 78

232) راجع الحاشية 43

تسلسل المجد والصلاح في اولاد ه واحفاده : الحسن بن داود ، ثم ابراهيم بن عبد الملك بن الحسن بن داود ، ثم محمد بن ابراهيم بن عبد الملك ، ثم الحسن بن ابراهيم بن عبد الملك ، ثم عبد النعيم بن الحسن بن ابراهيم ، ثم ابنه الشيخ الشهير شهرة واسعة في عصره سعيد بن عبد النعيم شيخ التربية . وامام العلوم ، وعميد السنة ، ثم ولده عبد الله بن سعيد الامام الفريد علما وصلاحا وورعا وتربية ونصحا للعباد ، دفين تافيلالت في سفح الاطلس الجنوبي (233) ، ثم الامير يحيا بن عبد الله بن سعيد هذا الذي نحن في وسط اخباره مع بودميعة ، وقد كان اولا رافعا لراية أهله فيما عرف عنهم ، فعالم وأرشد وهدى وهذب ، ثم خالط في تموجات عصره مدافعا ومهاجما على نية الاصلاح ، وكعبه عال عند الناس اعتقادا ، وقد استنصره زيدان ملك وقته على أبي محلي (234) فزحف اليه فأهلكه في كيليز ، فزاده ذلك علو شأن ، ثم وقعت المشاحنة بينه وبين زيدان الى أن استقل عنه في تارودانت فكون له جندا وعصيبة فابدأ واعاد الى أن توفي عام 1035 هـ كما تقدم ، ثم خلفه ابن اخيه احمد بن محمد الذي لم يتم له أمر ، ثم رجع الاخلاف الى زاويتهم في تافيلالت والى حاحة ، ثم هناك أيضا الأديب احمد بن الحسن بن عبد الله بن سعيد ، ورث أباه الحسن وعمه يحيا وجده عبد الله ، وهو شاعر وفقيه له ءاثار ، ثم الحسن بن يحيا ابن عبد الله بن سعيد قاطن تاحودا بحاحة ودفينها وقبره مزارة كسعيد دفين تامانار بحاحة الذي يقام عليه موسم سنوي ، وكعبد الملك بن يحيا الذي له ايضا بين أهله ذكر كأخيه محمد بن يحيا وكمريم بنت يحيا المتأخرة المزورة المشهد حوالي تامانار حيث يقام عليها موسم كل سنة كما يقام على عبد الواسع ابن سعيد بن عبد النعيم .

---

233) الطريق اليها مرصفة من تارودانت في شماليها ، تبعد عنها بنحو 90 كيلومترا

234) راجع الحاشية 75

الى غير هؤلاء من رجال الأسرة قديما وحديثا صلاحا ورياسة ، وقد ذكرناهم بالتفصيل في « **المعسول** » (235) ، وانما نريد هنا أن نعرف مكانة هذه الأسرة الماجدة بين الأسر الماجدة السوسية لنرى اية اسرة قامت تجاذب الحبال إسرة ءال الشيخ سيدى احمد بن موسى ، على ان ليحيا والحق يقال لمقاما علميا وادبيا ساميا ، نراه اجل واعلى واولى وافضل من قرينه بودميعة فى نواح شتى ، الا ان السعد اعطى لبودميعة ما لم يعطه ليحيا ، فقاتل بسعد والا فدع :

فكم في العرس ابهى من عروس ** ولكن للعروس الدهر ساعد

**وقفة ادبية**

نلاحظ فيما بين ايدينا من عدة مراسلات بين المتنازعين اذذاك ان عقلية من كانوا يتطاولون ببروزهم حينئذ يعتمدون على المراشقة بالاقلام مثل ما يعتمدون على المناضلة بالسهام ، والمبارزة بالحسام ، فهناك المراسلة بين يحيا وبودميعة المارة قريبا ، واخرى بين بودميعة والمولى محمد بن الشريف ستاتى ، وهناك المراسلة بين زيدان ويحيا (236) وهناك اخريات بين بودميعة والدلائيين سترى بعضها قريبا ، وهناك مجموعة كبيرة تذكر فيها مراسلات بين يحيا وابى محلى (237) ، كما كانت هناك أيضا أخرى بين ابناء زيدان والنابغ الأول من الاسرة العلوية الماجدة (238) ، كما كانت أيضا أخرى بين هذا النابغ العجيب وبين الدلائيين (238) ، واخرى بينه وبين الاتراك ولاة الجزائر اذذاك ، واخرى بين ابناء زيدان وبين الدلائيين (238) .

---

235) يطلبون فى الجزء 19 منه ابتداء من صفحة 73 وقد اوصل المؤلف رحمه الله رجالاتهم الى 38 شخصا

236) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ج 3 ص 111 الاستقصاء ، هناك البعض »

237) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ج 3 ص 111 الاستقصاء ، وقد كانت المجموعة فى زاوية (تافيلالت) فى جبل درن — راجع الحاشية 233 — ولا ندرى الاتزال فيها ام لا »

238) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : — الاستقصاء — هناك كل هذه المراسلات » وهى منه فى اواخر الجزء الثالث واوائل الرابع ، وبعضها فى نزهة الحادى

ان هذه المراسلات التى يتخذها الرؤساء بينهم محاجة ومقارعة او مفاخرة — وهى ما هى من الصناعة البيانية السائدة اذذاك ، وقد افرغ فيها من حرروها الجهود — لتدل على عقلية تميل الى الاقناع والاقتناع ، قبل ان يكون اعتمادها على رؤوس الحراب يوم القراع ، وقد كنا نعهد مثل هـذا فـي العصر الأموى ، ثم فى العصر العباسى الأول ، كما اعتدناه فى الجاهلية بل وفى فجر الاسلام ايضا وان كان ما يستعمل فى تلك العصور فى الغالب شعـرا ، ومـا يعتمد عليه فى هذا العصر نثراً ، أفلا يكون اذن ما نراه فى هذا الدور فى المغرب بدعا محدثا ، وذلك ايضا دال على ان صناعة الانشاء مزدهرة يتخذها البارزون مفخرة يتحلون بها امام اقرانهم ، ولا بدع اذا رأينا ايليغ البارزة قد طفحت فيها واليها امواج ادبية يدل عليها ما بين ايدينا من قصائد ومقطعات وقليـل مـن الرسائل ، منها رسالة ايليغ الى يحيا المتقدمة ، ورسالة التامانارتى الى ايليغ المارة قريبا ، وذلك بلا ريب كمجهر يرى به ما وراءه وسنعرض لكل هذا الذى يروج حول ايليغ بعد حين ، وانما حفزنا ما عن لنا فى الحين فوقفنا هذه الوقفة التى هى — وان كانت بين قوسين فى تتبع ما نحن بصدده — ذات فائدة قيمة للادباء اللهجين بامثال هذه الفوائد العامة ، والنظرات المستكشفة ، وما ذلك بقليل لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

## فكرة ايليغ فى التوسع

وصل البشير الى ايليغ يعلن قرب استرجاع تارودانت ، فاهتزت ايليغ فرحا ، واكتست سماوة ذلك البسيط غضارة تكاد تقطر بشاشة، فاندفع شاعر من شعراء ايليغ (239) يقول بملء فيه معلنا للبشرى يزفها الى العاصمة بهـذه القطـعـة :

---

239) هو احمد بن محمد امحاولو راجع الحاشية 154

الا ابشروا فالفتح دقت بشائـــره ... ودبت الى فجر النجاح تبـــاشره
ردانة دانت فليطيلـــن شكــــره ... امام البرايا المجتبــــى وعشائره
تزف الى كـفـه ، وتعرفه ، وطـــا ... لما خطبت نحوالهجين(240) تناكره
اذا ما عروس زفها الدف والغنـــا ... فذا عرس فيه تزف بواتره (241)

الى ان قال ، وهى قصيدة كبيرة تنيف على الخمسين :

اذا دار دور الفتح حـول ردانــــة ... فزد قدماً للحوز يتبع دائره (242)

اقول ان هذا الشاعر يمثل فكرة حاشية الامير فى ان وقت الامتداد الى الحوز فما وراءه قد ءان ، ويؤيد هذا ان شاعرا ءاخر وقف فى مجمع كبير القى فيه من قصيدة قوله وهو يشيد بمدح الامير ويثنى على جنوده ولعل ذلك فى هذا الطور :

طوعا ابا الحسن المعلى (243) اننـــا ... نوليك شكرا وسط هذا المجمـــع
اعليت هذا الصقع بالعدل الــذى ... تـولى وبالجيش العتيد الطيــــع
رضعت جميع جنوده رسل البسا ... لة لا ترى فى جمعهم من رضع (244)
فهــم كــرام ما رأوا اعــداءهـــم ... الا فروهم فــى الوغى بتصـــدع
وثب الفهــود على الثعـالب ثـم لا ... تلقى مفاصلها بغيـــر تمــــزع

---

240) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يعنى يحيا »

241) علق المؤلف على هذا المحل بقوله « الفتح كان سلما لا حربا ، ولكن الشاعر قد يهرف بما لا يعرف »

242) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « النفحات » ويعنى كتاب نفحات الشباب المذكور فى الحاشية رقم 159 والحاشية 170

243) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : كان هنا بالاصل كلمة غير ظاهرة المعنى فوضعنا مكانها هذه ، يعنى « المعلى »

244) المراد بالرسل ـ بكسر الراء واسكان السين ـ اللين ، والرضع كالركع جمع راضع من رضع بالضم رضاعة اذا كان لئيما

فكأنني بالحوز قد طلعت على        ارجائه الفيحاء شر المطلع (245)

فيشتتون جنود من قد ضيعوا        ملك الجدود برقدة المتضعضع

شغلوا بلهوهم فضاع الدين بيـ        ـن الكاس والذلفاء ذات تمنع

حتى تبدل ارى ملكهم اللذيـ        ـذ بعلقم من ذلهم والخروع

هيهات ان يبقى الوليد كجده        في الملك ان لم يغد قطب المعمع

ان الممالك لا يقام عمادها        الا براعفة القنا فى الاذرع

بالقتل والفتك الذريع يشيد من        يبغى بناء الملك وسط الزعزع

كم من انوف لا تقاد براتها        بمقاود الطاعات ان لم تجدع

لا يجتنى ثمر السيادة في الوغا        من لم يطب نفسا متى ما يصرع

حتى اذا غلب العدو أتى بما        يستل منه الضغن بين الاضلع

بسياسة ليست بأرى لا ولا        شرى ولكن بين ذاك لمن يعى (246)

والطب ليس بباتر عضوا سوى        ان كان فيه دواؤه لم ينجع (247)

من اخطأته سياسة فى امره        لاسيما ملك الورى ، يتضعضع

قم يا امام الدين وانهض نهضة        جمازة تذر العدى فى مفزع (248)

وقد الجيوش وقدمن ما بينهم        من كان حلف جراءة وتدرع

وجس البلاد بفتحها جمعاء وانـ        ـظم فى يديك الامر وحدك واجمع

ان الهوينا غير نافعة اذا        لين المقالة فى الورى لم ينفع (249)

ما دام هذا الامر امرك فاصرخـ        ـن به على راس المخالف واصدع

---

245) علق المؤلف على ما هنا بقوله : « يعنى لما توقعه هناك من التدمير »

246) الارى : العسل ، والشرى : الحنظل — مؤلفه

247) الطب بفتح الطاء : الطبيب — مؤلفه

248) الجمازة مؤنث الجماز : وهو الذى يسرع فى عدوه ، من الجمزى وهو العدو السريع

249) الهوينا : التؤدة والرفق

فالله والملأ الكرام معـاونـــو ... ن ببث رعب فى العدى وتزعـــزع
فكأننى بالامر تم كمـا تشـــا ... ويشاؤه من كان فى ذا المجمع(250)

ذلك ما يقوله محمد بن الحسن اللكوسى المانوزى لهذا الامير وقد وفد عليه بعد موت يحيا لأننا رأيناه معه الى ان توفى فرثاه بقصيدة ، وقـد كـان كاتبه الخاص ، ويوجد توقيعه اثر تلك الرسالة المشهورة فى التاريخ من يحيا الى زيدان (251) .

وقد مر بنا «انفا قول القاضى التامانارتى اثناء تلك الرسالة حين هنأه بفتح رودانة وطلب منه الاحتبال بها » فهى كالفاتحة لبقية امصار المغرب ، والباب الموصل الى الغرب ، من ادناه الى اقصاه المغرب » .

فدل ذلك كله على فكرة التوسع فى المملكة ، فهى فكرة ايليغ ، وفكرة كل امثال التامانارتى ، وهذا التوسع فكرة طبيعية اذذاك ، لأن تارودانت فتحت ما وراءها ، فينخرط سكان الاطلس الذين يسكنون فيما يوالى سوس فى هذه الايالة ، وما كان المانع سوى تارودانت وقد زال ، والنصر لا يدعو دائما الا الى الاقدام الى الامام ، فقد امتدت الايالة سنة 1039 هـ فضمت سوس كله ودرعة ، وقد تقدم ان درعة انخرطت فى سلك ايليغ من سنة 1036 هـ أى قبل تارودانت .

---

250) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « القصيدة بتمامها فى السابع من المعسول » ، وقد رجعنا اليه فوجدنا القصيدة خمسين بيتا اورد المؤلف منها هنـا الخمسة والعشرين الاخيرة وترك الاولى اذ لعله لم يرد ان يوردها لما يتعلق به صدر القصائد عادة من النسيب والمدح والتوسـل .

واذا لم نوردها نحن ايضا تبعا له لنفس المانع فلا يفوتنا ـ ما دمنا بصدد التاريخ ـ ان نورد خبر قائلها فهو العلامة الأديب محمد بن الحسن بن ابى القاسم المانوزى اللكوسى مـن الشعـراء المكثرين فى الاساليب المختلفة ، كما كان من كتاب الانشاء المعتبرين المقتدرين ، وهو الذى حرر ليحيا بن عبد الله بن سعيد بن عبد النعيم رسالته الشهيرة الى زيدان بن المنصور السعدى ـ الحاشية 238 ـ وقد كان اولا مع يحيا هذا ثم انضم الى بودميعة فى ايليغ حتـى توفـى فيه سنة 1048 هـ ودفن بزاوية سيدى احمد بن موسى

251) ج 3 الاستقصاء ـ مؤلفه

## الاستيلاء على اكادير

كان اكادير دخل في ايالة بودميعة في فجر ثورته ، كما دخلت فيها ايضا تارودانت اذذاك ، وقد رأيت السبب كيف انجلت جيوش ايليغ عنها ثـم كيف استرجعتها ، واما اكادير فسنرى حوله فيما ياتي تفاصيل ملخصهـا : ان بودميعة تنازل عنه لزيدان حين راى ضعفه عن ذود ما عسى ان يهاجمه ، ثم بقي في هشتوكة ، وقد فتح مرسى ماسة لمقايضة تجار اوربة ، ثم لم يلبث ان صار يشن الغارات على نواحي اكادير حتى حاصره سنين كثيرة من سنة 1623 م. الى سنة 1637 م . فاحتله بالقوة وذلك نحو 1045 هـ بعد احتلال فونتي بسنين

وحين كان ما يتعلق باكادير لم نقع عليه في الكتب العربيـة التـي استقينا منها ، وانما وقعنا عليه فيما ترجم لنا من الكتب الاوربية ، نـرجيء تفاصيل ما ذكر حوله في هذا العهد حتى يحشر كل ذلك المترجم في صعيد واحد ، وان كان ملخصه الذى يتعلق به المقصود الآن ما ذكرناه .

انفتح الباب الى حاحة فانخرطت في ايالة ايليغ الى المحل المسمـى بوريقي ، فرأينا هناك قاضي ايليغ ، وسيرى القارىء اسمه قريبا ، كما انفتـح الى ناحية القبائل التى تدين لزيدان وابنائه ، فتقع محاربات على الحدود ، ومما يتعلق بذلك ما ورد في كتاب « **نفحات الشباب** » أثناء محادثة بين اديبين :

« ومما احفظه ايضا لهذا الكاتب — يعنى محمد بن احمد امحاولو — ما حدثني به والدى رحمه الله قال : كان القائد محمد المسوفي يغير كثيرا على اعمال سيدى على باذن اميره بمراكش ، وهو الذى كان يثخن كثيرا في جيوش سيدى على بالغدر والحرب ، فجاءت يوما رسالة من هذا القائد الى سيدى على يندد عليه ، فلم يردان يجيبه بالمراسلة لأنه يراه دونه ، فقال كاتبه هذه الابيات فكانت هي الجواب ، ونصها :

| | |
|---|---|
| مهــلا فلا تستعجلــن حتــوفـــا | فغدا ترون اسنة وسيــوفـــا |
| فالجنــد جند الله حقــا لا يــرى | الا الثبــات ولا يخــاف مخوفـــا |
| فى كل يوم تستثيرون الليـــــــو | ث بعيثكم اهل الردىمسوفا(252) |
| لكنكم لابد ان تلقــوا غـــــــدا | جندا امامكــم يصف صفـوفـــا |
| فهنــاك يلقى من يعيث جـــــزاءه | ان كان ماحول الترائب سيفا(253) |

## سجلماسة تبايع ايليغ بدورها

سنرى فى المراسلة بين ايليغ والدلائيين الآتية ، ان من جملة الحوافز لأهل ايليغ حتى قاموا قومتهم هذه أن يكونوا ـ فيما يزعمون ـ سياجا دون اذاية أبناء الرسول ، ولا ريب انهم سيغمزون نسب السعديين مع الغامزيـن ويرونهـم من ابناء سعد بن ابى بكر حقا (254) لا قرشيين فاطميـين ، وانمـا تطفلوا على الانتساب لأهل البيت كما تطفلوا بسبب تلك الذريعة على العرش المغربى ، وبهذا اللمز قام شاعرهم الماضى عند اعلانه لبشرى فتح تارودانت فى القطعة المتقدمة :

. تزف الى كفء ـ وتعرفه ـ وطا ** لما خطبت نحو الهجين تناكره

252) « يعنى بامسوفة » ـ مؤلفه ، حذف التاء للترخيم واتى بالالف لاشباع القافية

253) « اى قطع بالسيف » ـ مؤلفه

254) اشار المؤلف بذلك الى الاضطراب الواقع فى هذه النسبة السعدية هل هى لكون الناس سعدوا بحكم هذه الدولة او سعد بها أهل درعة لما ورد عليهم احد اجدادها وهو زيدان بن احمد بن محمد بن قاسم ، فصارت بذلك تنسب الى السعد او السعادة ، او انما هى لكونهم من بنى سعد بن بكر بن هوزان الذين منهم حليمة السعدية ، ظئر النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما اشاعه عنهم خصومهم السياسيون كمولاى محمد بن الشريف مؤسس الدولة العلوية الشريفة اذ لم تكن هـذه النسبة معروفة عنهم قبل الانغمار فى السياسة ، وقد بعث محمد الشيخ الثالث الى مولاى محمد بن الشريف بعض الكتب تنسبهم الى الشرف كمناهل الصفا للفشتالى والممدود والمقصور لابن القاضى فاجابه مولاى محمد بما من جملته : « ولا معول على كتاب المنصور من الفشاتلة ولا ابن القاضى ولا ابن عسكر الشريف الشفشاونى وسواهم اذ الكل اهل بساطكم ، ومحل مزاحكم وانبساطكـم » ، وذلك مبسوط فى نزهة الحادى وبعضه فى الاستقصاء ، والمراد بلفظة كتاب جمع كاتب

ويقصد بالهجين سيدى يحيا الحاحي المتطاول الى الامارة ، فغمز نسبته الى أهل البيت كما غمزها قبله ابو محلي حين خاطبه بقوله :

ايحيا الخسيس النذل ما لك تدعى
بزور شعارا للفحول الأوائل
كدعواك في بيت النبوة نسبة
وانت دنيء من اخس القبائل
ووجهك وجه القرد ، قبح صورة
ورأسك رأس الديك بين المزابل(255)

ولهذا كله لابد ان يكون بين أهل ايليغ وبين من يسلمون لهم تلك النسبة كشرفاء تافيلالت اتصال لتكون الشيعة واحدة ، ويكون بعضهم لبعض ظهيرا ، وحين كان لهؤلاء الشرفاء العلويين السجلماسيين نسب محقق عند الناس كالشمس في رابعة النهار ، لم يكن بالعجيب ان يتصل الامر بينهم وبين أهل ايليغ الذين يعلنون انهم ما قاموا الا للمنافحة عنهم وعن امثالهم لئلا يسومهم هجين بأذى .

كان في سجلماسة اسرتان بينهما ما يكون بين الجيران من المنازعات والمشاغبات، وهما اسرة الشرفاء العلويين، واسرة الزبيريين ءال تابوعصامت، ثم استحكمت العداوة بين الفئتين حتى ضاقت بهما سجلماسة ولم يبق الا ان يخرج الأعز منهما الأذل ، فاراد الشريف ابن علي رئيس الشرفاء ان يتكيء في نصرته على أهل ايليغ ، وقد سبقت بينهم اسباب التعارف والحمتها وشائج الارحام ، وقد كان في الافق اذذاك في تلك الجهة لأهل ايليغ اثر استيلائهم

---

255) هذا أقل ما يوصل اليه التناحر على الدنيا ، فان ابا محلي وهو من هو علما ودعوة الى الرشاد وتاليفا في ذلك يقول مثل هذا الشعر في يحيا بن عبد الله الحاحي شيخ ابى زيد التامانارتي وابى مهدى السكتاني ، وانه لمن العار لهم ان يذهبوا فتبقى بعدهم هذه العورات مكشوفة في اخلاقهم لمن ياتي بعدهم نعوذ بالله من تبعات الدارين

على درعة طفاوة من العظمة والجــلال ، وقد بلغت ايالتهم الى دادس ، فلم ينشب أقتــال (256) الشرفاء الزبيريون أهل تابوعصامت ان وصلوا ايديهم بســادة •اخرين سطعت لهم قوة بالدين والعلم تلفت الابصار ، ويتحدث بها الركبان ، وهم أهل زاوية الدلائيين الظاهرين في جبل الاطلس ايضا بشيعة عتيــدة ، وقوة ملحوظة ، وقد صارت الفكرة التي اثارت ايليغ تحوم ايضا حول شبانهم، وتختمر في ادمغة اغرارهم فيحلو لهم ان يغامروا ايضا في الميدان.، وان كان هؤلاء الذين تجول هذه الفكرة في صدورهم لم يصرحوا بها الا بعد سنة 1046 هـ بعد هذا العهد الذى نسوق فيه هذا الحادث ، وعلى كل حال فان الدلائــييــن اخذوا بضبع (257) الزبيريين فاعلنوا حمايتهم لهم ، وقاوموا من يحوم حولهم باقلامهم وبالسنتهم وبجاههم .

لبى بودميعة نداء الشريــف بــن عــلى رئيس الشرفــاء الفيلاليين ، واصرخه (258) بنفسه ، فقــاد الجيش السوسى مــن دادس (259) فخــرق به تودغة وما يجاورها ، وأطل على بسائط سجلماسة المكتظة بالنخيل ، فاذا به يصطدم والدلائيين الذين حضروا باصحابهم وقوتهم لمناصرة من بسطوا عليهم حمايتهم وهم اهل تابوعصامت ، وكادت رحا الحرب تدور ، لولا انه سادت على الجيشين اخيرا فكرة المصالحة حقنا الدماء (260) .

---

256) الاقتال جمع قتل بكسر القاف واسكان التاء ، وله معان من جملتها العدو وهو المناسب هنا ، فيكون الشرفاء مجرورا بالاضافة والزبيريون نعت لاقتال الذى هو فاعل ينشب

257) الضبع كالفلس وسط العضد او هي كلها ، واخذ بضبعه قواه واعانه

258) اصرخه : اغاثه واعانه ، وفي سورة ابراهيم : « ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي »

259) علق المؤلف على هذا المحل بقوله « الترجمان المعرب »

260) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « وسنرى عند ذكر الدلائيين مــا يلقــي الضــوء عــلى هــذا »

هذا ما يذكره المؤرخون ، ويظهر ان الدلائيين ادركوا عدم الفوز لو ناجزوا الايليغيين والشرفاء الأباة الاحرار المقاديم ، فلووا رؤوسهم تحت طي اجنحتهم وسلموا الامر في صورة مصالحة ، ولا أدل على ذلك من كوننا نرى قدم ايليغ قد رسخت في سجلماسة فاعلنت ان القطر منضو تحت ايليغ نهائيا ، ولو تكافأت القوتان لوقع الصلح على ان يخلى كل فريق سجلماسة ، وفي كلام مؤرخ (261) ما ياتي : « كان بودميعة بدادس حين استصرخه الشريف على بني الزبير ، فكاتبه محمد الحاج — يعني الدلائي — ان لا يحارب بني الزبير لأنهم حلفاؤه فانكف بودميعة عنهم بعد ما نزل على تابوعصامت ، فقبل منهم المئونة والهدية » .

ترى ان هذا المؤرخ اقتصر على نصرة الدلائيين للزبيريين برسالة فقط ، على حين ان غيره ذكر ان هناك جندا دلائيا ، فيمكن الجمع بان الدلائيين بعثوا من بعثوا مع رسالة من رئيس زاويتهم ، فقضت الرسالة ما لم تبق معه حاجة الى الرجال ، ولا ننس ان رئيس الزاوية في هذا العهد — على راس الاربعين بعد الالف — هو الشيخ سيدي محمد بن ابي بكر رضي الله عنه المتوفى عام 1046 هـ ، لا محمد الحاج (262) كما في الكلام القريب ، لانه لم يتصدر لما تصدر له الا بعد وفاة هذا الشيخ ، ولذلك صار من القريب الممكن الذي يجوز العقل وقوعه ان لا يكون هناك جيش بمعنى الجيوش المعدة للمغالبة من جانب الدلائيين ، فلا يكون هناك الا أصحاب الشيخ وان كثروا ، يجرون بالمصالحة وبحقن الدماء ورأب ما انشعب من الاحوال ثم يتحول امام من يريد غير ذلك كالامير بودميعة الذي اغتنم هذه الفرصة فاستحوذ على ذلك القطر الفسيح ،

---

261) علق المؤلف على هذا بقوله : « المناهج السوية ، كتاب مخطوط لشيخنا مولاي الكبير ابن زيدان ، وقد نقل كلام صاحب الترجمان المعرب »

262) راجع الحاشية 76 بصفحة 15

وفى الكلام على الدلائيين ترى انهم جمعوا حقا جيشا كثيفا لكن لـم يتيسـر بعثه ، فكان ذلك هو الحامل على تلك المصالحة ، وقد صرح هناك بان الحامل للشيخ ابن ابى بكر على ذلك هو اغاثة الشرفاء تدينا منه ومحبة لهم ، ثم انـه كاتب بودميعة فانتهى الامر الى المصالحة ، فتفاهم الشيخ وبودميعـة فبقيت تافيلالت لهذا الاخير .

كذلك توسعت ايليغ شرقا ، فاحتلت بغير حرب قسما غير قليل من جنوب المغرب له مكانة وخطورة ، فقد تولى هناك لبودميعة القائد ابوبكر واسس بناية يتحصن فيها ، وقد قال الضعيف (263) فى ذلك :

« بنى أهل الساحل السوسيون فى تافيلالت وفـى درعـة قصورا وقصبة » وقال ءاخر : (264)

«وفى عام 1041 هـ أخذ ابو حسون تافيلالت وبنى فيها قصبة »

## السودان السعدى ينضوى تحت ايليغ

تخطو ايالة ايليغ خطوات واسعة ، فتنال عظمة لم تكن تدور بحسبان من لم يطلع عليها ، فقد امتدت فى كل الجنوب امتدادا عظيما اوسع من امتدادها فى الشمال ، وما ذلك الا لانها لم تلاق من العراقيل هناك ما تلاقيه فى الشمال حين وقف يحيا امامها سنين كثيرة وقوفا له تاثيره فى كبح موجها وكبـت انسيـاحهـا .

---

263) ابو عبد الله محمد بن المرابط عبد السلام بن احمد بن محمد الضعيف بصيغة التصغير الرباطى المولود فى ذى الحجة 1165 هـ ، وتاليفه هو مجموعة تقاييد لحوادث وقعت فى وقته او قبيله فى تاريخ الدولة العلوية الى حوالى سنة 1233 هـ ، وهو متداول على قلة ، وموجود بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 660 D

264) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « تلك المجموعة فى المكتبة العامة بالربـاط » ، ويعنى بها ما تقدم فى الحاشية رقم 179 بصفحة 58

تخطت الايالة تينبكتو وتاودني الى غينية فاستولت هناك على المعادن التي كان السلطان مولاي احمد الذهبي يغترف منها ثروة هائلة من الذهب الخام ، كما انها استولت على تجارة كل تلك الناحية ، فتستورد السلع السودانية فتصدرها الى أوربة على يد التجار الأوربيين في آكادير وماسة، وكان كل الساحل من حاحة الى السودان تحت نظر ايليغ المباشر ، فيضطر البرتغاليون والأسبانيون وغيرهم من أرباب التجارة السائدة اذ ذاك مع البرازيل والهند وجنوب افريقية أن يصانعوا ايليغ ليتمكنوا من الالمام بمراسيه هذه ليتزودوا ما يحتاجون اليه في سفنهم الشراعية ، وكانت هذه السفن كثيراً ما تصاب في هذا الساحل فيوسر أصحابها ويقضون في ايليغ ما يقضون في الأشغال السلطانية حتى تتفاهم دولهم مع بودميعة فتفتكهم من الأسر ، وقد دارت بين هولاندة وبريطانية وبين بودميعة مكاتبات حول ذلك ، ولهذا نرى أن للاستيلاء على السودان السعدي شأناً عظيماً في رفع شأن بودميعة في انظار هذه الدول ، ولولا الاستيلاء على ذلك القطر ونفوذ أمره فيه لما وصل شأنه في أنظارهم ما وصل . وسترى في الفصل المخصوص بالاتصال مع تلك الدول الأوربية شواهد طافحة بكل هذا ، ففي رسالة اسحاق بلاش الاسرائلي الى هولنده :

« . . . ان شركة الهند الغربي التي تتجر مع غينية يمكنها عند الشدة أن تستغيث بسيدي علي الذي يمتد نفوذه الى غينية المذكورة » وفي كلام ءاخر له الى تلك الدولة ما معناه : « في استطاعة سيدي علي منع الذين يتجرون مع الهند الشرقي والغربي وغينية من التزود أو اصلاح بواخرهم أو حمل السلع الضرورية التي في مقاطعته »

وفي رحلة مارج الفرنسي : « وقد أصبح سيدى على فى هذه الأيـام هو المسيطـر على نومدية (265) جمعـاء وله تجارة مهمة مـع غينية بمملكـة كاكو ـ يعنى السودان السعدى ـ التى أصبحت تابعة له اذ لم يبق لمراكش بها شيء ، وقد استولى على تاغازة وعلى منجم الملح فيها ، وهى على بعد يومين من تاودني .

وفي مذكرات عن المغرب لأوربى ءاخر ما معناه : « ان المنجـم الذى كان الذهب يتوفر فيه وهـو أحسن ذهب في العالم انتزعـه سيدى على مـن الزيدانيين ، وهو الذى كانوا يستخرجون منه كمية كثيرة » .

وفي كلام ءاخـر عند ذكـر بعض أمراء ايليـغ : « وأعظم تجارة مـع تينبكتو ببلاد غينية »

هـذه نصوص فى الموضوع صريحـة للمعاصرين لم نجدهـا الا فى الكتب الأوربية ، واما فى العربية فلم نر منها ولو بصيصاً يلقى أدنى ضوء على هذا ،حتى أهل ايليغ الحديثة الآن يجهلون أن مملكة أجدادهم امتدت الى ذلك القطر ، نعم كنت قرات كتاباً بالعربية عن تلك الجهة من زمن بعيد مطبوع فى باريز لم أجده عندى الآن لعل فيه ذكراً لهذا الذى لم نجده فى الكتب العربية .

هذا وقد وقفت على رسالة رسمية مكتوبة الى قائـد تلك الناحية سنة 1040 هـ ، وجدتها بين ظهائر مخزنية عند أخلاف علماء تيلكات الحامديين الذين كانوا أصهار بودميعة والرؤساء على كثير فى جزولة فى عهده ، وهم مذكورون

---

265) نوميدية احد اجزاء تقسيم الشمال الافريقى تحت الاحتلال القرطاجنى ثم الرومانـى ، تقع بين قرطاجنة وموريطانية وتشتمل على كثير مما يعرف اليوم بالجزائـر ، كان بها الملك البربرى ماسنيسا الذى جعل عاصمته سيرتا وهى القسطنطينية الحالية ، وكانت رومة صديقة له لغرضها فى الاستعانة به على تحطيم قرطاجنة ، فتم لها ذلك .

والمقصود هنا طرفها الصحراوى الجنوبى الذى كان احتله احمد المنصور السعدى فاستولى عليه بودميعة بعد موته .

فى الرحلة الثانية من « خلال جزولة » ، (266) وقد اختل غالب ما فى الرسالة وسقط اسم كاتبها ويتقوى فى ذهننا أنها مكتوبة من ايليغ الى ذلك القائد ، ونصها :

266) « خلال جزولة» هى مجموعة متكونة من اربعة كتب سماها المؤلف الرحلات ، ويميز بينهــا بالارقام فالكتاب الأول يعرف بالرحلة الأولى من خلال جزولة ، والثانى بالثانية منه ايضا ، وهكذا ، وهى مرتبة على حسب ترتيب ازمنتها ، ومن احسن ما يستفاد منه فى تاريخ المغرب عموما والقطر السوسى خصوصا ، وقد ضمن رحمه الله هذه الكتب زبدة ابحاثه العلمية التاريخية فى جهات من سوس فى الاربعة اعوام الاخيرة من نفيه الاول الذى دام ثمانية اعوام فقد نفى الى بلده الغ من مراكش سنة 1356 هـ ولم يسمح له بالرجوع اليها رسميا الا سنة 1364 هـ .

وابتداء من سنة 1360 هـ صار يسمح له بالتجول فى بعض النواحى بسوس بفضل ما تظاهر به من الاكتفاء بالبحوث العلمية عن الاشتغال بالسياسة وبفضل سياسة رئيس اسرته اخيه الأكبر سيدى الحاج محمد خليفة الشيخ والدهما على زاويته فى الغ ، وهذا رجل رصين يأخذ الامور بالرفق واللين ، ولكون السياسة الفرنسية فى المغرب قد تطورت مدة سنى نفيه ، خصوصا ايام الحرب العالمية الثانية التى تبدلت فيها النظريات السياسية وتيسر فيها اجتماع حى انفا بالدار البيضاء بين جلالة المغفور له الملك العظيم محمد الخامس قدس الله روحه وبين الرؤساء العالميين اذذاك ستالين وروزفيلت وتشورشيل فصار الاحتفاظ بالاستاذ محمد المختار السوسى فى منفاه السحيق مما لا فائدة منه اذ اصبحت السياسة الداخلية على وشك التبدل .

وايضا فانه رحمه الله قد صار يستغل الافراج الجزئى عنه فى الاتصالات الكثيرة بالطبقات العلمية التى لا يلحقها الاتهام بالسياسة، اذ صار يتصل بعلماء تلك الناحية ويزورهم ويستزيرهم حتى احدث بينهم رابطةللمباحثات العلمية الادبية والاجتماعات المتوالية وعلى رأسهم استاذه العلامة الجليل السيد الطاهر بن محمد الافرانى محترم تلك الناحية ومزورها ، فاخذوا يتنقلون كل اسبوع تقريبا بين القبائل والقرى للاجتماع عند كل واحد منهم مرة ، فتوجس منه الفرنسيون انه سينقل لهذه الافكار الطاعنة فى السن الهادئة فى اعماق القطر السوسى عدوى ما يملأ نفسه من اهتمام باستقلال المغرب وتحريره ، فردوا اليه حريته التامة سنة 1364 هـ فعاد الى مراكش واستأنف فيها احياء مدرسته ، واخذ يخرج ما كان سوده ايام فقدان الحرية ، زيادة على اجتماع الطلبة عليه من جديد .

وقد قال فى مقدمة طبع الرحلة الأولى :

« ثم لما من الله بأن تتفرج عنى الازمة ، سرحت فى سوس ، فأمكن لى أن اتقرى بعض نواحيه، فصرت أعمل خطواتى على البغال غالبا ، فاقيد كل ما سنح بلا تكلف فتكررت الرحلات ، حتى كانت اربعا ، فجمعت الكل تحت هذا الاسم « خلال جزولة » فهى التى يقرؤها القارىء ان شاء الله من هذه الرحلة الاولى الى الرابعة ، وقد كان بودى ان تطول هذه الرحلات حتى تستوعب كل نواحى سوس ولكن هذا ما تيسر ، ثم انقطعت بعد تسريحى التام الى مراكش مختتم 1364 هـ »

« أيد الله تعالى بعز نصره وسلطانه ، وأعمل فى الفتوحات عضب عزمه وسنانه ، وأسعد عصر القائد على جيوشنا الذى له من على مقامنا كمال الرعاية، ومن جوار مـن الله وجوارنا كل الاحتفال والعنايـة ، . . . . . الأوتاد الأتقيـاء النصحاء الأرشاد المرعيين الملحوظين المرضيين ، أبى الحسن . . . . . ومجدكم . . . . . سلام عليكم ورحمة الله وبركته ، أما بعد حمد الله الذى جعل السعادة منوطة بهذه الامارة العلية ، وألهم من أراد الله به خيراً الى الاستمساك بعروتها الشريفة السوية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أنقذ من الضلالة ، ومحا ببعثته الكريمة غياهب الجهالة ، . . . . . . الدين وأعلامـه ، وأكمل بهم لهذه الأمة المحمدية تمام الاسلام وانتظامه ، . . الكبرى . . . سعادة ومصابيح الظلام ، ومواصلة الدعاء لهذا المقام ، . . . . . . بنصر تخفق على الدوام ألويته وأعلامه ، وتتوالى بالتاييد والنصر لياليه وأيامه ، فلت . . . حضرتنا العليـة . . . . . المحروسة بالله المحمية ، ولا زائـد بحمد الله الا ما سناه من تدويخ البـلاد ، وتمهيد أقطارها الحاضر منها والباد ، حتى دكت بعزائمـه وعنايتـه الشوامخ من الهيبة ، وتضاءلت الجبال لعظيم ما لسلطاننا المؤيد بأمر من الله . . . فأصبح الكـل خاشيا ، ومن بطشنا متلاشيا ، لله الحمـد والشكر . هـذا وموجبه اليكم . . . قبل هذا . . . ما اتفق عليه أهل هذه الأقطار المغربيـة الخاصة منها والجمهور ، وأهل الحل والعقد فى المبايعة وأهل الغناء . . . . . وفى دخول الجميع فى شيعتها الناجحة ، وأحزابها المفلحة الراجحة ، . . . . . وفى هـذا التاريخ ورد على مقامنا العالى رسولكـم عبد الله . . . . . مصحوبـاً بكتابكم الذى خاطبتم به أخاه . . . . . . مـع ما وجهتـم من تحفتكم ، فطالعنـا كتابكم ، وعلمنا ما يضمه خطابكم ، أما ما عرفتم به من أحوال البلاد ، وما عليه أهله من شمول السلامة لكل من فيها من الرعية والأجناد ، وما هم فيه من رغد العيش وتنمية للاعداد ، واتصال الأمداد ، فلقد سرنا ذلـك مسـرة كبـرى ، وعظمت لدينا ـ يعلم الله ـ تلك البشرى ، فالحمد لله على ذلـك حمـداً كفيـلا

بالازدياد ، ولقد أثلج تعريفكم منا الصدور ، وفرحنا بماعليه الجميع من الطاعة ومشكور الخدمة في الورود والصدور ، وأما ما أشرتم اليه من انتجادكم لجمع الخيل والفتيان ، وحصول البعض من ذلك بأيديكم واجتهادكم على استكمال ما أمرتم به ، وبعد ذلك توجهون بذلك صحبة خديمنا الأرضي . . . . . كما ذكرتم ، فبادروا بذلك لمقامنا العالي في الفور ان سهل . . . . . وأما ما ذكرتم عن الشيخ علي بن منصور وفراره بنفسه وأهله الى دار الشيخ محمود ، فقد أمناه بالأمان التام الشامل العام في نفسه وماله وسائر من معه ، فقد وسعه ما لم يسع غيره من أهل الجنايات والمعتقلين في التبعات ، فلتطمئن نفسه كل الإطمئنان بحول الله ، وأما ما ذكرتم من تقديم خديمنا عبد القادر العمراني مكان الفاندي الفاسي . . . . . القصري لكونه في الحالة التي ذكرتم من نسبه ومسكنته ، وكفايته وديانته ، فقد وافقناكم على ذلك ، فليبذل مجهوده فيما هو بصدده معاناً بحول الله وقوته ، وأما ما ذكرتم من جنوح سنغاي وكذا . . . . . رئيس التوارك للسلم ، ورغبة جميعهم في الدخول في حصن الطاعة ، والانتظام فيما عليه الجماعة ، من الانقياد لأوامرنا العلية المطاعة ، فقد وفقهم الله لما يجمل بهم ، فخذوا بنواصيهم الى الارشاد ، والهداية الى ما يرضى رب العباد ، وينظمهم في سلك الخدام والأجناد ، فقد قال تعالى « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » (276) وقال عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه : « لان يهدى الله على يدك رجلا خير مما طلعت عليه الشمس » (268) ، فشدوا ارواحكم في حياطة البلاد ، وطهارتها من كل غي وفساد ، وعموم السعادة للحاضر منها والباد ، وانتجدوا

267) محل الاستدلال بهذه الآية هو ما نزلت فيه من الحرب بين الاسلام والكفر ، اما هنا فالحرب انما هي بين المسلمين عفا الله عن الجميع

268) الحديث : « لان يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » وفي بعض رواياته « رجلا واحدا » والمعنى ان هدايتك للرجل ولو واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت على فرض ان لو ملكته وتصدقت به ، وذلك لان هداية الخلق من وظائف الانبياء التي عظم اجرها ، فكأن صاحب الرسالة جعل الانقياد له من نوع تلك الهداية

لما يراد منكم من مشكور الخدمة أتم انتجاد، حسبما يعهد منكم ويعتاد، واياكم ان تضيعوا فى مقامنا العالى محل ايثاركم ، ومقر اعتبازكم ، فأنتم أقرب من لدينا من أنجاد القواد ، ولا تالوا الجهد فى نصحكم ، ولا تقصروا والله ينجدكم بمنه والسلام .

ثم مما يؤكد به عليكم أن تبحثوا عن وصفان الدار عند من كانوا فى تينبكتو وغيرها من مملكتنا السودانية ، وقد بلغنا أن هناك لديكم منهم ما بنيف على سبعين وصيفاً فما كان من عند التجار يشترى منهم لمقامنا العالى ويبعث بهم لدارنا الكريمة ، مع ما هنالك منهم لا . . . . . . عمره الله ، وكذلك الخيل العتاق الجياد يبحث عنها غاية ، وتبعث أيضاً لمقامنا العالى ، فانتجدوا لذلك وابذلوا مجهودكم فوق ما أمكنكم ، وبه وجب الكتب اليكم والحمد لله . . . والسلام وفى سادس ذى الحجة أربعين وألف » .

هذه هى الرسالة على ما فيها ، فان صح أنها من ايليغ فان ذلك يتأيد بالنصر الذى أدركته سنة 1039 هـ يوم استولت على تارودانت وما اليها ، فان فى ناحيتها قبائل كثيرة لها عدة وعدد ، وقد انضوت فى الايالة سلماً ، وكذلك اتسعت الولاية الى أعالى الأطلس الى دادس ، وكذلك قطر سجلماسة كان الآن فى مختتم 1040 هـ مفتوح الأبواب لبودميعة سلماً أيضاً ، ولعل هذا كله ما يقصد فيما انمحى من الرسالة عند قول كاتبها :

« هذا وموجبه اليكم . . . قبل هذا . . . ما اتفق عليه أهل هذه الأقطار المغربية الخاصة منها والجمهور وأهل الحل والعقد فى المبايعة وأهل الغناء . . . فى دخول الجميع فى شيعتها الناجحة وأحزابها المفلحة الراجحة . . . » .

ومما يتقوى به أيضاً كون الرسالة من ايليغ ان قبيلة التوارك وهى دون تينبكتو تكون قبل دائماً فى ايالة السعديين ولو اسماً ، فتدوم فى أيدى الزيدانيين ولا ينتظر منها الولوج من جديد الا الى ايالية ايليغ الممتدة الى تلك الناحية ، أو ليس الأمر كذلك ؟

وأياً كان ، فان الرسالة وثيقة تاريخية ، فان صح أنها من ايليغ فانها قد تمكنت فى كل تلك الناحية قبل مختتم 1040 هـ ، وان صح انها من الزيدانيين فان تمكن ايليغ فى تلك الناحية انما يكون بعد 1040 هـ بقليل جداً ، على استبعادنا الكثير ان تكون الرسالة من الزيدانيين وان كانت بعض اسماء وردت فيها ربما تؤيد ذلك ، ولكن ما المانع أن يكون الفاسى والقصرى من المستخدمين في ايليغ ؟ فسترى من المستخدمين فيها بلا ريب مراكشياً ومصلوحياً ودرعياً، والناس أبناء أغراضهم المادية فأينما وجدوها طاروا اليها .

تسقط الطير حيث يلتقط الحـ ـب وتغشى منـازل الكـرمـاء

وسنرجع لتحقيق هذه النقطة فيما ياتى حتى نهتدى الى الوقت الـذى استولت فيه ايليغ على تلك الناحية ، فليكن معنا القارئ من المنتظرين .

**نظرة عامة على ايالة ايليغ نحو 1044 هـ**

امتدت الايالة الايليغية كما يرى من يتتبع ما تقدم بعد مـوت يحيـا ، فاستتمت الاستيلاء على درعة سنة 1036 هـ ، واسترجعت تارودانت ومـا اليها سنة 1039 هـ ، وتمكنت في دادس حوالى قمم الأطلس الكبير سنـة 1040 هـ ، وضمت اليها قطر سجلماسة سنة 1041 هـ ، وتمكنت فى فونتى (269) نحو هذا الحين ريثما تتمكن فى أكادير بعد قليل ، وتمطت الى الجنوب تمطيا بعيد المدى حتى وصل نفوذها غينية وتجاوز تينبكتو وساد فى كل تلك النواحى ، اما فى سنة 1040 هـ واما بعدها بقليل ، وهكذا اتسعت الايالة اتساعاً عظيماً وساد فيها

---

269) فونتى هو القرية القريبة من البحر فى اكادير المحاذية لمرساه ، وهي التى كان بهـا البرتغاليون 72 سنة حتى اخرجهم منها محمد الشيخ الاول السعدى سنة 947 هـ بعد ان ناوشهم هو وابوه واخوه احمد الاعرج سنين قبل ذلك ، واما اكادير ـ ومعناه الحصن ـ فهو البناء المسور على قنة الجبل فوق فونتي وقد بناه محمد الشيخ نفسه فى تلك السنة ليكون مرقبا لاستكشـاف البحر، وقد كان افاضل السوسيين كالعلماء والنساك يرابطون فيه لذلك، فقد ذكر القاضى ابو زيد التامانارتى فى فوائده الجمة انه رابط فيه سنة 1016 هـ قال : « وكنت ابيت فى السطح اراقب البحر » وامام القارىء تفصيل ذلك .

الأمن التام كما ستراه في كلام الأوروبيين وازدهرت التجارة مع هؤلاء فاستغنت ايليغ استغناء عجيباً تطفح به أقلام ذلك العصر ، وقد رقاها الى منصة عالية موقعها في ممر البواخر التجارية ما بين أوربة وبين البرازيل والهند وافريقيه الجنوبية ، فكاتبتها الدول تسترضيها ، وتحاول كل واحدة منها أن لا تخلي يدها من صداقتها لتسهل التجارة ، وليتأتى فداء من ترميهم البواخر الذاهبة الآتية على هذا الساحل (270) فأمكن ايليغ أن تنال عظمة تملي رسالة ذات قيمة على ملك انكلتيرة تعلن اليه فيها مهادنة عامة ما دام يحرر كل من سقط اليه من أسرى المسلمين في أية جهة كانوا من المعمور ، ولتنتظر الرسالة بنصها ،

---

270) كانت الملاحة الى هذا العهد الذي يتحدث عنه المؤلف رحمه الله ما زالت محفوفة بالاخطار رغما عن كون البحارة يستعينون بالآلات الموجودة اذ ذاك ، وهي البوصلة التي كانت في أول أمرها عبارة عن ابرة مغروزة في تبنة وهما موضوعان في حق مملوء ماء ، وبالاسطرلاب ، وبالمسبار الذي كان عبارة عن عمود طويل من الخشب يجلس به أحد البحارين في مقدم السفينة فيغطسه من حين لآخر في الماء ليرى ما اذا لم تكن السفينة مشرفة على مس صخور أعماق الماء حتى لا ترتطم بها .

فلما اكتشفت البرتغال طريق الهند وبلغت كوا في فبراير 1488 بواسطة قائدها بطليموس دياز بعد نصف قرن من التضحيات الجسيمة والمجهودات الجبارة ، واكتشفت اسبانيا اميركا في ثاني أكتوبر 1492 م. (18 ذي الحجة 897 هـ) بواسطة كريستوف كولومب صار لزاما على الأوربيين القاصدين اليهما أن يمروا بالسواحل الافريقية التي أولها المغرب بالنسبة اليهم ، ومن المعروف عند البحارين ان الشواطىء الغربية لأفريقية ـ خصوصا الجنوب المغربي ـ تصعب فيها الملاحة . وكانت تقمع جرأة امهر البحارين ـ كما قال أحد مؤرخي ذلك العصر ـ وكانوا يحاولون الابتعاد عنها بحسب الامكان . ولكن الضرورة كانت تلجئهم اليها كالتموين وتجنب الزوابع البحرية وغيرهما مما لا نعرفه اليوم ، فكانت السفن ترتطم بالصخور المستورة بسطح الماء فيصير ركابها عرضة للاسر والاستخدام في الأشغال الشاقة . فيترتب عن ذلك ما توجبه ظروف ذلك العصر في كافة بلاد الدنيا ، ولا ينبغي أن نغفل هنا ان احمد بن المهدي الغزال الفاسي كاتب السلطان سيدي محمد ابن عبد الله وسفيره لفكاك الاسرى وجد في اسبانيا جماعة من المغاربة اسروا في طريقهم الى الحج فاستخدمتهم اسبانيا في شق الجبال النائية عن العمران مع حسن علاقتها اذ ذاك مع المغرب .

وما دمنا بصدد التاريخ ، فلا بأس أن نثبت هنا ان كوا بضم الكاف المعقودة وفتح الواو ، قد ظلت البرتغال متشبثة بها رغم أنها جزء من الهند ، ورغم أن الهند استقلت كلها من يد الانجليز . فكلما طالب الزعيم جوهر لال نهرو من البرتغال اخلاء كوا ، تمانعه وتجادله ، فصبحتها الجنود الهندية يوم 18 دجنبر 1961 م. فاستردتها في أقل من لمح البصر .

فسبق بهذا الشرط السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى حين كان يحرص على تحرير أسارى المسلمين مطلقا (271) .

كما بلغت ايليغ فى هذه الفترة عصرها الذهبى وأوجاً عظيماً يشيد به التاريخ ، وقد راينا فيما مضى ، وسترى فيما ياتى ما يشهد لاستتباب الأمن فى ايالتها ، ووفرة الغنى العجيب عند أميرها ، والعدل المحيط المؤسس على الاستقامة فى كل محاكمها ، مع تأن عظيم فى استلحاق أطراف جديدة الى الايالة ، فلا يحملها الشره وكثرة الأطماع حتى تهتك الأعراض فى سبيل ذلك ، حتى كتب كاتب اذ ذاك كلاماً يستهزئ بها حين تختار غنيمة سلامة الأعراض على

---

271) هو السلطان المعظم سيدى محمد بن عبد الله بن المولى اسمعيل بن الشريف العلوى وهو أحد الرجال العظام الموفقين تحرسه العناية الربانية عن مواطن الزلل ، زار الحرمين الشريفين دون البلوغ سنة 1143 هـ صحبة جدته لأبيه خناثة بنت بكار المذكورة فى الحاشية ـ 8 ـ ، وعينه والده خليفة بمراكش فاراد أن يبنى بها دارا لسكناه فمنعه سفهاء الرحامنة فلم يحاربهم بل اتجه الى أسفى حتى جاءه أعيان الرحامنة معتذرين وردوه الى مراكش ، وهذا من دلائل توفيقه ، وفى سنة 1162 هـ ثار العبيد والبرابر على والده بمكناس وزرهون ووافوه بمراكش ليبايعوه فلم يقبل منهم وردهم الى والده واصلح ما بينهم وبينه ، واعادوا ذلك فى 1164 هـ فرفض الانقياد لهم وصحبهم الى والده . وهكذا كانت بواكير اعماله التغلب على المطامع والتحكم فى النوازع النفسية .

لما بويع بعد وفاة والده سنة 1171 هـ اتجه الى اصلاح مملكته ولم يدع أى ناحية فى مجتمعه لم يتجه اليها ، فقد أخذ رأى العلماء فى الجبايات وضبطها ، وأصلح التعليم ، واصلح نظام القضاء وطهره من كل ما يحدث الشغب والتشعب ، وجدد الاسطول المغربى وادخل عليه التحسينات والاصطلاحات العالمية فى عصره ، وعقد لذلك المعاهدات مع غالب دول عصره ، وكان أعظم حرصه متجها الى تحرير الاسرى المسلمين عموما من ايدى الأوربيين والى تحرير التراب المغربى والاسلامى عموما ايضا ، وكان له سفراء متخصصون فى الشؤون الدولية ، وهو الذى حرر البريجة من يد البرتغاليين بعد حصارها اربعين يوما برا وبحرا سنة 1182 هـ ، فهدمها لما خرجوا منها خوف أن يعودوا اليها وظلت هذه تسمى المهدومة حتى اعادها عامل تامسنا حفيده الشريف سيدى محمد بن الطيب بن عبد الله ايام السلطان مولاى عبد الرحمان وسماها الجديدة وتوعد من سماها بغير ذلك ، واعتنى سيدى محمد بن عبد الله بمساعدة الدول الاسلامية فى حروبها للاجانب ، فقد قدم للترك كثيرا من المساعدات فى محاربتهم للروس ، ووجه كثيرا من المساعدات لأهل الحرمين الشريفين ووقف هناك الأوقاف المهمة ، وبلغ من اعتنائه بالسنة النبوية انه الف فيها وجمع كثيرا من كتبها .

كل ذلك لم يمنعه من أن يكون حازما صارما فى الشؤون الداخلية فكم صادر من عمال وكم قتل من ظلمة حتى كانت ايامه الطويلة احد عهود الازدهار المغربى التى قلما يتوفر الا نادرا.

مرض رحمه الله فى طريقه الى الرباط وتوفى بين وادى الشراط ووادى يكم وحمل الى داره بالرباط فدفن باحدى قببها سنة 1204 هـ .

غيرها من الغنائم كما يوجد في رسالة الى الدلائيين في الثالث من الاستقصاء ، (272) فيحاول أن يجعل من هذه المزية الممدوحة عيباً مشنوءاً .

اذا محاسني اللاتي أدل بها
كانت ذنوباً فقل لي كيف أعتذر (273)

فلم تدخل ايليغ غالب ما استولت عليه الا بالدعاية الحسنة ، فبذلك استولت على تارودانت وعلى سجلماسة ، وربما كان كثير من ذلك أيضاً في تملكها لدرعة رغم حروب ذكرت هناك نحو ثلاث سنين ربما كانت بين بعض اهالي درعة وبين الزيدانيين أولا ، ثم كان بودميعة في جانب الأهالي بجيشه ، ولعلنا نقول مثل ذلك في السودان السعدى ، فقد رأيت في الرسالة ءانفاً ما رايت مما يدل على المسالمة لا على المعاركة والمقارعة ، ان صح انها من ايليغ كما نرجح .

---

272) الرسالة المشار اليها هي من انشاء العلامة الكبير عبد الله المسناوى بن محمد بن ابي بكر الدلائي ، مؤرخة بيوم الأحد 22 رجب عام 1047 هـ ، وجهها الدلائيون الى محمد الشيخ الثالث السعدى ، ونص ما قصده المؤلف منها : « واما صاحب ايليغ السوس — يعنون بودميعة — فما مراده وذويه الاغنيمة سلامة الاعراض ونجاة سلب النفوس » .

على حين انهم وصفوا له فيها مولاى محمد بن الشريف بن على العلوى بانه : « عقاب اشهب على قنة كل عقبة لم يقنعه عد المال عن حسم الرقبة » . كما وصفوا جيوشه بأنهم « ذوو النفوس النفيسة ، بربر صنهاجة ودخيسة ، بزاة النزوات ، والمحال والغزوات » .

وغرضهم ان يعظموا لمحمد الشيخ الثالث أمر مولاى محمد بن الشريف ليفزعوه به ، وان يهونوا له أمر صهره بودميعة ليفتوا في عضده . والأجدل أو الأجدل الصقر وهو نوع من البزاة يصطاد به .

273) البيت لأبي عبادة الوليد بن عبيد البحترى ، وهو العاشر من قصيدته التي أولها :

في الشيب زجر له لو كان ينزجر — وبالغ منه لولا انه حجر
ابيض ما اسود من فوديه وارتجعت — جليته الصبح ما قد أغفل السحر

ومنها :

أهز بالشعر اقواما ذوى وسن — في الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا
على نحت القوافي من مقاطعها — وما على اذا لم تفهم البقر

هذه الايالة الفيحاء المتسعة من سوس الى سجلماسة ومن حوالى قمم الأطلس الكبير ومن حاحة من الشمال الى الصحراء ، (274) والى غينية وراء تينبكتو ايالة تضم من الرجال الأشداء ومن موارد الأموال وطرق التجارة وموارد السلع التي تعد للمقايضة مع تجار أوربة شيئاً عظيماً لم يفز به من كانوا اذ ذاك من ملوك الطوائف بالمغرب ، كالزيدانيين والعياشي والدلائيين ، فهذا سر عظمة ايليغ في هذه الفترة ودعامة تلك الدعاية المكينة التي تسيل بها أقلام كل من يزورون تلك الأيالة الطافحة بالأمن والعلم والعدل ، كما يوجد كل ما يدل عليها بين يدى القارىء في هذا الكتاب .

مستاصل ايليغ ينبعث من مهده

اذا تم شيء بدا نقصه        ترقب زوالا اذا قيل « تم »

---

274) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « 276 ج 4 تاريخ مراكش للقاضي عن رحلة ابن مليح ، الحاج سنه 1041 هـ » .

وابن مليح هذا هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي المشهور بالسراج ، ويلقب بابن مليح ، المراكشي ، ورحلته المسماة : « انس السارى والسارب ، من اقطار المغرب الى منتهى الآمال والمآرب ، وسيدى الأعاجم والأعارب ، صلى الله عليه وسلم » . خرج من مراكش في الموكب الرسمي للحج في ءاخر صفر 1040 هـ ، وبعد الحج وصلوا المدينة المنورة يوم الجمعة 3 محرم 1042 هـ ، ومعهم هدية الى الروضة الشريفة من السلطان المولى الوليد بن زيدان بن احمد المنصور السعدى ، وهي شمعدانان (حسكتان) من العسجد مركبتان على يواقيت من الزبرجد ، وزن كل واحدة منهما اربعة أرطال من ذهب ، واثنتان اخريان من الفضة الخالصة وزن كل واحدة منهما عشرة أرطال ، وصندوقان مملوءان من شمع العنبر ، وعشرة ءالاف من الذهب المطبوع ، ورسالة وقصيدة ، وكتب على حسكتي الذهب بخط اخضر .

متع لحاظك في محاسن منظرى        لترى عجائب مثلها لم يعهد
قمر على غصن الزبرجد قائم        ينبيك عن حب (الوليد) لـ (احمد)

أما ما قصده المؤلف رحمه الله من التعليق المذكور فهو قول القاضي سيدى العباس بن ابراهيم رحمه الله أثناء استعراضه لمحتويات الرحلة المذكورة في الرجوع الى المغرب وهو : « ثم وصلوا بلاد فزان ثم توات ، ولقوا سرية جاءت للساقية الحمراء لنهب ابل المرابط سيدى على نجل سيدى أحمد بن موسى فلم يظفروا منها بشيء » ومعنى ذلك ان وجود ابل سيدى على بودميعة في الساقية الحمراء وكون النهاب جاءوا لنهبها فلم يقدروا عليها يدلان على أنها من ايالته وأنها محصنة .

ما رفع الله شيئا الا وضعه ، فهذه ايليغ بلغت فى هذا الحين أوجاً عظيماً كان يدل بظاهره على أن قدمها فى الامارة راسخة ثابتة ، وعلى أن الأيام قدمت اليها كأساً دهاقاً لم تكن لتنزعها من شفتيها الا بعد أجيال متعددة ، ولكن امر الله هو الغالب ، وما الحكم الا له وحده ، واليه تصير الأمور ، فقد ألقت الأقدار البذرة الأولى التى ينبت منها من يستأصل ايليغ فى هذا الوقت الذى تنتشى فيه بالعزة .

قد رأينا استغاثة الشرفاء ببودميعة واغاثته اياهم فى الحين ، ثم تمثيله لدور الذئب الذى أعطى وطبا (275) ليغسله فى النهر فأكله ، فلما طلب منه قال أكلته فيما أستحقه من الأجرة عن غسله ، وكذلك بودميعة فانه عمد الى سجلماسة فانتزعها من كلتا الأسرتين المتنازعتين عليها ، أسرة الشرفاء التى استغاثت به وأسرة الزبيريين التى تخاصمها ، ولا ريب أن ذلك تمثيل لدور ان كانت سياسة الملك والاستيلاء تستسيغه ، والمستضعفون أصحاب اللوثة (276) يتقبلونه ، فان أمثال ءال الشريف الأباة الأحرار يانفون من تمثيله أمام أعينهم وفوق رؤوسهم ، والأنفة لا تعرف الاستخذاء ، ولهذا رأينا ما بين ءال الشريف وبين بودميعة يحول الى تفاقم ، فانفصمت عرى المودة وانحل ما بينهما من الالتئام .

## هل بويع الشريف بن على فى سجلماسة قبل هذا الحين ؟

يذكر التاريخ ما ياتى :

---

275) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الوطب الجلد الذى يمخض فيه الحليب وهو المسمى الشكوة » .

276) اللوثة الضعف والاسترخاء ، يقال رجل ذو لوثة اذا كان بطيئاً متمكثا فى الأمور مسترخياً ذا ضعف .

« كان المولى الشريف بن علي بسجلماسة واعمالها على ما وصفناه قبل من الوجاهة والرئاسة والسيادة ، ممتثل الأمر ، متبوع العقب (277) منذ نشأ ، ثم بايعه أهل سجلماسة سنة احدى واربعين والف، ونازعه بنو الزبير اصحاب تابوعصامت ، وبذلك استصرخ عليهم أبا حسون السملالي حتى ملك سجلماسة كما مضى »

هذا ما قيل من ان الشريف بويع له سنة 1041 هـ فعاكسه جيرانه هؤلاء ، ثم لم يجد ملتحدا (278) من مناوآتهم ولا متملصا منهم الا بالاستنجاد بالايليغيين ، وللنفس في هذا توقف ، فالعاقل كالشريف يستبعد منه ان يستنصر بعد أن تزيا بزي الامارة بمن يعرف منه انه يمثل معه قول ابن الحسين :

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده تصيده الضرغام فيما تصيدا

وربما كان بعض ذلك ، فيضيق الحال بالشريف حتى يقف مع أقتاله (279) موقف عبد الله ابن الزبير مع الاشتر النخعي يوم الجمل وقد تلازا وتقابضا بالايدى فرفع عقيرته يقول

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي(280)

---

277) من معاني العقب بفتح العين وكسر القاف : مؤخر القدم ، ومنها الحديث الشريف « ويل للأعقاب من النار » لأن الناس يغفلون عن غسلها في الوضوء ، ويقولون فلان موطوء العقب ، ومتبوع العقب اذا كان يتقدم الناس وهم يتبعونه اي انه رئيسهم والمقدم فيهم ، وهذا هو المراد هنا.

278) الملتحد الملجأ والمهرب ، اى يجد مناصا من محاربتهم .

279) الاقتال جمع قتل بكسر القاف كسدر له معان من جملتها القرن والعدو وهو المراد هنا .

280) الاشتر صفة من شتر كفرح وبالبناء للمجهول أيضا ، اذا كان جفن عينه منقلبا ، وهو لقب للبطل العربي الشاعر مالك بن الحارث الاشتر النخعي نسبة الى النخع بفتح النون والخاء قبيلته ، وهو أحد قواد الاسلام ، كان على ميمنة جيش الامام علي يوم الجمل وبارز على شيخوخته وكونه لم يذق الطعام ثلاثة أيام عبد الله بن الزبير بن العوام على شبابه فصرعه وبرك عليه ، فجعل عبد الله ينادي أصحابه وينشد البيت الذي اورده المؤلف هنا ، وحيث ان ام عبد الله بن الزبير هي اسماء ذات النطاقين اخت ام المؤمنين عائشة ، فان الاشتر يقول :

اعائش لولا انني كنت طاويا ثلاثا الفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي ، والرجال تجوزه ، باضعف صوت: «اقتلوني ومالكا»
فلم يعرفوه اذ دعاهم وعمه خدب عليه في العجاجة باركا

ولو كنا بصدد منشأ هذه الدولة العلوية المباركة العلية ، لكانت لنا مندوحة في التوسع في هذا البحث حتى نقف معه على ما يثلج الصدر ويكشف الريب ، ولكن حيث اننا بصدد ذكر غيرها فليعد القراء هذا المستدرك رمية من غير رام ، فلعل من يتصدى لتلك الدولة الشريفة يحقق ويدقق في هذا الموضوع حول هذه النقطة التي وقفنا ازاءها ونحن في شك مظلم ، لان ما يتبادر غير ما ورد في كلام المؤرخ المذكور

## مولاي محمد بن الشريف يتلع رأسه

كان ما بين هؤلاء الشرفاء الامجاد وبين ءال ايليغ متلائما ملتحما كما تقدم ، فما الذي احدث الشقاق بينهما جديدا حتى رأينا بينهما هذا التنازع ، فيخرج مولاي محمد الى الميدان بشجاعته التي لا تدرك ، وعظم بخته الذي لا بخت يوازيه

يقول المؤرخون ان الزبيريين ءال تابوعصامت هم الذين حاكوا بنسجهم مكرا كبارا (281) بيتوه فأحكموا الدسائس بين بودميعة وبين الشرفاء حتى افسدوا القلوب ، ونسفوا الثقة المتبادلة بينهما ، فلم يزالوا بالامير حتى تمكنوا من اصاخته اليهم ومن ثقته فيهم خاصة ، فظهروا من جديد في سجلماسة بعد ما كانوا في أقماع المذلة والهوان ، فتم لهم ما ينشدون من قبل من السيادة هناك ، فكانوا هم عمد ايليغ في ذلك القطر ، واليك ما قاله اليفرني في نزهة الحادي :

« لما راى أهل تابوعصامت ما بين المولى الشريف وابي حسون من الصداقة والوصلة مالوا بكليتهم الى ابي حسون ، وخدموه بانفسهم واولادهم، واظهروا له النصح وصدق المحبة طمعا في استفساده على المولى الشريف اذ

---

281) الكبار : الكبير .

كان ظاهرا عليهم به ، فلم يزالوا يسعون فى ذلك الى ان اظلـم الجـو بينهمـا واستحكمت العداوة ، وتوفرت دواعيها ، ولما رأى ابنه المـولى محمـد بـن الشريف ذلك احتبل الغرة فى اهل تابوعصامت وخرج ليلا فى نحو مائتيـن من الخيل مظهرا انه قاصد لبعض النواحى ، ثم كبسهم على حين غفلة وتسور عليهم حصنهم، فما راعهم الا وهو فى جماعته، فوضع فيهم السيف، وحكمه فى رقابهم، فلم يكن عندهم دفاع ، واستمكن منهم ، واستولى على ذخائرهم وشفى صدر ابيـه مما كان يجده عليهم » .

وقال سيدى ناصر المزوضى فى كناشته :

« دخل مولاى محمد بن الشريف تابوعصامت فى شعبان 1047 هـ فقتل الشيخ عبد الرحمان والشيخ عبيدا » هذا ما قاله هذا السيد ، ولا ريب ان هذا التاريخ بـ 1047 هـ فيه ما فيه .

وقال صاحب مقيد موجود بالمكتبة العامة بالرباط :

« وغدر الشريف أهل تابوعصامت : الشيخ عبيدا والحاج ملوكا بمعاونة ابن عمهما الشيخ أحمد ، وقتلهم الشريف مع جماعة من خدامهم ، واكل جميع اموالهم ، وهدم ديارهم فهرب من بقى الى ابى حسون ، وبعث اليهم ابـن عمـه واولاده بجيش فيه نحو الفين من الرماة وخمسمائة من الخيـل مـع اولاد عبد الكريم ، وكانوا بتافيلالت ، وردوا البوعصاميين الى بلادهم ، وحاصروا الشرفاء فى قصبتهم »

وقال العربى بن عبد السلام فى الدرة المكنونة الغالية : (282)

282) « الدرة المكنونة الغالية فى وصف الدولة العلوية العالية » لابى حامد العربى بن عبد السلام الفيلالى ، دفين طيبة ، كان حيا سنة 1212 هـ اثنى عشر ومائتين وألف ، موافق 1797 م . استهلها بقوله : « الحمد لله الذى لا يملك غيره ضراً ولا نفعا » الخ يقع فى نحو الخمسة كراريس توجد بالخزانة الزيدانية نسخة منه تحت عدد 1022 .

« لما دخل بين الشريف وبين ابى حسون اهل النقص والجرائم والسعاية والنميمة ، جند الجنود وبند البنود ، وجاء بخيله ورجله ، وشيخه وكهله ، حتى وصل درعة فبداله وانتظر فيها ما عنده ، فوجه له مولاى الشريف ابن اخيه مولاى عبد الكريم بن الفضيل ، وحفيد اخيه محمد بن احمد بن محرز وابن اخيه مولاى عبد الواحد بن حجاج وبعض الكراوة والسيد عبد السلام بن احمد فى حدود تكون بينهما محدودة ، وتلقى رماح الحرب بينهما منبوذة ، بشرط ان يرحل من درعة ولا يحذو أبدا حذوه ، فعظمهم سيدى على واكرمهم واعطاهم ووعدهم ، فطلب مولاى عبد الكريم من سيدى احمد بن على فرسه الأدهم فأعطاه له، وطلب مولاى محمد بن احمد دار القائد والدمنة(283) فأعطاها له، وزاده مدفع آكزيز ، وطلب مولاى عبد الواحد جنان الغازى وأقرنين فاعطاهما له ، وزاد مدفع افريمان ، وكسا الكراوة ، فالتفت سيدى على الى سيدى عبد السلام : ما حاجتك انت عندنا ؟ وقيل له : رد جواب سيدى على ، فقال ماذاك ؟ مولاى الشريف ومولاى محمد يقرئانك السلام قائلين لك : ان رحلت من درعة التى ملكها الله لهم فالعهد باق بيننا ، وان بقيت نقضت عهودنا ، ولا نسلمها ابدا بالهوان والعنا ، فقال له سيدى على ظننتك مسكينا وانت بهذا جئت وسكت تتعجب ، فقال انما تعجبت من السادات ، تحققوا ان سجلماسة ملكت بالسيف ، ويطلبون منك منفعة الخريف والصيف ، واذذاك دخلت على سيدى على رسالة بان سيدى احمد بن ابراهيم فى مرض شديد لا يدرون ان ابطأ هل يجده حيا اولا ، فشيعهم بلا جواب ، فرحل منزعجا باذن رب الارباب »

---

283) والدمنة هذا : شكله المؤلف بضمة على الواو وضمة على الدال المشددة ، وسكون على الميم ، واذا كان أصل اللفظ عربيا فامره ظاهر ، واذا كان أصله شلحيا فان الواو المضمومة تستعمل فى الشلحية لما تستعمل له ياء النسب فى العربية فكانه نسبة الى محل يسمى الدمنة ، وكثيراً ما تشتهر كبار الشخصيات بمثل ذلك .

اقول يظهر ان هذا اللقى فى درعة كان بعد الوقيعة بالزبيريين ، فربما كان ينوى بودميعة ان يفتك بالشرفاء بزحفه الى تافيلالت ، الا انهم تحيلوا فلاقوه كانهم ما فعلوا بالزبيريين الا ما يستحقونه ، فيطمع بودميعة ان يتالفهم حين لاقوه هذه الملاقاة ، وذلك هو الموافق لسياسة اللين المعروفة عنه ، فوصلهم كما ترى ببساتين وبخيل وكسوة وسلاح ، الا ان التفاهم الذى يميل اليه بودميعة كدره عليه قول عبد السلام الصريح حين اعلن اليه ما ينوونه بغير مجمجة ولا مؤاربة ، والمقصود بكون تافيلالت ملكوها بالسيف انهم بصدد تملكها تماما بعد الوقيعة بالزبيريين ، لا انهم ملكوها بالفعل ، والا لتم الامر ، فلا يمكن ان ياتى هؤلاء الشرفاء الى بودميعة لانها مغامرة لا يسيغها العقل ، فهل يكون نصيبهم لو كان ذلك واقعا حقيقة الا الاعتقال ؟ ولو كانوا رسلا لما جاءوا اجمعون ، ولما طلبوا منه ما طلبوا ويؤيد أن ذلك انما المقصود به ما سيقع ما قاله عبد السلام ايضا ان درعة ملكها الله لهم ، يعنى ان ما عندهم من اخبار الحوادث التى ستقع يدل على ذلك ، وكثيرا ما رأينا من كلام مولاى محمد الشريف نفسه استدلالا بالجفريات فى انه سيكون له ملك يورثه ذويه

وايا كان فقد اسبل الله ذيل حفظه على الشرفاء فى هذه المرة فانزعج بودميعة بخبر مرض الفقيه احمد بن ابراهيم فرجع ، واحسب ان الجيش الذى ذكر فيه الفان من الرماة وخمسمائة من الخيل كان بعثه فى هذا الحين الى سجلماسة بعد رجوع بودميعة ليرد الزبيريين الى ديارهم ، وليحتال رئيسه على الشرفاء ، لأن الحوادث لا تنتظم الا بذلك . وعند الكلام حول الدلائيين ما يدل على ان بودميعة ذهب الى تافيلالت بنفسه فحاصر الشرفاء حتى استسلموا مكرهين ، وسياتى ذلك .

## مولاى الشريف فى سجن ايليغ

قال الضعيف (284) « اوعز بودميعة الى قائد سجلماسة ابى بكر بعد

284 هو ابو عبد الله محمد بن المرابط عبد السلام بن احمد بن محمد الضعيف بصيغة التصغير ، الرباطى المولود فى ذى الحجة عام 1165 هـ وتاليفه مجموعة تقاييد لحوادث وقعت فى وقته او فيما قبيله فى تاريخ الدولة العلوية الشريفة الى حوالى سنة 1233 هـ ، وهو متداول على قلة ، ويوجد بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم « D 660 » .

ان استقر الزبيريون في ديارهم ان يحتال على رئيس تلك الأسرة حتى يعتقله فيسوقه مسجونا الى ايليغ فتمارض ابو بكر فعاده الشريف فاعتقله فوجهه الى ايليغ منفذا للأوامر الصادرة اليه بكل دقة ، وبذلك توترت العلائق بين اسرة الشرفاء وبين ايليغ توترا عظيما ، فانفرجت الشقة بينهما انفراجا لا يمكن معه اى التئام ، فعرف الشرفاء انهم امام مجاذبة عنيفة لابد ان يشدوا لها حيازيمهم ، ويستنفدوا فيها جهودهم ، فانه لا امان لهم بعد ، ولا حياة ترجى لهم مع بودميعة ، فقد صرح الشر وزال الغطاء ، وان هذا السبب ظاهر يتخذونه ذريعة الى ادراك تلك الأمنية التى هي من عهد بعيد مرماهم في الحياة ، وفى تفصيل اعتقال ابى بكر للشريف قال الضعيف :

« اشتد غضب بودميعة حين فتك ابن الشريف بالزبيريين ءال تابوعصامت ، ثم طلب من ابى بكر صاحب الشريف ان يعتقله ، فاعتذر اليه بالصحبة ، ثم بداله فنزل ازاء دار الشريف ، فتطلب ملاقاته ، فمنعه اولياؤه ، ثم تمارض ابو بكر فارسل الى الشريف يستعيده ليمكنه من مال لبودميعة ، فاغتر الشريف ولم يستشر اولاده ، فذهب اليه فاعتقله ابو بكر فى القصبة »

اقول : ان بعضهم يزيد ان الشريف صرخ فى وجه معتقليه : « اننى تركت لكم ايها الغدارون اسدا كاسرا سترون منه ما سترون »

وقال سيدى ناصر المزوضى فى كناشته :

« اعتقل بودميعة مولاى الشريف يوم الثلاثاء ءاخر شوال سبع واربعين والف ، فسجنه بتازروالت حتى ولد له مولاى اسماعيل »

اقول ان فى تعيين هذا التاريخ ما فيه ، لان الاعتقال وقع قبل 1046 هـ كما عند ءاخرين ، كما ان مولاى اسماعيل لم يولد فى وقت الاعتقال كما يقوله اهله

ادخل مولاى الشريف معتقلا الى ايليغ فامر به بودميعة احتياطا ان يوضع فى حصن بقنة جبل جنوبى ايليغ ولا يزال طلل ذلك الحصن الى الآن ، وهناك يقضى هذا الشيخ تلك الايام التى قدر عليه ان يقضيها فى الاعتقال ، وقد وسع عليه بودميعة بدليل انه انعم عليه بسيدة اقترن بها هناك ، وهى ام مولاى اسماعيل ، واصلها من الوداية اهداها الجراريون الى بودميعة ، كما يقوله الضعيف وغيره ، وقد اختلف المؤرخون هل ولد مولاى اسماعيل اذذاك وأبوه فى الاعتقال ، أو لم يولد الا بعد رجوع والده وتخلصه من الأسر ، فهناك من صحح انه ولد فى ايليغ ، فقد رايت بعض من ذكر ذلك فيما سقناه قريبا ، ووجد ذلك ايضا بخط بعض المعتنين من السوسيين ، كما ذكره ابن الصباغ أيضا من غير السوسيين ، وهناك من صرح بأنه ما ولد الا فى سجلماسة سنة 1056 بعد تسريح والده من الاسر ، وتأيد هذا القول بان رجال الاسرة يتناقلون بينهم تعيين مسقط راسه من دار ءال الشريف ، وممن يميل الى هذا ويرجحه شيخنا المولى عبد الرحمان بن زيدان مؤرخ الدولة العلوية ، وأهل مكة أدرى بشعابها (285) وقد استدل لذلك بأمور ذكرها فى مؤلفه الخاص بمولاى اسماعيل ، واياكان فامه ــ كما ترى ــ اقترن بها والده وهو فى سوس او تسرى بها على احتمال عندهم ايضا

ومما يتعلق باعتقال مولاى الشريف تبعا لجريان ذكر اولاده ، ما يذكره اهل قرية الدهائرة من ايفيرملولن جيران ايليغ ان مولاى الرشيد كان فى صغره يتعلم فى مسجد قريتهم يوم كان ابوه معتقلا ، يتناقلون ذلك فيما بينهم ، ويقولونه بكل تصحيح ، ونحن نعلم ان مولاى الرشيد ولد سنة 1040 هـ فان كان ما يقولونه صحيحا فان والده استقدمه ليأنس به فى غربته ، وقد عرف فى التاريخ انه كان يلهج به دائما ، ولا مؤنس للاب الغريب كولد له صغير يدرج بين يديه

---

285) أهل مكة أدرى بشعابها : مثل متداول يضرب لكون أرباب الشيء أدرى بخفياته وخباياه من غيرهم .

## ايليغ تصطك ءاذانها لثورة ابن الشريف

زج بالشريف في مطبق ايليغ ، وهو سيد عظيم القدر له حرمة وجـاه في بلده، فلم يبق حينئذ امام ءاله الا احد امرين : اما الخضوع لايليغ والبصبصة عند منازع نعالها يستشفعون الرحمى من الايليغيين بدموع الذل والانكسـار ويستنزفون الاعتذارات الممكنة عما اقترفوه في الزبيريين بين ايديهم مستسلمين مستكينين ، واما مصارحة ايليغ بالعداء والبروز الى الميدان باعلان الثـورة ، والصراحة بالمقصود في قطر سجلماسة ، ولو كان هناك غير مولاى محمد بن الشريف الأبي المقدام لكان ربما اختار الشق الاول ، لكـن مولاى محمد بـن الشريف الأنوف لا يختار الا الشق الثاني ، فيصارح بما في نيته ويغامر لعله أن يكون من الفائزين ، وهذه المغامرة امر طبيعي يؤيدها ذلك العصر وبيئتـه ، فكما أن سجن الذهبي لعلي ابن الشيخ سيدي احمد بن موسى انغل (286) عليه صدور ذويه ، كذلك سجن بودميعة للشريف بلغ بلا ريب من نفوس اهله مبلغا عظيما ينفذ معه كل صبر، وتتأصل به كل ضغينة ، فلا غرو ان رأيناهم يركبون الأسنة ويديرون الى المناضلة والمبارزة الاعنة

اذا لم يكن الا الأسنة مركب      فلا راى للمضطر الا ركوبها

قال مؤرخ في ذلك (287)

« لما قبض ابو حسون على المولى الشريف وسجنه عنده كان ولـده المولى محمد مجمعا على اهلاك من بقي من أهل تابوعصامت، واستئصال شأفتهم(288)

---

286) يقال نغل الجلد من باب فرح اذا فسد في الدباغ . وانغله الانسان افسده ، فصار يكني به عن فساد قلب انسان على ءاخر ، اما خبر سجن المنصور السعدي لعلي بن الشيخ سيدي أحمد بن موسى في تارودانت فقد تقدم صدر الكتاب .

287) علق المؤلف على ذلك بقوله : «الناصري في الاستقصاء ، صفحة 8 جزء 4 .

288) الشافة مهموزة وغير مهموزة واستعمالها مهموزة أكثر وأحسن ، قرحة تكـون في باطن القدم او الكف فيحدث تورمها الألم ، وكانوا يستأصلونها بالكي حتى لا يبقى لها أثر وربما استأصلوها بالقطع كما وقع لرجل الامام عروة بن الزبير المذكورة في الأغاني ، فاستعير ذلـك لقطع دابر الشيء وحسمه واكثرها تستعمل في نحو ما استعملها فيه المؤلف رحمه الله .

وكان قد تقوى عضده بعض الشيء بما أخذ من أموالهم في الوقعة السالفة ، فاتخذ بعد تغريب ابيه الى سوس جيشا لا بأس به ، وانضم اليه جمع (289) من اهل سجلماسة واعمالها ، وذلك سنة خمس وأربعين والف (290) ، وكان أصحاب أبي حسون قد أساءوا السيرة في سجلماسة ، ونصبوا حبالة الطمع في الناس حتى ملئتهم القلوب ، وزرعوا بغض المملكة السوسية (291) في قلوب الخاصة والعامة »

الى ان قال :

« ولما قدم المولى محمد واجتمع عليه من ذكرناه ءانفا دعاهم الى الايقاع بأهل السوس ، فاجابوه ووجد عندهم داعية لذلك ، فاعصوصبوا عليه ، وصرفوا عزمهم الى محو دعوة ابي حسون من بلادهم ، فطاروا بعماله للحين ، واخرجوهم عنها صاغرين بعد قتال شديد »

هكذا ابتدأ أمر مولاي محمد ، فانه اغتنم ما كان لابد ان ينال اهل سجلماسة من اهل السلطة الجديدة ، وذلك طبيعة كل سلطة جديدة ، فبث الدعاية ، وجسم افعالهم ان لم تكن حقا جسيمة ، فثار ثورة عامة وجد فيها من الانصار ما يهاجم به حامية ايليغ التي لابد ان تكون موجودة هناك قليلة او كثيرة ، فيجد من أصحابه ومن الناقمين على أصحاب السلطة أعوانا اشداء

---

289) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « سترى عند تكلمنا حول الدلائيين مع ايليغ ان كل قبائل تلك الصحراء حول تافيلالت كانت مع مولاي محمد » .

290) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « هذا ما عند هذا المؤرخ — يعني صاحب الاستقصاء — وفي كلام ءاخرين ان هذه الثورة ما كانت الا بعد هذه السنة ، فارجع الى كلام سيدي ناصر المزوضي يوم وقيعة مولاي محمد بالزبيريين التي ارخها بسنة 1047 هـ . ولكن من تأمل ما سيأتي من كلام ابن أبي بكر الدلائي يذهب الى ما ذهب اليه الناصري في الكلام الذي سقناه » .

291) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل في الأصل بقوله : « وفي الكلام حول الدلائيين نصوص لهذا الحيف المنسوب الى بودميعة » .

يقدر أن يتغلب بهم على الحامية التى يفجأها بثورته قبل أن يتخـذ الاحتيـاط الذى تقتضيه مجارى الاحوال ، وربما كان السوسيون هناك يخالون انهم ملكوا ناصية البلاد بعد اعتقال الشريف ، ويتوهمون ان اولاده يسكنون خوفا عليـه ما دام معتقلا ، ولذلك يفجأون بهذه الثورة من غير احتياط منهم ، فتنال منهم ما تنال ، والمفاجآت فى الثورات دائما معهودة قديما وحديثا ، واليها يرجـع فوز كثير من الثورات المحبوكة حبكا متقنا ، ثم لابد ان مولاى محمد واجد من أصحاب السلطة السوسية مقاومة مستميتة مع ذلك ، لكنهـم لكونهم غرباء عن البلد يندحرون بسرعة امام اهل البلد الذين شرعوا يطردون العمال السوسيين واعوانهم من امصار سجلماسة الواسعة (292) ، وكل غرباء وقعوا فـى مثـل ذلك مباغتة سيسيئون بكل أهل البلد ظنا فينابذون الجميع ، وبذلك يتقوى جانب البلديين على الغرباء ، وتضعف القوة المعنوية من الغرباء بقدر ما تتقوى فى الآخرين ولو كان الغرباء أكثر وأقوى .

طارد السجلماسيون تحت قيادة الثائر الجديد اهل ايليغ حتى صفت لهم سجلماسة بعد قتال شديد كما ذكره ذلك المؤرخ ، وذلك يـدل عـلى أن الايليغيين عرفوا انهم يقاتلون قتالا لا تترتب عليه حوادث اخرى ، وان الفائز الآن سيظل الفوز محالفا له دائما ، ولكن مع ذلك مالت كفتهم كعادة الايليغيين فى كل المواقف الحاسمة ، فانسحبوا مرغمين الى درعة ، فتركوا ذلك القطـر الفسيح الافيح بين يدى صقر الشرفاء ، وقد انتزعه منهم مغالبة وهم ينظرون ، فصح ما كان قالـه الشريـف مولاى عبد السلام انفـا لبودميعة مـن تملكهـم سجلماسة بالسيف .

---

292 علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « يقال ان هناك ثلاثمائة قرية كبيرة ونصف ، وفى كل قرية مئات من الديار ، وتقع الجمع فى كلها » يعنى انها كلها تصلى فيهـا صلاة الجمعة .

## تسريح مولاى الشريف من الاعتقال

ورد في كلام بعضهم ، بعد ما ذكر اعتقال الشريف ، ما ياتي :

« فاستغاث ابن الشريف بالدلائيين بوفد أبطأ هناك حتى استحوذ عليه القلق ، وكأن الدلائي استمهلهم حتى يكاتب بودميعة فابوا ، ثم ذهب المولى محمد بن الشريف بنفسه الى الدلائيين فعاد بلا طائل ، (293) وحين وصل الشريف الى بودميعة معتقلا قال لمن اعتقله لو أطلقته لما قلت لك شيئا ، ولكنه الآن لابد من اداء ما انفقناه في قضيته ، ثم اطلقه بعد ما كان الشريف بدرعة ـ كذا ـ بقنطار ونصف، ثم غدر بودميعة فعدا على الشريف وقال له : لابد من اخذ ولدين من اولادك رهينة ان اردت تسريحك ، فقال له الشريف : اما محمد فانه سلطان، واما الرشيد فلو قلعت عيني ما تنازلت لك عنه ، وافعل بغيرهما ما اردت ، فضيق عليه ، ثم كاتب الدلائي في اطلاقه فاجابه واطلقه ، وكان رجوع الشريف من سوس سنة 1051 هـ » (294) .

وقال ءاخر وهو يذكر مولاى الشريف :

« ومن فراسته لما سجنه اهل الساحل واستعملوا كل حيلة في تملك البلاد عجزوا ، اذ ترك فيها اولاده الآساد ، فطلبوا منه قنطارا ذهبا ليسرحوه فاعطوه على يد سيدى محمد الحاج ، فغدر فيه يعني بودميعة ، وادخره لنفسه وبنيه ، فقال مولاى الشريف ، يا اولاد سيدى احمد بن موسى والله حتى يهدم الرشيد هذه الدار ويأخذ ذلك القنطار (295) .

---

293) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « سترى عند الكلام حول الدلائيين بذل الشيخ الدلائي جهده على قدر طاقته » .

294) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الضعيف » راجع الحاشية 284 .

295) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الدرة المكنونة الغالية » ، راجع الحاشية 282 .

نال مولاى محمد بن الشريف ما نال من الانتصار الباهر فى تافيلالت ووالده لا يزال معتقلا عند الايليغيين وهم يطمعون ان يسترجعوا بسببه البلاد ، وأن يتوصلوا بأولاده رهائن ـ كما ترى ـ فأعوزهم ذلك ، وقد اهتم مـولاى محمد بامر والده ، فصار يجيل قداحه كيف يقع استخلاصه ، فاتخذ في اطلاقه وساطة الدلائيين ، فأخذت تلك الفدية الكبيرة من ابنه ، فأطلق والده بعد ما تردد بودميعة فى اطلاقه كما ترى ، ويؤتى لى ان بودميعة فعل ذلك كتزلف الى الثائر الجديد ، وما مثل ذلك التزلف وتلك الملاينة من بودميعة اللين الجانب السهل العريكة ببعيد ، ولا يقال ان الفدية مما يستبعد معه التزلف المتوهم ، لانا نقول ان اخذ الفدية لا ينافى التزلف كل المنافاة بل ولا المنة ، لان يـد بودميعة مستطيلة على اسيره ، فلو اراد الفتك به نكاية بولده لفعل ، غير ان هذا التزلف ان صح لم يجد شيئا امام المولى محمد الضرغام الحديدى الارادة ، فلم يكد يتصل بوالده حتى كان منه ما كان .

ثم ان بودميعة الذى يقبل الفدية والحالة هذه ، لمتجاوز الحـد فـى الطمع من جهة ، وضئيل السياسة المحنكة التى يقتضيها المقام من جهة اخرى مع ان المقام يقتضى سلوك غير هذا المسلك ، واتباع سياسة الحزم والصلابة وقرع النبع بالنبع ، لكن مثل بودميعة المتورع عن الدماء (296) خصوصا دماء أمثال هؤلاء الشرفاء ، المحب للمال حبا جما (297) ، يعذر ان صدرت منه مثل هذه الأحوال المتناهية فى الضعف واللوثة (298) وخور العزيمة ، وسنعلم فيما ياتي ان من طبيعته المرتكزة في صدره محبة المال ، والاهتبال بالتوصل بـه كيفما كان الحال ، واين حاله من حال ذلك الهزبر الذى يزأر فى سجلماسـة وهمته امتلاك الرجال لا الأموال .

---

296) علق المؤلف رحمه الله على ذلك بقوله : « يعيره بذلك الدلائيون فى رسالة ، وسترى عند الكلام على الدلائيين تورعه حقا عن دم هؤلاء الشرفاء ، صرح بذلك فى رسالة له الى الدلائيين » ، ولعله يعني بقوله يعيره الدلائيون الخ ما تقدمت اليه الاشارة فى الحاشية 272 .

297) علق المؤلف على ذلك بقوله : « يصفه بذلك بعض معاصريه ، ويظهر ان ذلـك منه صحيـح » .

298) تقدم تفسير اللوثة فى الحاشية 276 .

ان الأسود أسود الغـاب همتهـا * * يوم الكريهـة فى المسلوب لا السلب

## بيعة مولاى محمد وانقضاضه على درعة

رايت كيف اجتمع السجلماسيون على مولاى محمد وكيف استطاعوا تحت رايته اجلاء السوسيين عن قطرهم ، ولا ريب أنهم يتيمنون بسعد طالعه فتتراءى لهم تلك التنبؤات التى لها اذذاك روجان فى الانديـة عـلى الافـق ، فيغتبطون به ويزدادون فى امره بصيرة حين يونسون منه قوة نادرة ، وبسالة ما مثلها بسالة ، فيكون ذلك كله فى انظارهم ارهاصـا لامارتـه المنتظـرة ، فسرعان ما يجيبون الى بيعته يوم يدعون اليها، وما بيعته الادعامة لامرهـم الذى يحاولون أن يستقلوا به وينتزعوه من السوسيين ، وقد علموا انهم لا ييأسون منهم الا يوم يرون لهم اماما مطاعا ، واميرا ثابت القدم معروفا ، فاذذاك فقـط يكفون عن استرجاع تلك الناحية وييأسون منها « كمـا يئـس الكفـار مـن أصحاب القبور » .

قضى الامر ، فرسخت قدم الامير الجديد فى الامارة التى انتصب فيها سنة 1050 (299) ، فما ذا يصنع أهل ايليغ امامه وهو من هو اصالة فى الرأى واقداما فى الميدان ، وعراقة فى الشرف الناصع ، فها هو ذا يتصل بوالـده الراجع من معتقله ، ثم يجمع قوته فيزحف الى درعة وما اليها ، فبعـد ان كان الايليغيون مهاجمين عادوا أمام زحفه هذا من المدافعين .

كان الايليغيون انسحبوا الى درعة بعد ما طـردوا مـن سجلماسـة ، ومقصودهم ان يتخذوا فيها خطا يحد ايالتهم شرقا بعد ان حرمـوا تافيلالـت ، وحصنا حصينا دون هجمات الشريف السجلماسى ، ولكن هل صفت لهم قلوب

---

299) علق المؤلف رحمه الله فى الأصل على هذا المحل بقوله : « وفى كلام للشيخ ابن أبى بكر الدلائى ما يفهم منه انه بويع قبل 1046 هـ ، ولعلها البيعة الأولى يوم ثورته ، أو المقصود بيعة أبيه سنة 1041 هـ التى كنا شككنا فيها قبل ، وليس تحقيق ذلك من موضوع كتابنا » . ويعنى بقوله « كنا شككنا فيها قبل » ما تقدم فى فصل هل بويع الشريف بن على فى سجلماسة قبل هذا الحيـن ! .

كل الدرعيين حتى يمكن لهم أن يعتمدوا عليهم ؟ فقد جرى في كلام الدلايين ، وستراه ، كلام حول سيدى الطيب بن عبد الله ابن عمرو الذى له وراثة عن ابيه، المكانة الرفيعة في القلوب والتجلة العظيمة في العيون ، فقد فسد ما بينه وبين بودميعة ، فلا ريب ان كل من اليه يستاؤون لاستيائه ، وهذا السيد يقطـن ـ لعل ـ في زاوية ابيه في سجلماسة ، ولا يبعد ان يكون الصلحاء ارباب الزوايا في مثل موقعه من بودميعة فيجتوون (300) أهل الساحل ، فلا يكادون يـرون انهزامهم الشنيع من سجلماسة حتى يهموا بما يهمون به بدورهم او يتمنـون وقوعه على الأقل .

وهذا بعينه ما وقع ، فقد حدثنا التاريخ بقوله :

« وفي عام خمسين وألف وقعت الفتنة بين أهل الساحل وأهل مزكيطة وهلك من اهل الساحل مائتان وسبعة وثمانون رجلا ، ونهب لهم مائة وعشرون من الخيل ونيف وستون من البغال واربعمائة مدفع ـ بندقية ـ وقتل فيهـم القائد محمد بن منصور الملولي وابن عمه ابن موسى بن الحسين وابـن عمـه يوسف بن محمد » (301) .

وحدثنا أيضا بقوله :

« ثم قدم سيدى على أبو حسون ونزل درعة في عاشر رجب عام خمسين والف ، وتمادى حتى نزل بجيشه دابر ـ كذا ـ وهدمه وهدم القصور والساقية واقتتل مع اهل مزكيطة ومع اهل امغران في ساقية المان ، وبقي فـي ذلـك الموضع واحدا واربعين يوما . فلما كان السابع من رمضان بعث قائـدا مـن قواده يسمى عدى الى تاملكالت فسقط عليهم اهل مزكيطة وامغران وقتلوا منهم

(300) من اجتوى الشيء كرهه .

(301) علق المؤلف على هذا النحل بقوله : « من المجموعة في الخزانة الرباطية » وليراجع القارىء الحاشية 179 .

تسعمائة ، واكلوا منهم مالا كثيرا ، بعد ما اعطى سيدى على عـلى غـدرة اهـل مزكيطة سبعة عشر الفا ، ونهاية ما نزل به سيدى على عشرة ءالاف من الرماة ، وثلاثة ءالاف فارس ، فلما مات هؤلاء انكسر ورجع الى سوس ، وقتل من أهل السوس كلهم تسعمائة ونصف » .

هذه الوقعة كانت قبل المناجزة بين الشريف وبين بودميعة فى درعة يوم زحف الى ذلك الوادى بخيله ورجله ، وواقفه بودميعة ايضا بكـل قـواه ، ولا نشك في ان الاليغيين يستنفدون جهودهم في الاستعداد لهـذه المعركـة الحاسمة بكل ما اوتوا من عدة وعدد ، لآن دماءهم صارت تغلي حنقا على الشريف الذى خرج من تحت ضبنهم (302) ، ثم رأوا منه فى قليل ما لم يروا عشره فى سنين كثيرة من زيدان وابناء زيدان ، فانه ذلك المقدام المغامر الجلد القـوى العضلات « الاجدل (303) الذى لا يؤوده برد زمهرير الشتاء ولا حرارة قـيظ المصيف، غراب اشهب على قنة كل عقبة، لم يقنعه عـد المـال دون حسـم الرقبـة » (304) ولا مراء ان ما يقع في درعة بين الجيشين سيكـون عنيفـا شديدا ، وذلك ما ورد عن لسان اقلام التاريخ ، فقد قال احد المؤرخين :

« لما تمت البيعة للمولى محمد بن الشريف وجمع الله سبحانه شمله بابيه ، شمر لمضايقة ابى حسون واهل سوس ببلاد درعة اذ كانت تحت ولايته كما قلنا ، فنهض اليه في جمع كثيف ووقعت بينهما حروب فظيعة يشيب لها الوليد ، ثم انقشع سحاب تلك الفتنة عن انتصار المولى محمد وانهـزام ابـى

---

302) الضبن بكسر فسكون ما بين الابط والكشح الذى هو اسفل الجنب ، ومعنى خروجه من تحت ضبنهم انه كان فى امكانهم ان يتلافوا امره .

303 — 304) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا الوصف للشريف مـن رسالـة للدلائيين الى الزيدانيين ص 142 ج 3 استقصاء » ويعنى بها ما تقدمت الاشارة اليه فى الحاشية 272 وفيها تفسير الاجدل .

حسون وفراره الى مسقط رأسه من ارض سوس ، فاستولى المولى محمد على درعة واعمالها ، واتسعت ايالته وتوفرت جموعه وعظمت جبايته » (305) .

من جملة اقوال هذا المؤرخ نعرف ان بودميعة هو الذى قاد بنفسه جيوشه الى درعة اثر ما انهزم له جيش فى مزكيطة ، وبذلك ندرك مقدار الخطر الذى تحس به ايليغ حتى يحتاج الامير نفسه ان يرأس الجيش المدافع ولا يكتفى ببعض القواد الذين لابد ان يكثروا فى بابه ، ولكن نشأ عن ذلك ما يتخوف منه دائما كبار الامراء السياسيين الذين يجتهدون ان يقودوا بانفسهم جيوشهم الى امثال هذه المعارك الحاسمة ، ويرون ان الاولى من جهة القوة المعنوية للجيش ان يبقى صاحب السلطة العليا بعيدا عن ميادين المناجزات حتى اذا وقع انهزام للجيش يبقى منه رجاء للاغاثة ومد المعونة ، واما اذا انهزم بنفسه فان القوة الادبية تضمحل من الجيش فى لحظة بل ومن كل الدولة، وهى فكرة حربية قديمة لها فى تلك الاعصار قيمة ثمينة ، وقد تمشى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتأخر عن قيادة جنوده فى القادسية (306) ، الا ان هناك

---

305) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ص 8 ج 4 الاستقصا » ونص المراد من ذلك : « ثم انقشع سحاب تلك الفتنة عن انتصار المولى محمد وانهزام ابى حسون وفراره الى مسقط رأسه من أرض السوس ، فاستولى المولى محمد على درعة واعمالها ، واتسعت ايالته وتوفرت جموعه وعظمت جبايته . وطار فى بلاد المغرب صيته ، وكان من امره ما نذكره » .

306) هى المحل الذى وقعت فيه بالعراق المعركة الكبرى بين المسلمين والفرس ، وكان القائد العام لجيش المسلمين سعد بن أبى وقاص مريضا ومع ذلك استطاع أن يسير معركة حاسمة تدوم ثلاثة أيام بلياليها حتى انتصر ، وفيها فتحت مدائن كسرى وبلاد الفرس أيام الخليفة أمير المومنين عمر بن الخطاب ، وكان عدد المسلمين فيها ستة عشر الفا وعدد جيش الفرس ثمانين الفا يقودهم رستم ، وفيها كان وعاظ جيش المسلمين يقولون ان النصر لمن يصبر بعد خصمه ساعة ، وصلى سعد بالناس أول جمعة لهم هناك فى ايوان كسرى قرأ فى ركعتها الأولى « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم » الآية .

ورأى عمر رضى الله عنه فى ذلك انه اذا انهزم قائد أو جيش فان تلافيه ممكن ، اما اذا انهزم رئيس الدولة نفسه فان امره قلما يقبل التلافى ، زيادة على ان الحروب الاسلامية لها ضوابطها الانسانية التى لا يمكن العدول عنها ، اما الغزاة الآخرون فان اعتمادهم يكون على الارهاب والتدمير والتخريب .

ءاخرين كتيمرلنك (307) والصفار (308) ونابليون (309) لا يرون هذه الفكرة

---

307) تيمورلانك هو الغازي الفاتح الشبيه بسيزار والاسكندر ونابوليون ، ولد سنة 736 هـ. ونشأ بين قعقعة السلاح وصهيل الخيل وفوران الدماء ، كان أبوه عاملا لبعض ملوك عصره ، يدعي انه من سلالة جانكيز خان ، ومعنى لانك الأعرج ، خاض الحروب والمغامرات نيفا وعشرين سنة جنديا وعاملا وثائرا ، حتى اعتلى عرش بلاده في بلخ ببلاد الفرس سنة 771 هـ وحارب لافتتاح خوارزم الى سنة 782 هـ ، ولما دخلها تقوى سلطانه وهابه جيرانه من مسلمين وغيرهم ، كان مسلما شيعيا يسير معه في غزواته كثير من رجال الدين والعلماء ، امتلك جميع بلاد آسيا ما عدا الصين اذ مات وهو على أهبة التوجه اليها ، كان لا يتحمل ان يقاومه من يغزوهم والا دمرهم ، فقد قتل في اصبهان سبعين ألفا وأقام الابراج من جماجمهم ، وكذلك في تكريت ، واحتل مسكو عدة أعوام ، ودخل دلهي عاصمة الهند فاعجبته كثيرا ومع ذلك قتل من أهلها ثمانين الفا ، ودفن في سيواس أربعة ءالاف جندي نصراني أحياء ، وأباح مدينة حلب لجنوده ثلاثة أيام ، اما دمشق فقد اكتفى باستعباد أهلها ، وطلب الى علماء الشام اصدار فتوى باستشهاد من مات من جنوده ، ودخل بغداد سنة 803 هـ وقتل أكثر من عشرين الفا من أهلها ، وقاتل السلطان با يزيد العثماني واسره حتى مات في اسره حول انقرة سنة 805 هـ ، واتخذ سمرقند عاصمة لمملكته حيث مات سنة 807 هـ عن واحد وسبعين سنة وقبره فيها بديع الزينة والعظمة ، وكان قلما يبعث احد أولاده لقيادة بعض جيوشه بل هو الذي يتولى قيادتها ، وذلك ما يعنيه المؤلف .

308) هو يعقوب بن الليث الخارجي الصفار لأنه كان يعمل في النحاس الاصفر ، وقيل له الخارجي من باب نسبة الشيء الى ضده اذا اشتهر به ، فقد كان أول أمره يقاتل الخوارج لردهم الى مذهب أهل السنة ، ثم ضرى على الحرب وسفك الدماء وقطع ءالاف الرؤوس ، ثم صار يحارب الدولة العباسية نفسها ويهزم جيوشها في بلاد الفرس ، ثم عاد يسالمها ويطلب ولاية بعض اعمالها ويعد على ذلك بالاموال الطائلة ويهدي اليها الهدايا النفيسة ، فقد اهدى مرة للخليفة المعتز بالله نفائس من جملتها مسجد من الفضة مخلع ، اي يمكن تفكيكه ، يسع خمسة عشر رجلا ، ولكن الدولة كانت تتخوف من طموحه .

وقصد في أيام المعتمد العباسي الى غزو بغداد نفسها فبرز اليه الخليفة وهزمه ففر تاركا أمواله وخزائنه .

كان بشع المنظر من ضربة سيف بوجهه في احدى وقائعه مع الخوارج سقط فيها نصف وجهه فرد وخيط وظل مدة لا يتغذى الا بواسطة انبوبة يصب له منها الغذاء في حلقه ، وظل فمه مفتوحا مدة طويلة لئلا يتعفن جرحه .

استقر بواسط بعد انهزامه امام الخليفة المعتمد العباسي ، واشتغل بتدبير شؤون دولته الواسعة حتى مات بمدينة جنديسابور في خوزستان سنة 265 هـ .

309) هو نابوليون بونابارت المولود في اجاكسيو سنة 1769 م ، من اسرة فقيرة مفرط الذكاء سعيد الحظ ، تكون كقائد حربي في الوقت الذي عصفت فيه الثورة الفرنسية بكل مقومات المجتمع الفرنسي واضاعت الأموال وأراقت الدماء حتى ملها الناس فصاروا ينظرون لنابوليون كمنقذ منها ، ثم قاد الجيوش الفرنسية في ايطاليا لقهر المتألبين على فرنسا فانتصر ثم ذهب بجيوشه لمصر حيث ظل نحو ثلاث سنين ليقطع على انكلترا طريق مستعمراتها كما يزعم ، ولكنه في الواقع كان يتربص هناك الدوائر بالحكومة الفرنسية لينقض على الحكم ، فدخل البرلمان الفرنسي بجنوده سنة 1799 م وشتت النواب ، وبعد مراوغات سياسية أعلن نفسه امبراطورا على فرنسا وممتلكاتها

ولا يرفعون لها راسا ، فانهم يقودون دائما جيوشهم بانفسهم ثم لا يبالون انتصروا ام انهزموا الا انهم في شجاعة فائقة وبسالة نادرة لا نضمن مثلها لأميرنا بودميعة ، ولذلك لا نلزه معهم في قرن واحد (3I0) .

ها نحن اولاء نرى بودميعة ينهزم ثانية من درعة فيقبع في كسر بيته وقد فقد كل القوة التي تحمله على معاودة تلك الجهة ، فقد ايس منها ، ونرى ان الشريف لو كان له ارب في سوس لربما نجح في الاستيلاء عليه فيستعجل ما قضاه اخوه المولى الرشيد بعد ثلاثين سنة من هذه الواقعة وما سهلنا امر سوس امام هذا الشريف المحظوظ الا لما علمناه منه من اقدام لا يقف امامه شيء ، ولكن لعل هناك قوة عظيمة انتصبت امامه ، ولم يحدثنا عنها التاريخ ، وان كان قد حدثنا بكثرة ما في ايالة بودميعة من الرجال الذين تتكون منهم جيوش جرارة لو كان هناك امير غير امير ايليغ الذي يختار « غنيمة سلامة الأعراض » ، « والتورع عن الوقوع في الدماء » (3II) وما أجدر ذلك الشريف الهمام المقدام أن ينشد فيه :

---

فاصبح يمثل دور الملك لويس الرابع عشر في البذخ والفخفخة ، وتوج أخاه جوزيف ملكا على ايطاليا ثم على اسبانيا ، وأخاه لوسيان ملكا على هولاندا .

وكان من طبعه انه كلما انتصر ازدادت مطامعه وازداد خصومه ، فقاسى الشدائد في محاربة الانجليز الذين جروا عليه حرب اسبانيا التي انهكته ثم حرب الروسيا التي ذهب اليها على نية التعجيل بالانتصار عليها والرجوع حينا الى فرنسا فخاب امله ورجع منهزما ولم يبق له مما كان يسميه الجيش الاكبر حتى ثلثه ، فتنكرت له فرنسا وخلعته ، ثم سيق منفيا الى جزيرة صغيرة في البحر الابيض المتوسط ، ففر منها وعاد الى فرنسا لاثارتها من جديد ، فسيق الى جزيرة سانت هيلين بالاطلانطيكي الجنوبي كسجين حرب تحت يد الانجليز وهناك مات معوزا سنة 1821 م .

3I0) اللز الشد والربط والقرن بفتح القاف والراء : الحبل يلز فيه شيئان ويقرنان . وهذا اقتباس من قول جرير :

وابن اللبون اذا ما لز في قرن      لم يستطع صولة البزل القناعيس

وابن اللبون هو الجمل الذى دخل في سنته الثانية والبزل جمع بازل وهو الجمل الذى انشق نابه وذلك يكون في السنة التاسعة غالبا ، والقناعيس جمع قنعاس وهو الجمل العظيم الطويل. أى ان صولة القوى تغلب الضعيف اذا لز معه في قرن واحد .

3II) راجع السطور الأولى من الحاشية 274 فان فيها ما قاله الدلائيون لمحمد الشيخ الثالث في شأن بودميعة هذا .

وقائلـة لـم عرتك الهمــوم ... وامرك ممثـل فى الامــم
فقلت ذريتـى على حالتــى ... فان الهمـوم بقـدر الهمـم

وان ينشد فى بودميعة الامير الوديع المسالم :

وقائلـة مالى أراكِ مجـانبـا ... امورا وفيها للتجارة مربـح
فقلت لها مالى بربحـك حاجـة ... فنحـن انـاس بالسلامة نفرح

ذكروا ان تيمورلنك (312) التترى انهزم مرات كثيرة أمام أحد اعدائه ، فضاقت نفسه ، فركب فرسه منفردا الى خلاء ، فلما ابتعد جلس القرفصاء (313) متأملا فى حالته ، فاستمالت نظره نملة تحمل شعيرة تحاول ان تطلع بها فـى منحدر عال ، ففى كل مرة تسقط بحملها فلم تيأس ، وفى كل مرة تعاود الطلوع حتى نجحت اخيرا ، قال : « فانتفعت بعملها ، واقتديت بصبرها ، فعـاودت عدوى فلم ازل اناجزه حتى تغلبت عليه » ، وقد كنا ننتظر مثل ذلك من بودميعة اثر انهزامه من درعة مرتين ولكن اليأس غلب عليه فنفض يديـه مـن درعـه وتافيلالت فحرمهما فى العشرين عاما التى كانت باقية من حياته، ولم نعلم ان ايالته انبتر منها شىء ثم لم يسترجع الا درعة وسجلماسة ، واما كل الايالة من حاحة فسوس فالصحراء فالسودان فانه باق تحت ايليغ حتى ايامها الاخيرة ، ومـا ذلك الا لكونها لم يدب الى طرف من هذه الأطراف مثل اسد سجلماسة الوثاب .

بهذه الحرب التى وقعت فى درعة اختتمت معلوماتنا عـن حـروب بودميعة ، ثم لم نعلم له مناجزة عظمى غيرها حتى توفى عام 1069 هـ ، وكـان انهزامه من درعة أمام ابن الشريف بعد 1051 هـ بقليل .

---

312) تقدمت ترجمته فى الحاشية 307 .

313) جلسة القرفصاء هى أن يجلس الانسان على اليتيه ويضم بطنه لفخذيـه ويجمـع ركبتيه (أى يحتبى) بيديه .

## مراسلة بين بودميعة ومولاى محمد بن الشريف

عثرنا على رسالتين تبادلتهما اذذاك ايليغ وسجلماسة ، وذلك على ما في تاريخ الرسالتين ، بعد ان تمكنت الدولة السجلماسية في درعة ، وهاك الرسالتين على ما فيهما من تحريف وتصحيف فيما لم نستطع فيه ادراك الاصل من بعض الالفاظ ، وقد سطرناهما بمقدمتيهما ومؤخرتيهما من الناسخ لهما في أواخر القرن الثاني عشر :

« الحمد لله ، هذه رسالة كتب بها مولانا ابن مولانا الشريف رحمهما الله لاهل ايليغ السيد على بن محمد وصنوه السيد ابى حسون بنى محمد بن محمد ابن أبي العباس سيدى احمد بن موسى في غرة محرم عام احدى وستين وألف :

« الحمد لله الذي ينسخ ظلال ضلالة المردة الثائرين بأشعة شموس الخلائف، ويفسخ ضباب بطالة الجبابرة الجائرين الطغاة الطوائف ، الصائب سبحانه في تصريف صواب أفعاله وأقواله « الله يعلم حيث يجعل رسالاته » ونشهد يقينا انه لا تعزب عنه سرائر كل ظاعن وقاطن ، اذ هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، يقهر بقوة البطش اى شيطان مريد ، ويظهر دون سطوة الجيش كل سلطان يريد ، وان سيدنا ونبينا وشفيعنا محمدا مصباح الوجود ، المنتشر شروقه على حضيض الاغوار وجيود النجود ، وعلى ءاله خوافي الجوانح وقوادم الجناح ، وصحابته عرابيد الكفاح ، وصناديد الصفاح ، وعن التابعين الهادين المجتهدين ومن لهم مقتنف الى يوم الدين .

وبعد فقد عطفنا الكتد والمناكب ، لخطاب أقطاب المراكب ، ولمواكف ينابيع الوفاء والسخاء ، ومرابع الصفا في الأزمة اللازمة والرخاء ، حفدة من علق السفرة من الثرى على عاتق قرن الثريا (314) ، بالعناية الربانية دون سمعة ولا

---

314) السفرة طعام المسافر . والخوان الذى يبسط عليه الطعام . وهذا هو المراد هنا . وقد اشار صاحب الرسالة بذلك الى ما يشاع اذذاك ككرامة للشيخ سيدى احمد بن موسى الجزولى جد بودميعة من انه اخذ سفرة ومد يده فعلقها فى الثريا وهى الكواكب السبعة المعروفة على شكل عنقود عنب .

اذا ماالثريا فى السماء تعرضت ... يراها صحيح العين سبعة انجم

ريا ، ابى الحسن على ، والاخ على ابى حسون ، وغيرهما من الاعمام والاخوان ، المعتكفين على الخير وعليه اعوان ، كسا الله اعراضنا واعراضكم والمسلمين بحلل الحياء والرحمة والحلم ، وجنبنا من الهفوات فى ظلمات الضيم والظلم ، سلام عليكم ما همع بالرذاذ النافع رعد ، وافترغ وعيد المعتادين دون ضرب ميقات ووعد ، ورحمته سبحانه مع البركة الكافيتان بانفكاك اوكية الحرج ، المضمختان اخلاء الخواطر بمختوم الارج ، فقد كاتبناكم من روضة الحنظل المرقوم ، وغيطة العلقم والزقوم ، فى القلب والحلقوم ، من ذاقهم مغتراً لا يرقد ولا يقوم ، سر الرياسة ، وستر السياسة ، وحومة حزمة الحماسة ، مسقط رؤوسنا سجلماسة ، جبح (315) لا يجنى منه شهد العسل ، الا بمدى السنابل وسموم الاسل ، كتب الله لنا نشرة انتزاح المراحل ، المعطلة ارحال وأحوال سحرة الجواليت وأهل السواحل .

ولا زائد بعد حمد الله الواحد القهار ، المزهر الربا بتيجان الازهار ، الا ما قدره فى علمكم يقين الخبر والعيان ، واعتقدته عقول العوام والاعيان ، ان البستان الاخضر وادى درعة ، ماؤها كما قيل ينشىء الشحناء والشر والمجاعة ، كما ينبت كل واد ذيبه ويراعه ، بذلنا المجهود فى صونه وتحصينه من كل ثنية وترعة ، الى ان اتسد الامان بعد كل يوم روعة اما حركة او جوعة ، الى ان صفا محض غرضه من كد كل نكد الكدر ، ولم يراع صولة صائل ورد أم صدر ، وقال لسان حاله « انحلت عنا والحمد لله عقدة الحذر » ، فطرقنا أن خريتكم نحوها الحارث أبو مرة ، زخرف لاخلادكم الأياب والخلود فيها ثانى مرة ، فخشينا ان تقودكم ارسان الاوهام ، بعد مروقكم منها مروق السهام ، فالمسلم لا يجمع بين

---

315) الجبح بضم الجيم وكسرها حيث تعسل النحل اذا كان غير مصنوع ، قال الطرماح لابنه :

وان كنت عندى انت احلى من الجنى جنى النحل اضحى واتنا بين اجبح

اختين حرتين ، والمومن لا يلدغ من حجر مرتين ، وانتم لدغتم مرارا من الشقوق والفيران ، الى ان عافتكم الخنافس والطوامير والفيران ، فالسعيد من اتعظ الهاما بغيى غيره ، والبعيد الشقى ينعظ بغلبة ايره ، كم جر عليكم الدهر فيها من ذيول الهزائم ، فقدتم لها الحزم فوقتها لوازم العزائم ، اللهم انى اعوذ بك ممن لا يراعى ستر عورات شمات العار ، ويعرض جوهر عرضه للاسواق البخسة الاسعار ، ومن الشنيع الشهير وقعة زاكورة بعد فضيحة ابى دهير ، كاد ولدكم ان يجعل للمنية فى مخالب القبضة ، لولا جواد الشر اد اقتحم به غضون الغيضة ، أسأرتم (316) جيفتكم للذئاب والهوام والنسور ، وبادرتم فرار الخزى للقصور المحصنة بالسور ، ومن غد اصبح نصيبكم منها مطروحا مطرودا، وطلقها عليكم قاضى القهربعدول الصواهل والصوارم والصعاد والبارود ، ولسان الحرمان ينادى عليكم لا عطف ولا رجوع ، الى ان تعود شرور الجزع والوجع واعوام الجوع ، ولا لعقتم من علقمها الاكف والاصابع ، حتى حطت فيكم محاور الحروب أفظع الطوابع ، فما استفتحنا الا فتكة العبد حمو منصور ، فى عرين سليمان الأسد الهصور ، وان كان فيما سلف عدوا ازرق ، فقد صاحب الوالد فى الاخذ وصدق ، ولما بيننا وبين اخيه ابى الحسن على بن سليمان من مصاهرة ابنته رحمة المنكورة ، فبلهه وزور النسوان ، تحقق لدينا ان مسعودة والدتها من سبى بنى مغفر ، فاستخلصها فقفا سيدها الاثر ، فى اقرب زمن الى ان باعها لهم باعلى قيمة واغلى ثمن ، على ان من انكر نسله ، فقد اتلف فسله ، ولو وقع أحدهما بأيدينا لقمنا بواجب حقه ، وراعينا فاخر قدره ودقه ، لاريب انكم ضعضعتم قديما بوطننا الاوكان والاركان ، وزعزعتم أكنان الظاعنين والسكان ، أعرتكم وغرتكم غبائر الغدر فى كونى اذ ذاك صبيا غبيا صغيرا فخلا لك الجو والدو ، وشرعت

---

(316) اسار : ابقى وترك ، من السؤر بالهمز وهو ما يبقى فى الاناء من لبن أو طعام .

تشن غارات الغدر وتغير ، صبحت مصباح الصباح ، وجدلت على بوداذان مع
بني حديد بتلك البطاح ، فغرست بالصقع عروق المقام ، علي يد العصبة
التي اعتكفت على عداوتنا وصامت ، غنجاوة الغير وتابوعصامت ، ولا هاجت
مني همة الهم الطارف والتالد ، الى ان غدرتم كهف ودكم الوالد ، فكانت غيبته
علينا حمدا لله غنيمة الاختيار والخيرة ، حازها لنا حاكم الخلق الذى لا تنفد
لربحه في خزائن الاختيار ذخيرة ، فلم يزل سعدنا بعده يزداد في طلوع
وشروق ، وشفق مع غسق ادباركم لدياركم تساقط اوراقه الى العروق ، كم
وقعة قاد النصر لنا عليكم فيها كل راية خافقة وبند ، واليمن والبركة يجلبان
لنا من الجهات أجمل وأجلد جند ، الى أن بقي الحرب بيننا قسطاس وسجال ،
ومناجل المنية تحصد «اجال الرجال ، أجلها عليكم غمرة وبلاء ضحوة ضحى
الحمام فحمو بلا ، حملت على حمائمكم العقبان العلوية ، والشواهن العبدان
والحراطين النسور ، وخلفوكم اسارى الاحياء للنساء ، وحيارى الحسرات في
حاسي السور ، ولا تسل عن حطمة لطام البحائر ، اسأرت الأبصار
حاسرة ، والحشا حائرة ، اما الطراد بيننا ولو تعدد ما فيه باس ، ولا على جميعنا
فيه عار ، وغدركم الأب تسربلتم منه الدثار ، وتدرعتم الشعار ، مع علمكم أن
الملوك الأنجاد ، لا تبالى بفقد الأبناء والآباء والأجداد ، فان الأعمار لا تنتقص
ولا تزداد ، فعلم يحتمل الحلاحل مذلة الأضداد والأنداد ، وما كان لى
حضوره في الحضرة الا شكالا وشكيمة ولجام ، واذ توارى عنا خلعت عذار
الاعذار للصولة تارة محارب وطوراً هائجاً هجام ، حتى قدس المطهر من البلدة
ادناس عمالكم وخدامكم ، ونسخ دواء الدائم سبحانه ما ابتلى به من الم جذامكم ،
ولا كاتبناكم الى حين انبأنا صاحبنا الاصدق الخير ، الصفى الاصيل ابو حمو
الكبير ، فقد وجهنا نحوكم الفقيه المحزوم السيد محمد التاجموعتى من فخذ
بني مخزوم ، وصاحبه الشيخ محمد النزروجي ، ومنتظرون جوابكم معهما يجى ،
وحاصل القصد ان الجمتكم العهود والعقود ، فكونوا من بأسنا على فرشكم من

الأمن رقرد ، والا أنشأنا الشر الأشمط شبابا شديدا احوشا، والله يؤيد بنصره ويوتي ملكه من يشاء ، ومتمثلون بيت ابى حمو الذى طعن فيه

نقود الى الهيجاء كل مضمر * ونقدم اقدام الاسود الضراغم

والسلام (317) .

وهذا جواب أهل زاوية ايليغ لمولانا محمد بن مولانا الشريف رحمهم الله ونحن والمسلمين :

« الحمد لله الذى انبسطت على الأقطار سطوته وسلطانه ، وانضبطت عرا عزمات الاوطار فارتبطت بعزتها أوطانه، المنفرد بالغيب والغلبة، والنهر والقهر، والمقدر للاوقات كل ليلة ويوم وشهر ، والمقدر اقوات خلقه بامتداد ذهاب انقلاب الدهر ، حبا الرسل منحة الوحي فخصها بمحض الوصول ، وحرض بالنص كل حلاحل وال ، أن يحمى هذا الدين الأحمدى من كل لص بالصواهل والنصول ، ونشهد انه سبحانه متحد فى الصفات والافعال والاقوال ، ومقدس عن صفات ونعوت المعتدين على غرة عرين الاعمام والاخوان والاخوال ، وان سيدنا وهادينا وشفيعنا محمداً نعم البشير المشمر عن ساعد وساق الجد ، واكرم واكمل كمي كفله بعد العم العميد الجد (318) ، صلى الله عليه وعلى هالة ءاله اهلة الاسعاد والاعياد، والاجلة الاصحاب المعتدين للمعتدين بالعوالى والقطب على

---

317) هكذا وجدنا هذه الرسالة فى الاصل ، وهي وان كانت محررة بالعبارات الجارية اذ ذاك على السنة متوسطي الثقافة ، فانها تعبر عن جراة واقدام مرسلها الذى كان غرضه الأول منها بلا شك هو افزاع خصمه وارهابه . ويظهر انها قد ادت الى الغاية المقصودة منها ، بظهور اثرها فى الرسالة المجاب بها عنها .

318) صواب هذه العبارة أن يقول : « كفله بعد الجد العميد العم » لأن عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم مات فى السنة الثامنة من عمر الرسول عليه السلام فكفله عمه ابو طالب حتى توفى قبل الهجرة بثلاثة أعوام بعد امنا خديجة بشهر فسمى الرسول عليه السلام ذلك العام عام الحزن لوفاة سندين عظيمين له فيه وهما عمه وخديجة ومعنى العميد هنا السيد والسند .

العتاق الجياد ، هذا وموجبه لمن أوجب الله لهم اليد الطولى ، وأنجب سؤالهم وجوابهم في الآخرة والاولى ، حفدة علي من فاطمة الزهراء ، الحائزين قصبات سبق الستر سرا وجهرا ، واخص من خصه المهيمن قبل اخوانه ، واعمامه وأخواله ، بفوائد وموائد اليمن الشامل سيرة أفعاله ، وثقة أقواله ، مولانا محمد ابن مولانا الشريف بن مولانا علي أعلى الله خطوته ، واطلق في اقطار اوطانه خطوته » .

« سلام عليك وعلى والدك الجواد الجليد، وعلى من شملته حضرتكم المولوية من الوالد والوليد ، مع كاتبكم الذى هو فى صواب صراط مخاطبته بليد ، ورحمته تعالى وبركته المطيبان طريف خطابكم والتليد ، فقد كاتبناكم من زاوية الولى العزيز البليغ ، والدنا السيد احمد ابن موسى الغريب بمغنى ايليغ ، كتب الله لنا ولكم والمسلمين من تقلبات الاوقات براءة السلامة، واسدل على اعراضنا سوابغ الغناء عما يغرينا ان نظلم ولو قلامة » .

« ولا زائد بعد حمد البارى الا جوابكم بما يشفى لكم من جانبنا الغليل ، ولا يغادر من غاية الغرض اى جليل او قليل، حيث تصفحت بصائرنا منشوركم، وما اليه أومأ واشار ، الفينا شوره بين النشور والانتشار ، فوهت افهامنا وهدها الوله والبله والذهول ، لما هذبتم اهدابه به من الدها المأهول ، فحرت فى شرح مساويه وفرج مناقبه ، اذ أبت عبارات عنوانه ، عبور وعر معرة عواقبه، فالاقدام يخوض مداخل مخارجه ، ولا اقدام تعرج لعرش مدارجه ، فبقينا كالمرهون المرهوب بين السكر والنوم ، او من عراه الريب بين الفطر والصوم، لولا الصنو ابو حسون كلفنى صعود الصعود وشفا هذا الجرف ، ما اجبتكم بلفظة ولا حرف ، ولكن خشينا من جيود بعض الشؤون ان تتعطل ، وقلنا قول عمرو : مكره اخاك لابطل (319) ، وامثلة الاعراب لكل سراب ءال ، وسر الجواب يحده السؤال » .

---

319) هذا مثل يضرب لمن هو مدفوع الى فعل شيء ليس فى طبعه ، كما ان هذا الذى قاله انما هو مدفوع الى القتال وليس شجاعا بطبعه .

ويرويه النحاة بالالف ، ويمثلون به للزومها للاسماء الخمسة في كل الأحوال ، ويقولون ان أول من قاله عمرو بن العاص لما حمل عليه الامام علي كرم الله وجهه يوم صفين .

ولكن أهل اللغة والمعتنين بالامثال كالميداني يثبتون انه مقول قبل ذلك ، وان قائله أبو حنش خال بيهس حينما اختال عليه هذا الاخير حتى سلحه واقحمه في غار كان فيه قتلة اخوة بيهس ، فارتاع منهم أبو حنش وقال المثل ، والمعنى واحد على كل حال ، ويكتبونه بالواو .

« اما خطة الامارة التي اشرت اننا نشرنا لاستخلاصها الحبائل ، وازغنا على الايالة السعدية المدن وقرى القبائل ، فمعاذ الله ان نسعى لها في الفساد ، او نعرض بضائعها لاسواق القلة والكساد ، الا حيث عاينا ابناء مولانا زيدان قصرت خطاهم عن قصوى اقاصي البلدان، ونبغت على مغناهم الثوار من النواحي، وكدر سماء صيتهم الصاحي ، وقلت كن ذئبا لئلا تأكلك الذئاب ، ومتأدبا ولو لم تزنك خرق الثياب » .

« واما انتم ان نصبتم لها الشباك والاركاس والافخاخ فلا وصمة ولا عار على عرش عشش في خمائله العقبان والارخاخ ، فتورث ترات فخره الاشياخ للافراخ ، ولا لكم غير الملك تجارة ، ولا يقنعكم من ارباحه الا جزيل وجميل الاجارة ، ونحن واهل الدلاء اقتحمنا بساط الانبساط ، بالنعال وسطونا كالساط ، بأخبث الأقوال وافحش الافعال ، وهم أسوأ سيرة ، واسمج وأقبح سريرة ، ملكوا الحلل والامصار ، ومدوا في العدوان الايدي والاسماع والابصار ، ولا خلفوا سنة نبينا ولا ديوان ولا جهاد ، ولا خصلة محمودة تكون لهم في الغرب اشهاد ، الا ما ينكر ولا يذكر ، او يحمد فيشكر ، هزموا مولانا محمدا الشيخ كما علمتم بوادي العبيد ، وعولوا كابي محلي على ان يفرقوا شمل شأنه فيبيد فكاتبناهم على أن يجتنبوا جنابه ، أو يعاينونا نلازم ساحته وبابه ، فاقتصروا ، وكان ذلك سبب العافية ، أو تسليط جلم الاختيار على بردة اطماعهم الضافية » .

« وقولك ان نضم اكف الامتداد لدرعة، والا اسقطت زهرنا وعضدت فرعه، سمعا وطاعة ، عجزا منادون الاستطاعة ، لم نزل متشبثين بعرى العهود والعقود، وغافلين عن تلبية الشرور الآمنة رقود ، وما مضى لا يعود ، لم يبق بيننا الا نسج العوام على مناول الخير ، الا مراسلة او خبرا مسموعا او بالسير ، فلقد اوردتم ساحتنا العالم العامل الحيي ، السيد محمد التاجموعتي الفجيجي المخزومي ،

الطيب الطبع ، ذى حيلة الين من الحرير ، صحبة الشيخ محمد النزروجى ، فأطلعناهما على مكنون السر وسلوة الاعلان ، حتى استوى لديهم منا خبء الخبر وعنوان العيان ، فوجدانا ببعض الابناء قادمين ، بعد عض بعض الانامل على ما فرط مما صرنا منه نادمين » .

« واما بنو محمد العرب الوحوش ، حيث نفروا لكم من ساحة منزلهم الخوش ، علمنا انهم بديارنا زوار وضيوف ، والغريب لا يطيب له فى غير مغناه قعود ولا رقود ولا وقوف ، فمذ بلغهم منكم العفو والسماح ، اجملنا تسريحهم مساء قبل الصباح ، والبكرى لم تراع فيه جوارنا حيث غدرك هدمت قصره ، وابلغت اخوانه عسرة صعبة وحسرة ، فقلنا هذا اقل جزاء من قلد الامر فغدر ، دون موجب يقبل منه مهما اعتذر ، والماعك ومحمد بن يوسف الجنبدار ، كلا وحاشا ان يكون لداركم خوانا ولا غدار ، وانما كسحته الحملة ، فجفاه بالجملة . والماعك لى باستئصالنا بنى جديدو مع الصباح بوادى الرتب ، لا يلحقنا فى اعدامهم عيب ولا عار ولا عتب ، اذ هم مدبرون بين هاك وهات ، ولا لهم همه الاتجاه لجهة من الجهات ، ليست هيبتهم على يدى هالكة ، فكل من سقط من الشياطين تفرح له الملائكة ،فبعد سكون حبس رجسهم أبى الحسن ، خلعنا لجام الجموع والقينا الرسن ، وفتكك بابن عمارة صادف الصواب ، وسد عليك من الاشرار امثاله عدة ابواب ، وعبنا عليك حسم اعمار اعيان درعة ، اذ هم ضيوف بساطك ، وعجر وبجر باطك (320) ، واما فى نفس الحقيقة فكفايتهم أبلغ من ذلك ، ليس لهم شغل فى هاته البلاد ، الا الوثوب على الاوتاد ، والجرى على غير المعتاد ، فغرتهم ملاعبة الثعالب والضباع ، حتى وقعوا فى عرين

---

320) العجر والبجر بضم اولهما وفتح ثانيهما : كناية عن العيوب الظاهرة والباطنة ، والباط فى الدارجة معروف وهو الابط بالفصحى ، أى انهم مطلعون على خفايا امورك وظواهرها .

الثعابين والنمر والسباع ، وكذلك فعل سعيد العمارة ، يشعل فى كل جهة جماره ، لكن ذلك لا يلام فى مراعاة انداده، وقد نزغته جبلة آبائه واجداده .

واما وقائعنا معكم بسجلماسة ، التى اسهر القادر عليك فى اثنائها حمالة الحماسة ، فليس يدفع حزمك وجزمك وعزمك فيها كل صائل صنديد غالب ، اذ ورثت الكل نصيبا من جدك مولانا على بن ابى طالب ، لا عصم العاصم القاصم عصمة تابوعصامت ، ولا دردر اشياخها ما فى قيد الحياة دامت ، جروا لنا حبل الطمع جر اسراف ، الى ان استغرقوا ذممنا فى دماء الاشراف ، فمرقنا بالخزى من تلكم الاوطان ، كما يطرد الاذان المارد الشيطان ، وقد امكن القاهر منهم بالنفوس والرؤوس ، والاحوال والفلوس » .

« واما نحن واهل أقا، فاخوان فى خدمتكم اشقا ، فالله يرزقنا نعم رضاكم، وغنائم ودكم ، ويحشرنا واياكم ، فى ظلال ظلة جدكم ءامين » .

« وكتب فى خامس جمادى الأولى سنة احدى وستين وألف ، من انشاء عبد الله سبحانه أبى العباس أحمد بن عبد السميع ، كان الله له وللمسلمين آمين »

## ايليغ والدلائيون

كاد — فيما قالوه — يكون الاصطدام بين جيش ايليغ واصحاب الزاوية الدلائية فى سجلماسة من جراء ما بين الزبيريين والشرفاء العلويين ، فقد كان الدلائيون اولا نصراء الزبيريين ، وايليغ شيعة الشرفاء ، ثم انقلب الحال ، فكان الزبيريون منضمين الى ايليغ والشرفاء يستغيثون بالدلائيين عند اعتقال مولاى الشريف ، حتى افرج عنه بودميعة بفدية وصلت اليه من الشرفاء على يد الدلائيين،

هذا كله نعرف منه الاتصال بين ايليغ والدلائيين ، وهو اتصال حقيقى تتخلله مراسلات ومداولات ، فلنعرض امامنا فى هذا المكان كل ما سيق فى

تاريخ الدلائيين مما وقع بينهم وبين بودميعة نسوقه برمته ، وفيه فوائد كثيرة، قال مؤرخ الزاوية الدلائية (321) :

« ولما ملك الثائر ابو الحسن علي بن محمد ابن الشيخ الولي احمد بن موسى السملالي بلاد الصحراء ، ولم يترك لاهلها بيضاء ولا صفراء ، وكان فظا غشوما ، مبيرا ظلوما ، لا يحسن السير في طريق السياسة ، التي توصل الى بيت الرئاسة ، وكان أول شيء فعله بسجلماسة من اساءته ، ان وجه لمن بها من خيار الاشراف سهام اذايته ، فوقع الاستصراخ في امرها بهذا الشيخ الجليل القدر ، ولي الله ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ، بل حملته حامية المودة في القربى ، وشدة الغيرة على ءال البيت التي تزيده من الله ورسوله قربا ، على ان بعث اليه رسالة تقطع صوارم زواجرها اوصاله ، ينصحه فيها ويحذره ، ويعظه ويذكره ، ويحضه على مودة من أوجب الله مودتهم ، ويصده عن اهانة من عظم الله حرمتهم ، وهو مع ذلك يلين له رضي الله عنه تارة ويغلظ اخرى ، عسى ان ينتفع باي اوجه الذكرى ، ونصها :

« الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله ، وفق الله وهدى ، وسدد وارشد الى سبيل النجاة وطريق الهدى ، ابن الامام قدوة الانام ، بركة الاسلام ، حسنة الليالي والايام ، ابا الحسن سيدي علي ابن الشيخ الشهير الذكر في الآفاق ، وولي الله باتفاق ، سيدي احمد بن موسى ، افاض الله علينا من بركة السلف ، وانال بسببه الخلف ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، هذا وانه تردد في الخاطر من قبل اليوم معاهدتكم ومواصلتكم بالكتاب ، اقدم في

---

321) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « البدور الضاوية (مخطوط) » ويعني به كتاب « البدور الضاوية في التعريف بالسادة اهل الزاوية الدلائية » تاليف ابي الربيع سليمان ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن موسى الشفشاوني الحسني العلمي الشهير بالحوات ، ولد بشفشاون في رجب سنة 1160 هـ وتوفي بعد عام 1233 هـ ، توجد منه بالمكتبة العامة بالرباط نسختان احداهما تحت رقم 454 د ، والاخرى تحت رقم 261 د ، وهو كتاب نفيس مهم في بابه .

ذلك رجلا وأؤخر اخرى ، خشية مقابلة ما نخاطبكم به من النصح الذى هو من قواعد الاسلام بالاهمال ، والغائه فى زوايا الاغفال ، ثم قوى العزم على ذلك فى الوقت ولكم النظر بعد فى القبول والرد ، اول شىء تتعرفونه منا وتعتقدونه ، ان تعلموا اننا نعتقد ان فضل داركم بمكان لا يجهل ، وبذروة مجد شهيـر لا يخمل ، ثم كان من قدر الله ان أقامكم فى تلك الطريق ، ومكنكم وبسط أيديكم ، واعلى كلمتكم ، واحد شوكتكم ، هذا كله معلوم بالضرورة ، فما نافسناكم على ما اولاكم ، ولا حسدناكم فيما اعطاكم ، قل اللهم مالك الملك توتى الملك مـن تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وليس ببعيد منكم وأنتم من أبناء الناس ، ومن أعظم بيوت مغربنا ، لا ينكر هذا جاحد ، ولا ينازع فيه الا معاند ، لكن المرجو منكم ، والمأمول من شيمتكم ، رحمة المسلمين ، والشفقة على الضعفاء والمساكين، لانكم دار رحمة ، لا دار نقمة ، ان كان الملك مطلوبكم فاتوه من بابه ، وتوصلوا اليه بأسبابه ، ويسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، وخـذوا اموركـم بسياسة ورفق ، لا بشدة وعنف ، واسعوا فى عمارة البلاد ، برحمة العبـاد ، ألفوا الشريد ، واصفحوا عن الطريد ، واعرف لكل قوم حقهم ، وخاطبهم بمـا يسكنهم ، وول عليهم جنسهم ، « ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ، انهـم لـن يغنوا عنك من الله شيئا » ، وللناس فى الناس أغراض ، فحقك مقابلـة ذلـك بالاعراض ، وبلغنا ان ابن السيد الفاضل الذى اشتهر فى المغرب والمشرق سيدى عبد الله بن عمرو ، نودى على رؤوس الاشهاد بعداوته ، وقصد مضرته ، فما وجه ذلك ؟ وانقباضه عنكم لاجل الخوف ، فلو وجد الامان وتحققـه لـم ينقبض عنكم ، ولكانت لكم فيه مصالح ، ويكون مفتاحا بينكـم وبيـن الناس امثاله ، يحصر ويطالب ، ولا تراعون فيه حق النسبة ، وهل كانت حرمتكـم وعظمت الا بنسبتكم اليه (322) ووجه ءاخر يستدرك : ما حكم الله عندكم فيمن

---

322) المراد بالنسبة هنا الميل الى طريق الله من التصوف وارشاد العباد الى الله ويقصدون بها الانتساب والانتماء الى الله . ويعنى صاحب الرسالة ان مخاطبه لم يراع فى سيدى عبد الله بن عمرو حق نسبته الى الله ، مع ان هذا المخاطب نفسه لم يكتسب ماله من حرمة عند الناس الا بكونه من المنتسبين الى الله المتمتعين بحق نسبتهم اليه ، وقد علق المؤلف على ما هنا بقوله : « اى حق النسبة ، يعنى ما عظم بنسبته الى سيدى احمد بن موسى ، وانما عظم بحق النسبة الى الله » .

قاتلكم دافعا عن نفسه وقتل او قتل فى قتلاكم وقتلاه « فأى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون ، الذين ءامنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ومقابل هؤلاء حكمهم على الضد ، نسأل الله سبحانه السلامة ، مما يعقب الندامة والملامة ، ايعجبكم خراب البلاد ، واهلاك الحرث والنسل واثارة الفتن والفساد ؟ ، فالملك يدرك بارفق من هذا ، واقرب الناس من امركم فى حيرة ، واعظم حسرة ، فمن اطاع ، أكثر عليه من التكاليف ما لا طاقة له به حتى ضاع ، ومن ابى وخشى ما وقع لمن قبله وعصا على بالعصا ، الناس فى سجون حصونهم النساء والرجال والدواب ، كأنهم فى حشر ، (323) الا رحمة ترحمون بها الضعفاء ، الا شفقة ورقة تحملكم على تسريحكم من السجونات ؟ ولقد كثرت استغاثتهم باخوانهم المسلمين ، واوجبوا عليهم بالشرع انقاذهم واستخلاصهم مما هم فيه ، الثمار تجنى وأهلها ينظرون نظرة حسرة ، والاشجار تقطع (324) وقد حرم الشارع قطع اشجار الكفار فضلا عن المسلمين ، وصح بدليل الاستقراء ان قاطع الاشجار لا يعقب ، ومن جملة من استغاثوا به والحوا عليه هذا العبد الكاتب البائس ، ومن اغاثته لهم ، الشفاعة لهم الى فضلكم ، وسؤالكم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم بجدكم القطب ، ان ترحموا محنتهم وتغيثوا لهفتهم ، وبلغنا ان من لا يبالى بما يقول ولا فيما يقول يكاتبونكم بسوس (325) ان العبد الفانى العاجز عن اصلاح نفسه يريد تافيلالت يتولى امرها ، فتأمل

---

323) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يعنى يوم حصار قرى بسجلماسة » .

324) علق المؤلف على ذلك بقوله « يكون ذلك وقت الحصار » .

325) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « سترى رسالة التامانارتى تدل على ذلك » وقد تقدم لنا ان ذكرنا ان رسالة القاضى أبى زيد التامانارتى هذه توجد من هذا الكتاب فى ءاخر فصل « ايليغ والدلائيون » وهى الموالية منه لفصل « بودميعة والعياشى » وهناك تقدمت أيضا ترجمة ابن كانون - لا أبو كانون - كما يسبق به قلم بعض اعلام هذا الفن ، انجرارا منهم فى احيان ذهولهم مع مايسمعونه من غيرهم ، وقد صدرها كاتبها بما يدل على انه بلغه ان الشيخ محمد بن ابى بكر الدلائى عازم على التوجه الى تافيلالت اذ قال : « فقد ثار الى كثير من اخوانكم فى العلم والدين بهذه البلاد السوسية انكم عزمتم على الحركة الى تافيلالت ومنازعة من بها قبلكم فاستعظموا ذلك منكم واشفقوا عليكم » .

ارشدك الله وسددك ادنى تامل هل لهذا الكلام وجه ، او يلتفت المنصف اليه ؟ هذه البلدة بينكم وبينها نحو ثلاثين مرحلة ، وبيننا وبينها ست مراحل ، ولضعف ملك المغرب نحو ثلاثين عاما ما المانع لنا لو كانت لنا فيها شهوة او رغبة ؟ فمن بلغ أو قرب سنه الثمانين ، والتفت للملك المحدود بالسنين، فاعدده من المجانين ، حاصله ان كانت لكم رغبة في الملك ولابد وعلمت من نفسك القدرة على وظيفته من أحاطتك بالعدل والرحمة للقوى والضعيف فتقدم ، وان لم نعنك لم نمنعك ، وان كان مرادك جمع المال ، والغاء النظر عن مصالح العباد ، والقاء امورهم في زوايا الاهمال ، فانت وذاك ، فالله عالم قادر رحيم بعباده قوى عزيز ، ارحم نفسك وارحمنا معها بقطع تضرعهم الينا مع عجزنا ، وارحم عباد الله برفع الضرر عنهم ، وطرق اسماعنا على غير يقين منا انك تقصد اغريس (326) لرفع ما لنا فيه من الزرع ، فاننا غير قابلين لذلك (327) ، وان صح ولا بد فدونك واياه ، وكف عن المسلمين ، وابعث اليه من يرفعه اليك بلا كلفة وانت في حل منه ، وان شناعة قصدك لذلك ، غير لائقة بمقامك ، فلنا نسبة الى جدكم من طرق ، والنسبة التباعية (328) ايضا تجمعنا ، فيجب على

---

326) علق عليه المؤلف بقوله : « اسم واد يطل على تافيلالت »

327) علق عليه المؤلف هنا بقوله : « لذلك الذى يقال » ، يعني بذلك ان مراد الشيخ الدلائي بهذه العبارة اننا غير مصدقين بانك قد قلت هذا . ولو كان مراده انه غير قابل لأن ياخذ الزرع ما اردفه بقوله « فدونك واياه وكف عن المسلمين ، وابعث اليه من يرفعه » .

328) كان الأليق أن يكون هذا التعليق عند قول المؤلف في صفحة 22 : « وهي التربية الاصطلاحية المعروفة عند القوم » ولا يخلو تاخيره الى هنا من فائدة .

ويعني صاحب الرسالة بقوله : « النسبة التباعية » ان كلا من أهل زاوية الدلاء وأهل زاوية تازروالت سلالة سيدي احمد بن موسى يجتمعون في الانتساب الى الطريقة الصوفية التباعية الجزولية الشاذلية التي أخذها سيدي عبد العزيز بن عبد الحق التباع دفين مراكش المتوفى عام 914 هـ ، عن الشيخ محمد — فتحا — ابن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان الجزولي دفين مراكش المتوفى عام 870 هـ ، عن أبي عبد الله محمد امغار الصغير بزاوية ايت امغار بعين الفطر بدكالة . واتصلت السلسلة الى الامام أبي الحسن علي الشاذلي الغماري الشريف الادريسي دفين عيذاب بصعيد مصر، وكان يطلب الله أن يدفن في ارض لم تقع عليها معصية توفي عام 656 هـ واخذ ابو الحسن الشاذلي عن المولى عبد السلام بن مشيش المتوفى عام 625 هـ والمدفون بالقرب من تطوان ، واتصلت الطريقة الى الامام أبي القاسم الجنيد المتوفى عام 277 هـ والذي يعنيه ابن عاشر بقوله : « وفي طريقة الجنيد

الكل وصل رحمها والسلام ، عبيد الله تعلى خديم المساكين وغبار نعال الصالحين ، محمد بن ابى بكر وفقه الله بمنه »

« فاجاب كساه الله ثياب الغفران ، بما يقتضى القبول والاذعان ، والتلطف فى الاعتذار على قدر الامكان ، حسبما اعربت عنه رسالة اخرى بعث له بها شيخ الاسلام المذكور جوابا عن فصول جوابه المسطور ، وها هى ذى :

« الحمد لله وصلى الله على مولانا محمد وءاله »

« وعلى الرئيس المقدام ، المطاع ابن الامام ، حجة الاسلام ، حسنة الليالى والايام ، سيدى على ابن الشيخ الفاضل ، ذى الفضائل والفواضل ، سيدى احمد بن موسى افضل السلام، والرحمة والبركة تترى على الدوام ، وبعد فقد ورد علينا كتابكم الفصيح ، وخطابكم الفسيح ، انتهى الكلام فيه على أصول، واشتمل على فصول ، يطول شرح كلها ، ونشير الى مواضع منها أو جلها ، من جملة فصوله ان قصدكم الأول اخماد نار الفتن ، واذهاب الضغائن والاحن وردهم عما اقتحموه من المحرمات ، وانتحالهم كبائر السيئات ، وكف اذايتهم عن سادتنا وموالينا اهل بيت نبينا ، فهذه مقاصد صحاح ، مثمرة بحول الله

---

السالك » ثم الى الامام الحسن البصرى المتوفى عام 110 هـ وهو عن جماعة من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد اخذ سيدى احمد بن موسى المتوفى عام 971 هـ عن سيدى عبد العزيز التباع مباشرة ، اما ابو بكر بن محمد بن سعيد جد الدلائيين المتوفى عام 1021 هـ فقد أخذها بواسطتين فشيخه المباشر هو الشيخ ابو عمر (بفتح العين والميم) القسطلى دفين رياض العروس بمراكش عام 974 هـ عن الشيخ عبد الكريم الفلاح الحاحى المتوفى عام 933 هـ والمدفون بقبة القاضى عياض المتوفى سنة 544 هـ بمراكش وهو عن الشيخ التباع .

فطريقة الزاويتين اذن تباعية جزولية شاذلية مشيشية ومجملها التفرغ لعبادة الله وحده ، وارشاد عباده اليه ، والسعى فى مصالحهم الدنيوية والاخروية ، وقهر النفس وكسر سورتها ، والوقوف مع كتاب الله وسنة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان الشيخ ابن سليمان الجزولى اذا ورد عليه من يرغب فى الدخول فى طريقته يلزمه بالتوبة الى الله من سالف ذنوبه ، وبحلق راسه وصيام اربعين يوما ، وشروط التوبة عنده تسعة وهى : الحسرة والندم والانابة والخشوع والتواضع والابتهال والمداومة على الذكر والرضى بالقضاء وحسن الظن بالله ، ومن اراد التوسع فليراجع كتب الصوفية وخصوصا « ممتع الاسماع فى اخبار الجزولى والتباع » لسيدى العربى الفاسى .

لنجاح السعي والصلاح ، وفقكم الله وسددكم واعانكم على اتمام المقاصد ، ورزقكم مزيد خير يعين على الخير ويساعد ، اما المقصد الاول الذى هو الزجر عن الفتن وارتكاب المحرمات واذاية الشرفاء ، فهو سر التمكن في الارض ، قال الله تعلى : « الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » ، فقد اوجب الله حقهم، وعظم حرمتهم ، كتابا وسنة واجماعا ، يعظمون ويحترمون ، وعلى غير ما جاءت به شريعة جدهم لا يعاونون ، فمن اهانهم فقد سلك سبيل المعتدين ، ومن اعانهم على غير ما يرضى جدهم فقد اعان على هدم الدين ، وكيفية تعظيمهم وتوقيرهم قدرتها شريعة الجد ، وشرحتها بالرسم والحد ، والافراط في الامور كلها كالتفريط ، فمن زاد وحاد فقد ورط نفسه اى توريط »

« ومن فصول الكتاب ، ودليل الخطاب ، اجابتكم لداعينا ، واستماعكم لمنادينا ، في قبولكم شفاعتنا في الرفق بالعباد ، ورحمة البلاد ، جزاكم الله خيرا ، ووقاكم ضيرا ، فانتم لذلك والحمد لله اهل ، والفضل على من سهله الله عليه سهل ، والفضل لا يستغرب ان خرج من معادنه ، وانما يستنكر ان وجد في غير مظانه ، وقد قيل قديما : ان المعادن ولو طمست محالها ، وتنوسيت دلائلها ، لابد لها يوما من الظهور ، ولو طالت السنون والدهور ، والشيخ جدكم رضى الله عنه وارضاه ، ورزق كلا منا ومنكم متمناه ، احد الطوافين في الارض ، الجائلين لسهلها ووعرها بالطول والعرض ، لا اضاع الله تبارك وتعلى له سر تلكم الحركات ، ولا قطع من تلكم الدار البركات

« ولنلو العنان الى شرح حال تلكم البلدة سجلماسة ، حتى انك تشاهدها بالعيان ، فهى قاعدة القرى الصحراوية ، فبصلاحها يصلح كلها او جلها ، وبفسادها يفسد غيرها ، وقد كانت فيما قرب من تاريخ وقتنا دار علم ودين وصلاح ، ومستراح القاصدين والواردين ومتجر الارباح ، فتعاقبت عليها

ايدى الولاة والعمال ، ونظر اليها ملوك وقتنا نظر اهمال ، ثم اعقب ذلك سنو الغلاء والشرور ، ودام عليها ذلك الاعوام والدهور ، فكان دخولكم اياها على حين ضيعة وافتراق اهلها ، واضطراب احوالها وتزلزلها ، وألزموا قـوة المطالب ، واخذ الحاضر ناجزا بالغائب ، فزاد الامر ضيعة ، والخرق سعة ، وكان المامول من فضلكم والمرجو مى اصلكم ، ان تجعلوها كبستانكم ، فيجنـى اليانـع ، ويرحم الضائع ، فيعمر بكم الخالى ، ويستجد بكم البالى »

« واما ما انهى اليكم بعض من لا يبالى بأكل لحوم الناس ، ولم يتفطـن لما يتعرض له من الضر والباس ، اننا نروم مزاحمتكم على بلدة سجلماسـة ، واننا حملنا على ذلك انفة ونفاسة ، كلا والذى فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، مـا خطر لنا قط ذلك ببال ، ولا طاقة لنا ولا قدرة على تحمل ما فى تقلد امرها من الوبال ، تنافس العقلاء فى ملك لا يبلى ، وتزاحمهم فى عز لا يفنى ، ولا يتطاول الى الملك الا احد رجلين ، رجل علم من نفسه القدرة على القيام بحقه ، وهـذا لا باس له به ، ورجل ءاثر دنياه على اخراه واستبدل رشده بغيه ، فالويل لامه ، لعظيم حمقه ، فلسنا من رجال الاول ، ونسأل الله العصمة من الثانى وعلى فضله المعول ، وقد تولى قبلكم وفى زمنكم الاوغاد والاعلاج (329) فمـا نافسناهم ولا زاحمناهم بل نعالج اخلاقهم المعوجة بما أمكن مـن العـلاج حتـى انقـضت دولتهم ، وانكسرت صولتهم ، فالسعيد من اتعظ بغيره ، والشقى من اتعظ به غيره ، والسعيد من سعد به غيره ، والشقى من شقى به غيره ، واذا من الله تعلى

329) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يشير فيما نرى الى الزيدانيين واعلاجهم ، وقد ذكروا مرارا فى رسائل الدلائيين » ، والمقصود بهم الترك الداخلون عن طريق الجزائر . فقد جاء فى رسالة من الدلائيين الى محمد الشيخ الثالث : « وانت تمتثل تدبيرا باشارة الاعلاج المجبولين على طباع الخدائع والغش ، على تل ملككم المخرج من عريش العش ، ومن الدليل والشاهد والبرهان . فتكهم بأخيك مع مشورة النسوان ، على غيب من الجند والديوان ، غرضهم نشر سبة الباس التى نشروها فى الشرق بعد المعتصم من بنى العباس » . . . « وهم سلبوا روح جدك السمى من غمد الجسد وحموها فى مخلاة من مسد » الخ ، وكل ذلك صريح فى ان المراد بهم الترك .

سماعكم لكلامنا سماع قبول ، وان كان كل كلام غير كلام المعصوم فيه مردود ومقبول ، فاتموا فضلكم وخيركم برجع الاجناد ، عن تلكم البلاد ، وتخيركم رجلا من اصحابكم صالحا يخلفكم في البلاد ، ييسر ولا يعسر ، ويؤلف ولا ينفر، لعل الله سبحانه ان يجبر على يدكم كسرها ، ويفك من ايدى الفتن اسرها ، « فارحموا ترحموا والراحمون يرحمهم الرحمان » ، « لا يرحم الله من عباده الا الرحماء » ، « من لا يرحم لا يرحم » ، وانتم أعرف بأصحابكم من يليق ومن لا يليق، والفظ والغليظ واللين والرفيق ، واهل مكة ادرى بشعابها ، فاجتهد بنظرك واختبر بفطنتك ، فلك النظر والاختيار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « من ولى على قوم رجلا وهو يعلم ان فيهم خيرا منه فقد غش » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم من شق على أمتى فاشقق عليه » ، ولا شك انه طرق سمعنا من قبل اليوم ان خديمكم الانجد القائد حمو بن بلا واسع الصدر ، ذريع الحلم ، مبالغ فى نصحكم ونصح رعيتكم ، فان ظهر لكم ان تستخلفوه فانه، والله أعلم ، من ميل قلوب الناس اليه، يليق لجمع مفترقها ولم شعثها ، واوصه بالرفق والرحمة ، « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة »

وما ذكرتموه عن ابن السيد الصالح المتبرك به سيدى عبد الله بن عمرو وهو سيدى الطيب وان ما بلغنا لم يخطر قط ببال ، ولا سددتم الى جانبه بيادق الاصرار والنبال ، فهذا بحمد الله عين المطلوب ، والمرجو منكم والمرغوب ، فقد صدقناكم فى نفى ذلك ، وعذرناه فى انقباضه عنكم لكثرة الناقلين اليه من هنالك ، ولعل ان يطرق سمعكم تحرك القبائل ، ويترك فى ذلك قول القائل (330) ، قال صلى الله عليه وسلم : « احب الحديث الى الله اصدقه » ،

---

330) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يعنى يترك فى قلوبكم تأثيرا بكونه هو الذى حرك القبائل » .

لا شك انا لما كثر الارجاف ، وشاع وذاع ، وتواردت اخبارهم على ما تمجه الاسماع ، وترددت الانظار ، فى القبول والانكار ، والخبر من حيث هو يحتمل الصدق والكذب ، والحكم له باحدهما من غير دليل جور ، وقوى العزم على ان العزم فى الدفع مشروع ، والزائد عليه ممنوع ، حتى ورد علينا اصحابنا من مقامكم صحبة الشريف الزكى العفيف مولانا سعيد بن عبد الرحمان مع ولد خديمكم القائد حمو بن بلا ، فاخبر الجميع عنكم بما يليق بمحلكم ، فاطمأنت لذلك النفوس ، وذهب عنها ما تداخلها من القاء الشرور والبؤس ، فحمدنا الله تعلى على ما اولى من النعم ، وشكرناه على ما دفع من النقم ، فثق بما تسمعه منا وتلقه باليمين، وشد عليه يد الضنين، فانا لا نحب لكم ولكافة المسلمين الا الخير ، ولا نجد فى نفوسنا حينما نسمع ما يسوءهم أو يضرهم الصبر، وترى مع اصحابنا التافه من الطعام ، والنزر من الصابون والادام ، وجهناه اليكم لنذيقكم طعامنا بعد اسماعكم كلامنا ، فاقبلوه وان كنتم عنا اغنياء ، والمقصود به صلة ابناء السادة الاولياء ، فالله يخلص المقاصد ، وهو لكل فعل وقول وضمير بالمرصاد ، والسلام ، عبيد الله تعلى خديم المساكين وغبار نعال الصالحين ، محمد بن ابى بكر وفقه الله »

« وكان رضى الله عنه لما حاصر هذا الثائر قرى من الصحراء محاصرة طويلة الامد ، فى عدد كثير من القبائل الضالين معه وعدد ، حشر رضى الله عنه لمدافعته ، ما لا يقدر احد على محاربته ، من بين فرسان ورماة ، وانصار للدين وحماة ، ثم انه اتفق ان اصابه رضى الله عنه رمد فى عينيه ، فعلم بذلك ان الله ارشده الى احسان التوكل عليه ، فصرف العنان عن توجه تلك الجنود اليه ، ثم دافعه برفق وسياسة ، ومراسلة زواجرها امضى من سيوف اولى الحماسة ، حاقناً بذلك الدماء ، ودافعاً لما عسى ان يتوهمه بعض الجهلة من طلب الرياسة، بعد ان عوفى رضى الله عنه من رمد العينين ، فاعقب ذلك فرحتين ، واذهب الله

عن قلوب اهل الدين ترحتين ، شفاء ولى قد عم المسلمين من الرحمة ، وصرف ما غم قلوب المظلومين من كيد ولى ملحمة »

« ولما طال على اهل سجلماسة امر صاحب الساحل ، ولم تفدهم معه وسائل ، التقوا مع الاعراب المجاورين لهم دخيسة وذوى منيع والصباح والمعاضيد واولاد غنام وحميان واضرابهم ، واتفقوا معهم على نبذ طاعته ، وعدم موافقته ، وبايعوا مولاى محمد بن الشريف ، فبلغ الخبر الى السيد على ابى حسون صاحب الساحل ، فجمع جموعه ، وقصد سجلماسة، ونزل عليها وحاصر اهلها ، وطال القتال ، ثم انه اعطى مالا الى بعض من هو من ناحيته من اهلها فخدعوا مولاى الشريف وقبضوه ومكنوه منه بان اوثقوه فى الحديد ، وحاصر كل من هو شيعة له من اهل سجلماسة حتى دخلوا تحت طاعته كرها وارتحل عنهم ، وذهب بمولاى الشريف الى الساحل ، فبلغ الخبر لصاحب الترجمة الشيخ الامام سيدى محمد بن ابى بكر رضى الله عنه ، فكتب اليه كتابا يطلب منه ان يسرحه ويترك لولده بلاده ، فاجابه السيد على ابو حسون بكتاب يتضمن ان اهل سجلماسة بايعوه ثم نقضوا بيعته وبايعوا غيره ، فحل له ان يحكم فيهم باجتهاده، « واما ما قلت من ان تترك سجلماسة للشريف المذكور كغيرها من البلاد التى بيد غيره فلا اتركها ، لانهم رضوا بى وبايعونى ورضوا به وبايعوه ، فان بعضهم معى وبعضهم معه ، كاهل العراق مع الحسين بن على الذين خرجوا على يزيد بن معاوية ، وانظر ما فعل بهم وبه ، وانا لم افعل بهم ولا به شيئا من ذلك ، وقد سلم ابن العربى فعل يزيد للحسين فى كتاب « القواصم والعواصم » (331) وقولك ان لى فيه مرادا بالامتحان فليس لأحد منا فيه اختيار ، وانما فعلنا به ذلك ادبا لغيره »

---

331) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « الكتاب مطبوع ، وقد قال فيه : « قتل بسيف جده ، وبهذه الكلمة كاد ابو عنان ينبش قبر ابن العربى لولا ان رده عن ذلك بعض العلماء معتذرا عن ابن العربى » .

« ثم ذكر امورا لا ينبغي ذكرها ولا يوصف بها اهل البيت، فاجابه الشيخ سيدى محمد بن ابى بكر برسالة نصها :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه ، حفظ الله سيادة الخير الفاضل الماجد الواصل ، الفقيه النبيه السيد الجليل ، المبارك الاصيل ، المتفرع من الشجرة العرفانية ، والدوحة السنية النورانية ، سليل السادات الكبراء ، الأفاضل السرواء (332) الذين سما في المئاثر فخرهم وطال في المكارم مجدهم وذكرهم ، ابو الحسن سيدى على ابن سيدى محمد ابن ولى الله سيدى احمد بن موسى روق الله درايته ، واضاء في المكرمات سرايته (333) ، سلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته ، ورضوانه الاعم وتحياته ، اما بعد فقد ورد علينا من سيادتكم ومحيا مكانتكم ، كتاب بالتواصل وافى ، فائت المدارك والتصافى ، مخايل الوداد على طلعته تطلع ، ومعارفها على اساطيره تلمع ، فشكرنا الله على عافيتكم ، وحمدناه على ما اولى من سلامتكم ، اذ كلنا بحمد الله على ذلك العهد ، السليم من الرد، فقرأناه فاذا مضمنه السؤال عن حال الكتابين، وارتسامهما في اى البابين ، أكملا بالنسخ ، ام حالهما في الفسخ ، وسألتم ان نحملهما حامل الكتاب ، ويحملهما حالة الاياب ، ان ساعد الوقت والتيسير ، ووسع البعث والتسيير ، اما كتاب الاستيعاب ، فقد امرنا به فنسخ ، وكتب وسلخ ، وبعثنا به لفاس ، اذ لم نرض سوى تسفيره لباس ، فان وافانا وجهناه اليكم ، وقفلناه عليكم ، واما القسطلاني ، فقد اجهد امره المعنى به والمعاني ،

332) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « السرواء بالواو وبضم السين وفتح الراء من جموع السرى بمعنى الشريف » من سرا وسرو يسرو سراوة : اذا كان ذا مروءة وسخاء .

قال الشاعر : ان السرى هو السرى بنفسه    وابن السرى اذا سرا اسراهما .

333) اذا كان مراده معنى الشرف كما في الحاشية قبله يليه فانها سراوته بفتح السين وبالواو ، واما بالياء فهى السير بالليل وهى بكسر السين ، ولا معنى لها هنا ، بل السراوة بالواو هى المناسبة هنا ، اللهم الا اذا كان مراده : واضاء سراه .

فليس فيه الى سبيل تسلك ، او حيلة تدرك ، لا بالبيع ولا بالشراء ، ولا بالنسخ ولا بالكـراء »

« وقد ذكر كتابكم ، وافصح خطابكم ، بان أهل سجلماسة على الطاعة ، وانكم قد تخيلتم فيهم التئام امر الجماعة ، والفضلاء القادات سهامهم للقتـال مفوقة ، مع ان اعناقهم بالبيعة مطوقة ، هذا وللبيعة شروط ، وطريق مفروط (334) ومخايل ووسائط وشعائر وبسائط ، فانظروا فيها اين انتم ، وعـلى اى شرط منها حصلتم ، من اداء حقوقها ، واطلاع كتائبها وخفوقها (335) وليت شعرى من اوجب هذه البيعة وامضاها ، واوقعهـا مواقعهـا وارساهـا مـن العلمـاء الماتنين (336) ، وأهل الصلاح المهتدين ، الذين اليهم الحل والعقد ، والتشمير والجد ؟ اين من تبين من نفسه ارتقاءها ، وعرف قضاءها واداءها وفرق بيـن خاسرها ورابحها ، ونافعها وعائدها ؟ والا فمن تقلدها من غير اهلها فقد تقلـد زورا ، وضلالة وفجورا ، واوقد نار الفتنة ، واوقع نفسه في مهاوى المحنـة ، وحق به وعيد الحديث ، والنكال الحثيث ، وحقت مكافحته ، ووجبت مدافعته ، واستخلاص من حصل فى حبالته ، وتحت نكايته وصيالته

« واما ما وقع لمولانا الشريف بن على فلم يعهد لاحد من هذه الامة ولا سمع ان احدا اقتحم ذلك الشنيع وامه ، بعد الايمان التامة ، الموثقة العامة ، واعطائكم له كراء الاموال ، لياخذوا الشريف بالاحتيال ، لا جانب الشريف يحتمـى ولا مقام ءابائه الكرام يستمى ، او ليس لكم بهذه الفعلة ارعواء ؟ او لم يبلغكم قوله صلى الله عليه وسلم ينصب لكل غادر لواء ؟ (337) وهل هى الا سبة تحتوى على

---

334) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يقال فرط فلان أصحابه اذا تقدمهم الى المورد ، وكان المقصود هنا : طريق مفروط فيه . وحذف للحذف والايصال .

335) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « اى خفوف الاعلام فيها من باب المجاز » .

336) الماتن هو واضع متن الكتاب ، خلاف الشارح ، والمراد العلماء المتمكنون فى العلم .

337) ففى صحيح البخارى : « حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد عن أيوب عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لكل غادر لواء ينصب لغدرته » قال شارحه القسطلانى اى لاجل غدرته في الدنيا ، او بقدرها ، ولأبى ذر وابن عساكر بغدرته بالموحدة بدل اللام ، أى بسبب غدرته ، والمراد شهرته فى القيامة بصفة الغدر ليذمه اهل الموقف ، وفيه غلظ تحريم الغدر » .

سبتين ، ومعرة تحتوى على معرتين ؟ وقولكم ليس لاحد منا فيه اختيار ، ولا له عليه اقتدار ، مذهب خارج عن الاعتدال ، موزون بميزان الاعتزال ، بل فيه صراحة بمذهب أهل الجبر ، الذين ليس لانصداعهم من جبر ، وحسبك ما ذكر فيه علماء السنة ، من الطعن بالالسنة والاسنة ، واحاشيكم ان تتخذوا بين ذلك مذهبا ، او تتخذوه مطلبا ومركبا ، على علو كريم نسبتكم ، وعظيم رتبتكم ، هذا وقصدنا بهذا الكلام ، النصيحة لا الملام ، يعلم ذلك عالم الخفيات ، المطلع على السرائر والطويات ، والسلام عائد عليكم ورحمة الله ، وكتب خديم المساكين وغبار نعال الصالحين "محمد بن ابى بكر الدلائى وفقه الله »

« ومع هذا كله لم يسرح الشريف المذكور من قيد اعتقاله ، ومكث عنده معتقلا مدة مديدة ، من شهور وسنين عديدة ، وبعد قبضه بايع باقى أهل سجلماسة وما والاها من عرب بادية الصحراء كلها مولاى "محمد بن الشريف المذكور ، ووقعت بينه وبين السيد على ابى حسون المذكور حروب كثيرة عجز فيها الفريقان ، وبعد ذلك بمدة سرح الشريف المذكور من الاعتقال فى حديث يطول جلبه ، ولا حاجة لنا به ، اذ لسنا بصدده »

نعلم من كل ما تقدم من الرسائل ومن كلام المؤلف ما بين تلك الرسائل امورا كثيرة ، واغلبها مما يتعلق بموضوع كتابنا هذا :

1) — ما هو المقصود الاصلى لبودميعة ولاهله بقيامهم الى هذا الامر ؟ فقد قرأت في اثناء ذلك الجواب الذى وجهه الشيخ ابن ابى بكر الى بودميعة من بعض الفصول ما يصرح بتلك المقاصد ، وهى مقاصد شريفة يعترف لمن قام من أجلها بانه محق ان وافق فعله قوله عند كل منصف ، وقد الم الشيخ بذلك الاحقاق وان لم يسلم له انه أهل لان يكون محقا فيما قام به .

2) — كما نعلم نظرة امثال الشيخ ابن ابى بكر اذذاك الى البيعة التى حصلت لآل بودميعة ، فانها منخرمة فى نظرهم لعدم انعقادها على يد اهل الحل

والعقد ، كانه لم يعتبر اهل جزولة الاولين الذين تأسس الامر باديء ذي بدء على ايديهم ، ثم ينسحب الذيل على كل من انخرط في سلك امرهم من كل من اختاره بلا ارغام ، على ان كل الدول المؤسسة انما تؤسس بالقوة ، ولا يذكر أهل الحل والعقد الا بعد استيلاء مؤسسيها الاولين ، فليتفكر المؤرخ في الكيفية التي تأسست بها دولة الامويين والعباسيين والعثمانيين والادريسيين واللمتونيين والموحدين والمرينيين والسعديين ، والواقع في الجميع ما كان ابن تومرت يتمثل به دائما من قول ابي الطيب :

الناس كالناس والايام واحدة * والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

وهل دولة ايليغ الا مثلهم لو تم لها الامر كما تم لهم ، ولكن :

الناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل (338)

3) — وكما نعلم اتجاه ما يرتكبه بودميعة اذذاك ان وقفنا مع ادلته وبراهينه ، وقد رايت بعضها ، وما تلك البراهين الا مسموعة مقبولة عند كل ذي علم لو تأيدت بالقوة الكافية التي لا تسمع ردا من المناوئين ، فقد قرات ما يسوقه من النصوص التي تدل على علمه وعلى انه على بصيرة فيما يفعل وما يذر ، وسترى امامك عند ذكر سيرته وعند ذكر العلم في عهده بسوس ما تدرك به انه في امواج من العلوم لا تعوزها امثال هذه النصوص والبراهين والحجج ، على ان في كلام التامانارتي في رسالة له تاتي قريبا ما يدل على عدل بودميعة وعلى انه لا يتعدى الحدود .

4) — وكما يرى القاريء ما تتركه الدعاية الواسعة التي تطفح من سجلماسة في أذهان امثال الشيخ الجليل محمد بن ابي بكر ، فقد تأثر بها

---

338) الهبل الثكل ، يقال هبلته امه من باب فرح اذا ثكلته وفقدته ، اي ان الناس يمدحون من ساعده الحظ فتوفق في عمله ، ويلومون من اخفق فيه .

وخالها كلها مؤسسة على الحق اولا ، فقد صدق كل المظالم والجور والغرطسة التي يذيعها السجلماسيون عن بودميعة ، ولا يهمنا نحن ان نقف في موقف قبول ذلك كله او رده كله ، او قبول بعضه ورد بعضه، فسنخصص فيما سياتى فصلا لذلك ، وانما نحب ان يكون القارىء في الذى ذكر هنا على ذكر (339) ، لأن كلام هذا الشيخ الجليل رضى الله عنه كلام يحسب لـه الـف حساب ، ولا يلقى الا بنظر مصيب .

5) — وكما نرى من الشيخ نفسه تراجعا عظيما عما كان يخاله كله حقا ، فقد صار بعد الرسالة الاولى المتقدمة يزن القول الذى يوجهه الى بودميعة ، فلا يلقيه في الرسالتين الاخريين كما كان يلقيه في الرسالة الاولى (كجلمود صخر حطه السيل من عل) ، وما ذلك الا لادراكه ما كان يجهله من عدل بودميعة السائد على معاملته ، ومن أن ما كان حقا من الجور في سجلماسة انما هو من الاجناد ومن قائدها هناك ، فيجب سحب الجند واستبدال القائد .

6) — وكما ندرك ايضا سمو اخلاق بودميعة وانصياعه للحق ، فقد قبل نصيحة هذا الشيخ الجليل ، واعلن له انه مصيخ لكل ما يقول ، فلم ينزع الشيطان منه منزعه فتأخذه العزة بالاثم حين « قيل له اتق الله » وهذا الخلق سيرى القارىء فيما ياتى انه هو الخلق الثابت في بودميعة ، وذلك سر عدله المانور عنه كما سنخصص له فصلا خاصا .

7) — وكما ندرك اعتناء بودميعة بالوجهة العلمية ، فقد رايته يستنسخ الكتب القيمة ، وسترى فصلا خاصا في ذلك .

8) — وكما نتيقن الآن كيف المواصلة بين ايليغ وبين الزاوية الدلائية في عهد الشيخ محمد بن ابى بكر ، وسترى في عهد محمد الحاج امير الدلائيين مراسلة اخرى بينه وبين بودميعة

---

339) الذكر بضم الذال وسكون الكاف ، التذكر .

9) — وكما نتيقن الآن ما هو الحامل لهذا الشيخ حتى بسط حمايتـه على السادات الشرفاء السجلماسيين ، فانه ما فعل ذلك الا غيرة وتدينا ، وندرك الآن ان الجيش الكثير الذى هيأه للدفاع عنهم لم يصل الى سجلماسة وانه ما وصلها الا اصحابه ، فصححت تلك النظرة التي كنا نظرناها الى ذلك في مكانـه المتـقـدم .

على ان الشيخ لم ينج على جلالته من مثل الدعاية المكذوبة التـي حامت حول بودميعة ، فاقرأ الرسالة الآتية تر عجبا :

« ولينا في الله ، والمحب في ذاته ، السيد الصالح والبركة سيدى محمد ابن ابى بكر ، عصم الله من طائف الشيطان حوزته ، وصرف عن زخارف القـول قلبه وفكرته ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته هذا فانه قد ثار الى الكثير مـن اخوانكم في العلم والدين بهذه البلاد السوسية انكم عزمتم او واحد من بينكم على الحركة الى تافيلالت ، ومنازعة من بها قبلكم ، فاستعظمـوا ذلـك منكـم واشفقوا عليكم ان تكونوا مثل من استزله الشيطان قبلكم ، كابـي العبـاس الساورى، (340) وكشيخنا ابى زكرياء الحاحى ، (341) والمصلوحى ، (342) وابى كانون (343) ، حال ذلك بينهم وبين ما هم فيه من الهداية والارشاد والتعليم والمواساة ، والاخذ بايدى الضعفة ، والقاهم في مهواة الهوان ، فلعبت بهـم عامة ءاخر الزمان ، فصاروا لما ترى وليس الخبر كالعيان ، وانك بحمد الله في غاية نفع الامة بما انت فيه ، والله يشكر لك ذلك ، ونبيك صلى الله عليه وسلم يذكرك به ، ولا تحقرن ما انت فيه ، فليس في مغربنا في هذه الساعة انفع منك

---

340) المقصود به ابن أبي محلى ، راجع الحاشية 75 .

341) راجع الحاشية 78 .

342) المقصود بالمصلوحى هو العلامة الشريف مولاى ابراهيم بن احمد بن عبد الله بن حسين — وجده هذا هو المذكور في الحاشية 79 — كان من اكابر الصالحين ، يقال ان القطب سيدى احمد بن موسى زارهم بتامصلوحت ومولاى ابراهيم اذ ذاك صبي فاذا بدجاجة تقرقر فقال لجده هل عندكم محل قريب يقال له كيك هنا ، فقال له نعم ، فقال له ان هذه الدجاجة تقول كيك كيك اشارة الى ان هذا الصبي سيكون له شأن هناك ، فلما كبر اجتمع عليه الناس يرشدهم لطريق الله فخافه زيدان بن المنصور السعدى فأراد القبض عليه فذهب الى كيك ، فعظم شأنه هناك ، وقصده ءالاف الزوار من كل جهة ، وكان يغلب على امره ويغيب فيتلفظ بالمغيبات فتظهر كما تكلم . وكان الى ذلك من كبار العلماء ، اخذ عن المنجور ، وعبد الله بن طاهر الحسني وابى مهدى عيسى السكتاني ، وكان يقول مقامنا هذا مقام ابراهيم ومن دخله كان ءامنا ، توفى سنة 1072 عن سن عالية تنيف على المائة ومشهده مزارة مشهورة بضاحية مراكش .

343) راجع الحاشية 80 .

للامة بما انت فيه من واضح الاستقامة والحمد لله ، ومن قصد استنزلالك فقد غشك وغش الله ورسوله ، فافهم ذلك ، واقبل النصح ، وقد ثار الينا قبل هذا ان اهل فاس قديمة مدائن المغرب واعظمها طلبوك بامارتها ، فابيت حفظا لما انت فيه من الخير والصلاح ، فأردت أن تسلمه في قبضة من حشف ، وبقعة سغب وشظف، لا تدرى اتدرك وتسلم ام تدرك فتسلم، فيضمحل شأنك، ويشمت بك شانيك ، وهذا يسوء سائر الامة ، ويحدث الثلم الكبير في هذه الملة ، فاقدر نعمة الله قدرها ، واستنزل بالشكر درها ، « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم » ، وقد شاهدتم كل من القى نفسه بهذه الشبهة ، بعد المنصور رحمه الله ثم لم تتم له فيما يروم حجة ، ولا اتضحت له في سمت قصده محجة ، غير انهم اثقلوا ظهورهم بالدماء والاموال ، والحقوق التي تقل النجاة معها ، والسعيد من وعظ بغيره ، وصاحب الامر بهذه البلاد السيد ابو الحسن عن أخيه (344) أبى سالم لهم في ضبط البلاد والسعى في مصالحها واصلاح مفاسدها ما يقرب او يفى بالثلاثين سنة ، فأمنوا الاموال والحرم ، وافاضوا فيها الفضل والكرم ، وحقنوا الدماء ، وامنوا السبل ، وعمروا السهل والجبل ، وشكر المسلمون سيرتهم ، واختبروا في صدق النصيحة سريرتهم ، فئاثروهم قاطبة ، واذعنت لهم القبائل راغبة وراهبة ، فشملت العافية البلاد والعباد ، فلم يكن من الشأن ولا من الشرع ان تتعرضوا في هذه النعمة بالفساد، ولا ان تثيروا شرر الفتنة في طرف من اطراف البلاد ، فان ذمة المسلمين واحدة، يسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فاقبل نصيحتي تنفعك ، فاني كما قيل :

| | |
|---|---|
| اذا المشكلات تصدين لى | كشفت غوامضها بالنظر |
| ولست بامعة في الرجال | اسائل ذاك وذا ما الخبر |
| ولكنني مدره الأصغرين | أبين مع ما مضى ما غبر » |

(344) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « بل هو عمه كما تقدم » )

هذه هي الرسالة ، فبالله عليك ابمثل هذا الشيخ يظن نظير هذا الظن ، لولا الدعاية الفاسدة المغرضة ، واقوال الذين لا يبالون ما يقولون ولا فيمن يقولون ، ولا ريب ان القاضي التامانارتي ما كتب الى الشيخ هذه الرسالة الا وقد صدق ما يتقوله الناس حول هذا الشيخ الجليل ، وذلك خير عذر نعتذر به عنه .

كان تحت يد المجاهد الكبير الصنديد سيدي محمد العياشي (345) منذ استوى على فرسه الذي اركبه عليه شيخه سيدي عبد الله بن حسون (346) دفين سلا غالب الشاطىء الجنوبي الغربي من المغرب ، وقد انضوت في تصرفه بتتابع الاعوام التي طارت فيها شهرته الطنانة كل مدن تلك الناحية ، فكان له في المغرب الشمالي على الساحل الاطلنطيكي مثل ما كان لمعاصره الامير علي بودميعة صاحب سوس من الاستيلاء ايضا على ساحل تلك الناحية ، وقد كان يحول بينهما في الساحل حوالي الجديدة واسفي ما يملكه البرتغال وءال زيدان البقية الباقية من السعديين بمراكش (347) ، فان اسفي لا تزال تحت ايديهم وحدها اخيرا من بين مراسي المغرب في هذه الجهة ، وحين كانت يد الزيدانيين تتطاول الى ان تنال من المجاهد الكبير كما كانوا ايضا في غالب ايامهم في حرب وفي معاداة مع ايليغ ، لم يكن بعجيب ان يتصل الامر بين المجاهد الكبير وبين بودميعة فتكون بينهما وصلة ابرمتها منافع الطرفين المتحدة ، وقد كان هذا طبيعيا ، وهذا ما وقعنا على ما يشهد له في التاريخ ، ففي الرسالة التي كتبها بلاش سنة 1639 م الى حكومة هولاندة — وستاتي — ما نصه :

---

345) راجع الحاشية 77 .

346) هو الشيخ البركة الواصل المربي سيدي عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدي السلاسي المعروف بابن حسون ، توفي في ثاني عشر محرم 1013 هـ وترجمته الحافلة الشيقة موجودة في اخبار اواخر الدولة السعدية من (الاستقصا) ، وفي طبقات الحضيكي ، وفي « الصفوة » وفي « نشر المثاني ) وغيرها .

347) المقصود بهم زيدان بن احمد المنصور وولداه الوليد ومحمد الشيخ الثالث واحمد بن هذا الاخير وهو آخر ملوك هذه الدولة . وقد تقدمت اخبارهم في بعض التعاليق السالفة .

« . . . . وقد بلغني ان سيدى عليا المرابط العظيم المذكور وسيدى احمد العياشي ــ كذا سماه ولكن اسمه الحقيقي محمد ــ متحالفان ، وليست لديهما عدد حربية » الخ ما سياتي في علائق هولاندة مع ايليغ .

وجاء ايضا في مذكرة لهاريسون الى الحكومة الهولاندية ، مورخة بما قبل 26 مارس 1631 م ــ وهي مذكورة فيما سياتي ــ ما نصه :

« ولما وصلت الى سلا دفعت لي مكاتب من سيدى العياشي ــ وسماه ايضا احمد غلطا ــ احداهن موجهة الى سيدى علي الذى يستولي على شواطىء المغرب الغربية ، وعلى جميع مملكة سوس » ، وقد علق المؤلف دي كاسترى على هذا ان هرسون وصل الى سانت كروا ، اكادير ، ولكنه لم يستطع ان يمكن الرسالة لسيدى علي (348)

هذا يكفينا نصا على ما قلنا انه طبيعي اذذاك ، وان كنا لا نملك الآن كيف هذه المحالفة المعقودة بينهما، ولا وقعنا على رسالة من الرسائل التي يتعاطيانها، ولم يخدمنا السعد في هذه الرسائل كما خدمنا قليلا في الوقوف على بعض المراسلات بين ايليغ والزاوية الدلائية ، ولكن يكفينا ان نعرف ان بين بودميعة والمجاهد الكبير مصافاة من قبل أن يستولي بودميعة على أكادير وبعده .

## ايليغ والزيدانيون

منذ فجر ثورة ابناء الشيخ سنة 1018 هـ ، كانت مجاذبات مسلحة بينهم وبين اولاد المنصور الذهبي الذين كانوا ينتصبون على العرش بالتوالي ، فقد تقدم عند ذكر اول امير من ابناء الشيخ وهو ابراهيم بن محمد بن احمد بن موسى ما وقع بينه وبين زيدان يوم ثار ونهب زاوية من زوايا سوس المفعمة بالودائع،

---

348) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « كانت أكادير اذ ذاك لم تدخل في حوزة بودميعة » .

وربما كان من بين ما استودع فيها أموال لزيدان أو لبعض قواده ، فارسل اليه زيدان ثلاثة ءالاف في جيش الا ان الجيش لم يلبث ان ارتد على اعقابه وتشتت لعدم المؤونة واجرة الجند (349) فكانت هذه الباكورة لأبناء الشيخ كفال (350) فالج لهم ، وكقدح المنيح (351) بين سهام الميسر للزيدانيين ، فلم يعودوا للثبات بعد منذ ذلك الوقت ، وقد التفت جيوش الفريقين ايضا في وادي درعة فتعاركت ازيد من ثلاث سنين ، انهزم اخيرا فيها الزيدانيون كعادتهم مع كل من حاربوه (352) وهناك القائد المسوفي يذكر من الزيدانيين كان لهجا بشن الغارات على ايالة ايليغ ، ولكنه اخيرا رجع في حافرته (353) ، ولم يقض طائلا ، الا ان ابياتا ادبية زفت اليه خلدته في التاريخ (354) ، وكذلك وقع ايضا في ثغر اكادير ، فقد صمد الايليغيون الى ذلك الثغر في فجر امارتهم فملكوه ، ثم حدثنا التاريخ انهم تنازلوا عنه (355) لزيدان في مقابلة دراهم معدودة يتوصلون

---

(349) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا كله تقدم في محله » .

(350) الفال ، بالهمز وعدمه ، معروف ، ما تستبشر النفس لسماعه أو رؤيته رجاء نيل ما يوحيه معناه من اليمن . والفالج على صيغة اسم الفاعل من الفلج ، كالضرب ، وهو الفوز والظفر ، وفعله كنصر ، وبضم فاء مصدره ، ويقال أيضا في سهام الميسر سهم فالج أي فائز عكس الغفل .

(351) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا أحد السهام الثلاثة التي لا يكون لصاحبها شيء من لحم الميسر ، والقدح ، على وزن الربح : أحد قداح الميسر ، وهي الاسهم التي تقسم العرب عليها الجزور التي يتقامرون على لحمها ، ومنها الرابح والفغل ، والمنيح اسم لاحد السهام الاغفال ، وهي الوعد والسفيح والمنيح ، قال الشاعر :

لي سهام ليس فيهن ربيح ** هن وغد وسفيح ومنيح

ويعني المؤلف رحمه الله بذلك ان هذه الوقعة كانت ابتداء فوز الايليغيين وخسارة الزيدانيين.

(352) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « كل هذا تقدم » راجع الحاشية 66 ، ويضاف الى ذلك ان زيدان بن المنصور هزم في 27 معركة ، كما تقدم ان الشاعر امحاولو وصفه بالمهزم .

(353) للحافرة عدة معان استعملتها فيها العرب ، والسياق هو الذي يميز اختلاف معانيها ، ومن معانيها أول الشيء ، وهو المقصود بقول الله تعلى « أئنا لمردودون في الحافرة اذا كنا عظاما نخرة » ، أي مردودون الى حياتنا الأولى ، ومن ذلك رجع على حافرته أو في حافرته ، أي طريقه الذي جاء منه ، والمراد رجع على أعقابه بدون طائل .

(354) هي ما تقدم في صفحة 87 .

(355) علق المؤلف على ذلك بقوله : « الله يعلم كيف كان ذلك التنازل » .

بها فينة بعد فينة ، ثم كان زيدان لم يف فرجعت الحرب جذعة (356) حول ذلك الثغر ازيد من عشر سنين ، فقد صمد اليه الايليغيون فقطعوا عنه المواد حتى لا يتمون من فيه الامن البحر بالوسق من اسفى ، وقد مالوا بالتجارة اذذاك الى ماسة ، وبعد معاركات مستمرة امكن لهم ان يستحوذوا على قرية تيلضى وهي معروفة الى اليوم ، ثم على قرية فونتى اسفل حصن اكادير ، وبعد اربع سنين قضاها من فى اكادير فى الحصار ممن تمكنوا فى فونتى وقع احتلاله ، فجلا من فيه من الزيدانيين الى سلا — وسترى كل ما يشهد لهذا قريبا — ولم يجد الزيدانيين نفعا ما كانوا يستعينون به من اساطيل الدول الاوربية فى الذب عن حمى هذا الثغر ، بل ما زالوا يقهرون شيئا فشيئا الى يومهم الاخير سنة نحو 1045 هـ .

هذه هى المواقف التى عندنا الآن من مواد التاريخ بين الزيدانيين والايليغيين ، وكلها تجر فيها الهزيمة ذيولها — وان اخيرا — على الزيدانيين ، ولا بد ان تقع ايضا حروب فى السودان السعدى الا ان التاريخ لا يحدثنا عنها بصراحة ، وكذلك قضى ما بين الفريقين ، فلم يتمكن لا زيدان ولا ابناؤه ولا احفاده من قمع هذا الثائر عليهم ، وقد قابلهم بجبين مرتفع ، فقد اقتطع عنهم سوس اولا ، ثم درعة فسجلماسة ثانيا ، ثم السودان السعدى ثالثا ، فقد وقعنا فى التاريخ على ان الجيش الايليغى الكثيف البالغ خمسين الف رجل قطع الطريق بين المغرب والسودان السعدى على قوافل الزيدانيين وعلى رسلهم الى ذلك القطر ، ثم ادى ذلك الى ان ملكوا كل ما كان السعديون يملكونه . فاحتلوا طريقا من الطرق التجارية الكبرى فى نصف افريقية الشمالية بتلك العصور ، تدر على سالكيها الارباح الوفيرة ، والقناطير المقنطرة من الذهب ومواد التجارة

---

356) أى شابة . والجذع الصغير من البهائم ، والجذعة مؤنثه ، ومنه ما فى حديث ابتداء الوحى اذ قال ورقة بن نوفل للرسول صلى الله عليه وسلم : « يا ليتنى فيها جذعا . ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك » أى شابا جذعا ليستطيع نصرته صلى الله عليه وسلم .

الرابحة ، كل ذلك استولت عليه ايليغ ففتحت بسببه باب اوربة فاستمالت الى مرافئها بماسة ثم اكادير ـ بعد ان استحوذت عليه ـ بواخر التجارالضاربين على اثباج (357) البحار ، وطالما حاول السعديون ان يقفلوا أمام الايليغيين هذا الباب بمخابرات شتى مع الدول التجارية ذات الشأن ، لكنهم قلما يحظون بكل ما يريدون ، فلم تسعفهم الا بريطانيا فوضعوا بين ايديها مرفأ آسفي الذى هو الباقى لهم من مرافىء المغرب على الاطلانطيكى لتستبد بـه وحدها ليمكن لسفنها ان تقفل التجارة مع اكادير ، ولكن هذا الاقفال لم يتم كما يريد من سعى فيه كل السعي وهو محمد الشيخ الثالث (358) .

هكذا دامت الحرب والمجاذبة بين الطرفين ولا ريب ان معارك كثيرة تقع بينهما لم نقع عليها فى التاريخ الى الآن ، وما وقع لنا فى عدم الوقوف عليها ، مع وجودها فى الواقع بلا ريب ، هو الذى اعترف به البحاثة دي كاسترى اذ قال فى تعليق على كلام فى الموضوع ستراه قريبا : « كانت حروب مستمرة بين

---

357) الثبج كالقلم : معظم الشيء . والمراد هنا البحر ومعظم مائه ، وجمعه اثباج كأقلام .

358) لعل القارىء لاحظ هنا دافع التنافس والعجز عن الانتقام يوحى الى الزيدانيين حمل الدول الأجنبية على مقاطعة الاتجار مع ايليغ لعجزهم عن اخضاعها بالحملات العسكرية ، وهذا من الأعمال التى يحارب بها الساسة خصومهم فى كل عصر ، فان نابليون بونابارت حاول مرتين خنق التجارة الانجليزية ، وكذلك فعلت انكلترة بالمانية ابان الحرب العالمية الثانية ، وقد وجدنا الكاتب الفرنسي الفيلسوف فولتير النقاد اللاذع يذكر فى روايته (كانديد) باسلوبه الساخر الساحر ان بعض الدول المسيحية تخنق تجارة اخواتها فى الدين فتطلب من ملك المغرب ان لا يتجر الا معها وحدها ، فقد قال عن خصي أوربى التقى فى المغرب بأميرة ايطالية قصت عليه ما كانت عرضة له من أهوال (القراصنة المغاربة) وقص عليها هو انه : « مولود فى نابولى بايطاليا حيث كان يقع اخصاء ثلاثة ·الاف صبى فى كل سنة ، فكان بعضهم يموت ، وبعضهم يكتسب صوتا أجمل من أصوات النساء ، وبعضهم يكونون حكاما فى المقاطعات ، وانه اجريت له هذه العملية بنجاح كبير فاصبح مغنيا فى كنيسة الأميرة باليسترينة **Palestrine** التى شاءت الآقدرا ان تكون هى ام تلك الأميرة ، وانه جاء الى المغرب فى مهمة دبلوماسية ، وهى ان احدى الدول المسيحية اوفدته لدى ملك المغرب لعقد معاهدة معه ، تسلم له تلك الدولة بمقتضاها البارود والسفن لاعانته على القضاء على تجارة دول مسيحية أخرى ، وان مهمته انتهت ، وانه سيبحر من سبتة ويأخذ معه الاميرة الى ايطالية » ، فكان فولتير المعروف بعدائه للاسلام يشعر عندما يرى دولة مسيحية تستعين بالمسلمين ضد أخواتها بمثل ما نشعر به نحن اذا رأينا مثل ذلك بين المسلمين .

مولاى زيدان والمرابطين ولكن لا نعلم تفاصيلها » ، ويعنى بالمرابطين سيدى علي والعياشي .

هذا واننا الآن لا نزال نتعجب من بودميعة كيف لم يتقدم الى الحوز وقبائله وسهول الشياظمة وعبدة ودكالة ، فيحتل الحمراء لينفتح له ما وراءها، مع ان ذلك — بلا ريب — في مستطاعه على ما يتراءى لنا نحن الآن حين عرفنا قوته ورايناه استطاع فتح اقطار واسعة ، وهذا ايضا رأى معاصريه من بعض الاوربيين الذين يصفونه بالقوة وكثرة الرجال حتى كان منهم من وصف جيشا من جيوشه بخمسين الف رجل ، وهذه القوة اذذاك قوة عظيمة الى الغاية ، تقابل الآن مليونا من جيوش هذا العصر ، فقال قائل منهم : انه لو تقدم لاستولى على مراكش ، ونقول نحن — وقد ضممنا تعجبنا لتعجبه — انه استولى على جبال دادس ، وكاد يطل على تلك الجهة التى يمكن ان يشرف منها على مراكش من جبل كلاوة كما استولى على كل حاحة الى بوريقى (359) فيتصل ببسائط الشياظمة فيكاد يطل ايضا من جهة الغرب على تلك البسائط التى فى بحبوحتها مراكش ، ولعله مستول ايضا على جبل الاطلس الفاصل بين سوس والحوز أو على غالبه ، فقد علمنا استيلاءه على اداوتانان من قصيدة ادبية ستاتي (360) ، فما المانع له اذن من التقدم ؟

وقفنا في ذكر لابناء زيدان أثناء كلام لبعضهم على ما يلى : (361)

---

359) محل فى حاحة قرب السويرة بين قبائل نكنافة وايت زلضن وهو قريب من منابع النفط هناك متكون من أرض فيحاء يقصدها الناس للحرث . وفيها كان المولى الحسن الاول يوم نادته الأقدار لاعتلاء عرش المغرب فكان خير خلف لخير سلف .

360) لم نجد هذه القصيدة فيما ياتى من الكتاب ، ولا شك ان المؤلف رحمه الله كان ينوى الحاقها ففاته الاجل عن ذلك .

361) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « تلك المجموعة بالخزانة العامة بالرباط » ويعنى بها ما تقدمت الاشارة اليه فى الحاشية 179 ص 58 .

« وهرب مولانا احمد بن زيدان الى فاس ، فقبضه اهل فاس وسجنوه نحو ثلاث سنوات ، وقدم اليه — أي الى احد اخوته (362) — اخوه الذى بفاس وهزمه وهرب من بلاد الى بلاد حتى وصل بلاد الساحل عند ابى حسون ، وفى سنة سبعة واربعين والف اراد ابو حسون ان يقدم الى مراكش مع السلطان المذكور عنده ، وهو مولانا احمد بن زيدان ، فعجز عن القدوم فاعطاه نحو ثلاثمائة مدفع — بندقية — وجيشا من الجمال ، وشيئا من البغال ، واعطاه سبعة الاف من الذهب قبضه بوادى درعة وبوادى تافيلالت »

اذن كان بودميعة عازما على القدوم الى مراكش فى صورة معاونة للسلطان احمد بن زيدان ، وهي وسيلة قلما يفلتها اهل السياسة المحنكون ، وقد رأينا بودميعة نفسه تتبعها قبل مع مولاى الشريف يوم استغاث به فجعل ثمن اغاثته له الاستحواذ على تافيلالت ، وقد اراد بودميعة ان يمثل هذا الدور نفسه ايضا مع احمد بن زيدان الا انه احجم عن ذلك ولم ينفذ عزيمته ، ونحن اذا تأملنا ما دهمه اذذاك من امر شرفاء تافيلالت حين قام مولاى محمد بما قام به . نعرف ان ذلك حقيقة هو المانع ، ولم يكن بودميعة بالمقدام الرابط الجأش الذى لا يشغله شأن عن شأن ، فقد تهاون بامر مولاى محمد فى سجلماسه وفى درعة حتى افلت الفرصة من يده افلاتا لا رجوع بعده ، فليس من الطلاعين لكل ثنية ولا من المغامرين فيلاكم بكلتا يديه

---

362) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « الكلام غير منظم كما ينبغى ولكن مرادنا منه ظاهر » .

واحمد هذا الذى اشار اليه ذلك المؤرخ هو احمد بن زيدان بن المنصور السعدي ، فانه لما توفي أبوه زيدان أوائل عام 1037 هـ بويع ابنه عبد الملك ، فثار عليه أخواه الوليد واحمد هذا ، فتحاربوا حتى غلبهما ، ففر احمد الى فاس فدخلها فى 25 صفر من نفس السنة ، فانتصب ملكا وضرب سكته ، ثم انتهى به الامر الى التشرد فى البلاد ، وفى اخر عام 1037 هـ عدا قائد فاس الجديد عبو أباها على احمد هذا فسجنه فبقى مسجونا عدة أعوام حتى خرج مستخفيا بين نساء فى رجب سنة 1044 فنصرته العامة التى شعارها اذ ذاك « الله ينصر من اصبح » ثم بقى يطفو تارة ويرسب اخرى حتى كان سنة 1047 هـ عند بودميعة ، وفى 24 ذى القعدة 1051 هـ رماه احد اولئك العامة برصاصة فى فاس الجديد فانتهى أمره . اما الوليد فقد قتله العلوج فى نفس الليلة التى كان هو فيها عازما على قتل اخيه محمد الشيخ فى 24 رمضان سنة 1045 هـ راجع الحاشية 329 .

## هل التأم شمل البديع وايليغ اخيرا ؟

فى ص 140 ج 5 ، هولاندة ، من مجموعة ديكاسترى ، من رسالة لاسحاق بلاش الى حكومة هولاندا مؤرخة بـ 31 مايه 1647 م . ما نصه :

« أنهى لعلمكم ان سيدى عليا صالح سانت كروا ـ أكادير ـ حصل على صداقة متينة مع جلالة السلطان ، وزوجه بنته ، وأعطاه معها قدرا من الذهب وعددا من الخيل والعبيد السود ، ليتم الصلح مع جلالته ، وان بقصر سيدى على ثمانية وعشرين أو ثلاثين عبدا هولانديا (363) ، وارجو اذا كتبتم لجلالته ان يطلق سراحهم ، كما فعل جلالته مع الاسبان منذ ثمانية اشهر بواسطة سفير اسبانية الوافد عليه حاملا هدايا كثيرة، فرد له السلطان جميع العبيد الاسبانيين الذين بمراكش وعددهم 76 عدا الرؤساء منهم ، زيادة على العبيد الذين طلب جلالته من سيدى على أن يطلق سراحهم » .

هذا النص نص عجيب جدا ، ولولا انه رسمى لربما شككنا فيه ، ولكنه صحيح بلا ريب كما ترى ، فقد تصالح محمد الشيخ الثالث وبودميعة أخيرا وتزوج السلطان الزيدانى بنت بودميعة المجلوة (363) بجهاز يعلن فيه الذهب والخيل والعبيد السود مما يكون كالعنوان لجهاز ملوكى خطير ، وقد كنا نجهل كل هذا لسكوت تواريخنا عنه ، ولم نر من عرج عليه ولو بتلويح ، والعجيب ان مثل هذه المصاهرة لا تنساها الاجيال فى الأسر ، ولكن اسرة ايليغ الحديثة تجهل الآن كل هذا ، كما يجهله كل التاريخ العربى فيما نعلم الآن .

---

363) من المعلوم انه ليس المراد بهؤلاء العبيد الحقيقيون ، بل هذا تعبير بالصيرورة ، اى الذين صاروا عبيدا لوقوعهم فى قبضة بودميعة لما لفظتهم امواج البحر التى القت بسفنهم الى الشاطىء الذى الى نفوذ بودميعة .

364) من جلا العروس يجلوها جلوة ، بتثليث الجيم ، على زوجها : عرضها عليه مجلوة أى ظاهرة منظورا اليها .

وفي سنة 1647 م . توافق 1056 هـ . وهذا العهد كان السلطان من الزيدانيين فيه هو محمد الشيخ الصغير (365) ، ولذلك عرفنا اسم المتزوج وان لم يصرح به في ذلك النص .

ويظهر ان بودميعة ربما يسر الحسو في الارتغاء (366) بسبب هذه المصاهرة ، فقد رأى ضعف الزيدانيين البالغ نهايته ، فأراد أن يمثل معهم ما مثله كروم الحاج (367) مع ءاخرهم ، ولكن ذلك لم يقدر له ، أو انه أراد أن يتساند مع الامير الزيداني ضد هزبر سجلماسة الذى انتصر عليه قرب هذا العهد في درعة فرده عن ذلك الوادى على عقبه منهزما (368) .

---

365) من المعلوم ان محمد الشيخ هذا بويع يوم 25 رمضان 1045 هـ وتوفي سنة 1064 هـ. ولا باس أن نذكر القارئ الكريم بان المسمين بمحمد الشيخ من ملوك هذه الدولة السعدية ثلاثة أولهم محمد الشيخ بن محمد القائم بن عبد الرحمان بن علي بن مخلوف . وهو الأول منهم . ثم محمد الشيخ الثاني ابن احمد المنصور بن محمد الشيخ الأول . والثالث هو محمد الشيخ بن زيدان بن احمد المنصور . وهذا الاخير هو المقصود هنا وهو أصغرهم .

366) الارتغاء هو ازالة الرغوة عن اللبن عند حلبه . ومن يزيلها بامصاصها يسر معها حسو اللبن الصريح ، فصار ذلك مثلا يضرب لمن يسر خلاف ما يظهر ، فيقولون « يسر حسوا في ارتغاء » ، قال الكميت :

فاني قد رأيت لكم صدودا          وتحساء بعلة مرتغينا

367) كروم الحاج هو اللقب الذى عرف به عبد الكريم بن ابى بكر الشباني الحريزي الذى كان سبب انقراض الدولة السعدية ، وهذا الذى أشار اليه المؤلف رحمه الله هو ان بودميعة ربما يكون صاهر محمد الشيخ الثالث لنفس الغاية التي صاهره لاجلها هؤلاء الشبانات فان ام ولده احمد هذا شبانية ، وقد استفحل امرهم فألحوا في التضييق على ابن اختهم هذا الذى اقعده الجبن وخور العزيمة عن الدفاع عن حوزته فحاصروه في مراكش نحو ستة اشهر ، فاشارت عليه امه بان يخرج الى احياء اخواله ويخالطهم ليزيل ما له في انفسهم من سخائم . فلما صار عندهم قتلوه سنة 1069 فدخلوا مراكش وبايعوا كروم الحاج هذا الذى دخل مع المجاعة حتى عرفت سنته بعام كروم الحاج ، وبعد عشرة اعوام قتله احد جنوده فتولى ابنه أبو بكر الذى لم يدم ملكه سوى اربعين يوما فدخل عليه المولى الرشيد العلوى فقتله وتتبع الشبانات حتى افناهم سنة 1079 هـ .

368) تقدم تفصيل ذلك ، فراجع فصل « بيعة مولاى محمد وانفضاضه على درعة » .

## ايليغ والتجارة مع اوربة

للمغرب مركز مهم في التجارة العالمية مع اوربة وما اليها من كل الأقطار التي تتجر على بحر الظلمات (369) – الاطلانطيكي – ، وذلك معروف من عهد الفينيقيين (370) احياء التجارة البحرية ، وقد ازدادت أهمية المركز المغربي في التجارة منذ اكتشفت اميريكا الجنوبية (371) واستولى البرتغاليون

---

369) يقول الذين كتبوا عن الملاحة وتطوراتها من اقدم العصور الى الآن ، ان سبب اطلاق بحر الظلمات على الاطلانطيكي هو ان القرطاجنيين الذين يحترفون التجارة وكونوا على شواطئه مراكز للمبادلات التجارية ، خافوا ان يزاحمهم فيه غيرهم كما زاحمهم في الابيض المتوسط ، خصوصا اعداءهم الرومان ، فاشاعوا ان ما وراء اعمدة هرقل – بوغاز جبل طارق – كله مخوف ، وان ما بعد ذلك ابتداء من راس بوجاضور في وسط ريو دو اورو في الشمال الغربي للصحراء الافريقية ، كله ظلمات ، في حين ان بحارهم حنون الذى جاس خلال شواطىء ذلك البحر قد تجاوز راس بوجاضور في بعثة مكونة من 60 سفينة على كل واحدة منها 500 رجل بينهم 50 جدافا ، وبلغ الى القمرون وذلك سنة 500 قبل الميلاد .

ولكن في سنة 1433 م ظهر كذب هذه الاشاعة حين تجاوزت هذا المحل بعثة البحار البرتغالي جيل يانيس **Gil Eanis** فكان ذلك خطوة جريئة الى الامام سارت عليها البرتغال فساد نفوذها الاطلانطيكي قرونا .

ثم عاد البرتغاليون الى ارتياد ذلك البحر حتى وصلوا الراس الابيض فأخذوا منه بعض السود ، فكان ذلك فاتحة عهد الشؤم على الانسان الاسود بسبب استرقاق اخيه الابيض له واتجاره فيه ، وتصديره كالبضائع للبلاد النائية كاميريكة وصار مشتريه يستخدمه في التجديف في السفن والعمل في حقول البطاطيس والتبغ ، وربما قيده اذا خاف عليه الفرار بقطع بعض اعضائه كالأيدى والارجل .

370) الفينيقيون أمة من أقدم أمم العالم العتيق [illegible] منذ ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح عليه السلام يقطنون شريط الشاطىء اللبناني في شكل ولايات متحدة متكونة من المدن ولها رئاسة مركزية في مدينة صور ، وقد مهروا في ركوب البحر ومخر عبابه للاتجار على سواحله حيث انشأوا المراكز التجارية العظيمة كما في تونس وطنجة وغيرهما ، بل كان لهم معمل في الجزيرة التى امام الصويرة لصنع الصبغ الارجواني اللطيف من محار الموريكس **Murex** لصبغ الملابس الفاخرة التي كان اباطرة الرومان يجرون ارديتها ويلتحف بها الفينيقيون والقرطاجنيون في محافلهم ، وقد اورثوا مدنيتهم لسليلتهم قرطاجنة ، وكان في اخلاقهم صلف وتعاظم (ان الانسان ليطغى ان رءاه استغنى) وكانوا مولعين باقتناء الاشياء الثمينة ، وهم الذين اخترعوا البلور ، والحروف الهجائية لضبط معاملاتهم .

371) كان ذلك بعد الاكتشاف الأول الواقع في اكتوبر 1492 م وقد ظلت الشواطىء المغربية ممرا للسفن الاوربية الذاهبة الى اميركة الجنوبية من ناحية والى افريقية نفسها والى الهند واسترالية وما حواليهما من ناحية أخرى ، خصوصا ابان تحضير العهد الصناعي الأوربي لجلب المواد الخام اليه والمواد الغذائية ، ولم تتحول طريق الهند واسترالية وناحيتهما عن الاستدارة بافريقية الا بعد حفر قنال السويس الذى وقع تدشينه في 17 نونبر سنة 1869 م راجع الحاشية 270 .

والاسبانيون ثم الفرنسيون والانكليزيون على السواحل الجنوبية لافريقية وآسيا ، فان كان المغرب ممرأ للسفن في الذهاب والأياب ما بين القارة الأوربية وهذه القارات الاخرى ، فلا بد ان يلم به الذين يقصدون البرازيل فى اميريكة الجنوبية او البلاد الهندية وما اليها من الاسواق التى فتحها لتجارته التاجر الأوربى النشيط المطوح على البحار بسفن لا تسير الا بالرياح ولا تمخر الا بالشراع (372) .

---

(372) بدأ الناس يفكرون فى استغلال البخار منذ اوائل القرن السابع عشر المسيحى ، ومن اوائلهم فى ذلك المهندس الفرنسى سالومون كون . وجاء بعده دونيس بابان الفرنسى أيضا فجرب سنة 1707 م سفينة بخارية على نهر بالمانية ، ثم جاء بعده المهندس الانجليزى جيمس وات فى أواخر القرن الثامن عشر فاعطى للقوة البخارية مكانتها واشاع استعمالها .

وفى 1830 م كان العالم يعد 97 فى المائة من سفن الشراع مقابل 3 فى المائة من السفن البخارية اما فى سنة 1914 م فان الامر صار بالعكس ، وكانت السفن الشراعية قد بلغت غاية الاتقان سنة 1850 م . وكانت تقطع مسافة ما بين لوندرة وميلبورن فى استرالية فى ظرف 90 الى 100 يوم ثم صنعت بالولايات المتحدة الاميريكية سفن شراعية ابتداء من 1850 م حولت هذه المسافة الى 75 يوما ونجح الناس فى الوصول من كرينوك فى ايكوسية بانكلترة الى كيبيك فى كاندة فى 15 يوما . وابتداء من نهاية القرن الثامن عشر صارت جفان السفن الشراعية تصنع من الحديد بدلا من الواح الخشب .

ولما استعمل البخار طفر بالملاحة طفرة أخرى الى الامام وفى سنة 1812 م استعملت أول سفينة بخارية فى البحر ، اذ كانت لا تستعمل من قبل الا فى الانهار ، واول سفر لعبور الاطلانطيك بالسفن البخارية كان سنة 1819 م فان الباخرة سفاناك قطعت ما بين الولايات المتحدة الاميريكية وانكلترة فى 27 يوما حاملة مائة طن من البضائع ولكنها سارت بعض هذه المسافة بالشراع لان السفن البخارية الاولى ظلت محتفظة باشرعتها مدة غير قليلة حتى تمت الثقة بالبخار .

وابتداء من 1837م تم تنظيم اول خط بحرى بخارى لعبور الاطلانطيك، فان الشركة البريطانية « كونار » المؤسسة سنة 1840 م جعلت ذلك العبور يتم فى 14 يوما ونصفا سنة 1840 م ، وفى 9 ايام سنة 1862 م ، ثم قل استهلاك الفحم فى السفن فاستغنت عن حمل الكثير منه واضيفت مخازنه الى التوسعة ، ثم صار الاتساع يزداد كما ازدادت الحمولة ايضا ، فقد كانت فى سنة 1820 م 148 طنا ، وفى سنة 1870 م 317 طنا ، وفى 1917 م 870 طنا .

وكما كانت تتحسن السفن باستمرار كان يتحسن القيام بالرحلات البحرية ايضا ، فان التقدم الحاصل فى الآلات الفلكية والجوية سمح بضبط التوجيهات ومعرفة الابعاد والاغوار ، ثم صارت تشيع فى الناس معرفة الامور الضرورية للبحار كالشواطىء والرياح وكل ما كانوا قد عرفوه ونشروه الى ذلك الوقت ، وان المهندس الاميريكى مورى جمع بين 1845 و 1855 م كثيرا من الوثائق والنشرات الجوية من قصاصات اثنى عشر ألف جريدة تتعلق بالبواخر والبحار . ونشر منها فى مجلد خاص عدة خرائط و « ارشادات بحرية » وقد انعقد فى سنة 1853 فى بروكسيل مؤتمر للشؤون البحرية وقرر تعميم نشر كتاب المهندس مورى بين الشعوب فكان ذلك مما سهل على الناس سلوك البحار بثقة وامان .

ومن بين المرافى فى المغرب اذ ذاك مرفأ ءاسفي ومرفأ أكادير ، وقد اشتهر هذا الاخير منذ أسس فيه البرتغاليون قرية فونتي فى عهد احتلالهم لشواطىء المغرب عند انتهاء الدولة المرينية وضعف الوطاسيين ، وقد ازداد هذا المرفأ شهرة بعد ان استرجعه السعديون (373) وأسسوا القصبة العليا التي تطلق عليها الآن أكادير ، وقد ازدهرت هناك تجارة الصادرات من سوس والواردات من اوربا ، وكان السكر على رأس ما يصدر من هذا المرفأ ، يستورده منه الاربيون ، وزراعته في سوس حوالى تارودانت قديمة (374) ، تذكر من القرن الرابع الهجرى فما بعده وهلم جرا ، وفى عهد السعديين ازدهرت تجارة السكر ازدهارا عظيما ، وبعد ضعفهم تراجعت تجارته ، الا انه فى عهد زيدان

373) راجع الحاشية 269 .

373) ذكر المؤلف في صفحة 170 من الجزء الرابع من تاليفه « خلال جزولة » ان زراعة السكر بسوس قديمة من قبل القرن الرابع الهجرى وانها ما زالت الى القرن الحادى عشر الى عصر بودميعة، وانه لم ينقطع السكر هناك الا فى عهد المولى اسمعيل. قال : « فاننا لم نر له ذكرا منذ تولت الدولة العلوية في سوس سنة 1081 هـ ولا يزال في (تازمورت) صهريجان يكون احدهما نحو 20 خطوة طولا ، وعرضه أقل من طوله ، وثانيهما يناهز صهريج البقر بمراكش ، كبر متسع ، ولا يزال جدار كبير عليه جدول ماء يصب على معمل السكر قائما الى الآن ، وهناك وراء تازمورت صهريج ءاخر ذكر لي ولم أراه كما رأيت هذين ، وهو كبير أيضا ، وقد رأيت ازاء دار القائد بوشعيب في هوارة في محطة 44 – تسمية لها بالمسافة بينها وبين أكادير – كما يسمى هذا المكان ، صهريجا ءاخر كبيرا تمتد اليه ساقية ، وذكر لى ان اثر هذه الساقية المندثرة يمتد مبدؤه من اولوص ، ثم مرت نحو الاطلس الصغير فمرت بتازمورت ، ولا ريب ان هذه الآثار كانت في عهد الدولة السعدية التى نشطت من جديد زراعة السكر ، ولم تكن هى التى أوجدتها مبدئيا كما يظن من لااطلاع لهم . فان لسكر سوس ذكرا فى كتاب (الاستبصار) المؤلف نحو 590 هـ ، وكذلك كتاب (خريدة العجائب) المؤلف فى القرن الثامن ، وذكر فيه ان سكر سوس هو الذى يسمى الطبرزذ الذى يذكر في كتب الطب ، وانه يصدر الى المشرق فضلا عن نواحي المغرب والاندلس » . والاماكن التى سماها هنا كلها مشهورة معروفة حوالى تارودانت ، ويأتي لديكاستري ان سبب اضمحلال انتاج السكر هو الفتنة التي حدثت بين اولاد المنصور السعدى لما كانوا يتناحرون على الملك ، وحيث ان المؤلف ذكر انها لم تنقطع الى ايام المولى اسمعيل ، فان ذلك يفسر بانها بقيت منها بقية بعد أبناء المنصور السعدى اذ لا يعقل أن تضمحل دفعة واحدة ، ودام ما بقى الى ايام المولى اسمعيل ، لكن يظهر ان سبب انقراض ما تبقى منه هو الفتن التى وقعت بين اولاده من وقت وفاته سنة 1139 هـ الى أن تولى حفيده السلطان سيدى محمد بن عبد الله سنة 1171 هـ ، فقد كانوا كلهم يأرزون لسوس ليتزودوا ويستجيشوا على انه نبغ هناك عدة ثوار فى هذا العهد كانوا سبب فتن وحروب .

وما ذكر المؤلف انه وراء تازمورت هو قرية اولاد مسعود جنوبى فرايجة الواقعة لشرقى تارودانت ، ففيها المعاصر ونماذج القوالب ، ورؤية ذلك متيسرة ، ولا باس بمراجعة الاصل المذكور .

فما بعده لا يزال السكر السوسي يذكر ، وعلى هذه الحالة ادركت ايليغ مرفأ فونتي يوم استولت عليه نحو سنة 1633 م . وقد بقيت تحاصر اكادير حتى استولت عليه سنة 1637 م .

وقد كانت ماسة هي المرفأ المقصود من التجار بسلعهم ، حتى مهدت فونتي فانتقل غالب تجارة ايليغ اليها ، وهناك في جوار سيدى محمد بن عبد الله بين قبيلة الساحل وقبيلة آيت بعمران محل ءاخر اشتهر فى الألسنة فقط انه ايضا متخذ فى عهد ايليغ للتجارة مع الخارج ، ولا يزال هناك فى الشاطىء ءاثار للمرسى المبنى مما يؤيد ما تتداوله الألسنة ، ولعل بودميعة فكر فى جعله مرسى جديدا ففتحه للتجارة ، الا ان منيته اخترمته قبل فتحه ، أو قبل شهرته بعد فتحه ، وايا كان فاننا لم نجد لهذا المكان ذكرا الا فى الافواه ، ولولا ءاثار تدل على ذلك لما ابهنا لما يتداول فى ذلك بين الاحاديث .

هذا الفصل الذى نحن بصدد تنسيق مواده امام القارىء مفقود المواد في تواريخنا المغربية فيما نعلم ، فلولا ما ننقله عن كتب الأجانب حواليه لكنا منه فى ديجور كثيف ،وقد افادتنا المجموعة التي جمعها المؤرخ ديكاسترى الفرنسي فى الموضوع فترجم لنا منها مايدل على ان لهولندة وفرنسة وبريطانية تجارة واسعة مع ايليغ .

وها نحن اولاء سنتتبع ما ترجمه لنا أخونا النابغة السيد احمد بنانى الفاسى (375) حول كل دولة من هذه الدول الثلاث من تلك المجموعة الجامعة

---

375) هو الاستاذ الفاضل السيد الحاج احمد بن عبد السلام بن محمد بنانى الفاسى المولود بها سنة 1905 م ، بيته هذا من أعرق بيوتات فاس علما وصلاحا وفضلا ، دخل المدرسة الادريسية لأوائل نشأتها فتضلع فيها من اللغة الفرنسية والثقافة العصرية ، واخذ بها المعارف العربية عن اساتذتها الأجلة الوزير سيدى محمد بن العربى العلوى والسيد عبد السلام السرغينى ومولاى احمد الشبيهى ، ثم دخل القرويين وارتوى من معين ما يدرس بها ، فكان من المتفوقين فى الثقافة المزدوجة ، ونفسه عال وقلمه سيال فى كلتا اللغتين ، وباعه طويل فى كلتا الثقافتين .

لكل ما يقف عليه جامعها فى الوزارات الخارجية من تلك الدول ، فى القسم المتعلق منها بالمغرب وربما يخرج ما نسوقه عن موضوع التجارة فيذكر متعلقات ايليغ مع احدى هذه الدول ، أو ما كان لاحداهن اذ ذاك مع كل المغرب من غير ايليغ ، نأتى بكل ذلك حرصا على الفائدة المغربية العامة ، وسنذكر نتفا حول أكادير قبل أن يؤول الى ايليغ ، كما نذكر بعض ما يتعلق به وحده من يوم استولت عليه ، وكذلك نذكر شيئا عنه بعد سقوط ايليغ بقليل ، ويجد القارىء ذلك متفرقا فى العلائق مع هولندة ومع فرنسة ومع انكلترة .

## مع هولندة

معلوم فى التاريخ ان السلطان السعدى زيدان لما انهزم فى مراكش امام ابى محلى توجه الى سوس على طريق آسفى فأكادير ، واليك ما ترجم لنا حول ذلك :

فى الجزء الثانى ص 106 من السلسلة الأولى ـ هولندة ـ كتاب مولاى زيدان الى حكومة الولايات المتحدة (376) بتاريخ 27 من ربيع الثانى سنة 1020 هـ

---

ثم جاء الى الرباط حيث ما يزال الى اليوم فواصل دراسته فى المدرسة العليا وحصل على شهادة الترجمة والحقوق ، فعين اولا رئيسا لديوان الوزير الأول ثم مستشارا بالمحكمة العليا الشريفة ، وكان ينتدب للمهام السامية عند الاقتضاء ، فكان مثال الاستقامة والنزاهة .

ولم يصده كل ذلك عن دوام الاتصال والتعاون مع اقطاب العاملين فى الميدان السياسى الوطنى لتحرير البلاد ، فكان عرضة للتعطيل عن العمل ومعاناة امتحان الفقر والفاقة والاذى فى سبيل الله .

ولما كان الفرنسيون يهيؤون لانتزاع الملك المقدس جلالة مولانا محمد الخامس عن العرش المغربى بايداع كبار الوطنيين اعماق السجون واقاصى المنافى كان من حظه النفى الى كل من بوعنان وبودنيب ثم اغبالو ن كردوس بالصحراء حيث التقى بالمؤلف ومن فى طبقتهما .

وبعد ان من الله بالاستقلال تقلب فى المناصب السامية اللائقة بثقافته وتضحيته فكان مديرا للتشريفات الملكية ثم مديرا للثقافة والفنون الجميلة ثم سفيرا للمغرب بسورية . وهو الآن مستشار برئاسة الحكومة اطال الله بقاءه وأدام توفيقه .

اما رجالات بيته فاكثر من أن يأتى عليهم الاحصاء ونمثل لهم بوالده المذكور سيدى عبد السلام العلامة المدرس النفاعة الزاهد الورع المعروف بعلم الطب والمتوفى عام 1329 هـ وعمه العلامة المحقق المؤلف قاضى فاس سيدى عبد العزيز بنانى المتوفى عام 1347 هـ رحمهما الله .

376) علق المؤلف رحمه الله على هذا المحل بقوله : « المقصود به هولندة »

الموافق 27 جوان 1612 م . وقبل أن يورد المؤلف (377) نص هـذا الكتـاب صدره بقوله :

« لما انتصر أبو محلي على مولاى زيدان اضطر هذا الى مغادرة اسفـي والالتجاء الى سوس ، لسانت كروا ـ يعني اكادير ـ وقد اكترى في شهر جوان 1612 م . باخرة القبطان جان فيليب دوكاستيلان التي وردت اخيراً على المغرب حاملة اليه رسائـل من لويس الثالث عشر ، والـدوق دوكيز ، وقـد اكتـرى تلك الباخرة لنقل أعز امتعته ولكن كاستيلان خان بعد ما وصل سانت كروا ـ اكادير ـ ففر ليلا على ظهر باخرته قاصدا فرانسة ولكن اعتقله في شواطيء سلا ضون بضرونDولارا الاسباني وهو أحد أعوان الامير فاجاردو ، فساقـه الى اسبانية ، وأهم ما في الباخرة الخزانة الملوكية السعدية ، فأهداها الملك فيليب الثالث الى خزانة الاسكوريال ، فاستاء المولى زيدان من هذه الخيانة ، فكانت سببالفتور العلائق بين المغرب وفرنسة مدة طويلة ، وقد علق المؤلف على هذه الخزانة بقوله :

« عدد كتبها ثلاثة ءالاف أو أربعة ءالاف ، جمع معظمها في عهد مولاى احمد الذهبي ، فيها كتب فلسفة وطب وسياسة ونحو ، وفيها جـودة خـط وزخرفة ، وهي أهم ما تحتوى عليه خزانة الاسكوريال في القسم العربي ، الا انها اصيبت يوم 7 جوان 1671 م . بحريق اذهب معظمها » .

وعلق على تلك الخيانة : « ان المولى زيدان يجعل دائما التبعة على ملك فرنسة لويز الثالث عشر في كل ما ارتكبه كاستيلان » .

وعلق ايضا على ما تقدم من ان هروب السفينة المذكورة كان بعد وصولها الى اكادير قوله : « ذكر لوجندر ان كاستيلان لـم يذهب الى سانت

---

377) علق المؤلف بقوله : « دوكاستري »

كروا — أكادير — ولكنه ذهب من آسفي قاصدا فرنسة وذكر لابورد دوتوراك ان المولى زيدان كان يريد السفر على الباخرة ليحمل معه تحفه وحليه ويقصد فرنسة ليطلب (378) من ملكها المعونة ، ولكن كاستيلان بمجرد ما حمل على باخرته امتعة السلطان النفيسة ترك السلطان على الارض وفر ، وذكر بورشا ان مولاى زيدان فر من اسفي وأرسل عياله وعددهن مائتان على باخرة هولاندية، كما أرسل أمواله على باخرة مرسيلية فاعتقلها الاميرال الاسباني لويس ، ووصلت الباخرة الهولاندية الى سانت كروا — اكادير — حيث الفت المولى زيدان فمكنته من عياله ، والظاهر ان مولاى زيدان قصد سوسا برا هو وأتباعه ، ولما وصل اليها لم يجد كاستيلان هناك ، اما لكونه لم يصل الى ذلك المحل ، أو وصله فهرب » .

ثم ساق المؤلف نص رسالة المولى زيدان الى هولندة وهي :

« قد وردت علينا في المدة الاخيرة باخرة من مرسيلية حاملة سفيرا لملك فرنسة اسمه القبطان جوهان فيليب دوكاستيلان ، فوقع بيننا وبينه

---

378) علق عليه المؤلف بقوله : « هذا بعيد كل البعد من زيدان ، فكيف يلتجىء الى الأجانب مع انه لا يزال يجد في قومه امثال يحيا الذى اجابه مع أهل سوس بجيش قيل ان عدده مائة الف ، وهل ينسى بسرعة ما جره ابن عمه محمد المسلوخ يوم التجأ الى البرتغال » — راجع الحاشية 73 والحاشية 75 هذا الذى حاول الاستاذ المؤلف رحمه الله أن يبرىء ، منه زيدان لا يبرأ منه الا بكونه لم يصدر منه بالفعل ، واما احتماله فهو لاصق به ، خصوصا مع ملاحظة ما ذكره الافراني في « نزهة الحادى» في فصل (ذكر الخبر عن دخول ابى محلي الى سجلماسة) ، وهو قوله : « وفر زيدان الى ثغر اسفي وهم بركوب البحر الى بر العدوة » . وقد نقله عنه العلامة الفاضل صاحب الاستقصاء وحاول كالمؤلف ان يلتمس فيه الاعذار ، ولكن من تقصى اخبار ملوك هذه الدولة يجد انهم لا يبالون باى ثمن اشتروا ملكهم هذا .

واذا كان زيدان لم ينس بعد ما وقع لمحمد المسلوخ ، فما بال اخيه محمد الشيخ الثاني نسي ذلك والتجأ الى الاصبان عام 1017 هـ باهله وحشمه واستنجد بهم على اخيه هذا فاشترطوا عليه تسليم العرائش فافرغها فعلا من المسلمين ولو بقتل من ابى الافراغ وسلمها لهم عام 1019 هـ وظلوا بها الى أن حررها المولى اسمعيل بن الشريف عام 1101 هـ .

وسياق كلام « نزهة الحادي » يفيد انه لم يلتجىء الى اهل سوس الا بعد ما كان في اسفي ، وقد تقدم قريبا لدوكاستري ان زيدان ابحر الى اكادير من اسفي ليستنجد اهل سوس .

الاتفاق على الصلح مع ملك فرنسة المذكور ، وأطلقنا له سراح الاسارى الفرنسيين الذين كانوا فى قبضتنا ، وبمقتضى ذلك الاتفاق استعملنا باخرته فى نقل امتعتنا ومالنا ، ولما وصلت تلك الباخرة الى سانت كروا ـ اكادير ـ فرت منها ليلا بدون علم منا حاملة ما كان لنا فيها ، ولما اننا لا ندرى ما الباعث له على ذلك اوفدنا اليكم خديمنا القائد احمد الجزولى وخصيننا ناصر قرطة ، ليذهبا من عندكم الى فرنسة بمكاتب منكم الى ملك فرنسة والدوق دوكيز ، وذلك فى أقرب وقت ممكن ، راجياً من الله أن يديم عزكم وصحتكم ويطيل حياتكم والسلام . وحرر بسانت كروا ـ اكادير فى 27 ربيع الثانى عام 1020 هـ .

وفى ص 121 من ذلك الجزء ما نصه :

« جاء فى رسالة معنونة بحكاية أبى محلى ، كتبها أحد التجار الهولانديين بالمغرب بتاريخ الواحد الى الخامس من غشت 1612 م :

« ولما انهزم مولاى زيدان التجأ الى أسفى ، ومنها أبحر مع عياله وبعض أتباعه على باخرة هولاندية ، قاصدا كاب غير (379) على باخرة مرسيلية أخرى تحمل أمواله وأمتعته ، وقد حمل معه ما لا يقل عن خمسة وعشرين قنطارا من الذهب ، ولما نزل بكاب غير صار يستنجد أهل سوس ، ولكن الى هذا التاريخ أى فاتح غشت لم يتبعه أحد » (380) .

أقول اننا تحققنا الآن أن زيدان لم يصل اكادير براً بل ركب الباخرة الهولندية ، وقد علق المؤلف ديكاسترى على القائد أحمد الجزولى السفير المذكور بقوله :

---

379) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « سترى المقصود به قريبا » يعنى رقم 383 .

380) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « قام معه بعد ذلك السوسيون بجيش كثيف بقيادة يحيا فأهلكوا أبا محلى » راجع الحاشية 75 .

« ان الجزولي الذي أرسله مولاي زيدان الى هولندة ومنها الى فرنسة هو احمد الجزولي الذي كان قاضيا بسوس (381) عند ما التجأ زيدان الى تلك الناحية ، وقد كان السفراء اذ ذاك يختارون دائما في المغرب من بين القضاة، وسيرى القارىء ان الشريف أرسل سفيرا الى أسطمبول مفتي المغرب الكبير » .

أقول ان المؤلف علق على جزولة التي منها هذا السفير في محل ءاخر غير هذا المكان بقوله : « جزولة تطلق على بعض قبائل سوس كان من عادة الملوك السعديين ان يتخذوا منها رجالا يعملون عندهم في حرس المشاة (382) ، ذكر ذلك في ص 812 ج 2 ، السلسلة الأولى ، ـ فرنسة ـ ، اهـ .

وفي ص 12 ج 5 ، السلسلة الثانية ـ هولندة :

« من الغلط ولا شك التفريق بين سانت كروا وكاب غير ، لأن مرسى سوس كانت تسمى عادة في ذلك العصر 1643 م ، بسانت كروا التي بكابغير »

أقول اغير بالشلحية بكسر الهمزة والغين ، هو المنكب بالعربية ، ويسمى مكان اكادير قديما اغير أفرني ، وأفرني محل في شمالي آكادير ، فيضاف ذلك الحصن المحدث هناك والمعبر عنه بأكادير الى كلمة اغير أفرني فيقال أكادير ايغير (383) أي حصن المنكب بعد ان يحذف المضاف اليه وهو أفرني تخفيفا .

---

381) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « قاض على تارودانت او اكادير ، وعلى كل حال هو سوس جزولي » .

382) راجع الحاشية 119 .

383) كاب كلمة لاتينية الأصل ، ومعناها الرأس ، اما غير فهو تحريف للكلمة الشلحية ايغير ، بكسر الهمزة ، ومعناه المنكب ويطلقه الشلحيون على الجبل المرتفع المنعزل ، ولا شك ان اكادير ــ الحصن ــ الذي بناه محمد الشيخ الاول السعدي سنة 947 هـ يقع على جبل عال منعزل ، ومن هناك سمي اكادير ن ايغير اي حصن المنكب ، وهكذا يعربه السوسيون في تاليفهم ووثائقهم ، لأنه مبني فوق منكب ، وتحذف اداة الاضافة وهي النون المنفردة فيقولون اكادير ايغير باشباع الهمزة المكسورة .

ثم أورد المؤلف في محل ءاخر ـ السلسلة الأولى ـ هولندة ـ ج 4 من مذكرة للقائد يوسف بيسكاينو سفير المولى زيدان رفعها الى حكومة هولندة مؤرخة بـ 31 يوليوز 1624 م ، جاء منها : «ان جام أبوت ارتكب خيانة ، وهي انه كان بسانت كروا ـ أكادير ـ بقصد التجارة ، فدفع لـه القائـد منصور قدرا من الدراهم في مقابلة سلعة ، ثم غادره من غير ان يدفع السلعة ، مع توصله بدراهم الثمن » وجاء منها أيضا : « ان جلالة السلطان اشترى من جاك فابري باخرة بقصد ارسالها الى سانت كروا لتعمل هناك ، وقد كانت هذه الباخـرة راسية في آسفي ، فجاء القرصي (384) بتيرزانس فاستولى عليها وعلى ما فيها

---

و « كاب غير » هذا يطلق على شبه زاوية حادة فيها بعض تقدم في البحر قبل أكادير بنحو اربعين كيلومترا للقادم اليها من السويرة ، وتكون شبه انعطاف يتقدم فيه البحر في البر وينحدر الى مرسى اكادير على شكل حرف الراء ، وهذا الرأس اول ما يبدو هناك من الشاطىء للبحارين ، وربما كانوا يفترون به على انه مرسى اكادير حتى عرفوه فصار علامة على قرب اكادير ، واصبحوا يقولون سانت كروا التي « بكاب غير » ، أي قريبا منه ، راجع أول فصل « مع فرنسة » من هذا الكتـاب .

و « غير » هذا الذي يضاف اليه هذا الكاب محرف ـ كما قلنا ـ عن ايغير بمعنى المنكب لأن من فوقه جبلا مرتفعا منعزلا يسمى « ايغيرن اوفرني » ، أي منكب افرني والاضافة في اللغة الشلحية تؤدى بالنون الساكنة المنفردة ، وافرني هذا الذي يضاف اليه هذا المنكب قرية لا بأس بها تقع اعلاه ، والموضع الذي فيه هذا الكاب او الرأس البرى يسمى « دوافرني » أي أسفل افرني ، لأن دو بالدال المضمومة المشددة الممدودة معناها تحت .

وعلى هذا الرأس اليوم برج عال عليه منار كبير ، وارتفاعهما معا سبعة وعشرون مترا ، يرسل ضياءه الدائر المتنقل في البحر الى مسافة ستين كيلومترا لينذر به السفن كي تتجه نحو مرسى اكادير .

ومن كل ذلك يتضح ان « كاب غير » المضاف لا « يغيرن افرني » شيء ، و « اكاديرن ايغير » شيء ءاخر ، وقد حققنا هذا بالشخوص لعين المحل .

وتسمية هذا المحل بكاب غير قديمة عثرنا عليها في الخرائط القديمة ولعله يرجع الى عهد محاولة البرتغاليين في القرن 15 .

اما قول الكونط هانري دوكاستري : « لان مرسى سوس كانت تسمى في ذلك العصر 1643 م بسانت كروا التي بكاب غير » فمعناه بالقرب من « كاب غير » كما تفيده عبارة اخرى له وهي قوله : « انه وصل الى سانت كروا بعد كاب غير » كما ستأتي له عبارة « سانت كروا بكاب غير » واذا كانت هي هي فلا معنى لان يجعل احداهما ظرفا للاخرى .

384) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « كانوا يطلقون اذ ذاك على اللصوص البحريين الـقـرصـان » .

واصل هذه الكلمة ايطالي ، ومنه اخذت كلمة **Corsaires** الفرنسية التي صارت في العربية « قـرصـانـا » .

من رجال ، وما تحمله من مدافع وقوت ، ولا ندرى الى الآن أين تلك الباخرة مع انها فى ملك جلالة السلطان »

---

وهناك نوعان من جوابى البحار احدهما المعروف فى الفرنسية بالبيراط « les pirates » وهم أوشاب من مختلف الاقطار الأوربية برزوا للصوصية البحرية جهارا ولا يحترمون حتى سفن بلدانهم الاصلية وينظر اليهم الناس بما ينظرون به الى اللصوص البريين .

اما النوع الثانى فهم المعروفون بالقرصان فى العربية أو les corsaires فى الفرنسية ، ولم يكونوا فى أول أمرهم لصوصا وانما كانوا ارباب بواخر تجارية يسلحونها باذن حكوماتهم لتستطيع حماية نفسها من اولئك اللصوص ، فكان الناس ينظرون اليهم نظرة احترام لاشتغالهم بالتكسب المشروع وان السفن الغير المسلحة تأمن جانبهم وترجو حمايتهم ضد les pirates اللصوص الصرحاء .

لكن مع طول المدة اصبح هؤلاء الكورسير انفسهم ينتحلون الاسباب للسطو على السفن التى تضعها الاقدار فى متناولهم ، ولكنهم مع ذلك يحترمون سفن بلدانهم الاصلية ، وحيث انهم اوربيون مسيحيون فمن العبث أن ينتظر منهم الانسان هوادة مع سفن البلاد الاسلامية . . . . .

ثم بعد اكتشاف اميريكة سنة 1492 م واصبح الطريق بينها وبين اسبانية مطروقا صار مغامروا القراصنة الذين كان معظمهم من الهولنديين والانجليز يغيرون على السفن الاسبانية فاقتنصوا منها عددا ضخما .

ثم بعد مدة ايضا انضم الى هؤلاء جماعة من اللصوص يعرفون فى الفرنسية باسم les flibustiers كانوا يجوسون خلال جزر les Antilles طوال القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر ، ثم انضمت اليهم طائفة اخرى من اللصوص كانوا يطاردون الثيران الوحشية فى اميريكة للحصول على جلودها التى كانت لها قيمة غالية ، فكانت الحكومة الاسبانية تطاردهم واتخذوا مقرا خاصا فى جزيرة la tortue أو السلحفاة قرب هايتى ، فاصبحوا لصوصا اقوياء وربما هاجموا حتى بعض السفن الحربية .

ثم صار رؤساء الدول يستغلونهم للهجوم على خصومهم فلا يكاد سوء التفاهم ينشأ بين دولتين حتى توجه احداهما رسائل الكفالة والضمانة الى بعض جريئى القراصنة تحرضه على مهاجمة سفن اعدائها وتبيح له بيع اسلابها علانية كغنيمة حربية مشروعة ، وحيث ان اولئك القراصنة يعرفون نذالة حرفتهم اللصوصية فى نظر الناس فقد كانوا يعتزون بهذه الرسائل الملوكية التى تسدل عليهم سترا ولو رقيقا من النظام والمشروعية وتحمل مسؤولية ما يقترفون ، فكانوا يجعلون لأولئك الرؤساء حظا ولو رمزيا من مستفاداتهم .

وقد تكون فى احضان هؤلاء القراصنة رجال بحريون عظماء استفادت اممهم الاصلية من مواهبهم فأسندت لهم المهام الكبيرة فى اساطيلها ، نخص منهم على سبيل المثال Jean Bart الفرنسى (1651 — 1707) الذى كان يعمل فى اسطول هولندة ولكن لما دخلت فى حرب مع فرنسة ، تركها والتحق باسطول بلده فكان متفوقا فى كل ما أسند اليه من مهام و DuGay - Turbin (1673 — 1736) الذى كان يتمتع من جنوده بمثل ما كان يناله حكماء القواد من المحبة كخالد بن الوليد نابوليون ، و Claude de Forbin (1656 — 1733) الذى كان له شفوف عظيم فيما خاضته فرنسة فى عصره من حروب حول اميريكة ، و Surcouf (1773 — 1827) الذى اقتنص لبلاده كثيرا من السفن الانجليزية ، واصبح من كبار اصحاب معامل صنع السفن بفرنسة .

ولما استفحل امر القراصنة واصبحوا يزاحمون الدول انعقد فى سنة 1856 م مؤتمر دولى فى باريز تقرر فيه باجماع نسبى الغاء القرصنة ، ولم يشذ فيه عن هذا الالتزام الا ولايات اميريكة المتحدة واسبانية والمكسيك ، فاضمحلت بذلك القرصنة بمعناها الحقيقى قانونيا .

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى (1914 — 1918) واحتاجت الدول المتحاربة لمن يحارب سفن اعدائها كلفت به سفنها الحربية الخاصة .

اما قراصنة المغرب فلا شك ان الذى دفعهم الى ذلك انما هو مقابلة العدوان بمثله لحماية الثغور الاسلامية المغربية ومن ذلك ما كان يعرف بقراصنة سلا رغما عما كان يحاول الأوربيون الصاقه بهم من النهب والسلب والارهاب .

ومثل هذا أيضا ما أورده في ص 55 ج 2 ، السلسلة الأولى ـ هولندة ، ونصه : جاء من تقييد لخص فيه اقتراحات صامويل بلاش على هولندة، وهو ممثل جلالةالسلطان لدىحكومة هولندة(385)، وهوـأيالتقييدـمؤرخ بفاتحماي1612م ومحرر بلهاي ما يلي : « كتب جلالة السلطان الى حكومة هولاندة يذكر ان عامل سانت كروا ـ أكادير ـ اشترى باخرة مملوءة زيتا في ملك تجار من زيلندة ، قبل ان يبلغ العامل المذكور معاهدة بلاده مع هولاندة ، فرد جلالة السلطـان تلك الباخرة الى هولاندة على شرط ان يرد اربابها ما ادته حكومة المغرب عنهم فسروا بذلك ، ولكنهم ادعوا بعد ذلك ان الباخرة سرقت منها سلع قبل ان ترد اليهم ، ولذلك أرجوكم ان تامروا أولئك التجار ان يردوا لجلالة سلطان المغرب ما بقي في ذمتهم ، وبذلك نكون قد وفينا بعهودنا مع جلالته »

وورد في تعليق للمؤلف في ص 417 ج 4 ما نصه :

« أن محمدا الشيخ الصغير لما توفي أخوه أخرج من السجن اذ كان اعتقله أخـوه (386) الوليد ، وقد دام ملكـه من 22 فيبراير 1636 الى 31 جانفي

---

385) كان المعتاد في هذا الكتاب ان نرى افراد اسرة «ال بالاش الاسرائليين هؤلاء ممثلين لهولندة لدى سلطان المغرب ، وهنا انعكست القضية اذ صار احدهم وهو صامويل هذا ممثلا للسلطان لدى هولندة ، وربما يدخل ذلك تشككا على القارىء المنتبه في صحة ما هنا ، لكن الشك سينجلي عندما يطلع فيما ياتي على النص الصريح في موافقة ما هنا للواقع .

كما سيطلع أيضا فيما ياتي على سريان أفراد هذه الاسرة في شؤون الحكومة المغربية ، وعلى انها اسرة مغربية ، ومن ذلك يتبين ان اليهود (كذا خلقوا) منذ كانوا .

386) كان بين ابناء زيدان بن المنصور مثل ما كان بين اعمامهم من الفتن ، فقد تقدمت في التعليق 362 الاشارة الى ما وقع بينهم بعد وفاة والدهم زيدان فبويع ابنه عبد الملك وحاربه أخواه الوليد واحمد الخ ولما اغتيل عبد الملك في 16 شعبان 1040 هـ بيد اعلاجهم وبايماز من الوليد ـ راجع التعليق (329) ـ بويع اخوه الوليد ، ومع ما يتظاهر به هذا من الخيارة فقد كان مولعا بالفتك باخوته وابناء عمومته ، ونجا منه اخوه محمد الشيخ ـ الثالث ـ لصغره لان سنه اذ ذاك احدى عشرة سنة ، ولان امه ونساء القصر كن يحرسنه منه ، واخيرا حبسه في احدى غرف القصر وعزم على الفتك به ، فاولم لاعيان الدولة والجند واهل مراكش ذات ليلة لينشغل نساء القصر بتحضير الطعام حتى يفتك باخيه ، فاراد الله ان يتفق العلوج على قتله هو في تلك الليلة ايضا ، ولما عرفوا قصده كمنوا له في محبس محمد الشيخ فلما دخل للفتك به وجدهم فذعر وصاح فرموه بالرصاص

1655م . وهو ابن اسبانية ، وتزوج هو نفسه باسبانيتين ، وكان يميل كل الميل الى النصارى ، فاذن للرهبان الفرنسيسكان بالسكنى بمراكش وبالقيام بعبادتهم (387)، وقد كان يميل الى معاهدة اسبانية، ولذلك استغل أعداؤه موقفه

---

واجهزوا عليه بالخناجر ، وذلك فى 14 رمضان 1045 هـ ، ومن الغد بايعوا محمد الشيخ هذا الذى توفى سنة 1064 هـ .

والى الوليد هذا تنسب قصبة الوليدية التى بدكالة ولعله اتخذها ليخلو فيها للهوه وطلمه اذ من المعلوم عنه انه لا يفتر عن السماع ليل نهار .

387) هذا الذى ذكره هنا دوكاسترى نقل مثله العلامة الناصرى فى الاستقصاء فى اخبار محمد الشيخ هذا عن منويل المؤرخ البرتغالى وهو : « وسرح الفرايلية الذين كانوا فى سجن مراكش واعطاهم الكنيسة التى بالسجينة منها » .

والفرايلية هم الرهبان ، والسجينة هى أول موضع أسسه ابن تاشفين من مراكش وموقعها قرب مسجد الكتبيين الحالى .

اما هذه الكنيسة فيرجع تاريخها الى سنة 627 هـ ايام ادريس المامون بن يعقوب المنصور الموحدى ، وذلك ان امر متاخرى الموحدين صار ينحل بعد موت يعقوب المنصور سنة 595 هـ وبعد انهزام المسلمين فى وقعة العقاب ايام ابنه محمد الناصر المتوفى سنة 610 هـ ، فسقطت من النفوس هيبة الموحدين كما انحطت هممهم فنسوا المصلحة العامة العليا واصبح كل واحد منهم يطمع فى الملك على كثرة عددهم وصاروا العوبة فى ايدى الحجاب والوزراء وجرهم ذلك الى تعود الالتجاء لاستمداد اعدائهم الاسبان على بلدهم واخوانهم فيشترط عليهم الاسبان التنازل عن معاقل المسلمين ومدنهم فيخنعون لذلك .

ولما افضى الامر الى عبد الله العادل بن يعقوب المنصور سنة 621 هـ ، انقاد له البعض من اخوته وبنى عمومته وثار عليه البعض ، فكان ممن ثار عليه عامل اشبيلية اخوه ادريس المامون فدعا لنفسه سنة 624 هـ ، وكتب الى موحدى مراكش باجماع اهل الأندلس على بيعته فخنقوا العادل بعمامته فى خصة ماء بمراكش ووجهوا بيعتهم الى المامون هذا فى اشبيلية ، ولكن لما انفصل بها عنهم البريد ندموا لما يعلمون من فتكه وبطشه فنكثوا بيعته واعلنوا بيعة يحيا بن يوسف بن يعقوب المنصور وسنه ست عشرة سنة ، ولما وصل البريد بالبيعة الى المامون فرح وتجهز للجواز الى المغرب فلما بلغ الجزيرة الخضراء تلقى خبر انقلاب اهل مراكش عليه .

وهناك كاتب ملك قشتالة ان يمده بجيش يجوز به الى المغرب فأمده باثنى عشر الف نصرانى على شرط ان يتنازل له عن عشرة حصون فى الاندلس يختارها هو ، وان يبنى لهؤلاء النصارى بمراكش كنيسة يعلنون فيها دينهم ويقرعون نواقيسهم لصلواتهم ، وبلغه هذا المدد بالجزيرة الخضراء سنة 626 هـ ، ولما علم يحيا بمجىء ادريس فر من مراكش فكتب اهلها الى هذا الاخير ببيعة اخرى واستعجلوه للقدوم ، فعبر بنصاراه الى المغرب فى ذى القعدة 626 هـ وبقى مدة بسبتة ، ثم نهض الى مراكش فوقعت بينه وبين يحيا معركة فى 25 ربيع الاول 627 هـ انهزم فيها يحيا ودخل المومون الى مراكش فكان اول ما صنع أن سب المهدى بن تومرت على منبر جامع المنصور واعلن ابطال بدعه ، وبعد ثلاثة أيام جمع رؤساء الموحدين وقطع منهم نحو أربعة الاف رأس ، ووفى للنصارى بشرطهم وهو بناء الكنيسة ، فهو أول من بنى الكنائس بالمغرب وأول من ادخل اليه الجيوش الأجنبية .

ثم ثار على المامون هذا اخوه عمران بن المنصور عامل سبتة وبينما هو فى الطريق اليه لقمعه، بلغه ان بعض القبائل تحاصر مكناس فعاد اليهم ، وبعد قتالهم رجع الى سبتة ، واثناء غيبته عن مراكش عاد اليها يحيا من الجبال فنهب القصر وهدم الكنيسة ، فبلغه الخبر فترك سبتة وعاد الى مراكش ، فباع أخوه عمران سبتة لابن هود أحد ملوك الطوائف بالأندلس فبلغ كل ذلك المامون وهو بوادى العبيد قافلا الى مراكش فمات هناك غما واسفا سنة 629 هـ .

هذا فثار عليه العياشي والدلائيون والشرفاء الفيلاليون وسيدى علي (388) بن موسى ، فلم يكن له نفوذ قوي ، ويمكن ان يقال انه لم تكن له مملكة » (389) .

وذكر في السلسلة الأولى — هولاندة ج 3 ص 290 ما نصه من مذكرات روويل الهولاندى فى 5 أبريل 1623 م : « وصلت رسائل من مراكش يامر فيها السلطان القواد والجنود بالرجوع لأن سيدى منصور كتب اليه من أكادير بأن الأمن سائد ، وانه لم تبق حاجة للاعانة » .

ثم قال روويل في رسالة أخرى مؤرخة بـ 25 مايه 1623 م . ما يلي :

« في سابع ابريل وصلت باخرتنا بعد ما أذن لها في الذهاب القائد منصور حاملة كتابا منه الى السلطان يذكر فيه القائد معونة قبطاننا له بالتمكن من أكادير ، لأنه على ما يظهر لولا تلك المعونة لاستولى سيدى علي على قصبة سانت كروا ، ولذلك يستاء التجار الذين كانوا ينتظرون رواجا لسلعهم ، ولولا الاستلاء على القصبة لأصبحت التجارة مفقودة منها »

أقول ان هذه السنة توافق سنة 1031 هـ ، فلا ريب ان بودميعة كان هاجم في هذا العهد آكادير ليسترجعه اليه ، ولكنه لم يستطع أمام قوة القائد منصور الذى تمكن من ناصية الأمر بمعاونة البحرية — كما ترى — بمدافعها .

ثم قال أيضا روويل : « وفي 14 بوليوز 1623 م . وصلت رسائل من أكادير تذكر ان تاجرا نيرلانديا اسمه بول ، وقف هناك فباع واشترى مع الماسيين ، — اصحاب بودميعة — ويقال انه باع كثيرا من المكاحل لأصحاب سيدى علي عدو السلطان »

---

388) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا هو بودميعة وثورته كانت 1613 م قبل عهد محمد الشيخ هذا الذى ما تولى الا سنة 1636 م .

389) اتفق المؤرخون على انه لم يبق تحت نفوذه الا مراكش وبعض اعمالها .

ثم قال ايضا : «وفي 6 أكتوبر 1623 م أمر السلطان باحضار أندلسي اسمه القائد الحسن وكلفه بالذهاب الى اكادير مع مائة كلهم من أصل أندلسي ومعهم ازواجهم واولادهم للسكنى هناك ، لأن السلطان لم يكن يثق برعاياه الذين يلذ لهم ان تتبدل الأحوال كل حين ، وبما انه لاحظ ان الاندلسيين (390) هم الذين احتفظوا له بسلا اراد ان يثبت قدمه بواسطتهم في أكادير وفي آسفي وفي تافيلالت ، وفي كاكو — السودان — وقد عزم على ارسال خليفة له اسمه القائد يوسف باسكاينو »

وساق أيضا من هذه المذكرات ص 284 ما نصه : «وفي يوم الجمعة 17 مارس 1623م . وصل يعقوب ايدانيز من سانت كروا — اكادير — لدفع ما بقي من البندقيات حسبما وعد به ، واضطر لان يبيع نحو مائتين لقائد سانت كروا، لأن القصبة كان حاصرها سيدي علي مع اثنتي عشرة مائة رجل او اربع عشرة مائة رجل ، وقد استولى على برج تلضي (391) وهو موقع جميل على بعد نصف ميل من القصبة في جوف البلاد »

---

390) قد احسن المغرب ايواء هؤلاء الاندلسيين واعجب بمواقفهم الجهادية ومهد لهم ما ينبغي للمسلم أن يمهده لأخيه المسلم وقدر لهم تضحيتهم في الهجرة بدينهم ، ولكنهم كانوا معجبين لا يرون لأحد فضلا امامهم ، فبينما هم مع السعديين اذا بهم يثورون عليهم ويقتلون عمالهم ثم ينضمون للمجاهد العياشي ، وبينما هم معه اذا بهم ينقلبون عليه وينضمون للدلائيين منافسيه ، بل ينضمون اخيرا الى اسبانيي المعمورة انفسهم ويمدونهم بالطعام والذخيرة بينما يجاهدهم العياشي ليحرر منهم البلاد ، وكانوا يريدون تكوين حكومة شورية مستقلة ويريد العياشي ان يضمهم الى الجماعة لتتوحد البلاد .

وبسبب تنكرهم للعياشي حاربه الدلائيون فكان ذلك سبب القضاء عليه ، وليتهم كلهم ذهبوا فداء له .

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

391) هذا البرج المضاف الى قرية تلضي هو محل تالبرجت الحالية التي كان بها معظم اكادير ما قبل زلزال 1960 م ، وهذا يفيدنا انه كان هناك برج للمراقبة البحرية .

وموقع كل من تالبرجت وتلضي شمالي التخطيط الجديد لأكادير ما بعد الزلزال ، وهي المقصود بما تقدم في السطر الرابع تدليا من صفحة 152 من هذا الكتاب .

وهناك قرية أخرى يقال لها احشاش جمع احشوش بمعنى العريش سكنها اولا من يتبعون جيش الاحتلال للاتجار معه ، ثم سكنها العمال والضعفاء ثم صارت حيا من احياء المدينة ، وقد صار الآن محل تلضي مقبرة ، وهي في تراب قبيلة مسكينة — بالكاف المعقودة .

وهناك تلضي اخرى تبعد كثيرا عن اكادير الى الغرب تقع في تراب قبيلة ايت أمر بفتح الهمز وتسكين الميم والراء بحاجة وليست هي المراد هنا ، وكانت مركزا علميا .

وقد علق المؤلف على هذا ان القصبة لم يستول عليها سيدى علي الا سنة 1637 م .

وجاء تعليقا على الأصل فى ص 236 ج 3 ، السلسلة الأولى ـ انكلترة ، ما نصه : « ان المدينة العليا وهى مدينة سانت كروا كان سيدى على باعها للمولى زيدان ، واحتلها مولاى زيدان ، ولكن لم يستمر زيدان فى أداء ما وقع الاتفاق على أدائه فهاجمها سيدى على سنة 1623 م . واستولى عليها سنة 1637 م»

اقول عمد: قدمت هذا الكلام وان كان حول انكلترة لتوقفنا عليه الآن، فان قوله لم يستمر يدل على انهما اتفقا على ان يدفع له كل سنة او كل شهر مالا.

وفى ص 625 ج 6 سلسلة هولاندة ما جاء فى رحلة دافير : وهو انه « فى سنة 1660م . اختصم اهل الأندلس من سلا القديمة والجديدة مع سكان القصبة ـ يعنى قصبة رباط الفتح ، والرباط نفسه ، هو المعنى بسلا الجديدة ـ وكان يحتلها اذ ذاك الفا جندى من سانت كروا وغيرها باسم ملك فاس وتحت قيادة القائد احمد الجنوى » .

وعلق على قوله سانت كروا بأن السلطان محمدا الشيخ الصغير هو الذى أنزل أناسا من سانت كروا بقصبة سلا فى 1638 م .

أقول عرفنا الآن بعض ما كان يدور حول اكادير بين الايليغيين والزيدانيين ،وانهم تجاذبوا الحصن حتى استولى عليه اخيرا بودميعة مغالبة فجلا عنهجند ءال زيدان الى الرباط ، وكان أولا من ممالك بودميعة فخرج من يده حتى استرجعه الآن ، وذلك نحو سنة 1045 هـ .

ثم ذكر المؤلف ص 4 و 5 ، ج 4 السلسلة الأولى ـ هولاندة ـ من يوميات التاجر أدريان ماتان المسافر من هولندة الى المغرب على ظهر باخرة جيلدرلاند الحاملة لأنطوان ليدركيك سفير هولاندة الى ملك المغرب ، وكاتب

اليوميات كان مصورا ، وقد أرخت بفاتح شتنبر 1640 م : « وفي 25 ماي 1641 وصلنا الى سانت كروا ، وبها وجدناباخرة انجليزية وباخرتين فرنسيتين ، وفي العشي جاءنا الى الباخرة لبرجين (392) ومعه أناس ءاخرون يحملون الينا رسالة من المسمى ديرويل ، وقد كان هذا يتفاوض في شأن فداء الأسارى المستعبدين وفي سانت كروا قصبة موقعها على جبل عال جدا ، ومن العسير الهجوم عليها »

«وفي 27 من الشهر بلغنا ان سكان القصبة ينتظرون من حين لآخر وصول اخي الصالح ، وقد كان احد المغاربة من سكان القصبة اراد اطلاق مدفع فتفرقع المدفع فجرح الرجل في معدتـه وفي اسافـل بطنه ففقـد ءالـة التناسل ومع ذلك بقي حيا ، وقد اصطاد رجالنا حوتا مزخرفا يسميه أهل هذه البلاد فرين » .

« وفي 28 أو 29 بلغنا ان الناس بسانت كروا ينتظرون الصالح نفسه، وسيريح مقدمه السفير من الذهاب الى ايليغ لأنها تبعد عنا بأربعة وعشرين ميلا ركوبا على الخيل ، والطريق محفوفة باخطار جمة » (393) .

وفي عشية 30 منه وصل أخو الصالح (394) الى سانت كروا ومعه أتباع عديدون ، فانطلقت أفواه المدافع من القصبة (395) ومن بواخرنا احتفاء به ، وقد قوي أملنا الآن في اطلاق سراح المستعبدين » .

392) علق المؤلف على هذا الاسم بقوله : « تاجر هولاندي اقام باسفي وسلا زمنا طويلا ، وورد ذكره في الوثائق ما بين سنة 1623 م ، وسنة 1629 م اهـ من حاشية المجموعة المترجمة ، وكل ما هناك من التعاليق كهذا هو لدوكاستري نفسه المؤلف للاصل » .

393) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « الحقيقة انه لا اخطار هناك مع وجود الامن » ولكن المسافة اطول من ذلك بكثير كما ياتي بيانه .

394) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « لا نعرف في التاريخ اسم اخي بودميعة هذا » .

395) علق المؤلف هنا بقوله : « هذه العادة معروفة اذ ذاك كما هي معروفة الآن » .

« وفي 31 منه ارسل الينا اخو الصالح ثورين واثني عشر كبشا هدية (396) ، فأوفد السفير اليه في القصبة ثلاثة من رجال باخرتنا فتداولوا معه طويلا في شأن الأسارى ، ورجع الرسل مسرورين ، وذكروا ان الصالح فوض لأخيه في شأن المفاوضة مع السفير فيما يتعلق بالأسارى المستعبدين ، وفي فاتح جوان نزل السفير نفسه محفوفا برجاله ، فحيته باخرتنا بثماني طلقات من المدافع ، وبثلاث من بندقياتنا ، وقد كان أخو الصالح على الشاطىء بسفح الجبل الذى فوقه القصبة ينتظر مع قائد سانت كروا السفير ، فقدم السفير الهدايا ، وكلمهما فى شأن اطلاق سراح المستعبدين ، ولكن لم يقع الاتفاق فى ذلك اليوم رغم كون المؤتمر ظل النهار كله ، ثم انفض في العشي وكل من الطرفين مسرور باستئناف المذاكرات في الغد ، وقد وجهت الى الصالح رسالتان عن عجل فى هذه العشية ، وأخو الصالح يدعي أن الهدايا التى قدمها السفير قليلة (397) فلا يمكنه أن يبت هو في الأمر الا اذا تلقى أوامر جديدة من عند الصالح » .

« وفي 2 جوان نزل السفير ثانية الى اليابسة ، فوقع الاتفاق بينه وبين أخي الصالح على ما يلي : ان جميع الذين كانوا على ظهر الباخرتين المحطمتين المأسورين يطلق سراحهم على شرط أن السفير زيادة على الهدايا التى قدمها يؤدى أيضا للصالح ألفى دوكا (398) ، وأخو الصالح نفسه سياتي الى سانت كروا بعد ستة أيام أو سبعة بجميع الأسارى من الباخرتين وعددهم اثنان وسبعون ، واختصارا فى الزمن ذهب أخو الصالح مستعجلا الى ايليغ تنفيذا

---

396) علق المؤلف هنا بقوله : « المغرب كريم يكرم اضيافه ككل الشرفاء » .

397) علق المؤلف هنا بقوله : « وهذه الهدايا من هؤلاء السفراء تحسب من الفدية . ولذلك يماكس فيها كما سترى » .

398) تقدم تفسيرها في التعليق (207) .

لما وقع عليه الاتفاق ، ويشمل هذا الاتفاق شيخا فرنسيا أسر هنا منذ أربعين سنة (399) على الأقل ، وعندما كنا ننتظر بفارغ الصبر وصول الأسارى اشتغل رجالنا بصيد الحوت ، والباخرة الأولى من المحطمتين اسمها اراسموس من مدينة روتيردام فيها 51 رجلا ، مات خمسة منهم ، وأسلم أحدهم ، والثانية اسمها دوميتس من دور دريشت فيها 28 ، وكلتاهما لشركة الهند الغربية » .

وفي 7 جوان جاء الشيخ الفرنسي المسترق منذ اربعين حولا حاملا رسائل من الصالح الى السفير تحتوى على أخبار محزنة ، ففيها أن السفير يلزمه أن يزيد على ما وقع الاتفاق 500 دوكا ثم أن الكل لا يكون الا فدية لأسرى الباخرة الاولى ، واما 28 الذين أسروا من الاخرى فسيبقون في بؤسهم وفي أسرهم ولا يمكن ان يؤمل أو ينتظر سراحهم » .

ثم قال صاحب اليوميات : « ان هذه الأمة الكافرة لا تعبأ بالوفاء بعهودها واتفاقاتها ، فان الاتفاق الأول الواقع بين السفير وأخي الصالح ينص على تحرير جميع الأسارى ، من كانوا في الباخرة الاولى والثانية ، وقد بات عندنا بالباخرة الشيخ الفرنسي ووصف لنا حالة الأسارى المستعبدين التعسة ووصف لنا أكلهم وشربهم المستقذرين ، فمن هذا يستطيع الانسان أن يتصور كيف يكون اصحاب الباخرة الثانية اذا رأوا اخوانهم مسرحين أحرارا وهم باقون في قبضة هؤلاء الهمج المجردين من العاطفة والانسانية ، ولم يقف السفير عند هذا الحد ، بل أرسل جواب رسائل الصالح عن عجل مع رجلين على فرسين.

« وفي 8 جوان ذهب القبطان الوالي على فرس للاتيان بالأسارى المسرحين .

---

(399) علق المؤلف هنا بقوله : « فيكون مأسورا قبل زمن ايليغ بنحو عشر سنين ، ولعله مشترى من عند بعض من اسروه » .

« وفى 14 منه وصل 45 من الاسارى ، وبمجرد مجيئهم نزل السفير الى اليابسة للمذاكرة مع القبطان والى وغيره من المغاربة ، ثم صعد الأسارى الى الباخرة يغمرهم الفرح حتى لا يستطيعون أكلا ولا شربا مع تعبهم بالمشى فى سفرهم ، فقد ساقهم عشرون فارسا .

« ثم أرسل السفير قطعة من الثياب قيمتها الفا دوكا تنفيذا لما وقع عليه الاتفاق بينه وبين اخى الصالح ، ورفع اليه تشكيه العظيم من عدم تنفيذ ما وقع عليه الاتفاق بينهما تنفيذا تاما ، مع انه يشمل كل من فى الباخرتين شمولا واضحا » .

« ثم ان الصالح طلب فى مقابل 28 الباقين 3000 دوكا ، ورغم انه لاحق للصالح فى طلبه الجديد اضطر السفير ان يجيبه باستعداده لدفع الف فقط ، فتوجه رسول الى الصالح لعله يوافق على ذلك » .

« هذا وان اخا الصالح مشهور هنا بكونه عاقلا طيبا متأدبا ، فقد ذهب الى ماسة التى هى بين سانت كروا وايليغ وهى ممر الاسارى فحين رءاهم قال لهم فى لطف : اذهبوا يا اصدقائى فى رعاية الله ، وانى أرجو أن يحفظكم الله حتى تصلوا الى أوطانكم ، وانى ذاهب الى اخى فى ايليغ وسأبذل جهدى فى اطلاق سراح الآخرين ، واما المرابط نفسه فهو رجل جبار ، قاسى القلب ، وقد قال للعبيد الاسارى لما وصلوا الى بلاده : لقد أرسلكم الله سبحانه الى هنا لتعملوا وتكدوا معى ، ولست انا الذى ذهبت للحصول عليكم ، وسترجعون الى بلادكم عندما يشاء الله ، والآن وهم على أهبة الرجوع الى بلادهم قال لهم : اذهبوا وارجعوا عندى بعد عام او عامين فى باخرة مملوءة ايضا لتخدموا معى مرة أخرى » .

ثم تتبع صاحب اليوميات اسماء الاسارى الذين كانوا فى خدمة شركة الهند الغربى على الباخرة المسماة اراسموس المحطمة فأسروا فى 17 ابريل 1638 م .

ثم قال : « اما الآخرون فلم يتيسر تحريرهم مع كل ما بذله السفير من جهود عظيمة لأن هذا الصالح الكافر لم يتنازل عن شيء مما طلبه فدية لهم فبقوا في رقهم يقاسون العذاب ، وقد وسقنا من سانت كروا 43 عتروسا (400) ومعزة وشياها ، و 50 دجاجة و 3 ابواز ، أهدى ذلك كله للسفير (401) ، واما ما اشتراه اصحابنا من المغاربة واليهود فهو الريش والنيلة والشمع الأصفر والصمغ العربي والتمر لأن النخيل يوجد بكثرة في هذه البلاد » .

أقول : كان من عادة ذلك العصر الاسترقاق الكثير خصوصا فيما بين المسلمين والنصارى ، ولا ريب ان كل مسترق لا يرضى عن مسترقه نصرانيا كان أو مسلما ، فقد اكتظت دول اوربة بالاسارى المستعبدين من المسلمين ، كما يعج الشرق الاسلامي ايضا بامثالهم من المسيحيين ، وقد كان للقرصان أصحاب السفن البحرية التي توجه همتها الى هذا الشأن يد طولى في امداد الاسواق في الجانبين بالعبيد حيث تدر هذه التجارة على النخاسين أموالا عظيمة ، فلا شبهة تلحق فاعل ذلك حينئذ ، ومعاملة العبيد والمستخدمين معلومة قديما وحديثا عند الفريقين .

واما ادعاء صاحب اليوميات ما ادعاه من جبروت بودميعة وقساوة قلبه وكونه لا يحترم المعاهدات والاتفاقات مع الدول ، فنكل الجواب عنه الى ما سيرد من اقلام اوربيين ءاخرين يعاصرون صاحب اليوميات ويفدون مثله الى ايالة بودميعة ، ففي ذلك من الحجج الدامغة ما ينكث كل هذه الدعاوى الضعيفة

---

400) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « له أصل في العربية » ويعني به ما ورد في كتب اللغة من ان العترسة هي الغضب والغلبة والاخذ بشدة وعنف وجفاء ، وان العتريس يطلق على الذكر من الغيلان ، وان العترس يطلق على الديك ، وان عترس فعلا ماضيا يطلق على الاخذ بجفاء وخرق ، قال رؤبة بن العجاج :

ضخم الخباسات اذا تخبسا * عصبا ، وان لاقى الصعاب عترسا

ولا شك ان مظهر العتروس ينم عما يقارب ذلك .

وعربيه التيس . ويستعملونه لذكر المعز الذي هو خلاف الضأن وذكر الظباء .

401) علق المؤلف على هذا بقوله : « شاهد ءاخر على اكرام المغرب للسفير » .

الغزل ، على ان السفير الهولاندى حين لم تتم حاجته فلا بد له من ان يتقول او تتقول حاشيته ، وسترى فيما ياتى ان بودميعة يسعى دائما فى ارضاء التجار الوافدين على ايالته وبسط الأمن التام لهم ، ولولا ذلك لما ازدهرت التجـارة الأوربية معه ، على ان ما مع السفير من الهدايا التى أهديت له على وجه المجاملة فقط من المغاربة ، ولا يكونون غالبا الا بودميعة وولاته ، كفيل بالدلالة عـلى ان أهل ايليغ يحافظون على جبر القلوب ما استطاعوا ، وقول العدو لا يصدق فيما يتهم فيه ولا يتخذ حجة ، هذا فقد رأيت كيف صرح أخو الصالح بانه لا يقدر أن يبت فى أمر الفدية ، وذلك اعلان تام لكونه غير مفوض ، ولا ينتظر بعد ذلك الا ان يتوقف ما يتفق عليه الفريقان على امضاء من لهم الأمر فى ايليغ ، وهل على من هناك ملامة اذا لم يمض ما وقع عليه الاتفاق ؟ ولعل السفير ومن معه فهموا باستمرار المداولة حتى وقع الاتفاق ان ذلك غير متوقف على مشاورة ايليغ ، وكثيرا ما يلعب الجهل باللغة التى تقع بها المفاوضة من احد الجانبين مثل هذا الدور ، وايا كان فان ما اعلنه اخو الصالح من عدم قدرته على البت كاف في ان هؤلاء لم يخونوا ولم يتنكبوا الوفاء بالعهود كـما يزعمـه صاحب اليوميات فى (هذه الأمة الكافرة) بما يومن به هو من التثليث ومن الصلب ، وسيرى القارىء فيما بعد كلاما ءاخر حول هذه السفارة .

وفى ص 40 ج 3 السلسلة الاولى — هولاندة ، تعليق من المؤلف وهو :
« سانت كروا مرسى بناحية سوس كثر تردد الأوربيين عليها منذ قام سيـدى على بن موسى يدعى الملك بسوس ، وقد سار هذا المرسى ينافس مرسى آسفى منافسة شديدة فيستاء بذلك الشرفاء السعديون ، وفى سنـة 1630 م . نـص الانجليزى هريسون على الحرية والامن اللذين يتمتـع بهمـا تجـار النصـارى بسوس ، وذلك بفضل ما لسيدى على من سيطرة مرتكـزة على دهـاء وشـدة ، وذلك فى مذكرات هريسون المؤرخة بـ 8 أكتوبر سنة 1630 م » .

أقول : تقدم ان اكادير لم يحتل قصبته بودميعة الا عام 1637 م . وحين كان هذا الوصف سنة 1630 م . فما ذلك الا لأن التجارة قد فتحت لها ماسة ، وقد تقدم لنا ان قصبة اكادير محاصرة من قبل الاستيلاء عليها بكثير فيحمل ذلك التجار غالبا على قصد ماسة .

وفي ص 575 ج 5 السلسلة الأولى ـ هولاندة ، ما يلي : « نورد ملخص أهم ما يتعلق بايليغ الواردة في يوميات سالاماندر المؤرخة من 21 جانفيي 1644 م الى 3 غشت من نفس السنة ، وصاحب اليوميات هودولوتير البحار الهولاندي الذي يعمل في البحرية الحربية الهولاندية ، وسالاماندر اسم السفينة التي كان يعمل فيها .

ذكر وصوله الى شواطىء المغرب ومروره عليها الى ان وصل الى غير ، ومنها ذهب الى القصبة حيث لقي عاملها فنصحه بالتوجه الى الصويلح وهو سيدي علي بن محمد بن موسى شيخ زاوية ايليغ ، فقصد ماسة وهي قبيلة فيها قرى على ضفتي وادي تازروالت ، وبها يسكن القبطان والى ترجمان الصالح ، وهو رجل ذو ذكاء حاد بالنسبة الى المغاربة ، فتوجه معه الى ايليغ مقر الصالح ، ولاحظ فيها عددا من الأسارى المستعبدين في أسوء حال ، فمثل بين يدي الصالح سيدي علي وهو محفوف برجال مشورته ، فباع له قدرا كبيرا من السلع حاز ثمنها ثلثه ذهب ، وثلثاه شمع وجلود المعز ، ولم يستطع المؤلف صاحب اليوميات اولا ان يستأذن الصالح في الذهاب ، لأن الصالح توفي له ولد في تاريخ 28 أبريل ، فكان الصلحاء يردون عليه لتعزيته ، وقد استطاع فداء ستة عبيد هولانديين طوحت بهم الأقدار الى هذه البلاد في طريقهم الى البرازيل ، وقد افتدى كل واحد منهم بمائة وسبعة دوكا ونصف من الذهب ، وبقي على الأقل عشرون غيرهم لم يستطع فداءهم ، وأخيرا استأذن الصالح في الذهاب فسافر ، وقد زاره الترجمان المذكور على ظهر سفينته ، فرحب به باطلاق طلقات من المدافع اكراما للصالح ، وأثناء ذلك اليوم وهو يوم الاثنين

رابع أبريل وصل خبر استيلاء الصالح سيدى على على قصبـة (402) ، فنطقت أفواه المدافع احتفالا بهذا النصر (403) من قصبة سانت كروا » .

« وفى يومية أخرى للمذكور مؤرخة بـ 22 دجنبر 1646 م . الى 15 شتنبر 1647 م . فى ص 625 ج 5 — انه وصل الى سانت كروا بعد غير قاصدا الصالح سيدى على ، وقصد ماسة موطن القبطان والى ، ومنها توجه الى ايليـغ فلقى الصالح ورجال مشورته للمفاوضة معه فى شأن السلع التى عرضها عليه ، فباع له شيئا منها ، وافتدى خمسة من الهولنديين ، وفى مقابلة كل واحد منهم 150 دوكا ذهبية ، كما افتدى اسبانيا بـ 650 دوكا ذهبية » .

انتهت اليوميتان باختصار من المجموعة ، والبواقى وصل فيها ذلك التاجر الى اكادير ، وليس فى جميعها بعد ما يلفت الانظار .

وقد علق المؤلف فى ص 270 ج فى السلسلة الأولى — فرنسة على وادى ماسة ما نصه : « وادى ماسة يسمى قبل وصوله اليها بوادى الغاس ، وفـى منبعه بوادى تازروالت » .

أقول : ان وادى تازروالت انما هو احد روافد هذا النهر من الاودية الصغيرة ويمتد غير هذا الرافد من الروافد الاخرى الى ابعد مما يمتد اليه هو ، وبعضها يبدأ من اليغ وهو الأبعد .

فى ص 571 ج 5 السلسلة الأولى ، هولندة ، اورد المؤلف نبذة من رحلات الرحالة لوتير (404) الهولندى مأخوذة من كتاب حياة لوتير بقلم جرار براند ، وهو كتاب مطبوع فى امستردام سنة 1698 م . قال : وحدث للوتـر

---

402) علق المؤلف على هذا بقوله : « لم نقف على المعنى بهذه القصبة التى فتحها بردميمة نحو 1053 هـ » .

403) علق المؤلف هنا بقوله : « فعرف من هذا كيف تحتفل ايليغ ايام افراحها بانتصاراتها»

404) علق المؤلف هنا بقوله : « هو المتقدم نفسه » وقد تقدم قريبا .

حكاية جديرة بالذكر لانها ترينا مثالا عجيبا من ثباته واخلاصه وصبره ، فقد اتفق له ان نزل وهو رئيس باخرة بمدينة ادعى بعضهم انها سلا وقال ديكاسترى ان جميع التفاصيل الواردة في الحكاية تتفق مع ما نعرفه من اقامة لوتير عند الصالح سيدى علي ، وعليه فيغلب عن الظن ان المدينة هي ايليغ لا سلا ، فعرض بين ما عرض من السلع ثوبا انكليزيا من الملف استهوى الصالح او والى المدينة ، فسأله هذا بواسطة ترجمان هل يريد بيعه ؟ فذكر لوتير الثمن ، فقدم الصالح ثمنا أقل من قيمته ، فامتنع لوتير من بيعه بهذا الثمن البخس ، فذكر الصالح انه لا يساوى اكثر مما قاله من الثمن ، فقال لوتير اذن أستبقي سلعتي ؟ فأجابه الصالح انني اريدها ولكن لا اريد أن أعطي أكثر مما قلته ، فقال لوتير لا يمكنني بيع سلعة ساداتي بأقل من قيمتها ، فتجاذب لوتير والصالح الحديث في ذلك حتى قال لوتير انه يفضل اهداء الثوب على أن يبيعه بخسا ، فقال له الصالح : أتستطيع ان تهدى ما لسادتك ولا تستطيع ان تبيعه بما قدمته لك ؟ فكيف ذلك ؟ فأجابه لوتير : لا يمكن أن أبيعه بخسا من دون أن افسد على ثمن سلعتي الاخرى ، فافضل الاهداء على أن أبيع بخسا اجتنابا للضرر ، وحين لم يرد الصالح أن يقبله هدية صار يهدده قائلا : الا تعلم أنني استطيع ان اعتقلك وأحجز باخرتك بكل ما فيها ؟ فقال له لوتير : انني أعلم ان ذلك في استطاعتك ، ولكن ان فعلت ذلك فسيعلم الناس قاطبة انه لا يثق بك أي امرىء بعد اليوم ، ثم زاد قائلا : اذا كنت تعتبرني سجينك فاجعل لي دية أؤديها لك ، فغضب الصالح لذلك غضبا شديدا وصار يتوعده ثانيا ، فقال له لوتير : لو انني كنت على ظهر باخرتي لما استطعت ان تتوعدني كما تفعل الآن ، فدخل الصالح الى بيت وهو يحرق الأرم (405) ويضرب برجليه ويقول

405) علق المؤلف هنا بقوله : « يحرك اسنانه بشدة حتى يسمع لها صرير » والأرم بضم الهمز وتشديد الراء المفتوحة الاضراس ، ومعنى تحريقها حك بعضها ببعض من غيظ وحنق .

بلغته : اليس من الأسف أن يكون مثل هذا نصرانيا؟ فبقي لوتير مع أخي الصالح لا يدرى ما سيكون مصيره ، ايسجن ام يكون حرا ؟ وهل حياته في مأمن اولا ؟ فصار يرفع عقيرته بالشكوى مما أصابه ، فطلع عليهما الصالح بعدِ حين والسكون باد عليه وقد سكنت نامته وفترت حدته ، فسأل لوتير عما لا يزال عازما عليه في بيع ثوبه ، فلما رءاه مصرا على رأيه لا يتحول عنه ولا يتحلحل قال للحاضرين انظروا الى أي مدى يخلص هذا النصراني لسادته ، فهل في طوقكم ان تخلصوا لي اخلاصه متى دعت الضرورة؟ ثم فتح ثوبه وثوب لوتير(406) فجعل يده على صدره والاخرى على صدر لوتير معبرا بذلك عن ثقته ومحبته واعتماده على علائقهما في المستقبل ، وامر كل اتباعه ان لا يلحق احد شرا بلوتير وان يمدوا له الاعانة كلما طلبها منهم (407) وبقي لوتير متمتعا بهذا العطف بعد ذلك حتى صار المغاربة يفضلون معاملته على معاملة أي رئيس باخرة اخرى ، ويفضلون الانتظار مدة شهر او شهرين على معاملة غيره ، وقد كانت اغراضه تقضى بسرعة الى حد انه كان يستطيع أن يقوم برحلتين في الوقت الذى لا يستطيع فيه غيره أن يقوم برحلة واحدة .

ثم ساق المؤلف ديكاسترى من مذكرات لوتير عن رحلته الاولى انه وقع الاتفاق بينه وبين الصالح في شأن السلع كلها الا فيما يتعلق بالسكنجبيل والقطن ، ثم قال : ارسلت اليوم الى الصالح بواسطة ابن عم القبطان والى خمس قطع من الملف ، واثنتين من ثياب روان ، وثمانيا من ثياب هولندة ، وخمسا من منسوجات هولاندية شفافة هفهافة رقيقة ، وستا وثلاثين من ثياب كامبرى ، وست عشرة من الدلاء الكبار ، ثم قال : انه اتفق مع التجار المغاربة على أن يدفعوا له ما اشتراه منهم من السلع في مدة سبعة أسابيع ، ثم قال : انه توصل

---

406) علق المؤلف على هذا بقوله : « عادة لا تعرف عندنا الآن ولعلها كانت معروفة اذ ذاك ».

407) علق المؤلف على هذا بقوله : « هذه المماكسة لا توافق من كان ذا مروءة في مثل مركز بـودميمـة » .

بستة ءالاف رطل من شمع العسل ، ودفع كمية من الحديد ، ثم دفع مرة أخرى حديدا وتوصل بالشمع ، ثم بثلاثة ءالاف رطل منه ايضا ، ثم ذكر انه فى مدة اقامته فى سانت كروا وردت باخرة من لوندريز فمرت بآسفى وحملت منه القمح وسلعا تقدر بأربعة ءالاف دوكا ، ثم ذكر انه باع للقبطان والى سلعا قيمتها ستة ءالاف دوكا ، ثم توصل ايضا بشمع ، ودفع بقية الحديد وأبازير والسكنجبيل ، وكل هذا لليهودى كاسترو ، كما توصل منه بالفى جلد فى مقابلة ما دفعه له ، ثم توصل ايضا بستمائة والفى جلد ، ثم بالف واثنين وأربعين جلدا ءاخر ، ثم بالف وخمسين منه ايضا ، ثم بشمع ايضا ، ثم ذكر انه فى تاريخ 22 ابريل 1644 م . لم تتيسر له مقايضة لدخول اليهود فى عيد لهم ، ثم توصل ايضا بجلد وشمع ، ثم توصل بقدر من الذهب والجلود ، ثم بقدر ءاخر من الذهب والعنبر ، ثم بذهب ءاخر ثم بجلود اخرى .

انتهت الرحلة الأولى باختصار ، وقد تضمنت غالب السلع المتداولة اذ ذاك .

وفى رحلة أخرى ذكر انه اشترى أسرى بخمسة وثمانين دوكا ذهبية ، وانه اتفق مع الصالح على المكاحل التى باعها له ، فدفع نصف قيمتها نقدا والباقى ذهبا وشمعا ، وانه توصل بقدر من الذهب ومن العنبر بالفى دوكا ، ثم دفع الى احد قواد الصالح قدرا من المكاحل والملف مرة ، ثم مثل ذلك مرة أخرى ، وفى الأحد 28 جانفى 1646 م . لم يقايض احداً لكون المسلمين فى عيد لهم ، وتوصل بقدر كبير من الريش والشمع ، ثم بقدر ءاخر من الريش والذهب.

وفى رحلة أخرى باع سلعا لسيدى على ، واشترى خمسة من الأسرى الهولنديين ، عن كل واحد 105 دوكا ذهبية ، ثم صفى حسابه مع سيدى على واخوانه وافتدى اسبانيا بـ 650 دوكا ذهبا .

وعلق ديكاسترى على احدى هذه الرحلات فى ص 616 ان سيدى احمد وسيدى بوحسون هما ولا شك من اخوان سيدى على .

أقول : لا ريب أن ابا حسون الذى يذكر اذ ذاك فى ايليغ هو كنية لسيدى على نفسه ، بل بذلك يذكر غالبا فى تواريخنا المغربية ، وقد تقدمت فى هذا الكتاب تسميته بذلك عن صاحبى الاستقصاء ونزهة الحادى وتاريخ الدلائيين ، وهل يمكن عادة ان يسمى هو بذلك ويعرف به معرفة مشتهرة ثم يعرف بذلك شخص ءاخر ولو أخا له ، ومعلوم ان ابا الحسن هو كنية على ، وحسون تغيير للحسن على حد تعبير الأندلسيين فى خلدون وبدرون وسلمون وزيدون وخيرون .

كذلك نعرف احمد بن ابراهيم ابن عم بودميعة ، وله مكانة مكينة فى ايليغ ، ولا يبعد ان يشارك فى الادارة ويكون على راس من يعتمد عليهم بودميعه، وقد رأينا كيف انزعج يوم بلغه مرضه المشرف وهو بدرعة فى منازعة مع الشرفاء السجلماسيين فترك كل ما بين يديه واسرع الى ايليغ ، وقد ذكرنا احمد هذا عند ذكرنا لابيه الامير ابراهيم بن محمد اول ثائر من أبناء الشيخ ، فربما يكون اذن هو الذى يذكر مع بودميعة فى كلام يطلع عليه ديكاسترى ولم نطلع عليه نحن وربما يكون لبودميعة اخ حقيقى يسمى احمد ، ولا مانع من ذلك ، وربما يكون اسم هذا هو الذى يذكر دائما باسم اخى الصالح ، فان كان ديكاسترى وقف فيما وقف عليه ان لبودميعة اخا حقيقيا اسمه احمد فان كلامه صحيح ، فلنعلمه اسما لاخى الصالح المذكور او لغيره من الاخوة .

وفى ص 470 ج 4 السلسلة الاولى — هولندة — قرار من حكومة هولندة مؤرخ فى لاهاى بفاتح شتنبر .

قد تلى طلب جاء منه ان الباخرة اراسموس التى فى خدمة شركة الهند الغربية الكائنة بروتيردام فى هولندة كانت ذاهبة الى غينية فتحطمت فى شاطىء المغرب بتاريخ 8 او 9 مايه الفارط ، وان ركابها وعددهم

جميعا 51 اسرهم امير البلاد واسمه سيدى على ، وهو يسكن فى ايليغ على بعد يوم تقريبا من الشاطىء ـ ذكر المؤلف هنا تعليقا ان بين ايليغ وسانت كروا 110 كيلوميترات تقريبا ، وفى بعض التعاليق على الاصل ايضا ان بينهما 140 كيلومترا ، وهو الأشبـه (408) ـ وان الموقعين عـلى الطلب المذكـور ، وهـم ازواج وأمهات وأخوات وأصدقاء وأهل الأسارى المذكورين يطلبون من الحكومة الهولندية ان تتوسط فى اطلاق سراحهم ، وبعد المفاوضة قرر أعضاء الحكومة أن يكتب للسيد سوطين التاجر الهولاندى وشركائه بامستردام بالحضور الـى لاهاى عشية يوم الاحد للمذاكرة معهم طويلا فى هذا الشأن لانه تقدم لهم ان طلبوا ارسال هذه السفارة فينظر ما هى الوسيلة التى ستتخذ لاطلاق سـراح الاسارى المذكورين .

وفى ص 496 وردت رسالة من هولندة الى سيدى على مؤرخة بـ 21 مايه سنة 1639 م . ونصها :

« ايها السيد المحترم المعظم

« ان ازواج وءاباء وامهات وأهل 51 رجلا الذين كانوا فى خدمة الحكومة الهولاندية والذين ذهبوا فى تاريخ 1638 م . من نهر لاموز والذيـن اصبحـوا معتقلين تحت سيطرة حكومة عظمتكم قد رفعوا شكايتهم الينا مرات عديدة ، وطلبوا منا متضرعين ان نلتمس من عظمتكم اطلاق سراحهم ، ولذلك فنحن بدافع الشفقة على رعايانا حسبما تقتضيه الطبيعة والدين المسيحى ـ لأن الله جـل وعلا شاءت قدرته ان يقلدنا أمرهم ـ رأينا من المناسب ومن الضرورى ان نوفد لدى عظمتكم صديقنا اسحاق بلاش ، وهو حامل هذا الكتاب اليكم ،ليؤكد لكم

---

408) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ان قول القائل ما بين ايليغ وبين الشاطىء نحو يوم صحيح ، وذلك من الشاطىء المسامت له من المعدر واكلو » .

نيابة عنا ما لنا من عواطف مخلصة مؤبدة نحو شخصكم المعظم الشهير ونحو حكومتكم ورعاياكم ، وليعرب لكم عما لنا من حرص أكيد على أن نتبادل مع عظمتكم ودادا خالصا لا يبلى مع الايام ، وليلتمس من جنابكم شفاهيا كما نلتمس منكم نحن في هذا الكتاب ان تتفضلوا باطلاق سراح اولئك الأسارى لأنهم كلهم من رعايانا ومن سكان ايالتنا والاذن لهم في الرجوع على ظهر باخرتنا ، وبعملكم هذا ستفعلون معروفا يرضي المولى سبحانه ، وتضيفون الى ما لكم من سمعة عظيمة فضيلة الحلم ، واننا ورعايانا على استعداد تام لنؤدي لعظمتكم ما يفرضه هذا الواجب مما اردتموه ، ونرجو أن تكونوا على يقين من ذلك ولنا اليقين التام بأن عظمتكم ستقبل هذا الطلب الذي يرمي الى عمل انساني عادل ، وان الاسارى المذكورين سيقدرون هذا العمل قدره ، واننا نرجو أن يعاملوا معاملة حسنة مدة اقامتهم تحت سيطرة عظمتكم ، وفي الختام نطلب الله جل وعلا أن يحفظ عظمتكم في عافية تامه تحت رعايته ولطفه ، وان ينصركم على اعدائكم وان يبلغكم كل ما تتمنونه من خير وسعادة وأن يسعدكم ويمد في ملككم وحرر بلاهاي بمقاطعة هولندا في 21 مايه 1639 م . أصدقاء عظمتكم المخلصون اعضاء حكومة هولندة .

وفي ص 488 ج 4 نص الاقتراح الذي قدمه هذا السفير اسحاق بلاش الى حكومة هولندة ، ونصه :

«الى أعضاء حكومة هولندا من اسحاق بلاش الساكن بلايد :

« انهي في احترام الى جنابكم انه قد تقدم لي منذ شهور ان فعلت كل ما في مستطاعي لأبين لكم في رسالة لي ما لهولندة من الفوائد الجمة في ربط علائق ودية بين حكومتها وبين المرابط سيدي علي ، والمقصود من ذلك اولا هو احياء علائق هولندة التجارية مع المغرب ، لأن آسفي الذي كان يتجر فيه

مواطنون فى أامن قد أكريت للانكليز (409)، ثانيا ان البواخر الذاهبة الى الجزائر الخالدات والى غينية والى الهند يمكنها أن اصابها عطب أو ارادت التموين أن تلتجىء الى مرافىء ءامنة ولا سبيل الى ذلك الا فى النواحى التابعة لسيدى على » ـ قال المؤلف هنا تعليقا : ان المرفأين المفتوحين للتجارة الاجنبية هناك هما ماسة واكادير ، ثالثا ان شركة الهند الغربية التى تتجر مع غينية يمكنها عند الشدة أن تستغيث بسيدى على الذى يمتد نفوذه الى غينية (410) المذكورة ، واخيرا فبفضل هذه العلائق الودية نستطيع ان تحرر 51 هولانديا الذين ذهبوا فى السنة الماضية من نهر موز على ظهر باخرة اراسموس فطوحت بهم الاقدار الى مملكة المرابط ، وهم الآن فى رق وعذاب ، وقد بلغنى كما بلغ بلاش خبر موثوق به، وهو ان سيدى على المرابط العظيم المذكور وسيدى احمد العياشى(411) متحالفان (412) وليست لديهما عدد حربية ، ولذلك التمس من جنابكم ان تكتبوا رسائل وصاية لسيدى على ، وانى لأرجو بمعونة المولى سبحانه اذا قمت بهذا العمل ان أحبب هولندة الى سيدى على ، وبذلك سيتسارع الى ابداء عواطفه لحكومتكم ،فيطلق سراح الهولنديين الاسارى المسلسلين عنده ، والا فان تحريرهم بغير هذه الوسيلة صعب ، لأن منهم من هو فقير لا يستطيع فداء نفسه أو تقديم الهدايا (413) ، وفى مقابلة العدد الحربية المذكورة أؤكد لكم أنا وبلاش اننا سنأتى الى جنابكم بملح البارود » .

---

409) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « ان مدخول ديوانة اسفى ابرم بشانه اتفاق مع روبير بلاك سنة 1636 م ، وبمقتضاه يكون هذا المدخول لشركة انكليزية » .

410) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « هذا نص صريح على ان ايالة ايليغ يمتد نفوذها الى غينية » .

411) علق المؤلف هنا بقوله : « اسمه محمد لا احمد » .

412) علق المؤلف هنا بقوله : « هذا التحالف امتد من تسع سنوات على الأقل قبل هذا التاريخ » .

413) علق المؤلف هنا بقوله : « من هنا نعرف ان امثال هذه الهدايا تعد من الفدية فلا بأس بالمماكسة فيها » . راجع الحاشية 397 .

وفي ص 492 ج 4 اقتراح ثان قدمه المذكور ايضا بعد شهر فقط من تقديم الأول وهو مؤرخ بـ 15 ابريل 1639 م . ونصه :

« الى أعضاء حكومة هولندا من اسحاق بلاش محترمكم ، انى بعد ما رفعت اليكم طلبى الاخير ، بلغنى ان اخى داوود بلاش اخبركم باخبار مزيفة في شأن احوال ملك المغرب واحوال مرابطي تلك البلاد ، ولذلك فسأشرح لكم باختصار بعض النقط المتعلقة بهذه المسألة .

اولا : ان ملك المغرب أصبح لا يملك سوى مدينة مراكش والفا أو الفين من الاميال حولها ، لأن فاسا وغيرها من البلدان أخذت منه قبل .

ثانيا ان سيدى محمد العياشي وسيدى علي هما مرابطان شهيران قد أخذا منه كل اراضيه وكل مراسيه باستثناء اسفى التى أعطيت قبل للانكليز ، وقد منع هؤلاء جميع الدول من التجارة فيها .

ثالثا ان هذين المرابطين لم يكونا قط تابعين لنفوذ سلطان المغرب ، وهما متأصلان في الثروة اذ ترك لهما جدودهما املاكا واسعة ، وان عائلتيهما من أشرف وأشهر العائلات في البلاد ، وقد اكتفى هذان المرابطان في بداية الامر بتقديم هدايا سنوية لجد الملك الحالى الذى يسمى مولاى احمد ، وهو السلطان الثاني من دولته (414) ، وقد كان أبوه وأحد اخوانه من النساك في بدايتهما .

رابعا ان مولاى زيدان والد الملك الحالى ، باشارة من بعض المغرضين، أراد أن يخضعهما قهرا لنفوذه فحاربهما ولكنهما دافعا عن أنفسهما لئلا يعدا من اتباع مراكش ، فانتصرا عليه ، ولذلك فمن الغلط اعتبار هذين المرابطين ثائرين .

---

414) علق المؤلف هنا بقوله : « اقوال هذا الانسان لم تؤسس على التدقيق في هذا المقام » ويعني بذلك ان مولاى احمد الذهبي الذى قال عنه صاحب الرسالة انه الثاني فهو الرابع او الخامس ان عددنا جده من الملوك .

خامسا اذا اعتبرنا مصالح هولندة التجارية وفقدان ملح البارود منها ، نرى انه من قلة الحزم رفض حكومة هولندة تموين هذين المرابطين بالعدد الحربية نظرا لكونهما مستوليين على المرافىء المغربية ، وفى استطاعتهما منع الذين يتجرون مع الهند الشرقية والغربية وغينية من التزود أو اصلاح بواخرهم او حمل السلع الضرورية ، أو جلب ملح البارود الذى يوجد خاصة بمقاطعة سوس الراجعة الى سيدى على ، ولذلك أؤكد عليكم مرة أخرى فى ارسال بعض العدد الحربية لسيدى على لتستطيع حكومتكم بمعونة المولى تحرير الاسارى الذين بيده ، وهم هولنديون من رعايا دولتكم » .

وفى ص 530 ج 4 ساق المؤلف مقدمة فى شأن هذه المذكرة التى قدمها اسحاق بلاش ، فقال :

«ان اسحاق بلاش أسند اليه بطلب منه — كما يرى القارىء — المخابرة مع سيدى على ابن موسى فى شأن تحرير عدد من الاسارى الهولنديين ، وقد غادر هولندة يوم 19 يوليوز 1639 م . على باخرة لشركة الهند الغربية قاصدة سانت كروا ، ومنها الى البرازيل ، وقد رجع الى هولندة فى شهر ماى 1640 م . بعدما أخفق فى مسعاه ، وقد استدعته حكومة هولندة يوم 22 ماى 1640 م . للحضور بلاهاى ليفضى ببيانات عن المامورية المسندة اليه ، فاجاب من مدينة لايدى فى 25 ماى معتذرا بمرض اصابه فى سفره ، ثم بعد ذلك حضر فى 31 من الشهر ، ووعد بتقديم تقرير مكتوب ، فاستدعى يوم 6 جوان لينفذ وعده ، فقدم تقريرا مؤرخا بالتاسع من جوان ، فاسند أعضاء الحكومة النظر فى هذا التقرير الى السيد هوجين الذى كان اسند اليه ايضا سماع شكوى اصدقاء واهالى الأسارى باسحاق بلاش ، لأنهم كانوا يطالبون بتثقيف امتعته وسلعه ، وامتنعوا من اداء ما كانوا وعدوه به نظرا لعدم نجاحه فى القضية ، فتلى تقرير هوجين على أعضاء الحكومة فى 15 جوان ، فطلب حضور اسحاق بلاش للمدافعة عن

نفسه ، واتفقوا على ان يلزموه ان يرد على أهالى الماسورين ما كانوا دفعوه له قبل سفره ، وهو 1364 فلوران (415) وعشرون ستيف (416) ، فطلب اسحاق رفع الثقاف المجعول على امتعته فرفض طلبه ، الى ءاخر ما جاء من خبره ، وليس لنا مصدر يدلنا على كيفية انتهاء هذه القضية ، وغاية ما نعلم ان اسحاق فى الاخير أدلى بكتاب مولاى محمد الشيخ الصغير يوصى به فيه (417) .

واما المذكرة التى جعلت هذه المقدمة لها فهى التى رفعها بعدما وقع له ما تقدم ، واليك نصها ملخصة :

لما قدمت رسائلكم الى المرابط رفضها ، فاخذها أحد حاشيته ثم قال للمرابط : من سيقرأ لنا هذه الرسائل ؟ فأجبته : انها مكتوبة يا سيدى بلغتكم ويمكن لجنابكم ان يقرأها بنفسه ، فأخذها أحد أتباعه وقرأها جهرا ، ثم بعد ذلك قدمت الرسائل الى المرابط ليراها نظرا لجودة خطها ، فسألنى عمن كتبها ، فقلت له استاذ تعلم هذه اللغة قديما من المغرب (418) فقال المرابط قطع الله يده ، ثم قال لمن معه انظروا يا ءال محمد كيف عظمت ذنوبنا الى حد ان رسائل بلغة القرءان توجد بيد النصارى (419) ، ثم سألنى المرابط عن قيمة الهدايا وما تساويه من فلوران ، فقلت له ان من عادة الملوك العظام أن يتهادوا بالهدايا ولا علم لى بالقيمة لهذا الذى حملته اليك ، فأجابنى اننى كيفما كان الأمر قد اشتريت هؤلاء النصارى فيلزم ان تتفق معى على فدائهم ، فاجبته بأن

---

415 – 416) من مسكوكات الولايات المتحدة الهولندية فى ذلك الوقت .

417) علق المؤلف هنا بقوله : « كان اسحاق عرج على محمد الشيخ الثالث حين اخفق من عند بودميعة » .

418) تقدم فى صلب الكتاب ان هذا الاستاذ اسمه كول بالكاف المعقودة ويكتب فى لغته هكذا Gool ،وقد علق المؤلف هنا بقوله : « كانت هولندة يشتغل فيها مستشرقون بالعربية وعلومها وبطبع كتبها فى ليدن قبل الدول الاوربية الاخرى » .

419) علق المؤلف على هذا بقوله : « جهل عميق باحوال العالم ، ولا يزال امثال هؤلاء السذج من علماء سوس الى الآن » ، سبب ذلك هو الانعزال .

لا تفويض لى فى ذلك (420) ، ثم بعد المفاوضة قبلت رجلى المرابط كما هى العادة بالبلاد (421) ، وطلبت أن يرخص للنصارى بالقدوم الى منزلى ، فقال سأنظر فى الأمر ، وامرنى بالذهاب الى منزلى ، ثم أرسل فى طلبى ، فالفيته ومعه أخوه وصهره ورجل ءاخر ، فسألنى عما استقر عليه رأيى ، فقلت له ان رأيى ان ينفذ ما انا مامور به، فقال: أتريد ان ياتي الأساري الى منزلك وبذلك يستريحون من العمل ؟ فقلت : نعم ، اذا أراد سيدى أن ينعم علي وعلى سادتي بهذه النعمة ، فقال : لا يمكن أن يعفى جميعهم من العمل ، لأنهم يعملون فى دار ينبغى أن يتم بناؤها قريبا ليسكنها أولادى ، ولكن اختر خمسة منهم أو ستة فاعفيهم من العمل ، وكانت هذه حيلة من المرابط ليعلم الأغنياء من بين الأسارى ، فأجبته كلهم عندى سواء لأنهم كلهم فقراء ، فضحك المرابط ومن معه ضحكة الازدراء ، وتهانفوا منى (422) واثر ذلك قام صهر المرابط فأخذ بيدى وذهب بى الى منزله، وقال لى : سأفعل أنا واخو المرابط كل ما فى استطاعتنا لكى يستريح خمسة أو ستة من الأسارى من العمل ، فيذهبون الى منزلك ، ولكن من الواجب عليك ان تعطى أخا المرابط خمسة ءالاف أو ستة ءالاف من فلوران هدية ، ان القضايا تفصل هنا على غير ما تفصل به عند سلطان مراكش الذى تعرفه ، ان المرابط لا يسعى الا فى جمع الدراهم ، فاذا اردت ان تفصل قضية مع المرابط فافعل ذلك بمحضر اخيه ومحضرى لانه لا يفى بما يعد (423) ، ولا يتم ما يقول ، واليك

---

420 علق المؤلف هنا بقوله : « هذا هو سبب الاخفاق فى فك الاسارى اذن » .

421) علق المؤلف هنا بقوله : « ربما كانت عادة يقابل بها اليهود اذ ذاك » .

422) علق المؤلف هنا بقوله : « التهانف : الضحك باستهزاء » .

قال الشاعر :

زعموها سألت جارتها ذات يوم وتعرت تبترد
اكما ينعتني تبصرني عمركن الله ام لا يقتصد
فتهانفن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تود
حسد حملنه من أجلها وقديما كان فى الناس الحسد

423) علق المؤلف هنا بقوله : « هل يصدق هذا اليهودى فى كل ما يقول ؟ » .

مثالا على ذلك ، قد أسر في القديم بتافيلالت ابن عم لملك مراكش مولاى زيدان ، فوقع الاتفاق على أن يؤدى للمرابط فداء للاسير مائتا الف دوكا وخمس فلوران، وتوصل بجميع ذلك ، ولكنه لم يطلق سراحه وصار يطلب ضعف ما ذكر (424) .

ثم بعد ذلك أذن المرابط لستة او سبعة من الأسارى بالقدوم الى منزلى، فقدمت لهم أكلا وشربا ، ولكن أحدهم وهو فاندرويل راى خادمى ينزع خفى من رجلى فقال لى : ان قلبى يتمزق عند ما أرى مسيحيا يخدم يهوديا .

وأما ما ذكرتموه من كون المرابط استاء بكونى يهوديا وبكونى أخالط اليهود القاطنين بمملكته رغم نصيحة الاسارى بالكف عن ذلك ، فالجواب عنه ان ذلك محض كذب اذ كيف يستاء المرابط من ذلك وبديوانه وزراء من اليهود ، وله خدام من اليهود كثيرون ؟ وزيادة على ذلك لو انه استاء من ذلك لكان ذلك من جانبه قدحاً في ملك مراكش الذى هو ابن دينه ومن اماثل امته ، فقد كان عنده بديوانه كاتب يهودى وهو اخى موسى بلاش ، ومن بين رجال ماليته أخ لى ءاخر اسمه جوزى ، زيادة على ان ابى المرحوم يوسف بلاش كان مدة 32 سنة سفيرا للملك المذكور لدى حكومة هولندة ، وأخى الأصغر داود بلاش ما زال الى الآن ممثلا للملك المذكور لدى حكومة هولندة ، وأما أنا فرغم كونى أكبر اخوتى سنا بقيت متأخرا فى الخدم والترقيات فى المراتب لأننى اعتنقت الديانة المسيحية ، وعلاوة على ذلك كله فكل من اسمه بلاش فى المغرب هو يهودى معروف هناك بيهوديته ، وأعظم من ذلك ان كل السفراء والمبعوثين الى المغرب من قبل حكومة هولندة أو غيرها من الدول ينزلون كلهم (425) فى ديار اليهود ، وانا بنفسى أنزلنى المرابط بدار يهودى حسب عادة البلاد ، لأنه

---

424) علق المؤلف هنا بقوله : « لا تعرف هذه القضية الا من هنا ، ولم نر من تعرض لها فى كتب التاريخ وهذا الغدر الذى ينسبه هذا اليهودى لبودميعة يشبه ما تقدم ذكره حول مولاى الشريف يوم اعتقل » .

425) علق المؤلف رحمة الله عليه على هذا المحل بقوله : « دامت هذه العادة الى العهد الأخير ، فلم يكن ينزل السفراء الا فى الملاح ، والعلة ما ذكره اسحاق بلاش » .

ويعنى بتلك العلة فقدان الانزال والفنادق ، ولكن يظهر ان هناك اشياء اخرى كثيرة لا تتيسر للسفراء الأوربيين الا عند اليهود وهى التساهل فى قضاء مآربهم كالتجسس والخمور . . . .

ليس هناك انزال وفنادق للطارئين ، وان هذا ليذكرني بما وقع للمرحوم والدى من نحو عشرين سنة حين كتب احد الحساد الى ملك مراكش بأن حكومة هولندة تواخذه بكونه أرسل اليها سفيرا يهوديا ، وحكومة هولندة لا تزال تستحضر ما كان أجاب به سلطان مراكش ، وأعظم من ذلك ان المرابط (426) سالنى لما ذا اعتنقت دين المسيح ؟ فأجبته بأن هذا الأمر لا يهم غيرى ، فقال : ان الله خلق النار لليهود والنصارى ، ولكن هذا لا يمنعه ان يجعل الثقة فى اليهود الذين يخدمونه أكثر مما يجعلها في المسلمين ، فانه يستخدمهم أكثر من سواهم كما تعلمون ذلكم بانفسكم (427) .

ثم قال المؤلف : هذه قضية كبيرة دارت حول هذا اليهودى المرسل ليفك الاسارى من عند سيدى على الا انه رجع بخفي حنين ، فطلب أهالى الاسارى الذين أرسلوه بالأجرة التى اتفق معهم عليها، فرفعوا عليه بدورهم دعوى يتهمونه بالخيانة وباحتجان الأموال التى أرسلوها معه للفدية ، فدافع عن نفسه بما تقدم بعضه ، وقد سبق فى الأصل المنقول منه هذا المخلص كل ما دافع به عن نفسه ، ومن جملته ان الاسارى لم يحسنوا معه ، فقد كاد ينجح لولاهم ، وهناك ذكر سرقة ثياب وأمور اخرى لا نحتاج الى ايرادها .

---

426) علق المؤلف هنا على كلمة المرابط بقوله : « بودميعة » .

427) علق المؤلف هنا بقوله : « ان المسلمين بحكم دينهم لا يتعصبون فلا مانع من مخاللة غير أهل دينهم ومصادقتهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم » .

وتمام الآية هكذا : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئكهم الظالمون » قيل فى سبب نزول هذه الآية ان أسماء بنت ابى بكر الصديق جاءتها الى المدينة امها نفيلة بنت عبد العزى ، بهدايا من أمور النساء كالاقراط ، وكان أبوها قد طلقها قبل الاسلام وما زالت على كفرها ، فلم تستقبلها بنتها ولم تقبل هديتها ، ففى ذلك نزلت هذه الآية . وهى من سورة الممتحنة فى ءاخر الربع الثالث من حزب « قد سمع » . فامرها النبى عليه السلام باستقبالها وقبول هديتها .

وفى ص 568 ج 4 ساق المؤلف قرارا هولانديا مؤرخا فى لاهاى بـ 21 نونبر 1641 م . جاء فيه : « ان القبطان ليدكيك (428) الذى أرسل كسفير لدى ملك مراكش ولدى الصالح سيدى على رجع برسائل من عندهما ، وقد شرح بالتفصيل رحلته ومفاوضاته وكل ما قام به مما كلف به ، وقد اخفق ايضا فلم يعد بنتيجة ، فأمر بأن يقدم كل ما جرى له كتابة ولكن لم يعثر على هذه الوثيقة ، واما المكاتب العربية فقد كلف الاستاذ كول بترجمتها (يعنى من الهولاندية الى العربية) .

وفى ص 23 ج 5 — هولندة — من هولندة الى سيدى على بعد رجوع السفير المتقدم ليدكيك ونصها :

« من الجماعة الوافرة حكومة هولندة الى سيدى على بن موسى ، حرر بلاهاى تاريخ 23 ماى 1643 م .

« ان جنابكم المحترم يتذكر ولا شك انه خلال سنة 1640 م . بعد ميلاد مخلصنا وفادينا المسيح ، كنا التمسنا منكم حبيا بواسطة سفيرنا انطوان دو ليدكيك وفى رسالة لنا ان تتفضلوا باطلاق سراح بعض الأشخاص الذين هم فى خدمة الحكومة الحرة لهولندة الذين ذهبوا منذ سنتين قبل ذلك العهد من قنال موز وغيرهم من الهولانديين المأسورين تحت سيطرة جنابكم المحترم الا ان طلبنا لم يحظ بكل القبول المنتظر ، ولذلك كتبنا الى جنابكم المحترم هذه الرسالة لنبلغ اليه فيها احتراماتنا وتحياتنا ، ولنطلب منكم حبيا مرة أخرى عسى أن تتفضلوا باطلاق سراح كل افراد رعايانا المذكورين المسجونين عندكم وتتركوهم ليرجعوا الى وطنهم لأول فرصة سانحة ، فان بعملكم هذا قيام جنابكم

428) علق المؤلف هنا بقوله : « هو عينه السفير المتقدم الى بودميعة » وقد شكله بكسر اللام والدال والكاف الأولى احترازا من تحريف النطق به ، ولذلك راينا ان نثبت هنا اسمه الحقيقى فى لغته ليومن فيه التحريف فهو Antonis karel Van Liederkercke اى انطوان شارل دوليديركيرك .

المحترم بعمل برى يرضى كثيرا الخالق الحى الدائم ، وسيكون من شأنه ان يرفع كثيرا ويذيع ما كان لكم من سمعة بالحلم وما لجنابكم العالى من صيت ، زيادة على اننا سنكون وسنبقى ممنونين بهذا العطف لجنابكم ولرعاياكم ، ونحن مستعدون لاقامة الدليل على ذلك وقتما شئتم ، ونرجوكم أن تعتمدوا كل الاعتماد على ما ذكرنا ، ولنا اليقين التام بأن جنابكم العالى سيلبى طلبنا هذا الرامى الى فعل الخير ، والذى هو طلب عادل موافق للصواب ، والذى سيتمتع بنتائجه اولئك الرعايا البائسون من رعايانا ، كما انهم ما داموا تحت سيطرة جنابكم المحترم سيعاملون أحسن معاملة ، نظرا لكونهم من رعايا أحسن أصدقائكم ، واخيرا رأينا من الضرورة ان ننهى الى علم جنابكم المحترم فى كتابنا هذا انه سعيا فى الاحتفاظ على العلائق الودية الحسنة بين جنابكم وممالككم من البلاد التابعة لكم وبين هولندة وبين رعايانا ورعاياكم ، وسعيا أيضا فى المحافظة على مزايا حرية التجارة التى هى ينبوع رفاهية جل الممالك والبلاد العالمية جمعاء ، قررنا أن ناذن للرجل المحترم العزيز المخلص هاندريك لوبير الذى هو أحد الاعيان من سكان امستردام أن يكون القنصل الأول للمدن والنواحى التى تحت نفوذ جنابكم المحترم ، وكذلك بباقى العمارات الكائنة فى الشاطىء المغربى ، ولذلك نلتمس من جنابكم المحترم أن يتفضل بقبول المذكور وان يقره على الوظيفة المذكورة وان يعامله ويامر بمعاملته معاملة حسنة ودية ، فلا يأذن ابدا بلحوق أى ضرر به وبمن معه ، وبهذا تفعلون حسنا معنا .

هذا وانا يا سيدى المحترم ندعو المولى العلى العظيم أن يحفظ جنابكم المحترم فى صحة شاملة ، وأن يحرسه بعين رعايته ، وأن ينصره على أعدائه ، وأن يرزقه السعادة التى يطلبها ، وأن يمد له فى ملكه ويجعله سعيدا .

حرر بلهاى بمقاطعة هولندا فى تاريخ 23 ماى 1643 م . من الأصدقاء لاعزاء المخلصين لجنابكم المحترم جماعة دوستاطن (429) .

وقد علق المؤلف على هذا الكتاب بقوله : يظهر ان هذا الكتاب وقع العزم على ارساله منذ شهور عدة ، لأنه يوجد منذ تاريخ 17 نونبر 1642 م . قرار من حكومة هولندة يشتمل ، بطلب من الغرفة التاسع عشرة لشركة الهند الشرقية ، على انها ستوجه خطابا الى المرابط سيدى على مستعجلا للوساطة فى شأن 27 من الناجين من الباخرة مشت التى للشركة المذكورة والذين لا يزالون فى الرق ، وفى ذلك اليوم نفسه كتبت الحكومة المذكورة الى الاستاذ كول طالبة منه أن يترجم الى العربية نسخة من ذلك القرار الذى جعلوه فى طى كتابهم، والكتاب الموجه الى كول ما زالت منه نسخة محفوظة ، ولكن لم نعثر على رسالة أخرى موجهة الى سيدى على غير ما هنا .

## مع انكلترة

فى ص ج 1 ـ السلسلة الأولى ـ انكلترة :

« جاء من رسالة لوليام باجى الى ملك انكلترة هنرى الرابع مؤرخة 4 فبراير 1543 م . ان الفرتسيين يفكرون فى جلب المعدن من المغرب لصنع مدافعهم ، وان سلطان المغرب قبل ان يعطيهم خمسة قناطير مقابل كل قنطار من القزدير ياتون به الى المغرب .

(429) هكذا وجدنا المؤلف فى الأصل قد جعل توقيع هذه الرسالة بلفظة هولندية مكتوبة بالحروف العربية فكان من الواجب التعليق عليها ، فمعنى ستاطن De Staten هذه الولايات ، وهو نفسه ما تدل عليه الكلمة الفرنسية Les Etats لأن الرسالة كما يرى القارىء الكريم مفتتحة بانها من جماعة حكومة هولندة . ومن المعلوم ان هولندة قد تحررت قبيل هذا الوقت من الاستعمار الاسبانى فتضامت سبع اقاليم منها الى بعضها وكونت اتحادا فيديراليا يحتفظ فيه كل اقليم باستقلاله الداخلى تحت اسم جمهورية الاقاليم السبعة التى ليست هولندة سوى واحد منها فسميت باسمه لأنه أكبرها . وذلك هو الذى قصده المؤلف رحمه الله بما تقدم له فى التعليق (376) .

ثم قال في الرسالة : ان الوصول الى المغرب سهل من مرفأ قادس وسانت كروا بكاب غير » .

وفي ص 17 — ج 1 :

« جاء من رحلة جامس طوماس الانكليزى المؤرخة بـ 1552 م . ان ثلاث بواخر انكليزية وصلت الى آسفي في تاريخ شهر ماى 1552 م . فأنزل منها السلع المعدة لمراكش ، ثم ذهبت البواخر الى سانت كروا بكاب غير ، ودفعت هناك السلع الباقية، وهي الاثواب والملف والمرجان والعنبر والزجاج الملون » .

وفي ص 29 ج 1 :

« كانت زراعة قصب السكر مزدهرة ازدهارا عظيما في المغرب ، ولاسيما بسوس الى تاريخ وفاة مولاى احمد المنصور سنة 1603 م . وبعده قامت حروب داخلية بين اولاده فجاحت مزارع قصب السكر (430) .

وفي ص 126 ج 1 :

جاء من مذكرة لجيرالدى البرتغالي مؤرخة بثاني ماى 1574 م . ان ملكة انكلترة ستأمر بحصر التجارة الانكليزية في ثلاثة فقط من المراسي المغربية ، العرائش وءاسفي ، وسانت كروا بكاب غير (431) لعظيم أهميتها دون غيرها من المراسي الأخرى » .

---

430) هذا نص صريح على أن فتنة تناحر ابناء المنصور على الملك سببت اضمحلال زراعة السكر من القطر السوسي ، وتقدمت الاشارة الى ان ما تبقى منها قضت عليه فتن اولاد المولى اسمعيل ، ونشير هنا الى اننا عثرنا عند المؤرخ الفاضل سيدى محمد بن سعيد الصديقي السويرى العدل حالا بالدار البيضاء في كتابه « ايقاظ السريرة الى تاريخ السويرة » أن هذه الزراعة كانت عامة في كل ما حوالى السويرة الى ضاحية مراكش ، وهذا يفيد انها لم تكن مقصورة على القطر السوسي وحده كما سيشير اليه المؤلف في التعليق (442) كما نضيف أيضا ان الدولة السعدية كانت تعتز بمعاصر السكر وتتباهى بها وترسل زوارها للتفرج عليها ، فقد ذكر القاضي ابو زيد التامانارتي في « الفوائد الجمة » ان العلامة المحدث امام الدين المقدسي التلمساني « لما ورد على المنصور من بلاد العجم » أرسله ليرى معاصر السكر بتارودانت .

431) تقدم ذكره في التعليق (383) .

وفى ص 129 ج 1 : « جاء من رسالة للبرتغالى المذكور مؤرخة برابع ماى 1674 م . ان ملكة انكلترة وافقت على كل الشروط التى اقترحها ملك البرتغال الا الشرط المتعلق بمنع الانكليز من التجارة مع سانت كروز بكاب غير لأهميتها » .

وفى ص 131 ج 1 : « وجاء من مذكرة أخرى للمذكور مؤرخة برابع ماى 1674 م . بيان الشروط التى يفرضها البرتغاليون على الانكليزيين فى شأن التجارة مع سانت كروز بكاب غير » .

وفى ص 132 ج 1 : « جاء من تقييد متعلق بالتجارة مع المغرب محفوظ فى أوراق الدولة فى لوندرة، أن المراسى التى تؤمها البواخر الانجليزية التجارية هى أولا العرائش وطنجة للتجارة مع فاس ، وآسفى ثانيا للتجارة مع مراكش ، وسانت كروز ثالثا ، حيث تصل البواخر فارغة فتحمل السلع الى الربوع الانكليزية » .

وفى ص 134 ج 1 : « جاء من رسالة لأنطونيو فوكازا البرتغالى ، وهو رجل جاء الى لوندرة بقصد تسوية الخلاف بين انكلترة والبرتغال ، والرسالة مؤرخة بفاتح جوان 1574 م . « ان الانكليز يفرضون حرية التجارة بشواطىء المغرب ، ولاسيما سانت كروا التى ينزلون فيها عددا كثيرا من الأسلحة والعدد الحربية ويأخذون السكر » .

وفى ص 141 ج 1 من رسالة للتاجر الانكليزى روجى بودينام مؤرخة بـ 16 نونبر 1574 م . « ان ملك البرتغال اذا استطاع الاستيلاء على سانت كروز بكاب غير فانه يصبح هو المسيطر الوحيد على تجارة المغرب جمعاء » .

وقد علق المؤلف على سانت كروز ان هذا المرسى كان قبل بيد البرتغال الى ان أخذه محمد الشيخ الكبير سنة 1541 م.

اقول ذكر المؤلف فيما ياتي : « ان فونتي التى هى أصل سانت كروز التى هى نفسها سانت كروا أسسها البرتغال سنة 1505 » (*) .

وفي ص 195 ج 1 : « جاء من مذكرة لجيرالدى المذكور مؤرخة بخامس مارس 1577 م . ان أحد التجار الانكليزيين بمراكش اسمه بامبتون تعاقد مع سلطان مراكش على أن يبيع التجار الانكليزيون له قذائف المدافع وغيرها من العدد الحربية ، ويشترون منه في مقابلة ذلك ملح البارود والسكر على طريق مرسى سانت كروز » .

وفي ص 331 جزء 1 من التعليق الأول للمؤلف : انه منذ الاستيلاء على سانت كروز سنة 1514 م . أدخل الأسارى المسيحيون وسائل تصفية السكر بسوس وحاحة والشياظمة ، وقد كان للسعديين بتلك النواحى أرحاء للسكر عديدة كانوا يكرونها لليهود .

وقد كان للسعديين بتلك النواحى أرحاء للسكر عديدة — كانوا يكرونها لليهود .

وفي ص 510 ج 1 : « جاء في رحلة الانكليزى هنرى روبير مؤرخة بغشت 1585 م . الى جانفى 1589 م . انه مكث ممثلا للملكة اليزابيط بمراكش للمفاوضة مع الشريف السلطان السعدى ووزيره ابراهيم السفيانى ، ثم ودع السلطان وأبحر فى ثانى نونبر 1558 م . بسانت كروز مع مرزوق الرئيس الذى أوفده السلطان مولاى أحمد الذهبى الى ملكة انكلترة المذكورة » .

وفي ص 91 ج 2 السلسلة الأولى — انكلترا : « جاء من رسالة تتعلق بالتجارة مع المغرب مؤرخة بسنة 1595 م . ان انكلترة كانت تجلب من المغرب السكر الخالص ، والسكر الخام ، وكثيرا من ملح البارود ، والتمر ، وثفل السكر ، والزرابى والقطن » .

(*) راجع أول فصل « مع فرنسة » .

أقول : هذا هو شأن اكادير قبل ان تستولى عليه « ايليغ » ولاظهار مكانته سقنا ما سقنا عن عمد ، وان كان هذا العهد عهد ما بين محمد الشيخ الاول واحمد الذهبي .

وفي ص 556 ج 2 : « ان صمويل كاد ، رفع شكاية الى حكومة انكلترة مضمنها انه جاء الى بلادها ليشترى سلعا للمرابط سيدى على ، وانه وقع الاشهاد بينه وبين احد تجار لوندرة اسمه جوهان بال على شأن تلك السلع سنة 1621 م . ولم يف جوهان بال بما وعد به » .

أقول كان هذا في مبادىء امارة بودميعة المفتتحة بسنة 1613 م . فقد صار يستورد ــ كما ترى ــ من ذلك العهد السلع من انكلترة » .

وفي ص 93 ج 3 السلسلة الأولى ــ انكلترة ، نص رسالة أرسلها سيدى على الى شارل الأول ملك الانكليز ، وتوجد هناك منقولة بئالة التصوير ، وهى :

**« بسم الله الرحمن الرحيم ، الله يحى الحق ويبطل الباطل »**

« من المقام العلى الأسنى ، ذى المجد الكامل الأنمى ، الهمام المعظم ، غوث الأنام وزين الأيام ، وعلم الأعلام ، ورافع راية الاسلام ، المرابط نجل ولى الله تعلى الامام الكامل ، امام الطريقة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، ابى العباس القطب الحافل ، سيدى احمد بن موسى ، برد الله ضريحه ، ووالى عليه جزيل رضوانه ، أبو الحسن سيدى على بن محمد أعلى الله قدره وأيده ، وأبقاه دعامة الاسلام وسدده ، بمنه وكرمه ، كاتبا به الى التشارلوس بن جيمس عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى ، اما بعد ، فقد بلغ مكتوبكم لمقامنا العلى مقتضيا شكر صنعنا بالأسرى أصحابكم الخارجين بهذه الناحية ، حيث مننا عليهم بالاطلاق من الأسر ، فقد وقع منا ذلك رعاية لمصلحة الاسلام ، لئلا يبقى فى بلادكم اسير مسلم الا واخرجتموه ببلاد الاسلام (432) ، سواء كان من أهل

---

432) يدل هذا على مبلغ تمكن الاخوة الاسلامية والغيرة الدينية من نفس بودميعة ، ومثله فى ذلك السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، وليقارن ذلك باعمال المامون الموحدى ومحمد المسلوخ ومحمد الشيخ الثاني السعديين .

قطرنا او من غيره من اقطار الاسلام ، وكذا من كان خارجا عن حكمكم ووجدتم الى استخلاصه سبيلا ، فان وفيتم بذلك فقد أمناكم فى أموالكم ودمائكم عـلى نحو العهد بين بعض من تقدم من أمراء الاسلام وبينكم ، فقد جددنا لكم العهد على ذلك فلا يبقى لدينا من قبائل انكلترة أسير ما دمتم باقين على الوفاء بالعهد ، باذلين في ذلك الجهد ، لثمان خلون من شهر صفر عام أربعين وألـف مـن الهجرة النبوية » .

قال المؤلف تعليقا : « لم يقع العثور على كتاب شارل الذى اجيب عنه بهذا الكتاب ، وهذا التاريخ الهجرى يوافقه 16 شتنبر 1630 م .

أقول : ان هذه المكاتبة كانت قبل احتلال ايليغ لقصبة اكادير 1637 م كـمـا ترى .

وفى ص 176 ج 3 تعليقا من المؤلف : « ان العلائق التجارية التـى كانت لانكلترة مع سيدى على بسوس هى التى كانت سببا فى عدم الاتفاق بين انكلترة والشريف السلطان السعدى » .

وفى ص 214 ج 3 تعليقا من الؤلف أيضا على رسالة للسلطان الوليد السعدى الى شارل الأول ، ما يلى : « ان رسالة السلطان الوليد الى شارل الأول المؤرخة بـ 31 دجنبر 1631 م . لم يجب عنها ، لأنه طلب أن يمتنع الانكليزيون من أى متاجرة مع عدوه المرابط سيدى على ، وقد كتب اليه مرة أخرى فى ذلك، وكان الوليد يرى انه لا سبيل لأى موافقة مع انكلترة الا اذا قطعت علائقهـا مع سيدى على » .

وفى ص 220 ج 3 تعليق ايضا من المؤلف نصه : « ان سبب رفض الوليد تسريح الأسرى الانكليزيين الذين عنده هو معاملة انكلترة مع سيدى على المرابط عدوه » .

وفى ص 235 ج 3 : « رفع التجار الانكليز القاطنون بالمغرب الى حكومتهم مذكرة فى شأن احتجاج المولى الوليد السلطان على حكومتهم فى شأن تجارتها مع سوس ، واليك ملخص المذكرة : « ان التجار الانكليزيين هؤلاء يتعجبون مما بلغهم من اعتبار سيدى على ثائرا ، مع ان اباه وجده (433) كانا يحكمان قبله معظم قبيله بسوس ، وان ما يؤدى بمراسى سوس من واجب الديوانة أكثر مما يؤدى فى المراسى الراجعة الى السلطان الوليد ، ففى ءاسفى لا يؤدى الا عشرة فى المائة على السلع المبيعة فى الارض ، واما بماسة فانهم يؤدون زيادة على ما ذكر سبعة فى المائة على السلع المبيعة على ظهر البواخر ، وهم يعترفون ان أهل سوس يبيعون بمراكش معظم السلع التى يشترونها من الانكليز من دون ان يصدر منع ذلك من السلطان او من سيدى على (434) ، وهم يستنتجون من ذلك ان تلك التجارة لا تخل بشروط الصلح مع الشريف الوليد ، وزيادة على ذلك ، فان التجار الانكليزيين يتوصلون بقدر من الذهب فى مقابلة سلعهم المبيعة فى سوس ، وذلك الذهب يتوصل به سيدى على ورعيته فى مقابلة السلع الانكليزية التى يبيعونها فى تينبكتو ، وكاوو ، وغينية (435) ، وهم يشكون فى وجود اتفاق مع هولندة يقتضى موجبه منع هذه الدولة من التجارة مع ماسة ، لأن الهولانديين يتجرون مع ماسة منذ عهد مولاى زيدان ، ثم ان أهل سوس يمكنهم ان يستغنوا عن التجارة مع الخارج لأن عندهم الصوف ومعادن الحديد والرصاص ، فاذا اتفق النصارى كلهم على عدم التجارة مع سوس فان أهل سوس يبيعون سلعهم لأهل مراكش

---

433) علق المؤلف هنا بقوله : « انما كان هناك عمه ابراهيم وابن عمه الحسين بن على كما تقدم » ، ويعنى بذلك ما تقدم فى صدر الكتاب .

434) علق المؤلف هنا بقوله : « هذه المحافظة على الحدود التى تفصل بين ايالتين والتى عرفت فى هذا العهد لم تكن معهودة اذ ذاك بين دول الاسلام ، وخصوصا فى وطن واحد كالمغرب ، فالوحدة الاسلامية تغمر كل الاعتبارات » .

435) علق المؤلف على هذا بقوله : « فيكون امتداد سيادة ايليغ الى السودان السعدى واقعا قبل 1637 م كما أرخ به الاحتجاج الآتى، أو قبل 1631 م كما ارخت به الرسالة الماضية للوليد»

وسلا ، بحيث يضطر التجار الأجانب ان يشتروا تلك السلع بواسطة أو واسطتين ، عوض ما يشترونها كفاحا (436) من سوس » .

أقول : وضح الآن بهذا النص ان التجارة بماسة كانت مزدهرة قبل ان تحتل ايليغ اكادير بسنتين وهذه المذكرة ألقت ضوءا مشعا على الحركة الاقتصادية اذ ذاك ، فليمعن فيها القارىء نظره امعانا مستنتجا ، ففيها اشارات لامور لا نجدها الا فيها .

وفى ص 358 ج 3 ملخص تقرير رفعه بينو الانكليزى فى شأن تجارة الانكليز فى المغرب ، نصه : « ان المرابط سيدى على استولى على الحكم بسوس منذ مدة طويلة، وقد كان دائما حبيبا الى انكلترا ، وان السلع التى يجدها التجار الانكليزيون ببلاده كثيرة جدا بالنسبة لما يجدونه فى مملكة مراكش ، فاذا وافقنا الشريف السلطان السعدى فيما يطلبه من قطع العلائق التجارية مع سوس فان ذلك يلحق ضررا بالديوانة الانكليزية وبالتجار الانكليزيين ، ويمكن الفرنسيين والهولانديين من القضاء على تجارة الانكليزيين ، وزيادة على ذلك فان الذنب ذنب سلطان مراكش الذى عجز عن الاستيلاء على مملكتي سوس وفاس ، اذ لم يبق له فيها الا قصبة الرباط ، وان ما يطلبه السلطان من جمع

---

436) كان المؤلف رحمه الله ممن يغارون ان يسمعوا ان فى العربية قصورا ، وكان مولعا باستعمال الفاظها الفصيحة المنسية رغبة منه فى أن تشمل الحياة جميع مرافق النهضة المغربية ، وكانت لفظة كفاحا هذه مما يستعمله فى التعبير عن الاعمال التى لا واسطة فيها ، وقد جرى ذكرها يوما بمحضره فقال انى استعملها ولا اتذكر من اين اخذتها ، فكان من حقه علينا ان نتعرض لذلك بمناسبة عثورنا على استعماله لها هنا .

قال صاحب لسان العرب : « المكافحة مصادفة الوجه مفاجأة ، كفحه كفحا ـ بفتح الكاف وتسكين الفاء ـ وكافحه مكافحة وكفاحا لقيه مواجهة ، ولقيه كفحا ومكافحة وكفاحا اى مواجهة ، جاء المصدر منه على غير لفظ الفعل قال ابن سيده وهو موقوف عند سيبويه مطرد عند غيره . وانشد الازهرى فى كتابه .

اعاذل من تكتب له النار يلقها * كفاحا ومن يكتب له الخلد يسعد

والمكافحة فى الحرب المضاربة تلقاء الوجوه ».

الى ان قال : « الجوهرى كافحوهم استقبلوهم فى الحرب بوجوههم ليس دونها ترس ولا غيره » .

التجارة كلها بمرفأ «اسفي ومن جعلها في يد الانكليزيين خاصة وارسال بواخر حربية انجليزية لمنع كل تجارة مع جنوب المغرب يؤدي الى اسر الفرنسيين والهولانديين وتعذيبهم بما لا تحمد عقباه .

وقد ارخت بشهر نونبر 1637 م .

اقول : لينظر ما بين همة الوليد السعدى الذى يحاول ويقترح أن يضع كل الصادرات والواردات من المغرب وما اليه في يد الدولة الانجليزية البحرية الداهية ، يعرض ذلك عليها عرضا ، وما قصده الا التضييق بمراسي غيره من ابناء ملته ودينه ووطنه في الشمال والجنوب ، وبين نفس سيدي علي في تلك الرسالة الى شارل الأول ، فقد كان يتكلم معه كأنه سليمان القانوني أو هارون الرشيد أو عبد الرحمان الناصر أو المنصور بن أبي عامر ، اويعقوب المنصور . ولا ريب ان مثل استيلاء انكلترة على «اسفي يكون سببا قويا لاستعمار البلاد جمعاء ، وما ذلك بادون من الأسباب التي يتخذها المستعمرون ذريعة الى التمكن من اعناق الامم ، فيستعبدونها أبد الدهر ، ولولا لطف الله لالتهم الانكليزيون المغرب بهذا السبب ، وهو اذ ذاك ضعيف متفرق القوى مفكك الأوصال ، الا ان الله سلم وعجل بالشرفاء العلويين الذين وحدوه من جديد ، خصوصا الأسد الوثاب مولاى اسمعيل (437) .

وفي ص 393 ج 3 ملخص تقرير «اخر رفعه سكوت في شأن التجارة الانجليزية بالمغرب ، ونصه : « ان معظم ثروة السلطان احمد المنصور كانت تأتيه من سوس ، اذ بسوس يزرع قصب السكر ، ويجلب العنبر الأشهب من

---

437) لما قامت الدولة العلوية في المغرب وجدت امامها ثلاث دول كبرى قد تزيت بزي الملك وشاركه هي السعديون والدلائيون واحل ايلبغ هؤلاء ، زيادة على كثير من الثوار يتلمسون رؤوسهم في الاطراف ، وزيادة على احتلال الاجانب لكثير من المراسي ، فتوحدت البلاد وتحررت الشواطىء بفضلهم الا سبتة ومليلية ، وقد بذلوا فيهما من الوسع مالا لوم عليهم معه فلقد صح منهم العزم ولكن الدهر ابى كما يقول حافظ ابراهيم رحمه الله .

تاغاوست وريش النعام والشمع والتمر واللوز والنيلة والخيل والابواز من درعة وتافيلالت والصحراء ، والذهب من تينبكتو وكاوو ولما توفى المنصور ضاعت مزارع السكر بسوس التي أصبحت في حكم المرابط سيدى على منذ عشرين سنة ، فهو الذى ينبغي أن نتفق معه ، لأن التجارة الانجليزية لا تستفيد كثيرا من فاس ومراكش ، ولذلك ينبغي لملك انكلترة أن يقترح على سلطان مراكش وعلى سيدى على اقامة ارحاء السكر من جديد بسوس لتتزود منها انكلترة ، بشرط أن تتمكن من قصبة اكادير لتبنى فيه حصنا على الشاطىء ، وبذلك تحصل على سكر أرخص من السكر المجلوب من البرازيل وفى مقابلة ذلك تجعل بواخر طوع اشارة سلطان مراكش وسيدى على لنقل ما يحتاجان الى نقله بين مراسى المغرب ، فاذا أهملنا سيدى على فانه يصعب علينا الحصول على تحرير الأسارى الانجليزيين ، وتخلفنا دولة أوربية أخرى بسوس ، حرر فى تاريخ 14 ابريل 1638 م .

وفى ص 328 ج 3 ما فى المعاهدة التى عقدتها الدولة الانجليزية مع محمد الشيخ خلف الوليد أخيه على عرش مراكش ، ونص ما ساقه من الفصل الأول منها :

« لا يجوز للانجليز أن يتجروا مع رعايا السلطان الثائرين كالذين بسانت كروا وماسة والصويرة (*) وغيرهم ، وان البواخر المغربية مأذون لها فى اعتقال البواخر والاشخاص الذين يخالفون مقتضيات هذا الفصل وحجز أمتعتهم . . . . . أبرمت المعاهدة بمراكش فى 22 شتنبر 1637 م . بين شارل الأول ومحمد الشيخ » .

أقول : أرأيت ما يومىء اليه ذلك التاجر الداهية ، فانه يريد أن يجعل فى يد حكومته انكلترة مفتاح أكادير ، فيكون فى المغرب كمسمار جحا كما يقولون فى المثل المشهور عند العامة، فانه سرعان ما يعود أكادير ــ وهو اذ ذاك

---

(*) ذكر المؤرخ السويرى سيدى محمد بن سعيد الصديقي ان الوليد السعدى سبق السلطان سيدى محمد بن عبد الله فى انشاء مرسى السويرة ، لكن بقى لنا أن نعرف من هو الثائر بها اذ ذاك .

في طريق البواخر التجارية العالمية الى البرازيل والهند وافريقيا الجنوبية — كحصن عدن ومالطة وقبرص وسنغفورة وأمثالها مما احتلته انكلترة الـدولـة اللبقة بمثل هذه الحجج ، زيادة عـلى تمكنها مـن أسفي ، فقـد كـان بمقتضى المعاهدة السابقة موضوعا بين يديها ، وذلك في الوقت الذي تحتل فيه ايليغ اكادير سنة 1637 م .

وكان مقصود محمد الشيخ اغلاق اكادير ، ومقصود ذلـك التاجـر استحواذ حكومته عليه ، ولا ريب ان اللوثة (438) التي ظهر بها محمد الشيخ عند ما يسلم أسفي لانكلترة تتصرف في تجارته لا يبعد معها أن يفعل مثل ذلك في أكادير نكاية ببودميعة ، ولكن حين كان هو الذي يتصرف الآن في اكادير لا غير فان انكلترة لا تجد منه ما تجده من محمد الشيخ ولعل هذا هو السبب حتى لم يتيسر ذلك لانكلترة ان كانت اذنت حقا لما يقوله ذلك التاجر واصاخت لاقتراحه ، وسترى قريبا فى كلام مارج الفرنسي ما يدل على انها تميل الى هذا الا انها لم تنجع باسطولها .

ثم ان في الذي تقدم أمورا تلفت النظر ، منها قوله : ان مزارع السكر ضائعة منذ كانت في حكم بودميعة فى العشرين التي تقدمت 1638 م فاننا نعرف ان الأمكنة التي فيها هذه المزارع توجـد حـوالي تارودانت في قريـة تازمورت وغيرهـا ، حيث هنـاك صهاريـج (439) متعـددة لا تـزال قـائمة الـى الآن ، ولا ريب ان تارودانت كانت تحت يد سيدي يحيا الى نحو 1632 م . فان بودميعة لم يستول عليها الا سنة 1039 هـ . فالدرك حينئذ فى ضياع تلك المزارع يرجع

---

438) علق المؤلف هنا بقوله : « اللوثة الاسترخاء والحمق » وقد تقدم التعليق عليها .

439) علق المؤلف هنا بقوله : « وصفنا هذه الصهاريج في الرحلة الرابعة من كتاب « خلال جزولة » راجع التعليقين (373) و (429) .

الى يحيا (440) الذى لا تعرف عنه همة فى الاشغال بأمثال هــذه الأمــور ، لا الى بودميعة ، فاننا صرنا نرى السكر بين الصادرات من أكادير بعد استيلائه عليه ، وما ذلك الا لأنه انتشلها، ونحن الذين نعرف منه اهتماما عظيما بالمالية لا ينتظر منه معه الا ذلك .

ومنها ما فى تلك المعاهدة من ان البواخر المغربية مأذون لها فى اعتقال البواخر والأشخاص الذين يخالفون مقتضى تلك المعاهدة ، فان ذلك يخالف مــا جاء فى تقرير بينو الانجليزى من ان الذى سيتكلف بذلك هى البواخر الانجليزية، وهو المعقول اذ ذاك ، ان كان المقصود اعتقال من خالف مقتضى تلك المعاهدة من الدول ، وأما ان كان المقصود من خالفها من تجارة انكلترة فان ذلك مستقيم ان كان حقا للمغرب بواخر ، وقد تقدم انه كان اشترى بعضها ، وان كان يظهر انه لا بواخر مغربية اذ ذاك ، وقد رأيت قريبا فى كلام سكوت ما يدل على ان لا بواخر للنقل فى المغرب .

ومنهاذكره الصويرة ازاء ماسة وأكادير ، فان ذلــك غير ظاهــر ، لأن الصويرة الموجودة الآن لم تكن بعد اذ ذاك فى الوجود ، نعم كان فى الجزيــرة الصغيرة ازاءها مركز برتغالى يوم استولى على شاطىء المغرب قبل هذا العهــد ، ثم انطوى ذكره بعد طرد البرتغال من كل المغرب ، وربما تصحفت اللفظة اما فى الترجمة واما فى الاصل ، وايا كان فلا نعرف حينئذ مرسى يسمى الصويرة(*)

---

440) لعل هذا تحامل على يحيا ، اذ كيف يعقل ان يغفل عن مورد غزير للمال كهذا السكر مع انه فى أول تكوين دولته وحاجته مشتدة الى تموين جنده حتى مال على وفر اموال الاحباس فافسد ذلك بينه وبين تلميذه القاضى التامانارتى كما هو فى ترجمة هذا الاخير فى صدر الكتاب ، وان دوكاسترى قد صرح فى التعليق 429 بسبب القضاء على انتاج السكر ، وما اعقب ذلك من الفتن التى كان الجنوب المغربى ميدانا لها الى ايام السلطان سيدى محمد بن عبد الله سنة 1171 هـ على ان فتن انتقال الحكم من دولة الى اخرى فى ذلك العصر مما يجب اعتباره من بين عناصر الهدم والابادة، وقد ذكر المؤلف نفسه فى رابع « خلال جزولة » ان زراعة السكر لم تنقطع الى ايام المولى اسمعيل . راجع التعليق الذى قبل هذا والإحالات التى فيه .

(*) راجع اخر الصفحة 206 .

## مع فرنسة

فى تعليق للمؤلف على ص 44 ج I السلسلة الاولى — فرنسة ، ملخصا .

« أسس جان لوبيز دوسيكيزة البرتغالى سانتاكروز سنة I505 م . من عند نفسه ، ثم رأى ايمانويل ملك البرتغال اذ ذاك مركزها المهم فأعطى للمذكور ما أداه فى بناءها، فبنى هناك قصبة ، وذلك المكان ابرز نقطة فى البحر المحيط من الشاطىء المغربى ، وفيه تنتهى سلسلة جبال الأطلس ، وأهل البلاد يطلقون على المدينة البرتغالية اكادير نيغير (44I) .

أقول نعم يطلقون ذلك على البنايات هناك من بعيد ، واما من قريب فلا يطلقون اكادير الا على ما بناه السعديون فوق المدينة البرتغالية ، وأما هذه فتسمى فونتى، على ان هناك ما يدل على أن فى مكان أكادير نفسه بناءاً للبرتغال. وقد استخرج اليوم سرداب من فونتى الى أعاليها يسلكه من فى فونتى الى البناء العالى وهو فى أمان ان يصاب برصاص من عسى أن يحاصروا المدينة .

وفى صفحة 303 ج I أورد المؤلف نص وفاق تجاري بين تجار روان الفرنسية فى شأن ارسال باخرة اسمها سمسون تحمل السلع الى المغرب ، وتاتى بالسكر فعلق على ذلك بما ياتى :

« ان قصب السكر يزرع بالمغرب ولا سيما بسوس ، وقد ذكر مارمول ان سكان هذه النواحى فاقوا غيرهم من البرابر فى ذلك ، لأنهم يزرعون ذلك القصب ، ويشتغلون بالفلاحة ، وان تجارة السكر هى احسن تجارة بالمغرب أجمع ، ومن الغلط ما ذكره مارمول هذا من كون الأشراف هم الذين ادخلوا قصب السكر لأن ماس لاترى ذكر انه فى القرن الحادى عشر المسيحى

---

44I) راجع التعليق (383) .

كان سكـر المغرب يباع في الفلاندر والبندقية وقـد ذكر الادريسـي (442) ان السكر المزروع والمصنوع في المغرب كـان معروفـا في العالـم أجمـع ، وقد ذكر ماس لاترى المذكور أن مزارع السكر بسوس وسبتة كانت معروفـة في القرن السادس عشر المسيحي لكثرتها وجودتها، وقد زار ليون الافريقي (443) سوسا قبل قيام الأشراف وذكر ان قصب السكر كان منتشرا فيه ، وان الناس كانوا ياتون من فاس ومراكش وحتى من السودان للتزود بالسكر الـخـام ، والأشراف السعديون وان كانوا لم يدخلوا قصب السكـر الى المغـرب كمـا ذكرنا فانهم عملوا كثيرا على انتشاره بجنوب المغرب ، وربما كانوا هم الذين

---

442) هو العلامة الجغرافي المؤرخ الجليل أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الادريسي المولود بسبتة عام 493 هـ والمتوفي عام 560 هـ ، وربما نسبه بعض من ذكروه الى قرطبة لانه كان يدرس بها اول امره ، كان عالما بالادب والطب والجغرافية والتاريخ ، طاف في بلاد الروم واليونان وفرنسة وايطالية ومصر والمغرب ، ودون ملاحظاته عن هذه الاقطار وضمنها كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » المشهور بكتاب الادريسي وقد اكمله سنة 548 هـ وفد الله في صقلية ، وذلك ان ملكها روجار الثاني سمع به فبعث اليه فلما قدم عليه خرج لاستقباله بباب قصره واجلسه معه على سريره ومكث عنده مدة ولما اراد الانصراف خرج معه وشيعه أيضا الى باب القصر .

وقد صنع له صورة للأرض من طول ثلاثة امتار ونصف في عرض متر ونصف ، وكرة ارضية من الفضة من مائة وثمانين رطلا .

443) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : يعرف بابن الوزان ، وهو فاسي رحل كثيرا حتى نزل اخيرا في ايطالية ، فابقى هناك عن المغرب فيما كتبه تاريخا عن عاداته واقتصادياته وما الى ذلك . وقد ترجم حياته الى العربية السيد محمد المهدي الحجوي . وابن الوزان هذا مـن أهـل القرن التاسع » .

هو محمد بن الحسن الوزان ولد بغرناطة حوالي 901 هـ وحمل الى المغرب صغيرا فنشا ودرس بفاس وكان قوي الاحساس والملاحظة .

جال في المغرب والمشرق مرارا وبينما هو في طريق الرجوع ذات مرة الى المغرب اذا بالقراصنة يأسرونه وحيث علموا انه من أهل العلوم التي كانت متطلبة اذ ذاك ابان النهضة الاوربية أهدوه الى البابا جان ليون العاشر فاعتنى به ومنحه اسمه جان ليون فميزوه عنه بلقب الأفريقي ، فتعلم عدة لغات والف عدة كتب ، وتوجد صورة لخطه في تاليف السيد الحجوي المذكور .

ويوجد في ءاخر القاموس الطبي الذي الفه انه كان بمدينة بلونية بايطالية سنة 930 هـ 1524 م واتم بروما عام 932 هـ 1526 م كتابه (وصف افريقية) الذي ترجم الى الايطالية واللاتينية والفرنسية والالمانية وطبع في مجلدات تبلغ صفحاتها اكثر من الف .

ولا شك ان البابا المذكور كان يحمل مثل هذا الرجل على التنصر ، وذلك ما في كتاب السيد الحجوي ، لكن يقول بعض المؤرخين الاوربيين انه نجح اخيرا في مغادرة ايطالية والرجوع الـى دين الاسلام .

ادخلوا (444) وسائل تصفيته وتبييضه الى سوس ، بعد ما كان فيه سواد ما حسبما وصفه تيفيت ، وان سعي مولاى محمد الشيخ الأول للاستيلاء على سانت كروز ، كان المقصود منه الجهاد مع العمل على انفاذ سكر سوس وترويجه في الأسواق ، وقد كتب السلطان المذكور الى أخيه ـ لعله احمد الأعرج ، يخبره بالاستيلاء على ذلك المرفأ ، ويقول له : ان هذه بداية حسنة للتجارة فى السكر وغيره من السلع من تلك النواحي.وان النصارى الذين أسروا بسانت كروز بنوا معاصر يستخرج منها السكر الأبيض ، وكان يرأسهم يهودى أسلم ، انظر مارمول ، وقد كان التجار الأوروبيون ياتون الى تارودانت لشراء السكر ، وكانت المعاصر المصفيات للسكر تدخل على السلطان 7500 مثقالا ، والسكر المصنوع نفسه يدخل 15000 مثقال ، انظر بير بروجي ، ومما يدل على الاهتمام العظيم الذى كان للسلطان محمد الشيخ الأول بهذه التجارة انه بمجرد ما انتصر على أخيه مولاى احمد استعجل ولده أحمد الحران فى الذهاب الى تارودانت وجعله وزيرا هناك وأمره ان يهتم بمسألة تجارة السكر ، انظر طوريس ، وصناعة السكر بعد ما كانت مزدهرة بالمغرب قد نبذت ، ولكنها في أيام مولاى أحمد المنصور كانت لا تزال مزدهرة ازدهارا عظيما ، فهو الذى بنى المعاصر لأجل ذلك بحاحة (445) ، وسكساوة (446) ، ولما أمر السلطان ببناء قصره

444) علق المؤلف هنا بقوله : « تقدم قريبا انهم الفأعلون لذلك جزما » .

445) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « يوجد ذلك فى قبيلة اداوكرض من قبائل حاحة، ولا يزال هناك صهريج كبير وبناء فى محل يسميه الاهالى بالصويرة القديمة » .

446) علق المؤلف هنا بقوله : « هكذا ، والمعروف ان ذلك فى شيشاوة ، ولا يبعد ان يكون ذلك عند القاهرة بسكساوة » .

والقاهرة هذه التى ذكرها يرجع تاريخ بنائها الى عام 754 هـ ، وذلك انه كان لأبى عنان المرينى اخوان هما ابو الفضل الذي كان عاملا لأبيه ابى الحسن المرينى على تونس واخوه أبو سالم ، فلما صار الأمر لآبى عنان خشى مزاحمتهما فأرسلهما للأندلس عند ابن الأحمر بعلة ان يكونا بين المجاهدين . فلما اطمأن الى أن الامر قد صفا له وتمكن كتب الى ابن الاحمر أن يبعث بهما اليه،فامتنع واعلم ابا الفضل بعزم ابى عنان على القبض عليه واشار عليه بركوب البحر من الاندلس الى القطر السوسى وتوسط له عند الاسبان فى أن يحمله اسطولهم . فوصل أبو الفضل الى سوس ونزل على عبد الله السكسيوى ، فجهز أبو عنان لمحاربتهما معا جيشا بقيادة وزيره فارس بن ميمون بن ودرار فنزل بجيشه على سكساوة واحاط بها ولكى ييئس عبد الله السكسيوى وضيفه ابا الفضل من الافلات اختط هناك مدينة سماها القاهرة وهى التي يعنيها المؤلف وما تزال معروفة هناك الى اليوم ، واخيرا تمكن من أخيه ابى الفضل فخنقه فى محبسه ، وكذلك مات ابو عنان مخنوقا وكما تدين تدان .

« البديع » الشهير كان ياتى بالرخام من ايطالية مقابل السكر وزنـابـوزن ، انظر الأفرانى (447) » .

اقـول ممن ذكـر سكـر سوس كتاب الاستبصار (448) فقـد ذكـر قصب السكر ، وقال ان تارودانت أكثر بلاد الدنيا قصب سكر ، وفيها معاصر كثيرة له ، ومن هناك يجلب الى جميع المغرب والأندلس وأفريقية ، وهـــو المشهور بالطبرزد (460) فى كتب الطب ، والكتاب مؤلف سنة 590 هـ . وكذلك أيضا فى كتاب خريدة العجائب لابن الوردى (449) ، وهـو من أهـل القـرن الثامن الهجـرى .

---

447) علق المؤلف هنا بقوله : « انظر الأفرانى » ويعنى بذلك الكتاب المسمى نزهة الحادى الذى ألفه العلامة محمد بن محمد بن عبد الله الأفرانى المذكور فى الحاشية (19) وذلك معروف اليوم لا حاجة الى نقله .

448 علق المؤلف هنا بقوله « مخطوط قليل النسخ » .

هذا الكتاب اسمه « الاستبصار فى عجائب الامصار » يشتمل على وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، وهو لسيد مراكشى من اهل القرن السادس الهجرى ، ولعله من كتاب دولة الموحدين كان يعيش فى ايام يعقوب المنصور الموحدى ولم يوجد اسمه على النسخ المعروفة .

طبعه اخيراً وعلق عليه الدكتور سعد زغلول عبد الحميد مدرس التاريخ الاسلامى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، بمطبعة هذه الجامعة .

ونشر نصه العربى فى 252 صفحة ، ولخصه بالفرنسية فى 90 صفحة .

وكانت عند المؤلف رحمه الله نسخة خطية منه ذكر الاستاذ محمد داود التطوانى فى الجزء الاول من كتابه فى تاريخ تطوان انه رءاها عنده بمراكش سنة 1368 هـ وسماها النسخة المختارية المراكشيـة .

449) هـو العلامـة الجليـل عمـر بن المظفـر المعـرى المعـروف بابـن الـوردى ، ولد بمعرة النعمان سنة 691 هـ وتوفى بالطاعون فى حلب فى 17 ذى الحجة 749 هـ بعد ان الف رسالة فى الطاعون .

له تآليف كثيرة فى النحو والفقه والتصوف والتاريخ والجغرافية منها ذيله الضخم لتاريخ ابى الفداء ، ومنها خريدة العجائب التى ذكرها المؤلف هنا .

ومن نوادره الطريفة انه زار فى دمشق شيخه قاضى القضاة بها نجم الدين الشافعى فأجلسه مع الشهود فاستصغروه لأن سنه اذ ذاك 24 سنة ، فوردت شهادة بيع فساقوها اليه تعجيزاً له فاستحيا من سنهم فرد اليهم تلقيها ، فلما الحوا فى تلقيه لها تفطن لقصدهم ، فقال لصاحبها هل تريدها نظما أو نثرا ، فقالوا له قل له اريدها نظما ، فحررها له فى نظم لطيف من « السهل الممتنع » وقال فى توقيعه لها :

يشهد بالمضمون من ذاك عمر * بن المظفر المعرى اذ حضر

ودفع الصك للشاهد الآخر ليوقعه فعجز عن نظم توقيعه ، فأملى عليه ابن الوردى بيتا هو

وحضر العقد لذاك احمد * بن رسول وبذاك يشهد

وتوجد عند بعض من ترجموا له ، ويكفيه شرفا لاميته المشهورة .

وفى ص 544 ج 3 السلسلة الاولى ــ فرنسة ، اقتباس من رحلة مارج الفرنسي ونصه . . . ثم ان مارج أرسي سفينة بسانت كروا . . . وقبل ذلك بمدة كان مرابط ءاخر اسمه سيدى علي اغتصب من سلطان الرباط سانت كروا وقد اصبح هذا فى هذه الايام هو المسيطر على نومدية جمعاء ، ثم ان مارج قدم الى سيدىعلى بسانت كروا بواسطة قبطان مغربى يسمى والى كان مكلفا عنده ، فاقتبله سيدى على اقتبالا جميلا ، وقال له بواسطة المذكور الذى يحسن اللسان الفرنسي شيئا ما أنه يود من صميم قلبه جلب وداد ملك فرنسة لأنه يحبه كثيرا ، وان رعايا ذلك الملك أبرموا معاهدة تجارية مهمة مع ناحيته ، وان هذه الناحية حصلت على فوائد وحسن معاملة أكثر مما حصلت عليه مع أمم اخرى ، وانه يعد من الآن بحفظ أولئك الرعايا الفرنسيين حتى يكونوا كأنهم فى فرنسة، وتأكيدا لما ذكر سلم جوازا لمارج يمكن له به التقلب فى البلاد للمتاجرة ، ومما هو جدير بالذكر أن سيدىعلى هذا قادر علىتأليف جيش عرمرم للاستيلاء علىمراكش، وان كثيرا من الناس يجزمون انه لو فعل لأصبح سيد مراكش بدون شك ولا ريب وبذلك يستولى على المغرب كله ، لأنه كان مشهورا فى هذه الناحية بأنه نزيه كل النزاهة وعادل ، وأنه نشر الأمن بهذه الناحية حتى صارت التجارة فى ربوعها سهلة تحوطها كل الضمانات كما فى فرنسة ، وعلاوة على ذلك فهو رجل يتمتع بثروة عظيمة ، وله تجارة مهمة مع غينية Guinée بمملكة كاكو التى أصبحت تابعة له ، اذ لم يبق لمراكش بها شيء وعلاوة على ذلك ايضا انه اغتصب من سلطان مراكش درعة وتافيلالت وتغازى (أو تغازى الغزلان) ، وهو منجم كبير للملح الخام على بعدءيومين من (تاودني) وهى الطرق الموصلة من مراكش وفاس الى غينية .

ثم ان مرج المذكور ــ وهو بلوندرة ينتظر سفره الى فرنسة ــ رأى مقابلة السفير الذى أرسله ملك مراكش الى ملك انجلترة ، وحضر المقابلة ، وقد

حيا السفير الملك وقال له : انه يستعطفه من قبل سيده لارسال ست بواخر لأخذ قصبة سانت كروا من يد سيدى على ، كما انه يلتمس منه بالحاح ان يمنع رعاياه من الذهاب الى المتاجرة مع سيدى على حتى لا يحملوا اليه كعادتهم العدد الحربية ، فأجابه الملك بأنه سيدرس القضية ويرد عليه الجواب والسفير المذكور هو القائد جوذر بن عبد الله ، برتغالى الأصل ، اختطف وسنه ثمانى سنوات ، وبيع كعبد فى المغرب ، ثم كان من المغاربة ومن المشاورين كثيرا عند الشريف السلطان السعدى، وقد توجه سفيرا الى انجلترة على باخرة يرأسها رينس بورغ ، وفى صحبته روبير بلاك ، ويوم مقابلته مع الملك هو 15 نومبر 1637 م . ثم رجعا من هناك الى المغرب فى 31 ماى 1638 م مع أسطول كارتيريت ، وقد أذن شارل لمحمد الشيخ ان يتقوى بهذا الأسطول ضد رعاياه الثائرين .

وقد علق المؤلف على ما تقدم من ابرام معاهدة تجارية مهمة بين فرنسة وبين سيدى على بأن هذه المعاهدة التجارية المهمة التى يشير اليها سيدى على هى — على ما يظهر — ليست الا تلك العلائق التجارية التى كانت بين التجار الفرنسيين وتلك الناحية ناحية سيدى على ، والتى بدأت منذ 1570 م .

وعلق على سانت كروا بقوله : « معلوم ان سانت كروا تطلق على قصبة اكادير وعلى فونتى ، والقصبة بقيت مدة تابعة لسلطة الشريف السلطان المراكشى الذى أصبح عاجزا عن منع التجارة فى المدينة السفلى فونتى مع النصارى ، وكانت هذه تحت سلطة سيدى على » .

أقول : من هنا نعلم ما ذكرناه قبل من أن فونتى كانت مفتوحة للتجارة تحت يد بودميعة منذ استولى عليها قبل أكادير بنحو أربع سنين .

كما ان ما قاله مارج نص صريح لاستيلاء بودميعة على كل السودان السعدى وعلى غينية وعلى كل الصحراء بين سوس وبين هذا السودان .

وفى ص 414 ج 3 السلسلة الاولى ـ فرنسة من معاهدة لويز الثالث عشر والسلطان الوليد الزيدانى المؤرخة ـ 24 شتنبر 1631 م . فى الفصـــل الخامس منها : « لا يتفاوض الفرنسيون مع رعايا ملك مراكش الثائرين ، سواء فى ذلك المعاملات التجارية أو امدادهم بالمواد الحربية البواخر وغيرهـــا ، سواء على ماسة وغيره » (450) .

وفى صفحة 358 ج 3 مذكرات عن المغرب جاء منها : « وفى أيامنا هذه ان السلطان الحالى اسمه المولى عبد المالك بن زيدان يبلغ سنه نحو ثلاثين سنة، ولم يبايعه الا نواحى مراكش وفاس وسوس وكاكوـ وادىالنيجيرـ(451) وليست تحت نفوذه الا خمس مدن او ست واربع قصبات او خمس ، له فيهـــا ولاة يتبعونه ،واما الولاة الآخرون فقد خرجوا عن طاعته، واستولى عليهم الاسبان وصلحاء البلاد (استولى الاسبان على العرائش والمعمورة ، وصلحاء البلاد هــم سيـــدى على بسوس ، والعيـــاشى شمال المغرب ، والـــدلائيون بـــالمغـــرب الأوسط (452) .

« اما المدينة الاخرى فهى طائعة للسلطان بسوس ولم أقف عليها، وغاية ما أعرف عنها انها مدينة كبيرة سكانها قليلون (452) (يعنى تارودانت ، ولكنه ناقض نفسه بنفسه فيما ياتى فقال انها تحت نفوذ سيدى على ، وقوله الثانـــى أقرب للحالة السياسية اذ ذاك بسوس) (453) .

ثم قال ايضا صاحب المذكرات : « وأهم قصبات السلطان توجـــد بمملكة كاكو فى طريق غينية حيث كان سالفوه يستخرجون قدرا عظيما مـــن

450) شكل المؤلف رحمه الله عليا بضم الياء مضافا الى ماسة ، كما شكل بالضم ايضا راء غير معطوفا على على ، وذلك لئلا تقرأ على انها حرف جر ، بل اسم علم مضاف الى ماسة .

451) علق المؤلف هنا بقوله : « هكذا علق عليه المؤلف دوكاسترى فى احد تعليقاته على الكتاب » .

452) علق المؤلف على كل ذلك بقوله : « كل ما بين هذين القوسين من المؤلف تعليقا منه » ويعنى بالمؤلف دوكاسترى .

453) علق المؤلف هنا بقوله : « استولى سيدى على على تارودانت 1039 هـ » .

الذهب ، وهو احسن ذهب فى العالم ، ولكنه منذ ثلاث او اربع من السنين قطع عنها أحد صلحاء سوس (يعنى سيدى علي) اذ يرسل اليها رجاله حاملين الملح الى سكانها المتوحشين ، وفى مقابلة الملح ياتون بالذهب » .

« وأما القصبة الثانية فتسمى سانت كروا ، وموقعها على شاطئ المحيط ، وهو على منزلق أكمة عالية حصينة جدرانها حسنة حسنا ما ، الا انها قصيرة وجلها من التراب ، ويسكنها نحو 300 رجل منهم الحسن والقبيح ، وكان يصنع فيها قبل قدر من السكر ، ويوجد بضواحيها الى يومنا هذا بعض المطاحن وقصب السكر ، والتجارة فيها مزدهرة جدا منذ ثماني سنوات ، ولكن صويلح ماسة لا يبعد عنها بأكثر من خمسة اميال ، وقد حرم على سكان البادية المتاجرة معها بأية سلعة ، وبهذه الوسيلة جلب السلع كلها الى جانبه بحيث كان السلطان يضطر ان يرسل الى من فيها المدد بحرا على بعض السفن الهولاندية . . . . » (454) .

أقول : فيكون هذا كله في وقت حصار اكادير الطويل فيستولى بودميعة على كسيمة البعيدة ببضعة اميال من اكادير .

ثم قال صاحب المذكرات :« وماسة مدينة تقع قرب المحيط الاطلانطيكى على بعد خمسة اميال او ستة من سانت كروا ، وتحيط بها جدران بالية ، وقوتها تستمد من الرجال المطيعين للصالح سيدى علي ، وهو يحكمهم فى هدوء كما يحكم أعراب تلك النواحى على بعد ستين ميلا من كل جهة ، والتجارة مزدهرة ، وستبقى كذلك ما دام الصالح قويا ، وبحسب التجار ان يحصلوا على الجواز فيسلكوا البلاد بحرية ، فيبيعوا بضائعهم من غير أدنى

---

454 علق المؤلف هنا بقوله : « بهذا نعرف ان السكر بقى الى عهد بودميعة لأن هذا الوقت قريب من عهده » .

خطر للاسترقاق لأن الصالح المذكور ما كان يرخص ان يتخذ الرقيق الا مـن الاسبان (ومرسى ماسة صغير) (455) .

وتارودانت مدينة جميلة على بعد نحو 12 ميلا من اليابسة ( والتحقيق انه 65 كيلومتر) (455) ، ولا يزال يوجد فيها مطاحن للسكر ، وقصب السكر كثير ، ولكن المغاربـة لم يكونـوا هم الذيـن أسـسوا زراعتـه في المغـرب ومزاولته (456) ، وهي في قبضة صالح ماسة ، اشتراها من صالح ءاخر بمائتي دوكا (457) فقط ، وصالح ماسة هذا قوي ، فكان هو الوحيد الذي استطاع ان يطـرد السلطان من مملكتـه ، الا ان اهلـه واصدقـاءه لا يرخصـون لـه في الابتعـاد عنهم » .

وفي صفحة 372 ج 3 مقتطفات من رسالة لقنصل فرنسـة بالمغـرب مازيت الى وزيـر فرنسـة الشهير ريشليو ، وقـد أرخت بعـاشر فبرايـر سنة 1631 م . قال عن ماسة : « هي على بعد سبعة أميال أو ثمانية من سانت كروا في مملكة سوس التي يتولاها مرابط كبير يسمونه سيدي علي ، وهو رجل في نظرهم صالح ، تمرد على سلاطين مراكش ، وتتسع مملكته يوما فيوما نظرا لعدله ، ولذلك استولى على تارودانت ودرعة ونواح اخرى ، ولذلك خلص له كل الذهب المجلوب من تينبكتو ومملكته تفيض ذهبا وريش نعام وغير ذلك من المواد الصالحـة للتجارة ، وهو يحب التجار ويعاملهم معاملة حسنة كيفمـا كانت جنسيتهم ، وهؤلاء التجار يرحب بهم أينما حلوا ، وقد نقل لي كل هـذا وسمعته بأذني مرات كثيرة من لدن أناس كانوا في تلك البقاع » .

وفي ص 429 ج 3 كلام منقول عن جريدة كازيت دوفرانس من مكاتبها بسلا ، تاريخ 5 نونبر 1631 م . « وهو ان الصالح سيدي علي على ساق الجد ومعه

455) علق المؤلف هنا ايضا بقوله : « ما بين التوسين من المؤلف دي‌كاستري » ولكن الحقيقة ان ما بين تارودانت واكادير 81 كيلومترا .

456) علق المؤلف هنا بقوله : « قد تقدم ان ذلك منهم حقا ، وان زراعته قديمة » .

457) علق المؤلف هنا بقوله : « لا ندري هذا الصالح الاخر ، ولعله من ءال يحيا المتوفى في 4 مارس 1626 م » .

خمسون الف رجل لمنع سلطان مراكش من الذهاب كالعادة الى شواطىء كاكو (يعني وادي النيجير ، وقد كانت تتوجه الى السودان قافلة مغربية كل سنة) (458)، وقد جعل سيدي علي الدين ذريعة لذلك كعادته، والمغاربة يتبعونه عن طيب نفس أملا منهم ان يدخل تحسينات على حكومتهم ، وهذا مما سينبه هذا الأمير الصغير (مولاى الوليد) (458) الذى هو الآن مع صفيه القائد يحيا بن محمد الجاناتي بقصر المسرة المبنى أحسن بناء ، ليست له الا طبقة واحدة كالعادة في البلاد ، ومما يستغربونه انه لا نوافذ له ، وسكانه يكتفون بما يدخل عليهم من النور من باب كبير واحد ، والذي تستغربونه أكثر من ذلك : هو ما اذا رايتم خمسة وعشرين كبشا مشويا هيئت على سماط السلطان رغم ان هذه الكباش أكبر من كباشكم ، وأحسن تجارة في هذه الشواطىء التي يجدى نفعها هي التجارة في المنسوجات الفرنسية ، وتكون في مقابلة الشمع ومواد أخرى حتي في مقابلة الذهب ، لأن أهل البلاد يتركون أخذه ليخرجوه حليا أو سبائك ، ماعدا المضروب المسكوك منه ، ولا نظن ان فرنسة يعوزها رجال يستطيعون القيام بهذا الامر ، ولكي أقيم لكم الدليل على ان المغاربة لم يتمكن فيهم الجفاء وخشية الافلاس أعلن لكم انهم لا يتعاملون بالسلف (الربا) (458) ولا يعتقدون الا في المعاملات الحرة » .

وفي ص 474 ج 3 « . . . . . ورد في قائمة حساب لأحد قناصل فرنسا بالمغرب مؤرخة بـ 1633 م . ذكر جملة المصاريف المتعلقة بالمغرب ، قدر من الدراهم تشترى به الهدايا لسلطان المغرب ولقواده ولاتباعه وضباطه وولاة قصبتي أسفي وسلا ، وما سيعطى للخافرين الذين يخفرون المسافرين في المغرب نظرا للحرب التي أقامها سيدى علي في هذه البلاد ضد سلطان المغرب » .

---

458) علق المؤلف هنا ايضا بان ما بين القوسين من الاصل .

وفى صفحة 699 ج 3 من رحلة لطوماس لوجاندر الفرنسى : « . . . . . انه لـم يكـن قط بسوس قنصل ، لأن هذه المملكة كباقى المغـرب لا يرتجى منها شـىء » .

ثم قال بعد ذلك : « أما سيدي على أمير سوس فكثيرا ما كان يرسـل من مدينة ايليغ قوافل الى تينبكتو ، واما سلطان فاس ( محمد الحاج الدلائى ) فاننى ما سمعت انه ارسل احدا اليها ، وفى ظنى ان ذلك يرجع لسببين : اولهما انه بعيد من مراكش بنحو مائة ميل ، والثانى انه ان فعل ذلك اضطر أصحابه الى المرور بمراكش وذلك ما لا يستطيعه (459) .

وقد علق المؤلف على ما تقدم من ان سوس لا يرتجى منها شـىء ان ذلك خلاف الواقع فقد كان سيدى على يظهر الحفاوة للتجار الأوربيين حتـى اغتاظ السلاطين السعديون من ذلك الاقبال الذى وقع منهم عليه ، فعقـدوا معاهدة مع فرنسة 1631 م . منصوص فيها على ان لا يتاجـر الفرنسيـون مـع السوسيين ، وزيادة على ذلك فقد كان سنة 1631 م . بسانت كروا مراسـل لفرنسة يقوم مقام القنصل . انتهى بتصرف .

ان كلما تقدم رد على طوماس لوحاندر فى زعمه ان هذه الناحية لا يرتجى منهـا شـىء .

وفى صفحة 267 ج 2 ، السلسلة الثانية — فرنسة ، مذكـرة لهنـرى برات مؤرخة فى مرسيلية بثامن جوان 1669 م . تتعلق بالعلائق التجارية بيـن فرنسة والمغرب منذ 1631 م . وقد ذكر فيها انقسام دولة المغرب بعد موت مولاى زيدان وقيام مرابط الزاوية الدلائية ومرابط سوس (460) والشريف مـولاى الرشيد ، وبعد استيلاء هذا الاخير على المغرب كله عدا سوس ، ولـما تـكلـم على سـوس قـال :

---

459) علق المؤلف هنا بقوله : « بل طريق أهل تلك الجهة على تافيلالت مفتاح الصحراء لا على مراكش ، الا اذا كان لهم غرض خاص بسوس » .

460) علق المؤلف بقوله : « قام هذا فى عهد زيدان لا بعده كما تقدم » .

« واستولى على طرف من المملكة سيدى ابن على (461) الذى يمتد نفوذه على مملكة ماسة وعلى مدينة شاطىء البحر المسماة سانت كروا ، وموقعها على جبل ، وبها مرسى طبيعي ترسى فيه البواخر فى مأمن ، وأعظم تجارته مع تينبكتو ببلاد غينية اذ يرسل اليها فى كل سنتين (462) قافلة تحمل اليها الملف والثياب والمصنوعات الحجرية والأدوية والآلات الحديدية ، والكل ذو قيمة بسيطة ، والقافلة المذكورة تتركب عادة من ألف أو اثنتى عشرة مائة رجل وثمانمائة بعير وعدد من الخيل ، ولهم رواد يسيرون فى الصحراء خريتون يهتدون بالنجوم ، وأكبر مهارتهم هى معرفة الأماكن التى يوجد فيها الماء ، ومعرفة اتجاه الرياح حتى لا تصيبهم الزوابع التى تسوق الرمال كالجبال ، لأنها ان صادفت قافلة تغمرها فيرتطم كل ما فى القافلة فيها ، فياتى الهلاك الذريع على الجميع ، فاذا وصلت القافلة الى المكان المعين للمعاملة مع اهل تلك البلاد تقع معهم المعاملة دون أن يراهم أحد أو يكلمهم ، لأنهم يعيشون كالبوم تحت الارض ، وانما يترك اهل سوس سلعهم فى البيداء ويبتعدون عنها فياتى أهل تلك الناحية فياخذون من السلع ما يريدون بعد ان يتركوا قدرا من التبر الذى هو الذهب الخام ، فيجمع السوسيون من ذلك ما يبلغ حمل خمسة جمال أو ستة ، وذهب تلك الناحية أخلص ذهب يوجد ، يبلغ عياره 24 كارة (463) ، وربما أستحق من جنابكم العتاب ان لم أذكر لكم كيف يستخرج

---

461) علق المؤلف هنا بقوله : « هو محمد بن على بن بودميعة ، وسيذكر بعد ابيه » .

462) علق المؤلف هنا بقوله : « وقد تقدم ان هذه القافلة تذهب كل سنة » .

463) هذه الكلمة كارا carat اسم لعيار التركيب اليكمياءى للذهب ، وهى مذكرة فى الفرنسية ، فهناك عيارات 12 كارا ، و15 كارا ، و 18 كارا ، اما عيار 24 كارا فهو اجودها واصفاها ، ولذلك شاع استعماله على سبيل المجاز فيما بلغ الغاية فى جنسه ولو كان بعيدا من هذا الموضوع ، كقولهم : احمق من درجة 24 كارا .

وقيل ان أصل هذه الكلمة يونانى ماخوذ من ouration وهو بذر الخروب وبحبه كانوا يزنون الذهب ، وقيل من kuara وهو نوع من الفول فى بلد بوسط افريقية ثقيل الوزن وبه كانوا يزنونه ، ثم انتقل الى الهند فوزنوا به الاحجار النفيسة .

ومن ذلك كلمة قيراط المستعملة فى العربية ، وهى دخيلة فيها كما عند الخفاجى فى « شفاء الغليل » ومقتضى صنيع صاحب « المنجد » انها ماخوذة من ouration المذكورة ، وما زال الناس يزنون الذهب بحب بذر الخروب الى الآن ويسمونه قيراطا .

هذا الذهب من الارض ، ولكن ربما تظنون أن ذلك من قبيل الخرافات ، اذ يقال أن الأفاعي التي هي أشد سما وأعظم ضررا ، تعيش في بطن الأرض اتقاء للشمس الحارة ، ولتجلب لنفسها البرودة تملا أفواهها من تحت الارض برمل الذهب (التبر) ثم ان خرجت ليلا الى ظهر الارض تلقيه من أفواهها كعلامات في الاماكنة التي اختارتها للرعي .

وان تجارة فرنسة مع مرسى سانت كروا يقوم بها تجار روان ومرسيلية ، وهي تجارة قليلة ، وأهل سوس فيهم ظرف ووفاء ، والسلع التي تجلب اليها هي الملف والثياب وطرابيش الصوف والكاغد والافيون والزجاج والمرجان والقطن ، ويجلب منها الصفر والشمع وجلود المعز والصمغ العربي وريش النعام والنيلة والتبر الخام أو المسبوك ، وأحيانا العنبر الاشهب » .

ذلك ما ترجم لنا عن المجموعة الضخمة الاجزاء ، وقد حاول مؤلفها ديكاستري أن يضم فيها كل ما يتعلق بالمغرب مما يستخرجه من الوزارات الخارجية للدول الاروبية ، وذلك بايعاز من حكومة المغرب . وقد تيسر له ذلك فيما يتعلق بعهد السعديين (464) .

---

464) من الوفاء والمكافأة لهذا الرجل الذى امدنا بهذه المعلومات القيمة عن تاريخ بلادنا ، والذى أصبح اليوم مرجعا مهما — ان لم يكن وحيدا — في موضوعه سواء بالنسبة الينا ام بالنسبة للذين استقى منهم هذه المعلومات ان نثبت هنا ترجمته ، فهو وان كان قد قام بهذا العمل لغاية معروفة فها نحن اولاء اصبحنا تستفيد منه فوجب علينا ان نقدر له هذه الاستفادة .

فهو العلامة الكونط هانري دوكاستري ، أحد افراد اسرة فرنسية عريقة ، وكاستري هذه التي ينتسبون اليها مقاطعة بفرنسة حوالى مونبيليي كانوا حكامها الاقطاعيين اوائل القرون الوسطى ، ومنهم المريشال شارل دوكاستري الذى كان وزيرا للبحرية الفرنسية من 1780 م الى 1787 ، وما تزال فيهم التربية العسكرية العالية الى اليوم .

وقد تطوع في الجندية في اول شبابه سنة 1870 م وجرح فيها وهو برتبة سرجان فترقى لدرجة سوليوتنان ، ثم دخل المدرسة العسكرية في سانسير ، وفي سنة 1873 م تعين في الجزائر على راس شرذمة مما كان الفرنسيون يسمونه الجيش الافريقي الذى كان ضباطه من ضباط الشؤون الأهلية ، ومن ثم بدأ في الاتجاه الذى اتجهه كل باقي حياته .

وحيث كان المطلوب من الضباط العاملين في المستعمرات ان يعملوا لتركيز نفوذ امتهم بتحرير التقارير لرؤسائهم والابحاث العلمية والتاريخية عن الاراضي التي هم فيها ولتخطيط خرائطها. فقد كان الكونط دوكاستري من ألمع هؤلاء .

فمنذ ذلك الوقت أخذ يتعلم العربية ويتصل بالأهالي ويستقي منهم المعلومات ويقوم على رأس جنوده بالرحلات في التخوم الجزائرية المغربية فيحرر الخرائط والتقارير ليبين لأمته من اين ينبغي ان توكل كتف شمال افريقية او المغرب بالخصوص ، كما كان من انصار تحويل انظار السكان الاصليين عن مآثرهم وتراثهم الى ابدالهما بتحبيب المدنية الغربية والعظمة الفرنسية لهم .

كما كان يتصل بالاجراء الساقطين من المغاربة فيستقي منهم الاستكشافات عن داخلية التراب المغربي ، فقد حرر دراسة مهمة عن وادي درعة سنة (1880) م ، وأخرى عن فكيك سنة 1882 م ، وغيرهما ، وكان من جرأته وتصميمه في هذا المضمار انه قدم لحكومته سنة 1879 م تقريرا نبهها فيه الى ان المغرب تتمة ضرورية للامبراطورية الفرنسية في شمال افريقية ، فتخوفت اركان الحرب العامة من طموحه مخافة ان تجر عليها جرأته مع المغرب سوء تفاهم لم يحن اوانه بعد ، فصارت تراقب نشاطه .

ولكن ذلك جعلها تلحظه بعين الاعتبار وتعده من الضباط البارزين المعول عليهم ، فقد اسندت اليه سنة 1887 م ، تحرير خريطة للمغرب كان المراد منها تسهيل تسوية خلاف على الحدود الجزائرية المغربية ، ثم عهدت اليه بان يحملها الى جلالة السلطان المقدس المولى الحسن الأول بمراكش ضمن لجنة معدة لذلك ، ولما تمت المهمة وكان راجعا للدار البيضاء عن طريق سطات كان يتريث في الطريق لاسباب منتحلة ، وهو في الواقع يحرر عن هذا الطريق خريطة كانت عمدة الجيش الفرنسي في زحفه على مراكش بعد ذلك بعشرين سنة .

ومن هناك اتجه الى البحث التاريخي عن كل ماله علاقة بالمغرب قديما وحديثا ، ولما لم يجد في الكتب العربية ما يشفي غلته اتجه للبحث في محررات اللغات الاجنبية ، فقدم استقالته من الجيش برتبة قبطان ، وانسحب الى بلده الاصلي حيث اشتغل بادارة املاك اسرته وتفرغ لابحاثه التاريخية ، فانضم الى كثير من الهيئات التي كانت تعمل في نفس الموضوع لمثل الغاية التي يعمل لها ، داخل فرنسة وخارجها ، وصار يتنقل بين العواصم الاوربية للبحث في سجلات وثائقها المحفوظة les archives كانكلترة وهولندة وفرنسة وغيرها ، فعثر على نفائس كثيرة ، وقد ظهر اول مجلد من مجموعته (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) Sources Inédites de l'Histoire du Maroc سنة 1905 م ، وعندما اسست سلطات الحماية الفرنسية بالمغرب مركز الابحاث التاريخية سنة 1919 م كان هو قد وصل الى مجلده الثامن ، وما مات حتى بلغت المجموعة 29 مجلدا ضخما .

ولما بدأ النفوذ الفرنسي ينتشر في المغرب كان هو من الذين اسرعوا اليه ليتابع بحوثه في عين المكان ثم لم ينقطع اتصاله بالمغرب بعد ذلك الى ان مات عن 76 سنة في 15 مايه سنة 1927 م بفرنسة .

وقبل موته بخمسة اشهر كان يتجول حول قصبة ابن حميدوش المتخربة على وادي تانسيفت بقرب الصويرة القديمة هناك ، وهي من المعاقل الحصينة ولعلها من تأسيس البرتغال ، وابن حميدوش هذا الذي تنسب اليه انما هو من متأخري اولاد ابن حميدوش الذين كانوا عمالا على الشياظمة للسعديين والعلويين .

وقد كان متصفا مع كل ذلك بأخلاق العالم الباحث العامل بالحكمة المشهورة « من عرف ما قصد ، هان عليه ما وجد » فقد كان يتصل بالمؤرخين المغاربة ويتبادل معهم المعلومات ويستقي منهم الاتجاهات ، فقد اخبرني العلامة الاستاذ عبد الله ابن العباس الجراري الرباطي ان العلامة المؤرخ سيدي محمد بن علي الدكالي السلوي اخبره بان الكونط دوكاستري كان يزوره ويتصل به ويتباحث معه وانه زار مكتبة تامكروت الناصرية كما اخبرني الأستاذ سيدي عبد الله الركراكي قيم المكتبة العامة بالرباط ان دوكاستري ساهم في تأسيسها وانه هو الذي اقترح تجهيز أرجل كراسيها بالمطاط حتى لا تشوش على المطالعين بما تحدثه من ضجة اذا جرت على الأرض .

اذا اعجبتك خصال امـــرىء فكنه تكن مثل مـا يعجبـــك
فليس على الفضـل والمكرمـا ت ان جئتها حاجب يحجبـــك

من كل ما سقناه ندرك مقدار ما كان لبودميعة من عظمة انفرد بها اذ ذاك بين ملوك الطوائف في المغرب، وقد رأى القارىء اهتمامه بالعمارة والتجارة والامن العام ، وكفى بهذه الخلال منقبة خالدة ترفعه الى مصاف الرجال العظام ، وقد تكفل هذا القسم بأن يمدنا في ترجمة حياته الواسعة التي تعالج جلوتها في هذا الكتاب بمواد ضافية الشواهد في نواح شتى من حياته، زيادة عن اتساع التجارة الايليغية في عهده ، ولها وحدها سقنا هذا الفصل ، ولكن اتيح لنا من ورائها كل ما وصفه به أولئك التجار والقناصل في مذكراتهم ويومياتهم وتقاريرهم الرسمية .



# ايليغ الحديثة

# ايليغ الحديثة (465)

أسدل الستار على ايليغ القديمة فى أول ربيع الاول سنة 1081 هـ .
وقد قوضها المولى الرشيد فانهزم من بين يديه أميرها الأخير محمد بن على ، وقد ذكرنا أن بعضهم يزعم أنه فر الى الصحراء ، ويظهر أن الاحوال اذ ذاك تؤيد ما زعمه هذا البعض، وذلك ان الدولة العلوية قد مهدت جبال جزولة، ولا نظن انها تبقى عليه لو توصلت اليه أو وجدت اليه سبيلا ، وفى الصحراء الواسعة مندوحة لامثاله حيث يستحيل أمره الى حياة أخرى يرى بها الحياة ويربى فيها أولاده ويستودع فى أنفسهم ما كان اباؤه استودعوه اياه ، ثم يلفظ نفسه هناك، فيقف أولاده يراقبون مجارى الاحوال من بعيد ينتظرون فرصة يتأتى لهم بها أن يدبوا الى مسقط رأس والدهم ليعيدوا مجد ايليغ الذى قضت عليه يد الفاتح العلوى .

هكذا نجد فى الذى يتداوله بعض الناس فى منتهى حياة الامير محمد ابن على بصيصا قليلا يمكن لنا به أن نلفى ما عسى أن نتخذه كسبب لنجاته و نجاة

465) كانت نية المؤلف رحمة الله عليه أن يجعل هذا الكتاب جزءين كل واحد منهما مستقل عن الأخر ، ولكن الاجل ادركه بعد ما هيأ الاول منهما قبيل وفاته ، اما الثانى فلم يخرجه من مسودته التى كتبه فيها من اول مرة منذ الساعة العاشرة من اليوم الرابع من ربيع الثانى عام 1358 هـ فى منفاه الاول بسوس .

وقد وجدنا له التصريح بنيته هذه فى التعليق الثانى من الصفحة 278 من الجزء الثالث من المعسول اذ قال : « فانظر الجزء الثانى من كتاب « ايليغ قديما وحديثا » .

كما قال فى التعليق رقم 1 من الصفحة 333 من نفس الجزء « وقد كتبنا تاريخ دويلة ايليغ فى جزءين وسطين يسر الله تخريجه » الخ ما فى التعليق ، والله يعلم كيف كان سيخرج هذا الكتاب لو ان مؤلفه رحمه الله هو الذى اشرف على طبعه بعلمه الجم وحزمه القوى وجده المتين تغمده الله برحمته.

أولاده من بعده من بطش الدولة العلوية الفخمة فى أيـام المـولى اسمعيـل السلطان العظيم الذى لا يؤوده مصاع (466) .

لكن كيف تكون الصحـراء المغربية منجاة للفار مـن بين يـدى المولى اسماعيل بعد أن رأيناه يجوس خلالهـا سنـة 1089 هـ . ويضيفها الى ايالته ، ويصاهر كبار رجالاتها (467) الا يدل ذلك على ان ذلك الزعم باطل ؟ .

لقائل أن يقول ــ ان كان تحمس للدفاع عن ذلك الزعم ــ أن الصحراء أوسع مما يظنه ظان ، فان ضاقت بنال الامير محمد بن على الصحراء الشمالية فان هنـاك فى الصحراء الجنوبيـة قفـارا فساحا فيحـا تضـل فيها القطـا وتكون أحصن حصن لمثله .

كيفما كان الحال فان التاريخ يسكت عن الامير وءاله وينسى قضيتهم ، فقد تفجرت ينابيع تاريخية أخـرى متدفقة فى المغرب من أجـل حياة اسمعيل المتموجة بالاعمال الرائعة ، والأبهة الهائلة ، تشغل حوادثها ورونقها وبهاؤهـا عقول المؤرخين عن التفتيش عن مطرود سلب كل شىء ، وربما لا يملك حتى شملة خلقا ولقمة يفثأ بها السغب اللاذع (468) ، فلذلك لا نعجب ان رأينـاه وأهله منسيين من سنة 1081 هـ . الى ما بعد 1150 هـ .

## محمد بن موسى فى الافق

وقعنا لمؤرخ يحيا أواسط الثانى عشر فى ترجمة امـرأة صالحة مـن أهله على ما ياتى : « وكان المرحوم بالله سيدى محمد بن موسى من ذرية سيدى

466) لا يفزعه اى معترك .

467) علق المؤلف على هذا بقوله : « صاهر بكارا على بنته سنة 1089 هـ ، وكان بكار من رجالات الصحراء » راجع الحاشيتين رقم 8 ورقم 271 .

468) يسكن بها الجوع اللاذع .

احمد بن موسى من أهل ايليغ يبعث اليها البغال فتعمرها له بالشعيـر في سنة الغلاء حين ينوى الامارة في سنة 1152 هـ وكذا أولاده بعده (469) .

من هنا نعرف مبدأ محاولة أحفاد بودميعة لاسترداد ما ضاع منهم ، وتعيين اسم المحاول لذلك، ولا ريب أن في فترة ما بين 1143هـ وبين 1169هـ(470) متسعا لتلك الجولات ، بعد ما أضاع العبيد البخاريون مجد مكناس بسرعة قبل أن يمضي على موت المولى اسماعيل العظيم قليل من السنين ، فقد رجعت الفوضى ثانيا الى القبائل واستردت تسلحها ، وبدت مظاهر كنا نعتادها من المغرب في الفترة التي ملأت ما بين عامي 1012 و 1081 هـ (471) وهي الفترة التي استغلتها الأطراف فقامت فيها دويلة ايليغ ومثيلاتها ، فلا نعجب اذا رأينا التاريخ يعيد

---

469) علق المؤلف هنا بقوله : « بشارة الزائرين عند ذكره للكراميين » ، راجع الحاشية رقـم 128 .

470) خصص المؤلف بالذكر ما بين 1143 و 1169 هـ لامكان تهيىء ثورة اخرى فيه من ءال ابى حسون بودميعة ، وهي مدة ست وعشرين سنة ، وفيها متسع للقيام بمثل ذلك ، وتلك مدة المولى عبد الله بن اسمعيل الذى تولى وخلع خمس مرات بين سنة 1141 هـ التى بويع فيها بعد اخويه المولى احمد والمولى عبد الملك ، وكانت وفاة والدهم عام 1139 هـ ، وبين عام 1171 هـ التى مات فيها هو ،وكان يزاحمه في ذلك اخوته المولى علي والمولى محمد بن عربية والمولى زين العابدين والمولى المستضيء ، يتلاعب بهم جميعا العبيد البخاريون وكبار رؤساء المدن والقبائل ، وذلك ما يعنيه المؤلف في صدر هذا الكتاب باشارته الى تناحر اولاد المولى اسمعيل على الملك بعد موت والدهم ، كما تناحر عليه اولاد المنصور السعدى .

اما الاطرف النائية كالتخوم الصحراوية السوسية التى فيها يستقر ءال بودميعة فقد كانت بمأمن من صرامة النفوذ السلطاني اذ ذاك لاشتغاله بتمهيد النواحي القريبة منه ، وقد كان المولى عبد الله زار القطر السوسى سنة 1143 هـ التى ذكرها المؤلف «فمهده ورجع » كما قال العلامة الكنسوسى في (الجيش العرمرم) ، « وسار الى تارودانت مع ما كان معه من الخيل والرماة فدخلها واستوطنها مدة وبايعوه بها » كما يقول الضعيف الرباطي ، وقال صاحب الاستقصاء في حوادث عام 1143 هـ « ثم قفل السلطان من تادلاء فاقام بمكناسة مدة يسيرة وخرج غازيا بلاد السوس فقدمها ومهدهـا وعاد مؤيدا منصورا » .

اما سنة 1169 هـ فهي التى زار فيها سيدى محمد بن عبد الله القطر السوسي وجاس خلاله ومهده ، ذهب اليه من مراكش التى ظل خليفة فيها لوالده المذكور من عام 1158 هـ الى ان خلفه على العرش سنة1171 هـ وكان من اعماله العظيمة بسوس ان القى القبض على الطالب صالح السوسى المجاطي الثائر في أكادير ، راجع التعليق 479 .

وقد اضطرنا الى ايراد ذلك ابتغاء توضيح ما اجمله المؤلف رحمه الله في ذينك الرقمين وكفاية القارىء الكريم مشقة البحث عنهما .

471) يعنى بعـام 1012 هـ تاريـخ وفـاة الملك العظيم احمد المنصور السعـدى ، وبعام 1081 هـ السنة التى هدم فيها المولى الرشيد العلوى « ايليغ » .

نفسه من جديد ، فقد التهبت الحواضر بتنازع أولاد المولى اسمعيل تنازعا غريبا بما يتخلله من ألاعيب الجند البخارى الفاسد التأثير فيهم ، وربما كانت الحالة أسوأ من عهد أولاد الذهبى » (472) .

لم نسمع قط باسم محمد بن موسى الذى ذكر عنه المؤرخ المشار اليه أنه كان يحاول استرداد ايليغ ، ولا ندرى أهو من أحفاد بودميعة نفسه أم من أعياص أهله الكثيرين ، وقد ذكر ذلك المؤرخ انه حاول ذلك كما حاوله أولاده ، كما أننا لا نعرف عن أولاده شيئا أيضا .

### احمد بن محمد بن على بودميعة

هذا أول من ثبتت قدمه فى ايليغ الحديثة ، وهو جد الأسرة التى أنشأت الرئاسة الجديدة، هذا ما يقوله المعتنون بأخبارهم، فينسبون اليه مراجعة ايليغ واثبات قدمه فى سكناها ، جاهلين ما ذكرناه عن محمد بن موسى وأولاده المذكورين ، ولم نسمع ذكره منهم البتة ، ولا ندرى عن أحمد هذا شيئا ، الا انه أول من افتتح حياة جديدة هناك ، ولم نعلم متقلبه ، ولا كيف حاول ذلك ، ولا مقدار رياسته ، ولا متى مات ، غير اننا يمكن لنا أن نقول — ان صح ان والده اصحر (473) بعد خراب ايليغ القديمة — انه ولد بالصحراء ثم دب الى سوس عند ضعف الدولة بعد موت المولى اسمعيل ، وقد يكون محمد بن موسى الذى صرح به المؤرخ المذكور المعاصر له ، سقط دون محاولته ، كما قد يكون سقط دونها أولاده أيضا ، فيبرز أحمد بن محمد الى الميدان فيتأتى له ان يرتكز فى ايليغ الحديثة ، ثم ان قول ذلك المؤرخ انه يقصد الامارة صريح واضح فى أنه يقصد ان يبايع له كما بويع لأسلافه ، وربما كانت محاولته لذلك سبب فشله ، لأن الناس ما كانوا لينسوا بعد عظمة المولى اسمعيل مع ما كانوا قاسوا

---

472) راجع الحواشى 430 ، و 440 ، و 471 .

473) توجه الى الصحراء .

من جراء ايليغ القديمة أمام زحف الرشيد ، وقد ارتكز في أذهان الجيل الذى نشأ ما بين سنتي 1081 و 1143 هـ (474) ان العرش المغربى قد استقر بيد الأشراف العلويين الذين ظهروا بمظاهر دينية وشعبيـة استحوذوا بها عـلى الأفئـدة ، واستحقوا بها ان لاينازعهم في الامارة العامة منازع ، ولكون الامارة ورجالـهـا مقدسين في نظر السوسيين دائما ، يصعب ان يقبلوا الثورة عليهم من أى أحد مهماكان مبلغهم من الضعف عظيما، وذلك هودينهم(475)وان كان الجبليون منهم يمتنعون عن السلطة التى تاخذ بالعنف ، فكم مـرة كانوا يناضلـون جيـوش سلطان من السلاطين في حين انهم ينادون باسمه ويعترفون به بالدعاء له عقب صلواتهم وفي خطب جمعهم ، وما ذلك الا لقداسـة كـل مـن استحـوذ عـلى العرش في أنظارهم ، لهذا يتراءى لنا ان ما كان يحاوله محمد بن موسى هو سبب فشله وفشل اولاده ، ولذلك لايذكرون بأى ذكر ، مما يدل على ان محاولتهم لم تمش شبرا نحو مداها (476) .

474) راجع الحاشية (471)

475) قد تعرض المؤلف بالقصد عدة مرات لاثبات هذه الحقيقة في كتبه وكررها عدة مرات في هذا الكتاب . راجع التعليق 64

476) علق المؤلف هنا بقوله : « قد يقول قائل ان اتباع السوسيين الجنوبيين من ايت بعمران والاخصاص ومن اليهم للثائر محمد المكاوى سنة 1168 هـ يضعف هذا التعليل ، ولكننا نقول ان الجزوليين لم يذكروا في هذه الثورة الا تبعا ، وانما قولنا فيهم الآن ، وهم الذين في وسطهم ايليغ ، وأما الثائر بوحلايس (1207 هـ) فان الجزوليين هم الذين قتلوه » .

ومحمد المكاوى هذا (والقياس العربى المكى) ورد على القطر السوسي وادعى المهدوية ، وكان ذا علم اغتر به كثير من العلماء حتى الامام الحضيكى لكنه فر عنه لما اكتشف رغبته في الملك، يبحث عن الكنوز الدفينة ليتقوى بها على أمره ، وافتتن الناس به كثيرا، تبعته قبائل الاخصاص وايت باعمران ومجاط ووادنون وتازروالت ، فانحدر الى تيزنيت ومنها اتجه الى تارودانت ولكن عامل السلطان بها المولى سرور لاقاه في هشتوكة فاصابت الثائر رصاصة في رأسه حمله أتباعه بعدها فمات في ايدغ باولاد جرار حول تيزنيت يوم السبت خامس محرم 1169هـ راجع أوائل الجزء 14 من المعسول .

واما بوحلايس وهو الاكاف ، — يقول اهل ناحية تيزنيت احلايس ، ويقول أهل ناحية تارودانت احلاس ، واصله الحلس العربية لملازمته ظهور الدواب — فهو مجهول ظهر سنة 1207 هـ في قرية تاسريرت بايت باعمران ، يدعي حينا انه المهدى المنتظر ، وحينا انه المولى اليزيد بن سيدى محمد بن عبد الله ، كان يركب برذونا ملأ اكافه (بردعته) بقراطيس فيها رموز سحرية ، تبعه

واما احمد بن محمد جد ءال ايليغ الحاليين ، وكذلك من بعده من اولاده، فلم يظهر احد منهم فى الملا العام بهذا المظهر الخاص ولا نودى به كأمير يحاول ان يرد ايليغ الحديثة كايليغ القديمة تستحوذ على البيعة الشرعية من الأمــة ، وسيرى القارءى فيما بعد ما يحقق له ما قلنا تحقيقا بينا ، وكل ما يؤملونه ان يكون لهم مركز يتوصلون به الى أغراضهم الشخصية لا غير ، وقد قنعوا برئاسة اخوانهم ءال الشيخ وقنعوا ان يوصف أحدهم بـ (أمغار)(477)غيرحالم بأن يوصف بسلطان ، أوغير معلن لذلك على الأقل ، ومن هنا ندرك السبب الذى تمكن بــه احمد بن محمد ابن بودميعة من استرجاع السكنى فى ايليغ ، ثم أورث رئاسة القبلية أولاده .

ان القاء نظرة عجلى على ما نشأ بعد الفترة التى ذكر فيها عن محمد بن موسى ما ذكر من محاولته الخروج الى الميدان كأمير جديد يستعيد مــا كــان لأسلافه ، كاف فى ان ما فشل فيه ابن موسى — على ما أوضحناه مما عسى ان يكون سبب فشله — لا يتأتى لأحمد بن محمد ان جاء بعده أوعاصره ان يمد اليه عنقه أو يستميل فكرته، فان الجنوب — مراكش فما وراءها — قد ظهر بمظهر ءاخر جديد استردت فيه الحكومة قوتها منذ تولى ولى العهد المولى محمد بن عبد الله باذن الأمير والده المولى عبد الله بن اسماعيل على ادارة تلك الجهة ، وذلك فى

---

كثير من العامة مغترين به ، وتسلط على العلماء وحملة القرءان فقتل منهم كثيرا لخوفه ان يفضحوه ، كما تسلط على اليهود متظاهرا بكراهتهم وغرضه ابتزاز اموالهم ، وكان يخلط قتلى الفريقين فى الدفن ، فقيض الله بعض علماء سوس انتصبوا لتاليب الناس عليه بالنشرات الكتابية والخطب الوعظية فى الاسواق والمتجمعات هما العلامة على بن ابراهيم الادوزى المتوفى فى رجب 1207 هـ ثم الوعظية محمد بن احمد التاساكاتى فاجتمعت لهذا الاخير نحو 12 الفا وجههم لملاقاة جموع هذا الساحر بوحلايس حول تيزنيت فقتل فى رجب 1207 هـ ، ووجد دميما قبيح الخلقة قصيرا كثير الشعر ، راجع خامس المعسول .

477) معنى امغار فى اصل اللغة الشلحية هو الكبير ، او ما كان يطلق عليه العرب سيد بنى فلان ، وخصصها الاستعمال الآن بمثل ما تستعمل فيه كلمة الشيخ اى الرتبة التى تاتى اسفل من رتبة القائد .

سنوات 1160 هـ(478). وسرعان ما صفا له كل الحوز الى أسفي الى حاحة، وفي 1169هـ أعمل ركابه بقوة هائلة فجال في سوس ، وأوقع بالطالب صالح (479) المستبد بمرفا اكادير خوفا ان ينتشر أمره فيكون كالثائر المكاوي الذى ثار ءاخر عـام

---

478) السنة التي تولى فيها سيدى محمد بن عبد الله الخلافة عن والده بمراكش هي سنة 1158 كما صرح به الضعيف الرباطي في تاريخه والمولى عبد الرحمان بن زيدان في (اتحافه) وكان والده السلطان نازلا اذ ذاك على قصبة ابن زغرون ببلاد مسفيوة يطارد اخاه المولى المستضيء ، وهناك اصابت سيدى محمد رصاصة مسفيوية ، فقال لهم المستضيء انما ذلك « يشير » — يعني صبي — فهلا اصبتم اباه . وهناك وفد عليه اهل مراكش يطلبون منه ان يخلف عليهم ولده هذا وعمره اذ ذاك خمس وعشرون سنة فقال لهم : « هو سيدى وسيدكم وهو الخليفة عليكم » فقدم معهم مراكش ، وصدق فيه ظن والده اذ أراحه الله به وأراح المغرب من الفتن ، تقدمت الاشارة الى ترجمته الحافلة في التعليق 271 من صفحة 100 .

اما المؤلف رحمه الله فله واسع العذر اذا لم يعين السنة لانه كان اذ ذاك في منفاه الاول السحيق بسوس حيث تعوزه المراجع التي تركها بمراكش ، كما يند منه الفينة بعد الفينة اثناء هذا الكتاب وغيره ، فادى رحمه الله الامانة العلمية بذلك الاجمال في قوله « سنوات 1160 هـ » وتفصى من المسؤولية .

479) قد غمض على اولا امر الطالب صالح هذا فلم اجد عند مدقق المؤرخين لهذا العصر وهو الضعيف الرباطي اكثر من كونه مجاطيا وانه استبد بمستفاد مرسى اكادير وانه وضع طابعه على الاسلحة الجيدة هناك كالخناجر والبندقيات والسيوف ، وان السلطان المولى محمد بن عبد الله كاتبه من مراكش ايام خلافته بها ليدخل مع الجماعة فاغلظ له في الجواب فاستعمل معه الحيلة بالمكاتبة والمهاداة والاستشارة في الشؤون السوسية فاغتر بذلك وكتب اليه الخليفة المذكور بعزمه على تأديب احدى القبائل المجاورة لاكادير فلما وصلها وجه عشرة فرسان للقبض عليه فوجدوه على بغلته في احد الاسواق يطوف على الناس فانقضوا عليه ، فلما كان في السجن طلب ان يدس اليه اولاده موسى في خبزة فانتحر بها ، وذلك سنة 1169 هـ .

وشبه ذلك هو الذى عند صاحب « الجيش العرمرم » وعند المولى عبد الرحمان بن زيدان في « الاتحاف » وبعضه عند صاحب الاستقصاء . اما اسمه ونسبه فلم يعرج عليه اى واحد منهم ، بل يكتفون بتسميته بالطالب صالح المجاطي ، وما ذاك الا لأنهم بعيدون عن سوس وانما يبلغهم طنين اخباره فيكتبونها كما سمعوها ولا يدققونها كما يدققون اخبار بلادهم .

وبعد طول البحث ظفرنا عند المؤلف الاستاذ المختار السوسي رحمه الله في صفحة 85 من رابع كتابه « خلال جزولة » ما نصه :

« والطالب صالح اعتقله السلطان المذكور عام 1169 هـ ، ثم انتحر في السجن بمدية دست له في خبزة ، وللشلحيين فن قصته واعتقاله وفي انتحاره قصيدة طويلة سمعتها تنشد ، ووجدت في تاريخ السويرة لصاحبنا سيدى محمد المراكشي ما نصه :

« الطالب صالح بن محمد بن يحيى السوسي ثم الحاحي شقيق القائد عبد الملك الفقيه باشا السويرة وكان ابوهما الشيخ محمد نشأ بقبيلة اولوز صاعقة من الصواعق يقتل ويغير وينهب فاهدر دمه في عنفوان شبابه ، ففر الى حاحة واستوطن في بني زلفن وتأهل وبعد مدة سمي شيخا ثم في ايام السلطان المولى اسمعيل ولاه عمالة حاحة وبعض القبائل السوسية فكان له من الاولاد نحو

1168هـ . من بعمرانة ثم فتك به المولى (480) سرور فى محرم من سنة 1169 هـ .
ثم انتظمت الأمور من ذلك العهد الى ان انقضى القرن الثانى عشر ، ففى هذا العهد رجعت سكنى ايليغ . فكيف يمكن ان يتم لمحمد بن موسى ما يحاوله ، فان كان بدا له منه بصيص من الأمل ما بين 1152 هـ . وبين 1160 هـ . فلا يلبث ان يذهب أمره هباء منثورا تذروه الرياح ، وكيف يمكن ان يحاول احمد بن محمد ذلك بعد ما يعاين من ابن موسى والثائر المكاوى عدم تمام أمرهما ، ولهذا يتأتى لنا أن نقول ان احمد لم يكن ليتطلب شيئا اذ ذاك ، وغاية ما يجعله بين عينيه ان يحاول السكنى في دار أهله والاستقرار حتى يمكن له ان يأمن على حياته التى لا تكون ءامنة ولا هادئة في الغربة التى يتقلقل فيها ، ثم بعد ان يسكن يستميل اليه اخوانه ابناء الشيخ ليتمكن من قيادهم ، ولا تعلو يده منهم يد ، ولا بد وان ذلك بتدرج تقتضيه طبيعة الحال .

ولا باس ان نورد هنا حكاية متداولة على الألسنة ، فربما نجد بعض شيء يتصور به هذا الموضوع ، فقد يكون فى القصص حقائق لا يستهان بها ، أو هى على الأقل مقنعة ان لم يوجد غيرها « فان لم تجدوا ماء فتيمموا » .

---

اربعين ، استخلف منهم فى حياته ولده القائد عبد الملك فيما كان عليه ، وبعد وفاة السلطان استولى الطالب صالح على المدخولات المخزنية وكان شديد الشوكة مهيبا ذائع الصيت ثم دعا شقيقه عبد الملك لشق العصا فامتنع فجمع الطالب صالح جموعه وحاصر شقيقه فى اكادير الى ان فر منه القائد عبد الملك والتجأ الى الاعتاب الشريفة واستولى الطالب صالح على اكادير الى ان قتل فيه شر قتلة ، فجمع السلطان سيدى محمد بن عبد الله لاخيه عبد الملك عمالة سوس وحظى عنده وعند الملوك بعده حظوة جليلة » .

اما الفرسان الذين استعان بهم السلطان سيدى محمد بن عبد الله فهم من ادا وتانان هناك ، وليراجع القارىء عن بعض اخبار ءال بيهى بن مولود هؤلاء تعليقا ءاتيا من هذا الكتاب ، وباب « دخول السويرة واعمالها فى طاعة المولى سليمان » من رابع الاستقصاء .

وعد المؤلف فى اواخر عاشر « المعسول » ءال بيهى بن مولود هؤلاء من الشرفاء الادارسة .

ويوجد مثل ما ذكره المؤلف رحمه الله عن الطالب صالح فى كتاب « ايقاظ السريرة الى تاريخ السويرة » للفقيه سيدى محمد بن سعيد الصديقى العدل بالدار البيضاء ، وربما كان هو الذى يعنيه المؤلف بسيدى محمد المراكشى .

480) تقدم ذلك فى التعليق 476 .

يقولون انه كانت حروب متواصلة اذ ذاك بين بعقيلة ومجاط ، ثم اتفق ان اندحرت (481) مجاط وسقطت أمام بعقيلة، فوظفت عليها هذه وظيفة سنوية يؤديها المجاطيون وهم صاغرون . وكان أمغار (482) علي بن باها — الذي تضاف اليه قرية أد علي أباها من ايت علي بمجاط — من رؤساء القبيلة ، فأصعد الى تامانارت ليمتار لأهله تمرا ، فصادف هناك في ملعب للشباب تنديدا بمجاط واحتقارا لهم حين رضوا بالدنية ، فثار ثائره فخرج من غير ان يمتار شيئا وقد عول على المقاومة ، فمر بأحمد (483) بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد ، رئيس الزاوية الايليغية ، فحكى له ما جرى وطلب منه الدعاء أن يوفق ، فدله هذا على أن لايقدم على شيء حتى يستشير رئيس ايليغ ، وكانت ايليغ كندوة عامة للقبائل التى تجاورها ، خصوصا جزولة ، فأتبعه أمغار علي بن باها فمثل في ايليغ فحكى أمره لرئيسها وأسر اليه ما عول عليه ، فقال له الرئيس انى مشير عليك بعد ما استنصحتني بالحيلة ، فرب حيلة ، أنفع من قبيلة ، فالتريث في أمثال هذه الأمور أولى من المسارعة الى المغامرة التى يشك في عقباها . ثم قال له : انني أرى ان تفاوض من تثق بهم من أهلك ، فاذا جاء البعقيليون لأخذ المغرم المعتاد ، فاطلبوا منهم ان يؤجلوكم هذه السنة ، وتطلبوا لذلك عذرا ، على انكم في السنة القابلة تؤدون مغرم السنتين، فكان ذلك عين ما فعله أمغار علي بن باها ، فقال البعقيليون سنرى رأينا ثم نرد عليكم ما نبرمه ، فمالوا الى ايليغ ، لأنهم لا يبتون أمرا الا فيه ،فألقوا الى الرئيس ما قال المجاطيون، فقال لهم لا بأس، فقبول العذر خير من مصادمة لا تعرفون أتكون

481) علق المؤلف على هذا المحل بقوله : « في هذا الوقت ، كما يظهر من اقوالهم ، نهب البعقيليون اكادير من تنزرار ، ولا يزال طنينه يرن الى الآن » .

482) علق عليه المؤلف يقول : « الجد لاعلى لأمغار محمد وابنه القائد سعيد المجاطي » .

483) علق عليه المؤلف بقوله : « تولى الزاوية بعد والده علي بن احمد » ، توجد ترجمته مع تفصيل هذا المجمل هنا في صفحة 128 من الأول من المعسول »

لكم ام عليكم ، فرجع البعقيليون فقال قائلهم (ان هذا أمرتدبر بليل) (484) ، وقد احكم بمشاورة ايليغ ، قال الحاكى فكان ذلك سبب التفاقم ما بين بعقيلة وايليغ أبد الآبدين ، ثم ان مجاط تنمرت لبعقيلة وتظاهرت بأن تأخير الاتأوة معناه انقطاع الذل ، والتحاكم الى شفار السيوف ، ثم حاول رجل (485) من انكيضا أن يفتك بمجاط صبيحة يوم ، وقد قاد اليهم بعقيلة كلها ، غير أن الكفة مالت فسقط من بعقيلة 280 قتيلا ، الى ءاخر الحكاية ، ولا يزال فيها طول (486) .

هذا وأرى أن الاسراع الى عمارة ايليغ يكون على يد شيعة تاكوزولت ضد تاحوكات ، وقد كان البعقيليون من حزب تاكوزولت اذ ذاك ، ثم لم يلتحقوا بحزب تاحوكات الا بعد المفاقمة مع ايليغ التى تبدأ بعد هذه الواقعة التى ذكرناها .

اننا نعلم ان احمد بن على الالغى لا يزال حيا سنة 1152 هـ . (487) فلئن صحت تلك الحكاية فانها لتدل على انها وقعت فى عهد احمد بن محمد بن بودميعة ، لأنه هو الذى يمكن ان يعاصر احمد بن على المذكور ، فتدل الحكاية على أن له مركزا ساميا فى القبائل المجاورة لايليغ ، وهذا مقصودنا مما رويناه .

---

484) « هذا امر تدبر بليل » قاله أبو جهل فى دار الندوة حين صبحته مفاجأة اتفاق طائفة من قريش على قطع صحيفتهم التى سجلوا فيها مقاطعة بنى هاشم حتى يكفوا عن حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصار مثلا يضرب لكل امر احكم ابرامه سلفا .

485) علق المؤلف على ما هنا يقول : « يذكرونه بلقب بـرم » بتسكين الاحرف الثلاثة مع تشديد الراء ، ولكنه فى صفحة 129 من الاول من المعسول « بزم » بالزاى وهو خطأ مطبعى لأن هذا الذى ننقل منه نحن هو خط المؤلف وهو فيه بالراء ومشكول كذلك .

486) علق المؤلف هنا يقول : « زعم الرواة ان الحكاية بتفاصيلها مكتوبة عند بعض الناس » ، راجع ذلك ابتداء من صفحة 128 من الجزء الاول من المعسول .

487) علق المؤلف هنا بقوله : « بدليل ظهير من المولى عبد الله يتعلق بتحرير ءال عبد الله ابن سعيد ، وقد أرخ بهذه السنة وفيه ذكر احمد هذا ، وهذه نسبة الى الغ الذى هو بلد المؤلف لا الى ايليغ الذى هو عاصمة بودميعة ، ومن أهل هذه الزاوية ينحدر مؤلف هذا الكتاب رحمه الله

## يحيا بن احمد

هو الذى ولى والده فى الرئاسة ، وقد قيل انه أول من وطد مركز ايليغ الحديثة ، وفى بعض الأقوال انه أول من راجع سكنى ايليغ ، فيضطرب القول فى ذلك على ما يتبادر الى ذهن القارىء ، ولكن الصحيح أن اول من راجع ايليغ منهم هو احمد لأننى وجدته بخط محمد بن أحمد التمنارى فى كناشة له (488)، وهو من المعتنين المطلعين على أحوال ايليغ الحديثة ، فلا يمكن ان يقدم قول غيره ، وان كان ذلك الغير بعض الايليغيين انفسهم الذين قد يتردد كلامهم فى ذلك .

ثم ان حياة يحيا ومحاولاته وأخباره لم نتوصل منها بشيء ، غير أن بعض الأسمار تحدث بأن وقته الذى قضاه بعد والده قصير .

## على بن يحيا

ما حاله عندنا الا كحال أبيه وجده ، ولم نعرف عنه الآن ما يمكن ان نقوله ، فقد غاب له عندنا كل شيء وصارت حياته صفرا لا نقدر ان نجد منها ما نقول ، الا اننى أظنه توفى قبل عام 1210 هـ .

## هاشم بن على

ولد قبل 1180 هـ . فيما يستنتج من الأخبار التى تقول ان له اكثر من ستين سنة يوم قتل سنة 1240 هـ ، وهو أول من توصلنا عنه فى ايليغ الحديثة بما يستحق الذكر ، ويمكن ان يتلقى كتاريخ مسلم .

لم ندر متى مات والده على، فندرك مبدأ حياته العظيمة ، غير انه حوالى 1220 هـ نال منالا عظيما ، وقد كانت ايليغ فى حياته مركز النحلة الجزولية تاكوزولت ، فكان قطب سياستها ومناوأتها للنحلة الحربية تاحوكات ،

488) راجع التعليق (199) .

وينبغي لنا ان نقف هنا حتى نلقى نظرة على هاتين النحلتين اللتين افترق بينهما القطر السوسي على اتساعه من وادي نون الى درعة .

## تاكوزولت وتاحوكات

كانت جزولة أحد أفخاذ البربر القديمة ، وقد عرفت بهذا الاسم من قديم جدا ، وكانت كل هذه الجبال التى نسميها اداولتيت اليوم مواطنها الى ايت بعمران التى تسمى مواطنهم قديما ببلاد لمطة ، وهى من الجزوليين ، وقد ذكرت هذه البلاد فى التاريخ ببلاد جزولة ، أعنى جبال ولتيتة ، وذلك فى أواسط القرن الخامس 445 هـ حين دخل اللمتونيون الى سوس ، فكل من كان فى هذا الفخذ الجزولى فهو جزولى .

أما حربيل فقد ورد ما يدل على انهم جاءوا من المشرق قبل الاسلام ، ولكن يظهر ان ذلك ليس بشيء ، لأن لسانهم الذى تمالأت عليه قبائلهم يحكم بأنهم أفخاد من البربر ، ولا يمكن فى الوقت الحاضر تحقيق الموضوع تحقيقا علميا ، فقد رأيت من نقل عن المسعودى فى مروج الذهب أن حربيل من قبيلة جالوت الفلسطينية ، كما لابد ان يكون عند ابن خلدون ما يلقى ضوءا على الموضوع ، ولكونى فى هذا الوقت لا يمكن لى ان اتصل بهذين الكتابين ، فلنترك تحقيق أمرهم لمن يتفرغ له ممن تكون له حرية العمل (489) ، وانما الذى يهمنا

---

489) وجدنا المسعودى فى « مروج الذهب » يحيل كثيرا فى اخبار البربر على كتاب ءاخر مطول كان هو أول ما ألفه فى هذا الباب ويسميه « أخبار الزمان » وهو مفقود فيما نعلم ، وبالخزانة العامة بالرباط جزء منه مخطوط تحت رقم D 1018 ليس فيه ما نريد وذكر انه اتبعه بكتاب ءاخر مختصر منه يسميه « الاوسط » . أما (مروج الذهب) الذى احال عليه المؤلف هنا فهو مختصر منهما ، وهو موجود ، ومع اختصاره ففوائده كثيرة وان كان بينها ما زيفه الاطلاع العصرى ، ومن فوائده على الجاحظ فى كتابه « الحيوان » ، فرغ من تأليفه سنة 336 هـ .

وكرر فيه ان البرابرة كانوا يسكنون الشام التى من جملتها فلسطين ، وان جالوت كان ملكا لهم ، وليس باسم قبيلة منهم ، وقد ذكر فى اواسط الكتاب فى الباب الذى عنوانه : « ذكر البوادى من العرب وغيرهم من الامم وعلة سكناها البدو وجمل من اخبار العرب وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى » ، ما نصه : « وقد ذكرنا أن أرض البربر كانت خاصة أرض فلسطين من بلاد الشام وان ملكهم جالوت، وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم ، الى ان قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم

هو ان ندرك الوقت الذى اصطدمت فيه هذه القبائل الحربيلية والجزولية ، فان تاحوكات كما يتراءى لى توهما ، كناية عن الحربيلية ، وقد اشتهرت هذه المشاقة من عهد بعيد ، فتمكنت بينهما العداوة المتأصلة التى انقسمت بينهما بسببها جهات سوس الى درعة شق الابلمة (490) ، وان كانوا فى كل جهة يطلقون على كل من القسمين اسما خاصا ءاخر ، ففي سوس الجنوبية يقولون تاكوزولت وتاحوكات ، وفى سوس الوسطى يقولون تاكوزولت وتاسكتيت ، وفى درعة يقولون محبوب وملول والمقصود واحد .

كانت جزولة كما ترى قديمة في هذه الجبال ، ففى أى وقت ياترى دخلت عليها هذه القبائل الأخرى ؟ سمعت بعض المطلعين يقولون ان حربيل دخلت سوس من الصحراء وهي من بقية قبائل لمتونة وكدالة ، وان ذلك كان بعد الطاعون الجارف سنة 749 هـ . فخلا كثير من جوانب سوس ، فقصدتها هذه

---

جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك ، وانهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلونيه فانتشروا هناك فنزل منهم زناتة ومغيلة وضريسة الجبال من تلك الديار وبطن الاودية ونزلوا ارض برقة ونزلت هوارة ارض اياس وهى بلاد طرابلس الغرب الى الثلاث المدن ، وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين اوطنوا ارضهم الى جزائر البحر الرومى — يعنى به الأبيض المتوسط — فيسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية وتفرقت البرابر ببلاد افريقية واقاصى ديار المغرب فى نحو من مسافة الفى ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة الى مدنهم وذلك على موادعة وصلح من البربر ، واختارت البربر سكنى الجبال والاودية والرمال والدهاس واطراف البرارى والقفار » ، ومثل ذلك هو الذى فى ابن خلدون .

وكان قد ذكر قبل ذلك بسطور نحو ثلاثين قبيلة من قبائل البربر كهوارة وكتامة ومصمودة ولمطة ونفزة ، اما حربيل هذه فلم يتعرض لها ، ان كان هذا هو الموضع الذى ينبغى تطلبها فيه .

وكيفما كان الحال فان هذا الموضوع ما يزال غامضا ، وقد فتح لنا المسعودى هنا عالما ءاخر يجب ان نجوس خلاله وهو كون العنصر البربرى هاجم العنصر الفرنجي وازاحه عن اراضى شمالى افريقية ، كما يجب اكتشاف متى كان ذلك ومتى تكونت هذه اللغات البربرية التى نرى اسماءها فى الاراضى والنبات والحيوان والاشياء الاخرى اقدم من التاريخ ، وفى ضاحية مراكش حربيل أخرى لا ندرى أهى الاصل أم الفرع .

ومع ثقتنا بالمؤلف وجدية الموضوع فما نرى قضية حربيل هذه الا من مناقضات تاحوكات وتاكوزلت ومشاقتهما أراد خصوم حربيل أن يحقروهم فجعلوهم من قبيلة جالوت ، والله أعلم .

490) الأبلمة بضم الهمزة واللام وفتحهما وكسرهما خوصة المقل بضم الميم اى ورقة الدوم ، يقولون المال أو الامر بيننا شق الأبلمة لأنها تشق طولا على السواء ، وكثيرا ما يستعمل العلامة صاحب الاستقصاء رحمه الله هذا التعبير ، وهو من العبارات المتناسية شيئا فشيئا .

فنزلت فيها ، فكانت محاككتها للقبائل المتوطنة فيها هي السبب في المناضلات الدائمة بينهما ، فالجزوليون يعتبرون الحربليين دخلاء فيحتقرونهم لذلك ، والآخرون يدافعون عن أنفسهم ليتمكنوا في المواطن الجديدة ، ثم بعد ذلك تمكنت النحلتان فالفت القبائل ان ينتظم بعضها في جانب ، وينتظم البعض الآخر في الجانب الآخر ، حتى أدى الحال الى ان كل قبيلة لا تحب أخرى بل تحالف من كانوا ضدها . وتنتظم في الجانب الذي يضاد ما هي فيه ، فهذا هو سر كون البعقيليين من تاحوكات مع ان بعقيلة من الجزوليين.كما ان مجاط التي ليست من الجزوليين وانما احتلت بلاد حربيلة قهرا وتمازجت مع كثيرين من الحربيليين قد اعتنقت نحلة تاكوزولت ، وهناك قبائل أخرى سارت مثل هذا السير .

هذا ما قاله ذلك المطلع ، ولا نقدر نحن ان نثبت ذلك على ما علل به أصل تكون النحلتين ، كما لا نقدر ان ننفيه ،و ان كان ما قاله غير بعيد ، وقد أدركناهاتين النحلتين لا تزالان قويتين ، ولم يخفت صوتهما الا منذ نحو اربعين سنة فقط ، فلا تكاد تمس قبيلة بحق او بغير حق ، حتى يثور كل من اعتنق نحلتها ليدافع عنها ، وكانت مراكز تاكوزلت في ايليغ وفي تامانارت وفي أكليميم، وعلى كواهل هذه النحلة ارتفعت رياسة ايليغ الحديثة وظهرشأنها.

## عرك مجاط

كانت مجاط دائما عيبة ايليغ وكرشها (491) وقوتها التي تحارب بها ، اتصفت مجاط بذلك من قديم ، ولعل لتلك المناصرة التي ذكرنا من قبل ضد البعقيليين يدا في ذلك ، كما اتصفت بعقيلة بضد هذا ، فلم تفتأ تناوىء ايليغ دائما ، الا متى هبت ريحهما معا ، وقد ذكر ان السبب في ذلك ما ذكرناه قبل

(491) العيبة بالفتح الوعاء تصان فيه الثياب والكرش معروفة ويتخذونها وعاء للطيب وصوانا له ، ويقولون فلان عيبة فلان وكرشه اى خاص به مخالط له مطلع على خفايا اموره .

من اخذ ايليغ بيد مجاط ، ولأمر ما لم نطلع على كنهه ، وقع الانشقاق بين ايليغ ومجاط ، فكان ذلك سببا فى اتصال ايليغ بأعداء مجاط الألداء من البعقيليين ، فزحفوا الى مجـاط جميعـا ، فاندحـر المجاطيون ، فعول البعقيليـون عـلى اجتياح اموالهم وهدم ديارهم ، وقد كانوا جعلوا ذلك شرطا لايليغ فى معاونتها ، فسرى بعض رؤساء مجاط ليلا الى الهاشمى وقد نزل هناك ، فقدم له طاعة مجاط، وقال له أتريد ان تقطع يديك بتشتيت مجاط الذين كانوا انصارك دائما ؟ فكل ما تريده يعطونه لك ، فقلب الهاشم ظهر المجن للبعقيليين ، فمنعهم من ادراك أملهم فى نهب مجاط ، وقال لهم ان مثل هذه القبيلة لا يفرط فيها ، وانما يوخذ منها ما يوخذ ثم يبقى عليها ، فوظـف عليهـا الأتـاوات الكثيرة كمـا يشـاء ، ولم يفلت منهم احد ، حتى ان المرابطين فى اكادير ايزرى نالهم منـه شـرر مستطير ، ثم لم تمض الا شهور حتى مات .

## هاشم يحـاصر تيزنيـت

من الوقائع المحفوظة عن حياة هاشم بن على انه كان حاصر تيزنيت وقد اخذ منه الحنق عليها كل ماخذ ، وهى لم يستدر بها اذ ذاك الا سياج قصير من الطوب كالذى يستدير بالبساتين عادة ، فحاول بكل ما فى امكانه ان يتغلب عليها ، وقد حلف ان لا يحلق رأسه حتى يبله بماء عينها ، ولكنه بعد ان بالـغ فى المطاولة والحصار ما بالغ لم يتمكن من نيل أربه ، وقد دافع التيزنيتيون دفاعا مجيدا ، وقد قام كل واحد فى الدفاع بما يناسبه اذ حتى رجال التصوف مـن اهلها قاموا بالقوة الأدبية ، كمحمد واعزيز (*) الذى قاوم بقوة روحية يبثها فى امثاله — فى حكاية يحكونها — وبعد ان أيس هاشم من نهب تيزنيت ، جـرت المخابرة فى الصلح فتطلب لتبرير قسمه ان يدخل حتى يحلق راسه ، فـابـوا عليه ذلك كل الأباء ، وقالوا له نخرج لك الماء فتبل راسك ، فلم يجد مندوحة لغير ذلك ، وقد وقفت على انه حـاصرهـا سنـة 1226 هـ . ، و سنة 1236 هـ وسنة 1240 هـ . ، ففى ايها يا ترى وقع هذا كله .

---

(*) راجعه فى صفحة 93 من الجزء 12 من المعسول ، فهناك الحكاية .

## فراره أمام محمد بن يحيا أغناج

تمكن القائد عبد المالك بن بيهي بن مولود (492) الحاحي فى تارودانت باذن من المولى سليمان ، ثم أرسل خليفته (493) محمد بن يحيا أغناج ، فاستدار من جهة تيزنيت فصمد الى ايليغ فى عين الطريق التى سلكها اليها المولى الرشيد، فنزل اليها من ايغير ملولن ، فأجفل أمامه هاشم خائفا يترقب ، وذلك سنة 1224 هـ . فنزل أغناج بجيشه فى ايليغ والابان ابان ادراك الزرع فأتى على كل ذلك علفا لخيله ، فحط هاشم رحله فى قرية اسكاور العليا ، فى دار رجل يسمى احمد بن صالح ن اد عيسى (494) ، وقد أرسل كل أثقاله الى الجبال من سملالة ،

---

492) علق المؤلف هنا بقوله : « ءال بيهي بن مولود اسرة شريفة النسب من احفاد سليمان دفين آبايبنو بايت باعمران — راجع التعليق رقم 51 — نزحت الى حاحة فتأتى لبيهى ابن مولود ان يتولى من قبل المولى محمد بن عبد الله ، ثم خلفه ولده عبد الملك فكان له شأن عظيم من قبل موت المولى محمد المذكور ، ثم امتدت ايامه هناك بقوة حافلة ، ثم خلفه ابنه الحاج عبد الله الى ان مات فى سجن الحكومة اواخر عام 1284 هـ ، ثم ولده محمد امدور — ومعناها فى الشلحية الأحمق — فتخربت دارهم فى ازاغار بحاحة بثورة الحاحيين مع المتوكيين عليهم ، ثم سكن محمد فى الحمراء حتى مات بعد 1314 هـ » .

ومقتضى ما نقلناه فى التعليق 479 ان مولاى اسمعيل هو الذى ولى بيهى بن مولود واما ايام سيدى محمد بن عبد الله فقد وجدت بيهى هذا قد مات وخلفه ولداه الطالب صالح وعبد الملك ، فثار الأول وقمعه المولى محمد بن عبد الله كما تقدم هناك .

ونضيف هنا ان القائد عبد الملك هذا كان من اساتذة القراءات ، ولا يترك قراءة الحزب الراتب مع الجماعة حيثما كان ، وقد ازيح عن عمالة الصويرة وبقى على عمالة سوس كله الى ان مات فى بوتازارت بحاحة عن سن تفوق المائة واقبر بقبة سيدى احمد بن حامد ثم ورد أمر السلطان بنقله الى مشهد سيدى مكدول بالصويرة فدفن فيه امام المحراب .

اما ولده الحاج عبد الله فقد ولد بالصويرة وحفظ القرءان فى صغره ببعض قراءاته ، وكان أسود البشرة حتى كان من ورد عليه يخاله عبدا للقايد لا القائد نفسه ، ورث عمل والده وجاهه ، وكان كثير البر والصدقات حج ثلاث مرات فى ثلاث سنين متوالية غابها كلها هناك وصحب كثيرا من الناس على نفقته ، وبسط الله عليه ، وهو الذى بنى قبة ابن العريف المتوفى عام 536 هـ بمراكش فلما مات اقبر بجانبه ، وكان لا يفارق السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان ، واليه ينسب درب عبيد الله الذى بالمواسين بمراكش .

493) علق المؤلف هنا يقول : « وباسم الخليفة يدعى ويكتب فيما يخطه للناس ، وقد رأينا اثرا من ذلك وهو من حاحة ، وقد بقى فى هذه البلاد من عام 1224 هـ الى عام 1232 هـ . ولعله لم يبطيء بعد هذه السنة » ، ذلك ما علقه رحمه الله ، واضيف هنا ان اهل تارودانت يقولون ان السقايتين اللتين بقصبتها أمام باب السجن من ءاثار اغناج هذا ، واخباره فى اجزاء «خلال جزولة» الاربعة للمؤلف .

494) تقرأ بكسر الهمزة وتسكين الدال أي ءال عيسى .

ثم حارب البعقيليون أغناج عند منفتح الوادى ، وهاشم حاضر ، وقد حمل معه بارودا ورصاصا يمد به المقاتلين ، وفى أثناء الحرب أرسل أغناج فرقة من جيشه فطلعت فى ثنية مينى بقيادة بعض «ال أنكيضا ، وقد خابر البعقيليين ولكن نفرهم منه كونه ألقى القبض على رئيس كبير من رؤسائهم وهو الشيخ أبو بكر جد «ال أمازر المشهورين (495) الى العهد الاخير ، ثم ان أغناج اطلع جيشه كله فى ثنية مينى ، فاستولى بذلك على مجاط كلها، فجمعت المؤون والمغازم المخزنية ، فهرب هاشم من اسكاور ، فقيل انه ذهب الى الجبل فى سملالة وهو الظاهر ، وقيل انه فر الى وادى نون ، ثم ساق من هناك جيشا كثيفا الى اغناج ليحاربه فوجده قد دخل الى بلاد امانوز متوجها الى املن حيث تمادى الى ان نزل الى رأس الوادى بعد وقائع مشهورة ، وقد امتد حكمه الى سنة 1232 هـ كما رأيناه فى اثر وقعنا عليه ، ثم لما أمن هاشم رجع الى داره بايليغ ، وقد استرد مركزه وظهر بمظهر القوى الفاتك الجامع للأموال .

## بعض حكايات عنه

ذكر لى ثقة ان انسانا كان حدادا فى تاغلولو وكان متمولا ، فأرسل اليه هاشم هذا صحفة عود (496) قائلا له بيضها لى بالفضة ، فجعل يتأمل ما عسى ان يكون مقصوده حتى اهتدى الى انه يريد منه ان يملأها له دراهم ، ففعل ذلك فذهب بها اليه ، فنشأ هناك مثل مضروب صار محفوظا بعد ذلك عند الناس ، وقد قاله ذلك الحداد لما تيقن انه طلب منه تبييض الصفحة وهو : « أيسلك ، ربى ، لقزدير ، نم ، أتاكرا » .

495) علق المؤلف هنا يقول : « هذه اسرة نزحت من آمانوز ، و«امازر الذى ينسبون اليه ما يزال معروفا بهذا الاسم فى ازربى بآمانوز ، وقد كانت فيهم الرياسة من القرن الثانى عشر و«اخرهم الشيخ احمد الأمازرى المقتول عام 1335 هـ » .

496) الصحفة : القصعة ، والمقصود هنا شىء من عود ككوز يشبهها ، وذلك هو المقصود ايضا بكلمة تاكرا ـ بكاف معقودة مسكنة ـ الآتية ، ومعنى الكلمات الشلحية الآتية : فليحفظ الله قصديرك ايتها القصيعة : لان الحداد انذعر لما ارسل اليه هذا الجبار بما ارسل به . وكلمة نم بتسكين النون والميم وتشديد الاولى ، تؤدى وظيفة الكاف المضاف اليه قصدير .

وذكر آخر عن ثقة انه أخبره من يعرف هاشم ، فقال له انه لا يعدو في لباسه قميصا غليظا من الصوف ، وانه معنى بالابـل والحيوانات يكسبهـا ويزاول خدمتها بيده ، قال وربما يقوم الى وضع القطر ان على الابل الدبرة بيده حتى يتلطخ كله بالقطران .

وذكر ءاخر انه كان متواضعا في نفسه لا يرى لها مزية ، وانه يخالـط العامة ولا يترفع بنفسه عنهم ، ولا يوجد ايام الموسم بتازروالت غالبـا الا في سوق الابـل .

وذكر ءاخر انه سمع بأن امرأة في تومانار عندها حـلى تفيس غـال فأرسل اليها يهوديا من سكان ايليغ وأمره أن يأتي من عندها بكل ما تملكه من الحلى ، فسلبها من كل شيء الا من سوار استعصى اخراجه من يدها بعد معاناته ، فبرد بالمبرد ، فصارت المرأة تبكي على سوارها العزيز حين رأته يبرد ، فقال لها اليهودي ان أبيت قطعه فلتقطع يدك نفسها ، فكانت هذه الفعلـة المشنوءة سبب هلاك هاشم .

## الفتـك بـــــه

كان زوج تلك المرأة يسمى أمحمود ، وهو من ءال تاكارزت أبناء على ابن الحسين ، وهم من أصحاب الشهامة ، فلم يجد في نفسه صبرا امـام هذه الفعلة البالغة النهاية في الاهانة ، فالمرأة هي شرف الانسان ، وحيث بلـغت الاهانة ان ياتي اليها يهودى يسلبها مالها ويمس يدها فلتسقط السماء عـــلى الارض ، فالموت ولا الهوان ، وكان أمحمود مشهورا بالرماية لا تسقـط لـه رصاصة . فاستعد لما ينويه أتم استعداد ، فهيأ سلاحا ارتضاه ، واتخذ صاحبا له يسمى على بن سعيد التوماناري من غير أبناء الشيخ معينا له عى تـحقيـق ما ينويه ، ثم عزما على ان يقوما بما ينويانه في الموســم .

في صباح الجمعة ءاخر أيام الموسم ، ويكون في شهر غشت دائما فوافق هذه المرة يوم 15 شعبان سنة 1240 هـ . ذهب أمحمود ورفيقه فزارا ضريح الشيخ احمد بن موسى ، وتوسلا به الى الله ان يعينهما في الذي يقصدانه ، فانحدرا من المقبرة وقصدا سوق الابل حيث وجدا هاشم يدور بابل كأنه يريد شراءها ، فصمد له أمحمود وأفرغ فيه بندقيته ، فسقط هاشم ، فأجفل الناس وقامت الهيعة ، فجال الناس بعضهم في بعض ، فنجا أمحمود ورفيقه (497) بسبب ذلك ، فمر انسان من الحدادين من أهل قرية دوكادير بهاشم مجندلا فألقى عليه ثوبه ، وهكذا انتهت حياة هاشم .

## علي بن هاشم

كان لهاشم أولاد يذكر منهم علي والحسين وعبد الله وعيسى ، ولم تظهر الفائدة منهم في غير علي وشقيقه الحسين ، وهما من امرأة امانوزية تسمى باكة ، أبوها يسمى عبد النعيم ، كان يسكن في ايليغ فتزوج من عنده هاشم ، فخرج أولادها رجالا أي رجال ، ما دام الرجال يوزنون بالأعمال ، وعلي ابن هاشم له معارف يذكر بهاواعتناء بالعلوم (498) ، وقد عرفنا علماء يتصلون به فيدرسون في ايليغ كعبد الله البوشيكري وبلقاسم بن محمد الأكماري وغيرهما (499) وذكروا أنه كان شديد الوطأة أبيا قوي النفس طموحا الى المعالي ، مغامرا لنيل شرف جديد يضيفه الى ما كان مطوقا به ، وكل اعماله التي نعرفها عنه تدل على

497) علق المؤلف هنا بقوله : « ويزاد من ذيول ذلك ان عليا قال لابد أن اتناول من الطعام الذي يصنع في مأتمه ، فتنكر حتى أكل منه ، ثم ان ابناء هاشم سربوا من يقتل لامحمود في الذروة والغارب حتى امن جانبه فاخذ منه الثار .

498) علق المؤلف هنا بقوله : « هكذا ذكر لي ثم ايدلي بعد ذلك انه أمي كأخيه الحسين ، ومع ذلك ذكر عنه اعتناء باشتراء الكتب ، والكتب الموقوفة في المدرسة من شرائه » .

499) راجع ترجمة عبد الله البوشيكري في صفحة 143 من الجزء الحادي عشر من المعسول فان فيها اخبارا طريفة عن بلهه الممزوج بالحذق والخيارة . وراجع اخبار بلقاسم بن محمد الاكماري في صفحة 121 من نفس الجزء .

هذا على قلة ما نعرفه عنه الآن ، وهو الذى أحدث الأعوان والحجاب فى ايليغ ، ولعل الحاكى يعنى انه اول من استكثر منهم اذ لا بد ان يكونوا قبله .

## معـركـة تيغمى

ذكرنا أن البعقيليين كانوا دائما ضد ايليغ ، وفى كل فرصة يجدهـا أحد الفريقين يزحف فيها لخصمه ، وقد اشتهرت معركة تيغمى بذلك ، وليس عندنا تفاصيلها ولا الحامل عليها وكل ما عندنا أن حربا هائلة دارت هنـاك ، وكل القبائل الجنوبية من مجاط الى وادى نون كانت من شيعة على بن هاشـم ، فبنى البعقيليون سورا من الاحجار استتروا وراءه ، فاقتحمه عليهم الآخـرون فهزموهم هزيمة شنيعـة ، سقط فيهـا فى ساعة أكثر من مائة من البعقيليين ، فشفت بذلك مجاط غيظها منهم ، ولم ينسوا بعد ما ذاقوا قبل ذلك بسنـوات يوم هزمهم البعقيليون حين كان يناصرهم هاشم قبل موته بقليل ، والحـرب سجال ، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ، وقد كان على بلغ أفلااوزوربعد أن نهب تيغمى كلها ، فقال اننا الآن بلغنا ما أردنا من القوم لما بلغنا فوق سطوحهم، وكان معه البوعمرانيون وغيرهم ثم أنه بعد ذلك انهزم من أكال ملولن انهزاما شنيعا ، وقال قائل أن باعمرانيا كان يتحدث مع بعقيلى اذ ذاك ، فقال لـه مـا دمتم انتم البعقيليين لا تهتمون بالخيل فلا تطمعوا فى مقاومة ابن هاشم ، قال فكان ذلك سببا فى انهم اعتنوا بالخيل حتى كلفوا كل ذى بغلة بشراء فرس لأنه قادر عليه ، وكان فى وادى الأكماريين وحده ستون فارسا ، وعينوا جـد ءال كردوس سعيد بن احمد (500) مقدما على الخيالة وملاحظا عاما فى القبيلة .

---

500) علق المؤلف هنا بقوله : « هو اول ما يذكر من تلك الاسرة ثم ولده محمد وقد ظهر ظهورا عظيما فسام البعقيليين ان يكونوا له رعية ، ثم ثاروا ضده فقتل فى حرب ، بعد ما اعانه الحسين بن هاشم ثم احمد ولده وامره ضئيل ، وقد تأخرت وفاته الى ما بعد 1332 هـ ، ثم القائد سعيد بن احمد الحى الآن »

## معركة ادا كـ اكمار (501)

لم تكن الحرب تهدأ بين علي وبين البعقيليين ، فكما يذكر الناس المعركة المتقدمة يذكرون هناك معركة اخرى لهذه القبيلة نفسها في هذا المخرم العميق، وقد اقتحمه عليهم جيش علي فوصلت طلائعه الى المدرسة ، كما انحدر ءاخرون من الشمال ، ثم انهزموا أخيرا فرجعت المياه الى مجاريها .

## معركة المركوب

كما كانت المشادة دائمة مع جيران ايليغ في الشمال من البعقيليين كذلك دامت أيضا مع الجراريين جيرانها في الغرب ، وكثيرا ما تقوم المعارك في ايغير ملولن جزرا ومدا ، لمحاولة كل فريق الاستحواذ عليه ، فلهذا السبب دارت هذه المعركة فوق ديار المركوب — في بسيط صغير هناك — وقد استعد علي كل الاستعداد وزاد بالحيل حتى أنه أمر يهود ايليغ ان يتحينوا وقت اشتداد المعمعة فيخرجوا متجمعين والقصب على اكتافهم كالبنادق ليحسبهم العدو جيشا جديدا يمد ءال ايليغ ، وقد نفذ اليهود الخطة كما هي ، ولكن لم يكادوا يتجاوزون وادي ايليغ حتى مالت كفة ايليغ فكان شيء ءاخر .

## علي يصاب

وفي اثناء المعركة والحرب قائمة ، وعلي يقبل ويدبر ، وكان صمة (502) مقداما لا يبالي كيف طارت نفسه اذا برصاصة تصيبه في جبينه (503) فوق احدى عينيه ، فحمل جريحا الى ايليغ ، فانسحب اصحابه .

---

501) ادا كلمة وحدها . وكـ بكاف معقودة مسكنة مشددة مع اشمام الضم كلمة وحدها . واكمار بالكاف المعقودة كلمة وحدها . فمعنى ادا هو ءال كما تقدم . والكاف المعقودة المسكنة المشددة تؤدي في الشلحية ما تؤديه ياء النسب في العربية ، واكمار بكاف معقودة معناه الفرس فمعنى ادا كـ اكمار : ءال الفرس .

502) الصمة : الشجاع .

503) علق المؤلف هنا يقول : « وقال قائل ايضا انه اصيب في كتفه والله اعلم » .

## هل غـدره احـد أهـلـه ؟

يقال ان بين علي وصنوه الحسين الذي نبغ من تحت ابطـه كالعضب المصقـول ، لشنئانـا سريا لا يعلمـه كثير من النـاس ، فداخـل الحسيـن أعرابيا من الاعراب الساكنين حول ايليغ اذ ذاك بخيامهم يسمى ابن يحيا ان يفتك بأخيه علي حين يقوم قائم الحرب، فوفى له ابن يحيا بما وعد ، هذا ما يقال، ولكن ينبغي ان لا نسير كثيرا وراء ذلك ، لآنه انما يبنى مثله على الوهم ، والوهم يبعد عن الحقائق بعد السماء عن الأرض .

## اشيـاء اخـرى عن عـلي

كذلك قضى علي ما بين موت والده الى ان قتل سنة 1258 هـ ، ولم نعلم الآن تعيين اليوم من السنة ، ويذكر الذاكرون انه شديد القوى بهمـة (504) لا يغلب ، وكان مهتما بتنفيذ ارادته بالقوة ، وكان كـكـل رؤسـاء عصره قائمـا بفرائض دينه من جهة ، مادا يده الى كل ما يجده من أموال الناس من جهة أخرى، من استجار به استجار بظل وريف ، ومن عاداه فانه لا محالة مدركه وان سكن في قنن الجبال ، وقد خلف من ورائه أولادا نعرف منهم محمد بن علي وعثمان ، فأما محمد فسنعرض له فيما ياتي ، واما عثمان فهو والد علي بن عثمان العالـم الجليل الذي كان متخرجا بالاستاذ مسعود المعدري ، وتوفي عام 1349 هـ .

## الحسـين بن هـاشـم

نحن الآن ازاء ترجمة رجل عظيم القدر لاحظته السعـادة بعينهـا ، وناهيك برجل شغل كل جنوب سوس بزئيره كل أواخر القرن الماضي ، فانقسم الناس ازاءه بين من يواتيه ويداريه وينفذ اوامره ، ثم لم يكن ذلك منه محبـة وانما هو اثر الخوف لا غير ،وبين من يناوئه مناوأة شديدة ، فوقع في مجاذبة

---

504) البهمة بضم الباء الشجاع يستبهم ماتاه على اقرانه .

لا نهاية لها ، فأما ان يسقط برصاص أصحابه ، واما ان يطول عمره في ارجوحة الخوف الشديد من هزبر ايليغ الذى لا يدرى من أى جهة ينقض على فريسته .

كان الحسين كما ترى مولودا فى عهد قد استردت فيه ايليغ بعض ما مضى لها من قوة وصولة ، فنشأت في رأسه فكرة طامحة كل الطموح لا يعرف معها الارتداد الى وراء ولا القناعة بما تيسر له ، فان كان أهله مكتفين بالرئاسة القبلية ، فهو ـ كما يظهر ـ ليس قانعا بها . أو كانت ثروة متوسطة يضمن معها المعاش ترضى من سلف من أهله قبله كعلى أخيه ، وهاشم والده ، فانه هو ليطمح طموحا غريبا الى ان تكون له كنوز قارون ، ثم كان فى طبعه ان لا يرد عليه رأى ، وان لا يناله حرمان من كل ما يحلم به ، ولما كانت ءاماله فوق مداركه وتطول مجالات يده ، بقى فى كل حياته كالموج فوق البحر يوم العاصفة ، اضطراب وازباد وتعاظم وحملات وزئير :

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

فلم يعرف ان يرضخ لأى انسان ، السلاطين فمن دونهم ، فقد رأى من نفسه انه خلق ءامرا لا مأمورا ، ومطاعا لا مطيعا ، فبهذه النفسية المتموجة المكهربة امضى ما بين 1258 هـ الى ان مات سنة 1303 هـ ، ولهذه الحياة الغريبة نريد ان نبسط الكلام فيما يلى لعلنا نوفق فى ابراز حياة الحسين يعسوب ايليغ الحديثة كما نحسبنا وفقنا فى ابراز حياة بودميعة يعسوب ايليغ القديمة، ونحن باذلون جهدنا على حسب ما عندنا عنه من الأخبار .

### أين ولد ؟

رأيت عند ذكر هاشم انه كان جلا عن ايليغ سنة 1224 هـ أمام حملة محمد بن يحيا أغناج ، فنزل فى دار احمد بن صالح من اد عيسى الاسكاورى الاكمارى ، فقال الناس انه ولد هناك فى بيت لا يزال محفوظا معروفا الى الآن فتكون ولادته سنة 1224 هـ .

## كيف نشأ

كان والده هاشم معنيا بأولاده عناية كبرى ، وقد كان يستدعى لهم العلماء الكبار فى عهده ليعلموهم ، كما ياخذهم أيضا بمعاناة الفروسية ، وهذه العناية ظاهرة فى على وفى الحسين ، فلكل واحد منهما ولوع بالعلوم واكبار لأهلها وان لم يكونا أدركا ما كان والدهما يريده منهما ، كما كانت لهما نهاية فى الفروسية والاقدام والمغامرة ، فلئن غابت عنا تفاصيل نشأة الحسين فلم تغب عناءاثارها التى نراها عيانا ، وكما يدل الثمر على نوع الشجرة وان لم يبصر جذلها ولا اغصانها ، كذلك تدل الاخلاق التى تتغلب على الانسان يوم تظهر ارادته كماهى على نوع التربية التى نشأ فيها ، ففى الحسين من كل خلق طرف كما سيتبين فى الآتى ، ففيه ميل الى التدين المرتكز على الفرائض المعلومة، كما فيه التفات الى العلماء الكبار والصالحين يستزيرهم ويصلهم ويعتقلهم عنده باحسانه ، كما يظهر فيه ظهورا بينا خلق الرئاسة المجموع فى قول من يقول :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

فقد كان صلب الارادة شديد الوطأة ، لا ينام عن وتر ، ولا يعرف الخوف من الرجال ، غير انه لم يجد بدا من الاستكانة ، لكنها استكانة الاسد المجروح داخل قفص من حديد ، وهذه الاخلاق كلها بارزة فى حياته الطويلة ، وهى بلا شك من ءاثار نشأته .

## تطلعه فى الرئاسة

مر بنا ما حكيناه بين قوسين من ان له يدا فى اسقاط شقيقه على ، فسواء كان ذلك صحيحا ام غير صحيح ، فان نفسيته التى تدل عليها أفعاله الظاهرة فى طول حياته تنادى بلسان حالها انه خلق رئيسا يتطلع الى الرئاسة فى كل مناسبة ، ومن خلق لشىء لا يهدأ حتى يدركه ، ويسمى الاخلاقيون هذه

الظاهرة بالاستعداد الجبلى ، وقد يكون للحوادث شحذ لهذا الاستعداد ولكن بذرته الأولى تكونت مع الروح من عالم الأرواح الى عالم الأشباح ، على اننا ان جعلنا تلك الحكاية بين قوسين فما ذلك الا لأننا نريد ان لا نعدو مرتبة المؤرخ، والا فانه لجدير ان يصدر عنه مثل ذلك ، والرئاسة عقيمة لا تعرف أخـــا ولا صديقا ، وسيرد ما يدعم تلك الحكاية .

## مطلعـه فى دست ايـليـغ

جاء الحسين وقد مهد له أخوه ووالده ووطئا له ورصفا الطريـــق ، وهيئا الشيعة ، وعمرا المخازن واثلا الاملاك ، واستركبا الاصحاب ، فوجد هو ايليغ قطب الجنوب بين القبائل التى كثيرا ما تمتنع على الحكومة ، ولم ندر كيف كانت حالـة الحسين مع السلطان المولى عبد الرحمان (505) الذى نعرف ان قواده الكبار كالحاج اكنى (506) ، وبو مهدى (507) وولـده يتمكنـون فـى تارودانت ، ولكن ان جهلنا ما بينهما فلم نجهل ما بين ايليغ وبين هذه القبائل اذ ذاك ، فقد حسبت لايليغ الف حساب ، ولم يكن من اكابرها من لم تكن له مع ايليغ صلة قرب او مجاذبة عنيفة يدرك بها شأوه في المقابلة ، وعندنا حكايـــة مشهورة وقعت أول ما برز الحسين الى الميدان تبين لنا مركزه بادىء ذى بدء.

---

505) علق المؤلف هنا بقوله : « نعم قد علمت بعد ما كتبت هذا ان عند ايليغ الى الآن رسالة من مولاى عبد الرحمان اليه ، وربما دلت على صلة ما بينهما » .

506) علق المؤلف هنا : « يذكر في تارودانت في اواسط القرن الماضى ، ولعله عميد الحكومة هناك » ثم قال عنه في صفحة 143 من رابع « خلال جزولة » ان اسمه الحاج احمد ايكنى بكسر الهمزة وكاف معقودة ساكنة وانه كان هنا بعد 1250 هـ بقليل .

507) علق المؤلف هنا بقوله : « قائد كبير في تارودانت كان هو وولده هناك اعوام 1260 هـ » واصل «ال بو مهدى هؤلاء من درعة وردوا على هوارة فساعدتهم فيها الاقدار ، وقد تكونت فيهم عدة شخصيات تولت الحكم فى سوس حتى ارداها ، ومنهم القائد حماد بن مهدى هذا بسط له المولى عبد الرحمان على سوس من اكادير الى سكتانة ووادى نون وراس الوادى وكان جبارا قويا فجاءه أحد القواد البخاريين يتربص به الدوائر ولا يظهر له شيئا فلما صليا الجمعة ذات مرة وكانا عائدين إلى دار المخزن بقصبة تارودانت مرا معا من باب السجن فصدع القائد البخاري حماد بن بو مهدي بأن يستسلم لإدارة المخزن ثم أحاط به أصحابه وأودعوه السجن . فقامت الضجة بين السجناء الذين فاجأتهم مشاركة من أودعهم السجن لهم فيه . ثم نقل إلى سجن الصويرة . وقد ألقى عليه القبض قبل عام 1264 هـ .

كان امغارحمو التامانارتى(508) سقط غيلة بفتك آل سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حول الوقت الذى انتصب فيه الحسين بعد اخيه علـى ، ثـم رحـل اولاد حمو ، ثم رجعوا الى ديارهم ، فجرى بينهم جار بالصلح ، على ان يحكموا الحسين فى الذى بينهم ، فنزل الفريقان عليه بايليغ : القائد محمد بن حمو عن اخوتـه وبعض خصومهم عن اخوته ءال الشيخ ، فكان الحسين يزاول ان يصالح بينهم ، فكان كلما سمع حجج الفريقين ووازن بينهما تستحوذ عليه الحيرة ، فلا يدرى كيف يقارب ما بينهما ، وهما بين مشرق ومغرب ، فأبطئا هناك فى ايليغ حتى تهيأت فرصة حسنـة سوى فيها الفريقـان ما بينهما كفاحا (509) دون حضور رب المثوى ، ثم عرضاعليه الأمر ففرح فرحا كثيرا ، والذى يهمنا من القصـة هو كونه فى أول امره (510) بصدد أن يحكم فى النوازل الكبرى مثل هذه من مثل تلك الأسر العظيمة ، فبمثل هذه الحكاية ندرك كيف كان فجر رئاسته ، والمقدار الذى انتفع به مما ورثه من مجد سلفه الذى أسس قبله ما أسس ، فكانت له قوة عظيمة ونفوذ كبير فى قبائل الجنوب السوسى .

## مستمد قـوته ونفوذه

ان الحسين لم يكن يستولى حقيقة الاستيلاء الا على ابناء عمه أبناء الشيخ احمد بن موسى ، وأمره لا ينفذ مسمطا (511) الا فى ترابهم بتازروالت ، فهناك يأمر وينهى ويخفض ويرفع ، ويفعل ما يشاء من غير ان يراقبه أحد أو يتوجس أى خوف ، ورجالات ابناء عمه الذين لا يتجاوزون مئات مع اصحابه الأخصـاء وعبيده الذين يستوفون أكثر من مائة ، هم كل جيشه الذى يقدر ان يتكلم فيه

---

508) علق المؤلف هنا بقوله : « هذه الاسرة الرئيسية فى تامانارت من الشرفاء الكثيريين . وقد كانت رئاستها من عهد السعديين ثم فى كل عهد العلويين ، وكان القائد محمد وولده القائد ابراهيم فى عصر المولى اسمعيل » .

509) راجع التعليق 436 .

510) علق المؤلف هنا بقوله : « كان ذلك حوالى 1260 هـ .

511) الحكم المسمط هو التام الذى لا اعتراض عليه .

وحده ، هذه هي حكومته ، فلا يعدو قدره من هذه الناحية قدر اصغر رئيس قبلي في هذه الجهات ، غير ان هناك أمورا أخرى هي التي تمده بما تمده بـــه .

احدها اشرافه على موسم تازروالت وكونه وحده هو المتصرف فيه ، يفعل فيه ما يشاء ، ينهب ويعتقل كما يوحى اليه به هواه ، وحيث ان ذلك الموسم في ذلك العهد هو الوحيد (512) في العظمة والمتخذ سوقا عامة تروج فيهـا البضائع ، وتلتقي فيه بضائع السودان التي يستوردها الصحراويون بمعاونـة الحسين ، وبضائع الحضر التي يستوردها التجار الذين يختلفون الى الحضر ، وهناك تباع وتشترى البهائم والصوف والحديد وكل ما يتوقف عليه النـاس في معاشهم الحيوى ، والطرق اذ ذاك يقل سالكوها ، وليس في كل وقت يوجد ما يراد من هذه الأشياء الحيوية ، فاذا أضفت هذه الاعتبارات الحق الى انه ليس اذ ذاك موسم ءاخر كتازروالت في هذه النواحي ، وأدركت ان الناس محتاجون الى المقايضة فيه ولا بد ، أدركت مقدار موقعه في ذلك العصر وادركت معـــه مقدار السلطة التي يستمدها الحسين بواسطته ، فقد كان حرا في كل ما يفعله فيه ، وقد كان معلوما ان من يتعرض لذاهب او ءايب من الموسم فان ءال ايليغ لابد أن يعركوه ، فيتوجه اليه اصحابهم بخيلهم فينزلون عليه برسالتهم (513) وفيها القدر المطلوب من المال فان أبى او دافعت عنه قبيلته فقد صارحت ءال ايليغ العداوة بذلك ، فأول ما يجب عليهم ان لا يحوموا حول الموسم فيحرموا المتسوق الوحيد اذ ذاك في هذه الجهات ، كما ان الحسين يعتقل من أفـــراد تلك القبيلة كل من وجد اليه سبيلا ، ثم يعلن عداوة تلك القبيلة هو وشيعته الجزولية ، وهذه أمور قلما تطيقها قبائل كثيرة فترضخ من أول يوم ، فتترك

---

512) علق المؤلف هنا يقول : « لم تحدث هذه المواسم الكثيرة الا بعد ذلك ، ولم يكن منها قديم الا ما كان من موسم اسك وقليل مثله ولكنها ضئيلة .

513) كانت تلك الرسائل شائعة اذ ذاك من ارباب السلطة وهي تتضمن اوامرهم الى من هي موجهة اليهم ، وكثيرا ما تكون رقعا بسيطة من الورق يحملها فارس او اكثر وينزلون على من وجهت اليهم حتى ينفذ ما فيها .

رسل الحسين ومن ارسلوا اليه ياخذون منه ما كتب في الرسالة ، مع أجـــرة الأعوان ـ السخرة ـ ثم كانت هناك سياسة أخرى تحاذى ما ذكرناه ، هــى ان الحسين كان كالحرباء لا يطلق ساقا الا اذا أمسك ساقا ءاخر ، وكان دائمـــا يوازن بين الشيع ويسعى بينها بسياسة (فرق تسد) فكان كل من له مع أحـد ضغن يمد يده الى الحسين فينتصف له هذا من خصمه بذريعة ما يدعى عليه انه صنعه في طريق الموسم ان صدقا وان كذبا ، فتحامى الناس مصادمته بذلك ، فقام له ناموس عظيم في القلوب رهبة وفرقا .

ثم ان هناك ـ بعد ما تمكن هذا الناموس ـ شيئا آخر يستمد مـنــه مالية لها بال وذلك ان كل قبيلة من القبائل الثانوية (514) نادت بحرمة مكـان كزاوية او مدرسة او حصن تجعل للحسين حظه من المغارم التى توخذ ممن مس ذلك المكان بسوء ، كالزاوية الاليغية مثلا ، فان كل من مسها بسوء اذ ذاك يؤدى مغارم متعددة بينها مغرم ايليغ وهذا عمل جار في أطراف من كـل هـده الجبال خصوصا بين القبائل المستضعفة .

وهناك ايضا معاناة للتجارة بكل أكباب ، فأسكن عنده صحراويين كثيرين يسافرون في وقت من السنة فيستوردون العطور وريش النعام وألبسة السودان والعبيد والجمال الكثيرة ، فكانت القوافل في أوقات سفرها لا تغب أمام داره ، ثم يتصل هو بتجار ءاخرين الى الحواضر ، فكانت ايليغ مركـــزا تجاريا كبيرا في عصره ، يذكر من ذلك العارفون ما يستغرب ، وكمـا اعتنـى بالتجارة اعتنى بالفلاحة ، فقد استحوذ على كل ما تسقيه العيون من تازروالت الا القليل جدا ، كما أنه يفلح في بورهـا (515) ، وكانت الفلاحة اذ ذاك تخصب فيها اخصابا يذكر ، ثم ياخذ أعشار كل من يحرثون في ذلك البسيط مـن المجاطيين ، ولم ينس الغنم وما اليها .

---

514) علق المؤلف هنا بقوله : « اى التى ليست في مقدمة القبائل الكبرى » .

515) البور في اللغة هو الأرض التى لم تزرع ، والمراد هنا ما لا تسقيه العيون وانما تسقيه الأمطار .

من هنايعلم ان الرجل لم يفرط في أية ناحية ، فكانت التجارة والفلاحة والمغارم الباهظة وما ياخذه من الموسم مكسا ، والموسم اذ ذاك يعمر أكثر من اليوم بكثير ، فكنز أموالا كثيرة ، وقدر خيل عبيده فقط نحو خمسين من غير خيله الخاصة فيما حكوا عنه ، وله من البغال كثير مثل هذا القدر ، وهذا المظهر الذى لا يظهر به الرؤساء فى الجنوب السوسى اذ ذاك لفت اليه الأنظار ، وأحنى له الهامات ، فانه معتن بالأبهة ، فاذا سار فان الخيل تصطف من بين يديه ومن خلفه وبينها رجل منظم من الأعوان ، فياخذ موكبه بالأبصار ، وكان كريما ينزل الناس منازلهم ، غير قنوع ازاء كل قضية حدثت فى القبائل حتى يكون رأيه هو المعتبر فيها ، والا فهناك عراقيل ودسائس ومصادمات وحروب، وكان معطاء فى هذا الباب ، ولكونه رئيس حزب تاكوزولت تكون له حزب يناصره عن اخلاص ، ويزيد ذلك بعطاءاته الجمة ، فمن كان له فانه يدافع عنه الى ءاخر نفس ، واما من كان عليه فانه من ورائه كالليل الذى هو مدركه (516) ، ولا يعرف الهوادة ولا التأنى ولا المسامحة حتى يهلك غريمه اما بحرب واما بغيلة أو بسم أو بكل ما تيسر ، ثم انه غير ملوم فى ذلك وان ظهر أنه ينافى الشرف لأنه ابن بيئته .

---

516) هذا اقتباس من قول النابغة الذبياني زياد بن معاوية .

وانك كالليل الذى هو مدركى ... وان خلت ان المنتاى عنك واسع

خطاطيف حجن فى حبال متينة ... تمد بها أيد اليك نوازع

وهذه الاقتباسات كثيرة فى كتابات المؤلف على عادة امثاله من شيوخ الأدب العربى ، فقد تقدم له كثير منها فى هذا الكتاب كقوله فى صفحة 228 (تضل فيها القطا) فهو ماخوذ من قول ابن الونان :

مجاهل تحار فيهن القطا ... لادمنة لا رسم دار قد بقى

وكقوله فى شان المولى اسمعيل « لا يؤوده مصاع » فهو ينظر الى قول ابن شهيد .

اتتنا تبختر فى مشيها ... فحلت بواد كثير السباع

وريعت حذارا على طفلها ... فناديت يا هذه لا تراعى

غزالك تفرق منه الليوث ... وتفزع منه كماة المصاع

## كيف بيئة ذلك العصر

كانت بيئة ذلك العهد تجمع بين الاضداد ، فبينما ترى في نواح نزاهة وخلقا صافيا وشمما وترفعا عن الدنايا ، اذا بك ترى في نواح أخرى ضد ذلك على خط مستقيم من قتل ونهب واستحلال للاعراض والاموال والدماء ، ولا ريب أن الرئيس الذى يحمل مثل طموح الحسين الى الصولة وافتراع كل الناس رغبا ورهبا ، يستعمل كل هذه الاخلاق مع تضادها ، على أن الذى يغلب عليه في المصادمات هو الاخلاق الاخيرة التي بها ترتجف الافئدة وترتعد الفرائص.

هناك بين سمع الحسين وبصره أهل اغير ملولن وقد غلبت على فريق منهم هذه الأخلاق الشرسة ، فقد كان بين الاسكراديين وأناس هناك ترات (517) يتوارثونها ، فحدث في أيام الحسين ، وهم جيرانه ، أن يصالحوا بينهم (518) فاستدعى الاسكراديون الاخيرين فأضافوهم ضيافة حسنة ، وعند خروجهم أبقوا منهم ثلاثة من ذوى رأيهم ، فخرجوا بهم فعذبوهم عذابا نكرا ثم ألقوا بهم في جرف هناك عظيم ، فذهبوا ضحية الامان ، فبقي الآخرون ينتظرون فرصة حتى وقع الانشقاق بين الاسكراديين ،فاجتمع منهم أربعة أشداء ، فطلبوا من الآخرين أن يكونوا معهم يدا واحدة على أبناء عمهم ، فأجابهم الآخرون وأطالوا الحبل حتى استأمنوهم فقدموا عليهم ليلا ، وبعد ما أكلوا وشربوا جلس أصحاب المثوى خارجا يستدعون الاضياف واحدا واحدا ، كأنما كانوا يسارون كل واحد وحده ، فكانوا يعتقلونهم فيقدمونهم لمؤذن مسجدهم ويسمى الفقير بوهوش فيذبحهم واحدا واحدا حتى أتوا عليهم ، ثم سروا الى الباقين فأخذوهم أخذا ، فأتوا بهم وهم كثيرون ، وقد أسروهم أسرا محكما وثيقا ، فأودعوهم في بيدر حتى يذهبوا بهم الى ذلك الجرف لياخذوا بثارهم ، فخرج شيخ

---

517) جمع ترة كالوتر بفتح الواو وكسرها والوتيرة ، من وتر الانسان يتره كوعد يعد اذا ظلمه او مسه بما يكره .

518) بفتح الياء والصاد مع تشديد الاخيرة كانه قال : يتصالحوا شكلها المؤلف .

كبير منهم ، فقال لهم لأى شيء ربطتم هؤلاء هنا ، فقالوا نريد أن نلقيهم بعد حين في الجرف ، فقال لهم : أنتم لا تزالون تؤجلون أمورهم ، ثم استل خنجره وهو يقول أنا آكفيكم اياهم ، وهذا حظى ، فصار يطعن كل واحد منهم حتى يموت ثم يذهب الى الآخر حتى أتي عليهم كلهم وهم أمامه مقرونون بالحبال لا يملكون أن يدافعوا عن أنفسهم ، وهناك أيضا ناس يسمون اد على ن لخلابينهم وبين هؤلاء احن قديمة هلك بها رجال هؤلاء كلهم ولم يبق الا ثلاثة ، فجلسوا يوما وقالوا ما لنا نبقي على هؤلاء الثلاثة فقوموا بنا اليهم ، فأتوا بهم معتقليس فألقوا بهم في نطفية ، وأجروا اليها الماء حتى غمرهم فهلكوا كذلك .

فهذه الحكايات وعشرات امثالها من بعض قساة القلوب ، ولا تخلو منهم أمة ، ولو الأمم المتمدنة ، تدل على البيئة التي لا بد أن يبطش الحسين بطشها ان لم يجد الا ذلك البطش نافعا فهذا بعينه ما كان ، فقد حكوا انه أسر ناسا من ايت الرويس فاعتقلهم العبيد وألقوهم منبطحين فأتوا بأعمدة وجعلوا يشدخونهم بها حتى هلكوا بهذه الكيفية ، وربما كان هؤلاء المشدوخون يفعلون ذلك بالناس فجازاهم الله جزاء وفاقا من جنس عملهم .

## محارباته

أبرز خلال الحسين انه محب للمغامرات ، فلا تحلو له الحياة الا بذلك ، وحروبه تكون دفاعا عن نفسه أو عن أهل ذمته أو عن شيعته من أهل تاكوزولت، وربما تكون هجوما لا دفاعا ، والحروب التي نعرفها له هي :

1 — محاربته في ايلالن ، ولعلها في أوائل عهده ، وقد انهزم فيها ، ولا يزال طنينها الى الآن هناك ، ولا يزال المكان الذى دارت فيه معلوما في تلك الجهات

2 — محاربة أخرى له في تهالا ، وذكروا انه انهزم فيها أيضا

3 — أخرى لأيت أمسرا بافران

4 — أخرى في أيت رخا قديمة

5 — أخرى فيها أيضا جديدة

6 — أخرى في ايمي اكادير انهزم فيها

7 — أخرى في وادى نون

8 — أخرى ضد الحسين بن الحاج ن ايشلحين في مجاط ، وسببها ان الحسين الايليغي غرم مرابطي تاغلولو دراهم ، فأحب ان يفعل مثل ذلك بأيت وافقا ، فدافع عنهم الحسين المجاطي

9— مقاومته للمولى الحسن الأول حين كان لا يزال وليا للعهد ، وذلك سنة 1283 هـ . ولا نعرف كيف وقع ذلك ، وكل ما نعرف هو ان المولى الحسن كتب الى الحسين ، فأمر هذا الفقيه محمد بن عبد الله الأساكى أن يجيبه بأنه ما بيننا الا الحرب ، فرد عليه المولى الحسن الأول بأن والده لم يامره بذلك ، فكرر الحسين على ذلك الفقيه ان يغلظ له في الجواب ، فقال الفقيه : لا والله لا أفعل ولو أدى الأمر الى قطع يدى فان دينى لا يحل لى ذلك (519) .

10 — أخرى ضد الجراريين وذلك نحو سنة 1291 هـ . وسببها مجاذبة ايغير ملولن ، فانتصر الحسين على محمد الجرارى لما خذله الجراريون ، فهرب من تالعينت الى العوينة ، فاستقدمه بعض الجراريين على وجه ان يصالحوا بينه وبين الحسين ، ولكن بمجرد ما دخل عليه بين العشاءين انقض عليه العبيد فاعتقلوه ، وعند العشاء طلب منه ان يسرحه حتى يصلى ، فقال له كيف أسرحك للصلاة ومنذ كنت رئيسا على الجراريين ما حضر قلبى فى أى صلاة ، ثم اركب بغلا فطار به العبيد الى ايليغ فكان ءاخر العهد به ، فلم يدر كيف قتل ، وكانت

---

519) علق المؤلف هنا بقوله : « ومن هنا يعرف القارىء ان تمسك السوسيين بعاطفة المحبة نحو الحكومة مؤسس على الفكرة الدينية » راجع التعليق 475 .

فى داخل دار الحسين مقبرة للذين فتك بهم هكذا من غير ان يعلم احد (520) .

11 — أخرى له مع البعقيليين ، وكانت متعددة لما بينهما من أحقاد مدفونة ، ولا تكاد الحرب تهدأ بينهما ولا الفتك فكل من توصل بأحد خصومه لا يبقي عليه ، وكانت الحرب بينهما سجالا ، وءاخر حرب بينهما حرب تارغنا سنة 1302 هـ ، وكانت مجاط وسملالة من شيعته ، ولكن انقلبت عليه الكفة ، فتناءى عنه الحظ الذى لا يكاد ينأى عنه ، فلم يبق ازاءه احد كما سنبينه فيما ياتى قريبا .

هذه المحاربات التى ليست حتى النصف من محارباته ، تدل على حبه للمغامرات ، ولو اتصلنا بتفاصيلها وبأسبابها كماهى لأمكن لنا ان نضع أصابعنا على متجهه الوحيد فى كل هذه الحروب التى أولع باصطلائها .

## ابن أخيه يحاول غيلته

هناك فى ايليغ الى الآن فى حائط كان الحسين يستند اليه محل رصاصة رماه بها محمد ابن أخيه فأخطأه ، ولعل لما يقال من اتهام الحسين بوالد محمد هذا كما فى الحكاية المتقدمة دخلا فى هذه الفعلة ، ثم ان محمدا فر ناجيا فتلقاه البعقيليون بكلتا اليدين ، وأسكنوه فى تين واركان ، واعتنوا به حتى صاروا ينادون ببيعته فى أسواقهم ، ولا غرض لهم من ذلك الا النكاية

---

520) علق المؤلف هنا بقوله : « كانت عين تالعينت محفورة بايدى رجلين احدهما من ايت برابيم يسمى حسون ، والثانى من الاسكراديين ، وقد عالجاها كثيرا ، وكان محلها بورا ، ثم حدث شقاق حولها سنة 1130 هـ ثم سكنت ، واما الاسرة المالكة هناك فاول رؤسائها على بن بورحيم (عبد الرحمان) نبغ بمدبيه التكيفى وذلك سنة 1226 هـ ، ثم قتل نحو 1275 هـ ، فتلاه محمد هذا الذى وقع فى يد الحسين ، وكان له شأن كبير ، ثم اخوه محمد ، ثم تعين قائدا رسميا 1299 هـ فمات 1311 هـ فعبد السلام بن محمد قتيل الحسين الى ان فتك به الهيبة — ابن الشيخ ماء العينين الشنكيطى — اوائل 1331 ثم القائد عياد بن محمد المذكور الى ان عزل فى السنة الماضية 1357 هـ ، ولم يدرك احد منهم مدركه ، ولا جال فى مجالاته ، وكانت فى هذه الاسرة عداوة شديدة لايليغ » وسبب عزل عبد السلام هو ان الفرنسيين اتهموه بالايعاز لمربيه ربه بالهروب لمنطقة النفوذ الاسبانى فى الجنوب ، وكان احد الذين كلفوهم بجره اليهم من كردوس ، راجع فيهم الجزء 19 من المعسول .

بالحسين ، وقد طرقت أذني بعض أبيات من قصيدة شلحية تذكرقصة محمد هذا كملحمة صغيرة مؤثرة ، ولم تتيسر لنا كلها لنستقي منها ما ينفع في الموضوع ، فان من القصص لمعا من الحقائق لا تنكر .

## كيف مجلس الحسين

تقدم لنا أن لأهله اعتناء بالعلم وأهله ، وانهم لا يخلون من علماء ملازمين، ومع انهم ليست لهم مدارك علمية يقدرون بها قدر العلماء، فانهم على كل حالة زينة المجالس ، وطراز المحافل ، ولما كان الحسين يحب العلو في كل شيء فلا عجب ان رأيناه معتنيا بكبار علماء عصره ، وقد عرفنا ممن يختلفون اليه احمد بن ابراهيم السملالي الساحلي (1303) هـ وعبد الواحد بن صالح التادرارتي البعمراني (1286) هـ ، واحمد بن محمد بن سعيد العركوبي نحو (1288) هـ ، ومحمد بن عبد الله الأساكي الافراني ، نحو (1295)هـ ، واخاه سعيد بن عبد الله ، نحو (1310) هـ ، والحاج المدني الناصري الافراني (1306) ، ومحمد بن بلقاسم التوماناري نحو (1290) ، والحاج الحسين بن الحاج احمد الافراني ثم التيزنيتي، (1328)هـ ، ومحمد بن بلقاسم التيوتي الالغي ، نحو (1289)هـ ، والحاج احمد الجشتيمي (1327) هـ ، والحاج ياسين الواسخيني (1327) هـ، وعبد الله البوشيكري الاكماوي نحو (1270) هـ ، وولده محمد بن عبد الله صاحب القصيدة البوشكرية المشهورة ، (1282) هـ ، واخاه احمد بن عبد الله نحو (1300) هـ ، واخاهما الطيب نحو (1320)هـ ، والطيب بن خالد الأكماري (1311) هـ ، وعلي بن بلا التازروالتي نحو (1295) هـ ، ومحمد بن محمد التوماناري الخياط الكبير نحو (1290) ، ومحمد بن ابراهيم اعجلي (1271) هـ ، والحسين بن عبد الله العبلاوي البعمراني (1308) هـ ، وبلقاسم بن محمد الاكماري نحو (6260) هـ ، والحسين بن احمد الاصاريفي (أول هذا القرن) ، والعربي الادوزي (1286) هـ ، وابنه محمد (1323) هـ ، والحسن بن سعيد العداني المجاطي نحو (1271) هـ ،

وابن عمه عبد الله بن الحسن العداني نحو (1270) هـ ، وسعيد البرايمي ساكن تومانار نحو (1290) هـ (521) .

---

521) هؤلاء سبعة وعشرون من افاضل العلماء المتضلعين المشاهير لو أردنا ان نفرد كل واحد منهم بتعليق لاقتضانا ذلك صفحات كثيرة لأنه لا تخلو ترجمة اى واحد منهم من اخبار مهمة ونوادر طريفة ، ويكفي ان منهم الحاج الحسين الافراني والحاج احمد الجشتيمي ومحمد بن ابراهيم أعجلي والعربي الادوزي وابنه محمد ولذلك راينا ان نكتفي هنا بالارشاد الى تراجمهم في « المعسول » ومن لم يكن لديه ممن يسقط اليه هذا الكتاب وكانت له رغبة في معرفتهم فليطلبه في المكاتب العامة التابعة للخزانة الوطنية بالرباط اذ لا تخلو منها اليوم مدينة من مدن المغرب ، ومن عرف المعسول سيعرف مقدار ما قاسيناه في استخراج هذه التراجم منه ، فكثيرا ما تصفحنا جميع اجزائه العشرين أكثر من مرة للظفر بترجمة الواحد من هؤلاء العلماء .

1 — احمد بن ابراهيم السملالي له ذكر في ترجمة صديقه محمد بن صالح في الجزء العاشر من المعسول ابتداء من صفحة 245 .

2 — عبد الواحد بن صالح ، وهو في المعسول عبد بن صالح ذكر في نفس الجزء ابتداء من صفحة 247 ، ولكن الذي يظهر ان لاخيه محمد صديق احمد بن ابراهيم الذي قبله ترددا ايضا على ايليغ .

3 — احمد بن محمد بن سعيد العركوبي توجد ترجمته الحافلة في صفحة 88 من الجزء الرابع عشر منه ، وذكر ايضا في صفحة 29 من الجزء الرابع .

4 — محمد بن عبد الله الاساكي توجد ترجمته الحافلة في صفحة 227 من الجزء الثاني عشر .

5 — سعيد بن عبد الله توجد ترجمته في صفحة 229 من نفس الجزء .

6 — الحاج المدني الناصري ، صفحة 39 من عاشر المعسول .

7 — محمد بن قاسم التوماناري ، لم نعثر على ترجمته .

8 — العلامة الجليل الحاج الحسين الافراني توجد ترجمته في رابع المعسول .

9 — محمد بن بلقاسم التيوتي ، توجد ترجمته الحافلة في صفحة 148 من الأول المعسول .

10 — شيخ الاسلام الحاج احمد الجشتيمي دفين تيوت قرب تارودانت تقدم في التعليق 12

11 — الحاج ياسين الوسخيني العلامة الجليل الورع ، رفيق من قبله ، قيل انه حج معه احد علماء وقته فانتبه لان يعرف ما سيدعو به الحاج ياسين في الاماكن المقدسة فلم يجده يدعو الا بقوله : « اللهم اجعلني من خيار امة محمد صلى الله عليه وسلم » ، ترجمته في ثامن المعسول ابتداء من صفحة244 .

12 — 13 — 14 — 15 — عبد الله البوشيكري الاكماري واولاده الثلاثة ، توجد تراجمهم ابتداء من صفحة 143 من الحادي عشر من المعسول ، اما القصيدة التي نسبها المؤلف لمحمد بن عبد الله فهي قصيدة شلحية طويلة تتضمن امداح الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته اولها :

| | |
|---|---|
| محمد أبو لانوار الصلاة عليك الرسول | اعزاك البارى تعالى امقور الشان نكى |
| بسم الله أوال اعدلن ازووراك اواليوني | نتان أس بديغ أشكو البركة تلا يبدي |
| تاصاليت ف بو لانوار أسافار ن وولاوني | نستابعا تيد الاسم نك أربي تزدن ادسي |
| يان ابدان س البارى تعالى اصال ف النبي نبي | تيل كيس المحبة رخون أس اغاراسني |

وهي طويلة يقول فيها ان الله قد سخر له النظم كما سخره للبوصيري في البردة والهمزية ، وقد كان عامة السوسيين يحفظونها خصوصا اصحاب الطرق الصوفية ، وقد أدركنا الوعاظ في الاسواق والمواسم يجمعون الناس بها ولها .

فهؤلاء وأمثالهم من كانوا يترددون الى ايليغ ، وبعضهم يكثر فيه المكث، وبعضهم لا ياتى الا فى الرمضانات لحضور سرد صحيح البخارى ولابدكما هى عادة كل الرؤساء اذ ذاك ، وهناك ءاخرون يلاقيهم فى أيام الموسم ، ويكـاتـبونه ، كأحمد بن محمد التيمكيدشتى (522) وولده الحسن (523) ، وابى زيد الجشتيمى (524) ، وقد اطلعنا على رسالته اليه ، ومن هذا كله نعرف ان الحسين مائل الى ما كان معهودا عن جده بودميعة من اكبار العلم وحملته ، وان كان لم يدرك من ذلك معشار ما أدركه جده ، لما بين مراكزهما ونفسياتهما من بون شاسع .

ثم يظهر لى ان كل الذين يترددون على الحسين هذا لا بد ان يمثلـوا

---

16 — الطيب بن خالد الاكمارى ، صفحة 93 الجزء 11 من المعسول .
17 — على بن بلا التازروالتى ، صفحة 60 جزء 12 منه .
18 — محمد بن محمد التومنارى الخياط ، العلامة الجليل ، صفحة 392 الجزء 13 منه وقد تقدم فى تعاليق سابقة .
19 — محمد بن ابراهيم اعجلى العلامة المقرىء الصالح ، صفحة 292 الجزء 5 منه
20 — الحسين بن عبد الله العبدلى ياتى خبره فى التعليق (533) .
21 — بلقاسم بن محمد الاكمارى ، مذكور فى صفحة 121 من الجزء 11 منه .
22 — الحسين بن احمد الاصاريفى ، مات سنة 1315 هـ صفحة 55 الجزء الثامن منه .
23 — العربى الادوزى العلامة الكبير صفحة 113 من الخامس منه .
24 — محمد ولد من قبله ، وقد اربى عليه ، صفحة 149 منه .
25 — الحسين بن سعيد العدانى ، صفحة 144 من 18 منه .
— عبد الله بن الحسن ، نفس الصفحة .
27 — سعيد البرايمى ، لم نعثر على ترجمته .

522) هو العلامة سيدى احمد بن محمد مؤسس زاوية تيمكيدشت العالم السنى الذى نشر العلم والتقوى فكون فى القطر السوسى علماء كثيرين جمعوا بين العلم والعمل فانتشر على ايديهم مثل ما أخذوا عن شيخهم هذا ، اقبل على الله وصد عن الدنيا فاقبل الله عليه وسخر له خلقه، قد الفت فيه التآليف على تواضعه وتقشفه وزهده فى الدنيا والاقبال على الله بالعبادة وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والاقتداء ، الف فيه ولده سيدى الحسن ، والف فيه سيدى العربى المشرفى . وذكره كثير من المؤرخين السوسيين ، وذكره صاحب « فهرس الفهارس » من بين رجال الحديث الكبار ، راجع ترجمته ابتداء من صفحة 174 من سادس المعسول .

523) الشيخ سيدى الحسن ابن الذى قبله يليه ووصيه على زاويته ومدرسته واولاده . فسار على سننه فى العلم والعمل ، وزاد فى اعلاء شأن مدرسته وزاويته ، راجع ترجمته ابتداء من صفحة 262 من سادس المعسول ، وكل ما انقله للقارىء هنا قليل بالنسبة لمنزلة الرجلين .

524) هو شيخ الاسلام عبد الرحمان بن عبد الله الجشتيمى وهو والد شيخ الاسلام الحاج احمد وتراجمهم فى سادس المعسول ″

معه احيانا الدور الذى يمثله العلماء الذين يترددون على قرية بووابوض (525) أيام القائد عبد الملك المتوكى فانهم لا يحترمون الا بقدر احترامهم للقائد ، وأكثرهم تملقا واشادة بصلاح القائد عبد الملك هو أسبقهم الى رضاه، والى رفعة الشأن عنده، حتى كان المتصلحون منهم يشهدون للقائد بأنه من أولياء الله، فهذا بعينه ما يتراءى لى من بعض علماء ايليغ مع رئيسها ، وعندنا حكاية تلقى لنا ضوءا ما على هذا الموضوع .

نبغ محمد بن بلقاسم فى تيوت(526) بالغ فسارت به الأخبار، فجرى ذكره الى سمع الحسين ، وكانت الغ من مناطق نفوذه ، فتعرف به ، ثم عرضت مسألة تشاجر فيها الحسين والجرارى ، فسأل فيها الحسين فقهاء حضرته ، فأفتوه بما أفتوه ، فأرسل بغلة وعبيدا الى تيوت ، فاستحضر ابن القاسم بخنيفته (527) ،

---

525) هى القرية التى كانت فيها دار هذا القائد بقبيلة متوكة باحواز مراكش ، وقد كانت فى ايامه مركزا مهما يلتقى فيه العلماء خصوصا منهم المعتنقين للطريقة التيجانية التى كان هذا القائد من اصحابها ، وان اغراض الناس مختلفة فمنهم من تجره الاغراض الشخصية ومنهم من يجره التمكن من قضاء اغراض الناس واغاثتهم عند اولئك الجبابرة ، ومنهم من يجره الانس والمذاكرة مع من يكونون هناك ، لكن هذا الكلام لا ينبغى أن يوخذ على اطلاقه فمن اولئك العلماء من لا تاخذهم فى الحق لومة لائم ، كما انه لابد ان الحسين نفسه يستميل اليه ذوى الفضل منهم كما رأينا عند عظماء الملوك كيوسف بن تاشفين ويعقوب المنصور وهارون الرشيد ، والملوك مولعون بالنفيس من كل شيء فى كل زمان ومكان .

526) هو صاحب الرقم 9 من المذكورين فى التعليق 521 .

527) علق المؤلف هنا بقوله : « الخنيف ثوب غليظ ، واللفظة كما ترى عربية فصيحة كمثل ستة ،الاف او أكثر مثلها تتبعناها كل تتبع »

اما قوله اللفظة عربية فهو كذلك ففى « لسان العرب » « الخنيف اردأ الكتان ، وثوب خنيف : ردىء ، ولا يكون الا من الكتان خاصة » الى ان قال : « الخنف واحدها خنيف وهو جنس من الكتان اردأ ما يكون منه كانوا يلبسونها » والخنيفة تعريب لمونثه الشلحى وهو تاخنيفت .

اما الشلحيون السوسيون فانهم يقولون اخنيف بفتح الهمزة وتسكين الخاء للبرنس الغليظ الاسود من الصوف ،واكثر من يلبسه المتقشفون ، فهو عندهم (مقيظ مصيف مشت)

واما عده للكلمات العربية المتشلحة بنحو ستة ،الاف وتتبعه لها فانه يعنى بذلك مشاركته فى محاربة الفكرة الاستعمارية الهادفة الى الحاق البرابر المغاربة بالجنسية الفرنسية والتماس المسوغات لذلك فى زعم اشتقاق الفاظ شلحية من اللغات الأوربية كادعائهم ان الصالح سيدى ابا الليوت دفين الدار البيضاء الذى يقال له سيدى بليوط انجليزى وان الصالح سيدى مكدول دفين الصويرة أصله مكدولاند الانجليزية ، وان قرية اكلى بكسر الهمزة والكاف المعقودة الساكنة حول تارودانت والتى لعبت دورا كبيرا فى قيام دولة المرابطين اصلها Eglise الفرنسية اى الكنيسة) وامثال ذلك

ومعه كتاب فقهي ، فألقى الحسين اليه المسألة ، وقال له ان هؤلاء الفقهاء قد افتوا فيها بكيت وكيت ، فهل الأمر كذلك ؟ فقال له ابلعني ريقي ، ثم اخلى المجلس للفقهاء ليكونوا احرارا في مناقشتهم ، فالهبهم ابن القاسم سوطا من التانيب ، واوقفهم على النص في القضية على عكس ما قالوه ، ثم اعلن ذلك للحسين ، فشكره على صراحته بالحق ، وعلى كونه لم يمجمج فيه بما يتخذه تملقا كآخرين .

وهناك حكاية تقول ان بعض العلماء كتب مرة للحسين في رسالة : السلام على من اتبع الهدى ، كما يولف ان يكتب به الى غير المسلمين في القديم (528) فأرسل اليه فأنبه تأنيبا شديدا وقال له هل جعلتني ذميا ؟ ثم غرمه مغرما كثيرا .

فهاتان الحكايتان تدلان على ما اومأنا اليه ، وهناك أخرى تدل على ان الحسين لم يخف عنه ما يسقط فيه بعض الفقهاء بشرههم ، فقد كان احمد بن

---

كثير فكان المؤلف ممن تصدوا لدحض هذه الفكرة بان اصل البرابر عرب وان في لغتهم الفاظا كثيرة من العربية وقد نشرت له بعد وفاته مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها مكتب التعريب مقالا عن بحثه هذا في عددها الثاني المؤرخ برمضان 1384 الموافق يناير 1965 .

والحقيقة ان البربرية لغة مستقلة بذاتها ، وهي الى اللغات السامية اقرب ، بدليل تقارب المخارج وابدالات الحروف ، ومن جملة اللغات السامية العربية ، واذا كان فيها الفاظ من العربية فانما هي دخيلة فيها وذلك طبيعي للتساكن والمشاركة في الدين والبيئة حتى انعدمت الفوارق بالمرة ، واما ما يدعيه الفرنسيون فلا مسوغ له الا القوة .

528) اصل ذلك ما ذكره الله تعلى في سورة طه عن سيدنا موسى وهارون لما ارسلهما الى فرعون اذ قال « فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ،قد جئناك بئاية من ربك ، والسلام على من اتبع الهدى » أى يكون السلام على من اتبع طريق الهداية ولم يتبع طريق الضلالة ، ولم يقولا له والسلام عليك لانه كافر فعمما له ، لما في التعميم من التعريض والتشكيك .

وقد ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في كتبه التى أرسلها الى ملوك عصره يدعوهم الى الاسلام ، فمن هناك يظن بعض الناس انها لا تقال الا للكفار ، وما هي الا من حسن الدعوة بالانصاف، وهو من استدراج المخاطب وتشكيكه في موقفه والوحي اليه بمراجعته ، وتزييفه له بالتعريض الذى هو أبلغ من التصريح كقوله تعلى « وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين » ، ومثله « فشركما لخيركما الفداء » في قول احسان بن ثابت :

هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

اتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

ابراهيم السملالي ، وعالم تاجر من علماء تادرارت ببعمرانه متصاحبين جـدا ، متشاركين في التجارة ، ثم وقعت بينهما مناكرة فتحاكما اليه ، فحكم باليمين على المنكر ، فهذان عالمان كبيران في عصرهما ، وقعا فيما احتاجا فيـه الـى أن يجعلا مثل الحسين حكما فيه، أوليس ذلك ادعى الى ان يسقط مثلهما من عينه؟(529)

على انه سياسة منه ــ وذلك ما لا بد ان يسلكه كل الرؤساء العقلاء ــ يغضى عن هفواتهم ويتحبب لهم ، لأن فيهم حقيقة رجالا يستحقون الاكبار كعبد الله البوشكرى ،فقد جاء اليه مرة في سنة جدب مع كل اولاده ، وكانوا نـحـو سبعة يلقنهم المعارف ، فقال له انى جئت اليك لتقوم بأودى مع اولادى حتـى تمر هذه المجاعة ، فقد خفت ان يضيع العلم بضياع أولادى ، فرحب به الحسين ثم لما أخصب العام فتش له عن مدرسة تانكرت حتى تمت المخابرة مع اصحابها، فاستدعاه وداعبه قائلا : الم يتبدل الزمان ؟ فقال له الاستاذ أنا وأنت لا نعرف تبدله ، فالطيور هي التي تعرف ذلك بصياحها ونشاطها ، فداعبه قليلا ، ثم أعلمه بأن مدرسة تانكرت تيسرت له ، فأركبه حمارة فوصلها ، وقد شق ذلك على أهل تانكرت وانما وافقوا مرغمين ، لان أستاذا لهم مـن أهـل الساحل لا يزال في المدرسة ، فقال عبد الله للاستاذ لا تذهب ، فما مقصودي أنا الا أن أقضي هـذه الشهور الباقية لتمام الخصب فأذهب الى حال سبيلي ، وكان عبد الله شبه أبله طيب النفس (530) مع تبحره في العلم ، وكان ساذجا الى الغاية مرجو البركة ،

---

529) مضمن هذه القضية ان احمد بن ابراهيم ــ وهو الاول من 27 المذكورين ف التعليق(521) كان هو ومحمد بن صالح ــ أخو الثاني من أولئك الـ 27 ــ صفيين حميمين وقضيا كذلك السنين الطويلة حتى عرفا به وكانـا يشتركان في التجارة ، فحدث ان اشترى العلامة محمد بن صالـح مزودين من العنبر من رجل قيل انه لا يعرف قيمة ما باع ، فذهب بهما المشترى الى الصويرة فباعهما بما يساويانه ، فلما عاد ولعله قص ذلك على صديقه طالبه بحظه من الربح ، فقال له الآخر لم اشتره بمال الشركة وانما اشتريته على ذمتى حتى ابيع فقال له الآخر انما اجلك البائع لما اكتسبت من الوجاهة بالاتجار في مالى ، ففسد ما بينهما فتخاصـما الى الحسين هذا فجعل يرفعهما الى علماء وقته فراجت القضية مدة طويلة والحكاية في ترجمة كل منهما في عاشر المعسول ، وهناك نص الحكم الصادر في القضية .

530) راجع ذلك في ترجمته في الحادى عشر من المعسول ابتداء من صفحة 143 .

ثم صار التانكرتيون يقولون فيه صاحب الدابة ، يعيبونه بذلك ، فبلغه الخبر ، فقال لهم ان الدابة للحسين وهو صاحبها ، فسأقول له ما تقولون ، فتوسلوا اليه بكل عزيز أن لا يبلغه ذلك لئلا يسوءه ، وهو لا يتحمل أية اهانة ولو قلت . (ومن المعلوم انهم يشيرون بصاحب الدابة الى الدجال الذى يظهر عند قيام الساعة) .

فهذه الحكايات تبين نواحي من نفسيته ، كما تظهر لنا كيف يفتح بابه لامثال عبد الله البوشكرى الرجل الصالح ، ويسعى فى جبر خاطره ، ثم اعتماد عبد الله عليه وقصده له ، مما يبين لنا أن الحسين رجل اجتماعى .

## كيف ياتمر مع اهل نحلته

رأيت أن الحسين رئيس نحلة تاكوزولت ، وكانت ايليغ وتامانارت واكلميم مراكزها الكبرى ، ولذلك كان القواد التامانارتيون (531) ، وءال بيروك الاكلميميون (532) دائما مع ايليغ فى الحارة والقارة (533) تهب ريحهم الى وجهة واحدة، وقداصطنع من القبائل رؤساء بارزين يرسل اليهم فى كل ما عن من أمر جديد،

531) تامانارت التى ينتسب اليها هؤلاء القواد توجد عند الفائجة فى التخوم الصحراوية السوسية ومنها عبد الله بن ياسين شيخ اللمتونيين ، وهؤلاء القواد طائفة من الشرفاء الكثيريين ، وقد كانت فيهم الرئاسة من اوائل عهد السعديين او ربما حتى قبل ذلك وانحاشوا الى بودميعة بعد السعديين ، ولا شك انهم كانوا مما شمله فتح الدولة العلوية الفتية ، ثم ذهب اليهم المولى محمد العالم من تارودانت بأمر من والده المولى اسمعيل ففتك بهم فتكة بكرا لم ير مثلها واعتقل رئيسهم اذ ذاك القائد "محمد بن عبد الله بن منصور وصفده فى الحديد ووجهه لمكناس حيث القى فى غيابات السجن ولكن ظهر ما اوجب اعادة النظر فى امره فسرحه المولى اسمعيل ورشحه للعود الى منصبه فاعتذر بكبر سنه ورفض الرجوع الى بلده وطلب من السلطان ان يسمح له بالاستقرار فى مكناس فوافقه ورضى عنه ومنح اولاده واخوانه الذين بقوا ببلدة تامانارت كثيرا من الظهائر والتوصيات ، ويقال ان موته كان عام 1130 هـ ، كما يقال ان المولى محمد العالم ظلمه فتبين ذلك للسلطان بعد عام 1118 هـ اى بعد موت ابنه المولى محمد العالم ، راجع تراجمهم ابتداء من صفحة 228 من الجزء العشرين من المعسول ، ومات محمد العالم عام 1116 هـ فى ربيع الاول .

532) علق المؤلف هنا بقوله : « هى اسرة مثلت دورا عظيما فى اخريات القرن الماضى وأول هذا ، وكان دحمان هو الرجل العظيم الذى نال منهم بواسطة التجارة والفلاحة والرئاسة والكرم ومناصرة الحكومة شأوا بعيدا حتى توفى عام 1325 هـ ، وكان لاكليميم فى عهده وفى عهد ءاله أعظم شأن ، حتى كانت تلقب فى تلك الجهة بفاس الثانية » وقد كان فيهم دحمان ءاخر كان قائدا هناك فكان مثال الوفاء والاخلاص لجلالة المرحوم مولانا محمد الخامس واوذى فى ذلك من طرف الفرنسيين كثيرا ، توفى رحمه الله فى 19 ربيع الثانى عام 1384 هـ الموافق 28 غشت 1964 راجع تراجمهم فى أواخر التاسع عشر من المعسول .

533) الحارة من الحر والقارة من القر وهو البرد ، اى فى الشدة والرخاء .

فهناك الحسين بن عبد الله الفقيه العبلاوى (534) وأحمد والـد القائد المدنـى (535) ، وأحد ءال الحاج بلقاسم (536) السوقيين من تانكرت ، ومحمد أنافال

---

534) علق عليه المؤلف بقوله « فقيه رئيس ظهر بمظهر غريب ، تخرج من الحواضر ، ثم حال حتى كانت يده هي العليا في ايت باعمران، وهو والد سي احمد ن الطالب المشهور ، توفي عام 1308 هـ » ويعني بتخرجه من الحواضر انه تعلم في فاس ، والمظهر الغريب الذى ظهر به هو انه كان يخوض في النوازل وفي مشاحنات القبائل مع علمه الغزير وفضله الكثير وكرمه الوافر وصبره الراسخ،واستفحل الحسين هذا في التضريب بين ايت باعمران، وقد هرم وفلج حتى توفي في 29ربيع الاول 1308 هـ وصلى عليه العلامة سيدى محمد بن احمد المؤرخ الاكرارى مؤلف « روضة الافنان في تاريخ اعيان الزمان » ، لانه كان اذ ذاك في مدرسة سيدى علي بن سعيد في ايت بو ياسين القريبة من محل موت المترجم ، قال هذا المؤرخ « ولم اره في حياته بل بعد مماته ورايت له ليلة وفاته انوارا ، خرجت ليلا من حانوتي — يعني بيت سكناه — فاذا أنوار قدام عيني ظهرت لي ق الحائط، فقلت لعل الفقيه سيدى الحسين قد مات فلم يمض الا قدر ساعة فاذا رسول ابنه سيدى احمد يطلبني لأحضر ، ومثل تلك الانوار رايتها وانا صغير يوم مات سيدى ابراهيم بن الطاهر الشاحورى الاكرارى » والعبلاوى نسبة الى ايت عبلا (عبد الله) ، وايت بو ياسين فـي قبيـلة الاخصاص .

اما احمد ن الطالب فمعناه احمد ولد الطالب اى ولد الفقيه ، ومن المعلوم ان قدماء السوسيين يعدون من البدع الطارئة على بلدهم كلمة سيدى وتقبيل اليد ، فما كانوا يسمون فقهاءهم الا الطالب فلان او عمي الطالب اذا كان مسنا ، وما اكثر الاسر المسماة بئال الطالب ، فان العلامة سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ دفين تامانارت لما عاد من الجهاد في تحرير البريجة ايام السلطان المولى عبد الله الغالب بالله السعدى مر بقرية ايت فروين حيث العلامة سيدى محمد بن ابراهيم البعقيلي ، فاراد هذا ان يقبل يد الشيخ وهو هم مسن لا يكاد يظهر بين قربوسي سرجه فمنعه يدموقال له اتكون هنا البدع وانت هنا ؟ ان لم تقطع تقبيل اليد ولفظة سيدى فلا اعرفك ولا تعرفني ، مع ان شيخه الحسين بن عثمان التملي دفين تيوت قرب تارودانت هو الذى اتى بذلك من فاس .

وقد تبع احمدن الطالب هذا خطا والده في الخوض في السياسة وطمع في الولاية وتـولى فعلا قيادة قبيلته ايت عبلا وقيادة قبيلة ايت يعزى بظهير من الشيخ احمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين فسبب له ذلك مضايقة القائد المدني الاخصاصي الذى الب عليه من قتله عند سحر احد ايام رمضان 1339 هـ ، راجع صفحة 231 من عاشر المعسول وراجع الجزء 13 صفحة 316 والجزء 19 صفحة 117 منه وترجمة القائد المدني في الجزء 20 منه .

535) احمد والد القائد المدني علق عليه المؤلف بقوله « رئيس فاضل ذو اخلاق حسنة مأثورة مشهورة بكل لسان ، يلزم الجادة ، توفي نحو عام 1301 هـ » .

راجع ترجمته وترجمة ولده القائد المدني في الجزء 20 من المعسول .

اما القائد المدني ابن احمد بن عبد الله فهو احد الذين خبوا ووضعوا في فتن مدافعـة الاحتلال الفرنسي وانصاره كحيدة بن ميس والكلاوى والطيب الكندافي ، وكان له اتصال بالـدولة العلوية ولكن لما انعقدت الحماية انحاش الى ءال ماء العينين المعادين للاحتلال وكان من المتزعمين لحركتهم حتى مات ، ومع انه كان كأبناء زمانه رغبة في النهب وجمع الحطام ، فقد كان يطلب الله ان لا يجتمع بالنصارى — يعني الفرنسيين — فلم يجتمع بهم قط ، وكان لا يحفظ القرءان ، بخلاف والده احمد ، وكان يقرؤه حتى سهل عليه فصار يقرأ منه خمسة احزاب يوميا مع ورد من دلائل الخيرات ، مات بعد عصر يوم الاثنين سابع رمضان 1352 هـ ودفن في بويزاكارن .

536) علق هنا المؤلف رحمه الله يقول : « اسرة الاستاذ الحاج الحسين الافراني مشهورون بمناصرة ايليغ ، فلذلك اشتهروا بمناصرة الحاجيين فخرجت ديارهم مرتين لذلك » ، راجع ترجمة العلامة سيدى الحاج الحسين في صفحة 26 من الجزء الرابع من المعسول .

الرخاوى (537) ، وأمغار محمد العلوى المجاطى (538) ، وعلى بن بـوهـوش العلوى المجاطى (539) ، ومحمد الملقب أوسار الوفقاوى (540) ، واليزيـد العـروسى السمـلالى (541) وامثالهـم فمنهم تتكون ندوة ايليغ فيبـرمون مـا يشاءون هناك ، وجيب الحسين مفتوح لهم ، لأن من شيمه ان يقوم بأودائه قياما تاما ، ولا يفرط في واحد منهم ، وكان كل الرؤساء للقبائل يتناولون مما غرمه لقبائلهم بواسطة الموسم كما تقدم ، ولذلك يجدون في اعانته ، وتلك سياسة اتبعها الى ءاخر حياته .

## الحسيـن والحكـومة

ذكرنا فيما تقدم ما يحكى من انه عارض المولى الحسن الأول ، وقـد عرضنا ذلك امام القارىء كما سمعناه ، ولا ندرى مقدار ما لذلك من الصحـة ،

537) علق عليه المؤلف يقول : « قرين مبارك بو الطعام وكان يفوقه احيانا ، وقد هلك في سجن الحكومة كما سمعت » .

ومبارك بوالطعام هذا الذى قارن به محمد انافال ـ اى الاحمق بالشلحية ـ رجل امي تقريبا لكنه من عظماء عصره وهو من قبيلة ايت رخا احدى قبائل مجاط بجوار ايت باعمران بالقطر السوسى احد الابطال المغاويرنوى الرأى الصائب فى حل المشاكل والمصالحة بين القبائل انضم الى ءال الشيخ ماء العينين ضد الاحتلال الفرنسى ، فلم يصل الاحتلال ايت رخا حتى تجاوزت سنه المائة سنة فلزم بيته وترك اولاده العلماء يخوضون مع الخائضين ، توفي عام 1366 هـ ، راجع ترجمته فى صفحة 210 الجزء 20 من المعسول .

538) علق عليه المؤلف بقوله : « ابتدات رئاسته بالانتخاب بمشورة محمد اعجلى البعقيلى قبل عام 1270 هـ ـ راجع التعليق 521 ـ فكان كبير الشأن وكان لا يعاب الا بالطمع والا فانه كريم مخالق مستحى مشفق على المساكين توفى عام 1322 هـ ، وهو والد القائد سعيد المجاطى المشهور المقتول ءاخر عام 1330 هـ » راجع التفاصيل فى تراجمهما فى الجزء 20 من المعسول .

539) علق عليه المؤلف يقول : « قرين امغار محمد المذكور غير انه بخيل ضيق العطن لا يليق للسيادة الشريفة توفى نحو 1310 هـ » توجد ترجمته ايضا فى صفحة 218 من العشرين من المعسول .

540) علق عليه المؤلف يقول : « من ءال الطالب ابراهيم الوفقاويين ، يقال انه حكيم بين اهله ، ولذلك انتخب عنهم ، توفى نحو 1308 هـ فيما سمعت » ومعنى اوسار الاشيب الضعيف .

541) علق عليه المؤلف يقول : « من الاسرة العروسية التى لا تـزال فيهـا رئـاسـة ايت عروس ، سقط فى حرب بين الحسين وبين مجاط قبل تمام القرن 13 هـ » وايت عروس هؤلاء فخذ من قبيلة سملالة بسوس ، وقد مر فيهم علماء توجد تراجمهم فى اوائل الجزء الخامـس من المعسول .

لأني لا احسب مثل الحسين في رجاحة عقله يطاول السماء بيده ، وقـــديمـــا قال المعـــري :

أري العنقـــاء تـــكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا (542)

فقد سكت التاريخ(543) عن هذه النقطة ، فيمكن ان يكون ذلك صحيحا فياتي أجفاله امام السلطان المولى الحسن سنة 1299 هـ . مما يؤيد ذلك ، كأنـــه يخاف عقبى ما قدمت يداه ، ويمكن ان لا يكون ذلك صحيحا ، وانما يـــكـــون اجفاله في هذه السنة عن خوف توجسه من الدوائر ، ولا احسب ان الحكومة تحس منه بشيء مع ماله من السمعة والشهرة ثم تبقى عليه ، مع انها لا تحتاج لأكثر من ان توعز لأصغر قوادها فيطارده أو يلقى عليه القبض ، وقد ســـمعت حكاية صحيحة تنافي ما تقدم ، وهي ان الجرارى والحسين تخاصما على ايغير ملولن ، فتحاكما الى السلطان المولى الحسن برسائلهما فحكم للحسين ، فقرأ الـــظهير على القبائل هناك الفقيه السيد الحاج الحسين الافرانى ، وهذا يؤيد ان ما بينه وبين الحكومة لم يبلغ من الفساد ما يظنه الناس تخمينا وحدسا ، والذى يظهر ان الحكومة تراه ككثيرين في الاطراف لهم شبه استقلال ، وامرهم عندها قريب ، وقد اكتفت منهم بالموالاة المعنوية ، وخصوصا في مثل ذلك الـــوقـــت الحرج الذي يجتازه المغرب منذ وقعة تطوان سنة 1276 هـ (544)، فالأمورالخارجيه تشغل بال الحكومة فلا تبالى في الداخل بأمثال الحسين ولو كان حقيقة ظهر منه شيء اخر ، وأما وقد والى الحكومة ظاهرا فلا معنى لمناوشته ، هذا ما يظهر لي ، وكأنني في هذا الرأى غير بعيد عن الحقيقة الناصعة ، وذلك ما يؤتى لي .

---

542) هذه القصيدة في « سقط الزند » لأبى العلاء .

543) علق المؤلف هنا يقول : « الاعلام لابن زيدان في ترجمة المولى الحسن » .

544) وقعة تطوان هذه كانت سنة 1276 هـ الموافق سنة 1860 م .

فقد احتلها الاسبان احتلالا نهائيا ولاظهار تأبيده للمغاربة جعلوا يشقون الشوارع من جديد ويهدمون ويبنون ، ولكنهم ارتحلوا عنها بعد شهر ونصف مقابل اموال باهظة منها المعجل ومنها المؤجل ، وهذه القضية احدى نكسات المغرب التي ادت الى احتلاله .

راجع الاستقصاء وتاريخ تطوان للاستاذ محمد داود التطواني .

## هل كان عازما حقيقة على استعادة امارة أجداده

قالوا جلس الحسين يوما مع انيسه اليزيد العروسي السملالي وكانت بينهما مصافاة ومداخلة في جميع الاسرار ، فقال له الحسين أرايت مقدار ما تدور فوقه (545) ننتا عشرة بغلة من المال الناض يقوم بتأسيس ملك ؟ فقال العروسي — وقد حكى عن نفسه ان مقصوده في الجواب لفت نظره عن تلك الجهة — لا والله بل ليس في ذلك المقدار ما يمكن ان يقوم بطرابيش الجند وحدها فضلا عما وراءها .

هذه حكاية متداولة عند الناس ، وعليها وحدها يبنون ما يرونه من ان آمال الحسين تتعالى الى استعادة مجد آبائه ، ولكن هل تصرح الحكاية وحدها بذلك، ان الانسان ليكون من ذلك في شك ما لم يكن هناك بساط (546) عند تلك المحادثة يدل على قصد تلك الفكرة ، لأن مثل هذا قد يراد به أمور اخرى كالمداعبة وكاظهار مقدار ما لقائله من ثروة ونحو ذلك ، ولهذا لا يمكن ان تدل الحكاية وحدها على ما يريدون رغم فهم العروسي الحاكي لها على ذلك المنحى ، وقديما قال المحدثون « ان العبرة بمروى الراوي لا بفهمه » .

ان القاء نظرة سريعة على قوة الحكومة الداخلية اذ ذاك ما بين 1258 هـ وبين 1303 هـ (*) ليدل على ان هذه الفكرة لا يمكن ان تستولي على عقلية الحسين استيلاء يعدها للبروز الى الوجود ، فمولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد وحفيده المولى الحسن كلهم أقوياء في نظر الأمة مرضي عنهم أتم الرضا ، لهم في قلوب أهل جزولة مكانة عظيمة ، ولعلماء هذه البلاد اتصال تام بالعرش ، كاحمد التيمكيدشتي وولده الحسن والحاج احمد الجشتيمي والحاج ياسين الواسخيني

545) علق المؤلف هنا بقوله : « يعني المقدار الذي يجول عليه هذا المقدار من البغال من الزرع حين درسه ، وقد اتى ذلك منه لانه بعوى يشبه مقاصده بما يالفه من العادات » .
واما اليزيد هذا فقد تقدم في التعليق 541 .

546) اي قرينة تدل على ان مراده هو القيام لاسترداد سلطة جده بودمعة .

*) تاريخ ابتداء رئاسة الحسين بن هاشم وتاريخ وفاته .

واحمد بن ابراهيم السملالي والحسين الاصاريفي (547)، والعربي الادوزي وابنه محمد، وقد رأينا أسماءهم كلها مصرح بها في رسالة كتبتها الحكومة (548) الى هذه الجبال سنة 1276 هـ يوم حرب تطوان ، ثم رأينا المتطوعين يذهبون فينتظمون في الجندية ، ووراء ذلك ، فان يد الحكومة قوية في تارودانت دائما ، وقوتها المعنوية قد استولت على أقصى الصحراء المغربية فضلا عن جزولة ، لما لأولئك الملوك من ممازجة بالأمة ، وود راسخ في القلوب ، أفبعد هذا يمكن ان تستولي هذه الفكرة على الحسين حتى يراها مداه في الحياة فيوطد لها ؟ اللهم ان هذا بعيد.

اننا رأينا الحسين قد وجد أمامه وخلفه وبين يديه عداوة البعقيليين والجراريين ، وهي مستديرة به من جانبين ضاربة عليه أطنابها ، وقد بذل كل ما في وسعه فلم يستطع ان يتغلب عليها ، وهل في امكان من كان عاجزا عجزا واضحا عن مغالبة هذه القبائل ، ان يتطاول الى مغالبة المعتلين العرش مع ما لهم من القوتين السلاحية التي تنسفه في لحظة عين والمعنوية التي ليس له ازاءها الا مثل ما في الاضاة (549) من المياه بالنسبة للبحر المحيط ؟ اللهم الا ان كان أبله أخرق غير مميز ، وليس الحسين بالأبله ولا الأخرق ولا غير المميز ، بل تدل كل أفعاله على انه حاذق ماهر بارع فيما ياتي وما يذر ، حازم لا يقدم حتى يوطد ويستعد لما هو مقدم عليه ، فلهذا لا يمكن ان تستولي عليه هذه الفكرة،

547) تقدم احمد التمكيدشتي في التعليق رقم 522 وولده الحسن في رقم 523 والحاج احمد الجشتيمي والخمسة الذين بعده مذكورون في رقم 521 ، ومراجعة تراجمهم في « المعسول » افيد كثيرا .

548) حيثما ذكر المؤلف الحكومة في هذا الكتاب فانه يعني بها السلطة المركزية المغربية . الشرعية المستقلة المتمثلة في شخص السلطان يحترز بذلك عن سلطة العمال او الثوار في الاطراف.

549) الاضاة : الغدير جمعها اضى كهوى واضاء كوفاق واضايات كعنايات كما تجمع جمع مذكر سالم اضون .

وما أقاويل بعض الناس فى ذلك الا تمويهات ليست بنبع ولا غرب (550) ، نعم اننا لا نحكم بأنه براء من ان يخطر ذلك بباله لو وجد أمامه الظروف الملائمة ، كما اننا لا نقدر ان نجزم بأنه خطر بباله ايضا لأن ذلك من بنات القلوب التى لا يطلع عليها الا علام الغيوب ، وانما الذى ننفيه عنه هو ان يستولى عليه الطموح الى ذلك حتى يعمل على اظهاره للوجود ، فهذا ما لا يمكن ان يلصقه به الا من لا يرى له عقلا حصيفا بل يرى له بلها ليست له نهاية ، مع ان الرجل عاقل كبير ، وان كان ربما يؤديه تعاليه الى الثروة الى ان يتطاول الى تخطى ما كان اذ ذاك محظورا على كل احد أيا كان حين يكاتب بعض الأجانب ليفتح معهم المقايضة فى بعض نواحى آيت بعمران ، ولاسمه ذكر فى المشادة التى قضاها المولى الحسن وسط ايام مملكته فى الدفاع عن تلك النواحى (551) ، وقد قيل لى ان تحت يد أولاده الى الآن رسالة من دولة فرنسة اليه تتحفه بأمور مسماة فى الرسالة ولكنه لم يتوصل بها ابتعادا عن ان يفاتح من لا يعرف عقبى اتصاله به استقبالا فرد الهدية ، وهذه غاية حصافة الرأى .

## وفادته على الحاج عبد الله الحاحى

كان للحاج عبد الله بن عبد الملك ــ بعد والده ــ مركز عظيم هائل ، وقد امدته الحكومة بعناية كان جديرا بها لاخلاصه للعرش ، وقد بلغ

---

550) أصل النبع شجر تتخذ منه القسى والسهام ، والغرب بفتح الراء شجر ايضا .
ويقولون فى الشىء ليس بنبع ولا غرب اذا كان لا فائدة فيه قال ابو تمام من قصيدته البائية الشهيرة .

تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

551) علق المؤلف رحمه الله على هذا بقوله : « 334 من الجزء الثانى من « الاتحاف » ويعنى بذلك ما ورد فى جواب من جلالة المولى الحسن الاول مؤرخ بثانى عشر رمضان عام 1297 هـ الى وزيره المفوض بطنجة السيد محمد بركاش ، فى شأن انجليزى يسمى مكينسى نزل للاتجار بجزر كنارية بدون أن يؤدى اعشارا للدولة المغربية ، وان اصبانية وفرنسة تريدان فتح مراكز لهما هناك حتى لا تستبد انكلترة وحدها بالاتجار فيه ، ثم يقول السلطان فى جوابه ذاك مذكرا للوزير بما فى رسالته وعاطفا عليه قوله : « وانك تخبرت على وجه السر بكتاب توجه للفرنصيص من فرقة من قبيلة ايت با عمران يطلبون التجارة منه معهم ، كما تخبرت بان ابن هاشم كتب له بالمخاطبة فى شان المخالطة فلم يساعد على ذلك الى ءاخر ما ذكرته » والمراد بابن هاشم هو الحسين هذا .

في أوائل أيام المولى محمد بن عبد الرحمان مركزا عظيما (552) ، فقد طالت ايالته الى سوس ، فاستولى على اكادير وكسيمة وهشتوكة ، كما استولى على ادا وزيكي وما وراءها ، وذلك في حدود 1280 هـ ، فلعل امتداد نفوذه الى هشتوكة كان سببا لاتصاله بالحسين ، فتوطدت بينهما الصحبة بالمراسلة ، ولعل هذا يكذب ما قدمناه مما يحكيه الناس من كونه واقف المولى الحسن حين نزل الى سوس سنة 1283 هـ لاننا ما كنا نحسب مثل الحاج عبد الله يوالى من يفعل تلك الفعلة ، ثم اننا رأينا الحسين قد ذهب في وفد كبير في حشمه ورؤساء نحلته كأحمد والد القائد المدني ، فرتب من في موكبه ، فأمر الجميع بملازمة الصمت في دار الحاج عبد الله فلا يتكلم الا احمد هذا واثنان آخران ذكروهما ، فلقاه الحاحي الضيافات من كسيمة في دار الحاج العربي ثم لم يزالوا في ضيافته حتى نزلو افي أزاغار حيث مسكن الحاج عبد الله ، فلاقوا هناك عناية هائلة واكراما جما لا يزال طنينه يرن في الاسماع الى الآن ، ثم صدر الحسين وأصحابه من هناك بحقائب بجراء وجيوب طافحة ، ولعل هذه الوفادة كانت قبل سنة 1283 هـ ، كما يظهر من القرائن .

وقد رأينا الحكومة تنتزع اكادير في هذا الحين من يد الحاج عبد الله وتجعله في يد القائد حيدة بن علي الشركي قائد تارودانت، ورسائله في كسيمة توقع بأواخر سنة 1284 هـ فما بعدها ، فهل لهذا الاتصال بالحسين الايليغي دخل في انتزاع اكادير من يده وتقليص ايالته من تلك الجهة ؟ وهل لما يذكرونه من معارضة الحسين للمولى الحسن يد في ذلك ؟ ثم رأينا الحاج عبد الله هذا يطوق

---

552) علق المؤلف رحمه الله هنا يقول : « في صفحة 118 من ثاني « الاتحاف » ويعني بذلك قوله : « كان عامل حاحة ولد بيهي ظهر له من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان قبول واقبال حمله على التصريح بانه المعتمد في تلك الجهات الحوزية وانه لا دخول له تحت ولاية وخلافة المترجم — يعني المولى الحسن الاول — فكان من قدر الله ان قامت عليه ايالته ومدت يد النهب والتخريب الى داره حتى اضطر الى الاستنجاد بالمولى الحسن فانجده حتى افلت وقدم على السلطان سيدي محمد الى فاس وجعل يلوح الى ان ما حل به هو بتدبير المترجم فلم يلق اليه السلطان بالا لتمكن مكانة ولده لديه » .

ادا وتانان سنة 1284 هـ في حملة عظيمة حتى اقتحمها بعد رمضان في اواخر السنة (553) ، ثم لم يلبث ان القت عليه الحكومة القبض وألقته في سجن مراكش حيث لاقى حمامه «اخر السنة ، فهل كانت فعلته بادا وتانان افتياتا على الحكومة ، فيكون ذلك ما عجل اليه حنقها الشديد ؟ او كان ذلك مع ما قدمناه من الاتصال بالحسين أسبابا لما صنعته به الحكومة (554) .

اما الناس فيقولون ان سبب غضب السلطان على الحاج عبد الله هو انه توصل برسالة سرية كان كتبها الى الحسين ، فأمالها الرسول الى مراكش عوض

---

553) علق المؤلف هنا يقول : « عندنا تفاصيل لا باس بها لهذه الحملة بخط بعض العلماء الحاضرين اذ ذاك » ويعني بذلك وصف هذه الحملة لسيدى محمد بن احمد المتوفى عام 1316 هـ وهو والد سيدى سعيد التناني الاستاذ الصوفي الشهير وزوج اخت المؤلف عائشة ، وذلك ضمن تسجيلاته لمحن مرت على قبيلته اداوتنان ، من عام 1266 هـ الى ربيع الثاني عام 1296 هـ ، كمدة مجاعات شديدة اصابت المغرب في هذه الظروف ، وقال في وصف هذه الحملة :

« ونواحي بني تنانة كلهم قد تسلط عليهم القائد الحاج عبد الله بن عبد الملك الحاحي واخوانه كلهم قبائل حاحة باجمعهم نزلوا علينا بامره ، ومن معه من القبائل كقبيلة نفيفة وقبيلة بنسيرة وقبيلة اداوزيكي ، وقبيلة ماسكينة ، وقبيلة كسيمة ، وبعض قبائل هوارة ، ومن معهم من اخواننا بني تنانة ، وداروا علينا وعلى بلدتنا كدورة الخاتم بخيلهم ورجلهم ، بجنودهم وجهودهم وكثرتهم ودارت الاهوال ببلدة بني تنانة كلها ، قد نزلوا عليهم في شهر الله ذى الحجة الحرام عام 1284 هـ ومكثت المحلات – يعني الجيوش – ونزلت عليهم تسعة اشهر كاملة وصار القتال الشديد في بلدة بني تنانة » .

حتى قال : « فرجعوا بعد ما احرقوا بلدة بني تنانة كلها حتى ما بقي منها الا القليل ، اعني المواضع المنيعة بالاوعار »

وقال : « وقطعوا جميع الاغراس التي لا عد لها ولا حد » .

وارخ هذا التسجيل بالمحرم عام 1285 هـ .

554) حكى المؤلف رحمه الله في صفحة 86 من رابع « خلال جزولة » له ، قال : « اخبرني ثقة ان اباه قال كانت بيني وبين الحاج عبد الله معرفة اذ ذاك فذهبت الى داره مرجعه من اداوتانان ، وبعد قليل دخل في عشية فارس يرتمي فرسه زبداً أبيض مما يدل على شدة اسراعه ، فولج على البوابين ولم يرده احد حتى وصل القائد وكان ذلك في الاصيل ، ثم لما وصل المغرب ، لم نسمع اذان الدار الداخلية على العادة ، ولم يكن يؤذن في المسجد الخارجي حتى يؤذن في المسجد الداخل ، ثم بعد العتمة سمعنا بكاء من الدار ، ثم قيل لنا ان القائد يودعكم ويقول لكم انه سائر الى السلطان الآن ، فان رجعت فلا يكون الاخير والا فالوداع ، فذهب فلم تمض الا ايام حتى سمعنا بموته » .

وقد اشرنا في «اخر التعليق 492 من صفحة 242 ان الى الحاج عبد الله هذا ينسب درب عبيد الله بالمواسين بمراكش ، ونضيف هنا ان داره الخاصة صارت اليوم مقسمة الى نصفين كل منهما بيد مالك خاص .

ان يسير بها الى ايليغ ، فاذا كنا نقف دائما من امثال هذه الأقاويل المتداولة موقف الحياد ، فلا نردها الا بما هو أصح منها ، فيمكن ان يكون اتصال الحاج عبد الله بالحسين هو سبب سقوطه ، وانه ذهب ضحية هذا التقارب ، على اننا لا يمكن لنا ان نحمل هذا التقارب بينهما الا على ما ينفع الحكومة ، يسعى فيه الحاج عبد الله ، فيؤول سعيه في دوائر ولي العهد على خلاف ذلك ، فيبطش به ، وهناك في الدوائر المخزنية من يقول ان لولي العهد المولى الحسن يدا مع أعداء الحاج عبد الله آل بووابوض(555)، أفلا يمكن ان صح ان له يدا معهم أنهم هم الذين حبكوا الدسائس فبنوها على ما سبق من مقاومة الحسين للمولى الحسن سنة 1282 هـ ، ثم يؤول اتصال الحاج عبد الله به كمقاومة للحكومة ؟ كل ذلك ممكن ، ولكننا كمؤرخين يريدون التثبت ، لا نقدر ان نجزم ما دمنا لا نجد اخبار ثقات أو وثائق نبني عليها حكما مسمطا ، وكل ما صح عندنا في الموضوع هو اتصال الحسين والحاج عبد الله ووفادة الأول على الثاني ، واما ما سوى ذلك مما ذكرناه فانه معروض امام اعين القراء كما يذكره الناس او كما يخطر في بالنا ، وهذه المقاومة التي ذكرناها من الحسين امام ولي العهد في هشتوكة اما في سنة 1282 هـ ، واما في السنة بعدها لأن للمولى الحسن مجيئا الى سوس مرتين اذ ذاك ولم تكن سوس مسلحة ولا جرى فيها قتال ، وقد اتفق المخبرون على تلك المقاومة

---

555) علق المؤلف هنا بقوله : « وسبب العداوة ما يكون بين متوكة وحاحة من قديم . وقد نهب مرة ءال الحاج عبد الله بوابوض أو نهبه هو نفسه » . اما بوابوض فراجع قبه رقم 525 .

واذا كان القارىء عاطفيا يرى في هذا الانقضاض الذي انقضته الدولة على عبد الله بن عبد الملك هذا وهو ءامن في سربه مأساة محزنة خصوصا اذا استحضر اخلاصه لها واخلاص والده قبله فلا ينبغي أن ينسى ان ميدان السياسة لا يعرف العواطف . وان الدولة العلوية لم تنس بعد غدرة بودميعة للمولى الشريف بن علي جدها واعتقاله في ايليغ عدة اعوام حتى فدى نفسه بالاموال الطائلة ، كما انه كان ينبغي لعبد الله أن لا يغفل عن مجاهرة الحسين بالعداء سنة 1283 هـ للمولى الحسن الاول ايام ولايته للعهد . كما انه لم يكن من اللائق به ان يتعاظم على ولي العهد وهو من اولياء نعمته واليه يصير مئاله يوما ما .

وقد كان من واجب عبد الله هذا ، قبل أن يتصل بالحسين بن هاشم ان يعرف رأي الدولة فيه اولا . وان يتفق معها على خطة معينة اما باستئلافه واستمالته لحظيرتها واما بالقبض عليه عند التمكن منه ولم يحدثنا التاريخ عن قيام عبد الله ابيهي بهذا الدور الدقيق والطبيعي في نفس الوقت، والا فالمعروف عن ملوك الدولة العلوية هو الوفاء لمن اخلص لهم . والامر لله من قبل ومن بعد .

ولكننا لا ندرى كيف دارت ولا كيف جرت ، وفى التاريخ ان المولى الحسن جاء فى سنة 1282 هـ الى ان وصل نحو ماسة ، ولم تذكر فى ذلك مقاومة ما (556) .

ثم ان نظرنا الى كون الحسين يجعل نفسه فى مركز سام حتى يقيم له مثل الحاج عبد الله قيمة ، فاننا نعرف ان همته شريفة ، وانه يحب معالى الأمور لانه يريد ان يجعل الحاج عبد الله واسطة متينة بينه وبين السلطان ليزداد بذلك مكانة الى مكانته ، ولكن جاءت الوفادة بعكس مقصوده فذهب صاحبه ضحيتها ان صح ما ذكرناه ، وما أكثر ما يذهب البرءاء أمثاله بتمويهات الدساسين الذين يتطلبون بكل ما فى وسعهم ان يزرعوا الشقاق بين القلوب ، وان يثيروا أيدى الحكومة على المخلصين من اعوانها ، وعلى كل حال فان هذه النقطة التى يـدور حولها القاء القبض على الحاج عبد الله لا تزال فى ذمة البحث .

ثم اننا لم نعرف للحسين سفرة أخرى سوى هذه خارج سوس الأقصى ، وانما مجالات أسفاره ، وميادين انتقاله هى القبائل التى تتاخم تازروالت ، حيث يهاجم أو يدافع أو يخابر فى منطقة حزبه تاكوزولت ، وليس امامه مقاصد اخرى سوى ذلك ، كما يشهد به كل ما عندنا من تاريخ حياته الحافلة بالحـركـات والتنقلات ، وكان دائما حيثما حل مطمح الأبصار ، وقطب المخابرات ، ومنبع الآراء ، لأنه يالف ان يعلو دائما ولا يعلى عليه ، ولذلك لا يمكن أن يفـد تـلـك الوفادة على الحاج عبد الله حتى يعلم انه سيحل عنده محل التشريف المتناهى .

---

556) علق هنا المؤلف يقول : « بل ذكروا انه تجاوز ماسة : صفحة 118 من الجزء الثانى من « الاتحاف » .

قال المولى عبد الرحمان بن زيدان فى صفحة 117 من الجزء المذكور : « لعقد له عام 1280 هـ على جيش بقصد قبائل السوس الاقصى » ، وبعد ما ذكر ان والده اختار من يليق لرفقته من العلماء والعمال وعد منهم العلامة السيد على المسفيوى المراكشى والنحوى الاديب السيد محمد بن عزوز الرباطى والوزير السيد محمد بن دانى . قال « الى ان بلغ اقصى سوس ودوخ قبائله التى مضى عليها زمن طويل وهى معطلة من حلى طاعة الامراء والسلاطين » ثم قال : « وكان فى حركته تلك بلغ وادى ماسة بل جاوزه ، ثم ثنى عنان عزمه لباقى بلاد سوس مثل هشتوكة وهوارة ورأس الوادى » .

## اجفاله امام السلطان الى الجبال

في سنة 1299 هـ . أقبل السلطان المولى الحسن الى سوس ليتفقد ناحية الصحراء لأمور سياسية خارجية ، فحافظ ان لا يثور امامه من قبائل الجبال ما قد يشغله عما جعله امام عينيه ، فأفلح فلاحا باهرا في الملاينة ، فلم تبق قبيلة في كل سوس ولا في صحرائها الا مثلت بين يديه ، فيعين لها القواد والقضاة ويصل كل واحد ، وقد اظهر للعلماء جميعا على اختلاف طبقاتهم احتراما زائداً ، فبادر من كان منهم تأخر عن ملاقاته فاستدركها ، ولم يبق في سوس قاطبة من له جاه أو رئاسة أو ذكر كيفما كان الا مثل بين يديه فيرجع راضيا ، الا ما كان من الحسين بن هاشم هذا فانه غادر ايليغ وتسلق جبل سملالة ، ونقل كل متاعه اجمع من ايليغ ولم يبق فيه شيئا ، وملأ جانبا من مدرسة الشيخ سيدي احمد بن موسى بالأواني كالموائد وغيرها ، فعل ذلك مع ان العقلاء نهوه عن فعله وامروه بالاستقرار في داره ، وقالوا له انه لا يخاف من السلطان شيئا ، ومن بين من نهوه عن مغادرة ايليغ الشيخ الصوفي الشهير سيدي سعيد بن همو المعدري (557) ، فقد جاء اليه من المعدر ولا قصد له الا ان ينهاه عن الهروب ، وكانت بينهما صحبة أكيدة ، وكان الحسين يعتقده ، فوجده عند الباب وقد اسرج خيله واراد أن يركب ، فأمره بأن لا يذهب ، فأصر على نيته .

جاء المولى الحسن فنزل في ضواحي تيزنيت ، وارسل مولاي الامين من ءاله حتى زار ضريح سيدي احمد بن موسى بتازروالت ، وقد عرجوا على

---

557) من كبار الصوفية العارفين بالله ، ولد عام 1215 هـ وتوفي عام 1300 هـ أخذ عن العارف بالله سيدي احمد بن عبد الله المراكشي صاحب الزاوية الدرقاوية بحارة ازبزض بمراكش عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي ، وافضل ما اقوله للقارىء الكريم عن هذا الشيخ الجليل هو أنني انصحه ان يقرأ ترجمته في رابع المعسول ابتداء من الصفحة 306 .

ايليغ ولم يلتفتوا اليه ، ثم رجعوا ادراجهم ، فسكت المولى الحسن عن الحسين كأنه لا يعرفه ولا يابه بما صنع ، رغم مـا تقرب بـه الـبعقيليـون من معـاداة الحسين (558) ، فقد عين لهم السلطان ثلاثة قواد القائد احمد الابلاغى العـدو الشديد للحسين ، والقائد موسى الوجانى ، والقائد سعيد الكردوسى ، وقد وقع بعد ان رجع السلطان الى الحمراء أن وفد القائد احمد الابلاغى على السلطان فى بعض الأعياد ، وكان ابله ، فصار ينادى فى مشور القصبة بمراكش بأعلى صوته، والمشور مكتظ بالناس فيقول : « قولوا لمولاى الحسن يخرج لأتمم معه الكلام حول الحسين بن هاشم فانى ما جئت الا لذلك ، فيضحك الناس من بلهه ، وكان يقول فى مجامع القبائل غدرنى مولاى الحسن وقد كان وعدنى أن يجتاح ايليغ ، فوالله لو عرفت أنه لا يصنع ذلك ما رأيته ولا رءانى ، فمن هنا نعرف تصامـم السلطان عما يريده بالحسين أعداؤه ، ولا نحمل ذلك على حلم السلطان ولا على أنه لم يغتظ من هروبه أمامه مع مثول كل الناس أجمعين بين يديه ، وانما نحمل ذلك على ما ذكرناه من أنه مهتم بأمور أخرى خارجية دولية فى سواحل الصحراء ، فلم يرد أن يمس أحدا فى الداخل ، لئلا يشتغل عما هو بصدده بشىء ءاخر .

ثم أن الذين يحكون أن الحسين كان قاوم المولى الحسن سنة 1283 هـ. فى أيام والده ، يرون أن اجفاله أمامه سنة 1299 هـ . كان على خوف مما اجترحه اذ ذاك ، وقد يكون ما قالوه صحيحا .

ثم أن الحسين الذى كان نزل فى سملالة عين لتلك القبيلة سوق الجمعة التى تقام الى الآن ، بعد ما كانت سوق أخرى ذلك النهار فى أغرابو بأيت وافقا ، ثم خربت قبل ذلك العهد لنحو عشر سنوات ، فكانت اقامة سوق الجمعة نكاية

---

558) علق المؤلف هنا يقول : « وقد اخبر من كانوا اذ ذاك من البعقليين هناك ان موجة عظيمة من البشر قد غمرتهم، وكانوا يقولون ان السلطان ما جاء الا من اجل التازروالتى وشيعته، ومن هنا يظهر ما يضمره البعقليون للحسين » .

بسوق الاحد بأغوديد (559) التى كانت للبعقيليين ، فنشأ عن ذلك شنئان عظيم انتهى الى حرب تارغنا التى سنذكرها قريبا ، وقد خربت سوق الاحد من جراء ظلم أهله للمتسوقين .

يذكرون أن ما كان مكنوزا فى ايليغ وما كان فيه من الاثاث والذخائر نقل كله مع الحسين الى الجبل فى هذا الوقت ، ثم لم يرجع غالب ذلك، ويقولون أن خراب ايليغ المعنوى كان من ذلك الحين .

### حرب تارغنا (560) وذيولها

يزعم البعقيليون أن اقامة سوق الجمعة هى التى أدت الى ابطال سوق الاحد الاغوديدية البعقيلية ، فأثار ذلك سببا خاصا لهذه الحرب ، زيادة عما كان دائما بين ايليغ وسملالة من جهة ، والبعقيليين من جهة أخرى من عداوات مضت فيها أجيال ، فاحتشد كلا الفريقين بشيعته ، فكانت كل القبائل التى تحمل سمة تاكوزولت فى جانب ايليغ ، والتى تعانق سمة تاحوكات فى الجانب الآخر ، وكان التيزنيتيون وهم دائما من تاحوكات مع البعقيليين ، فكان العربى ابن حسون رئيس خيلهم ، فسقط هناك عند اشتداد المعمعة ، ثم لم تكن الحرب

---

559) علق المؤلف هنا يقول : « وهى سوق قديمة تاسست فى اواسط القرن الثانى عشر كثلاثاء الاخصاص ، وخميس تاغجيجت، وخميس ايت بوبكر بايت باعمران، والاحد باكليميم، والاحد بافران ، والجمعة فى تين مولاى ، تاسست كلها على يد سيدى حسين الشرحبيل شيخ الطريقة الناصرية ، جال فى هذه النواحى توفى . . . » وترك بياضا ليضع فيه تاريخ الوفاة ، وقد توفى فى جمدى الثانية عام 1142 هـ ، وكان مولده يوم الاثنين 11 شعبان 1076 هـ رحمهما الله معا .

وهو الشيخ حسين بن محمد بن على بن شرحبيل البوسعيدى الدرعى ، العلامة الكبير السنى الناصرى الطريقة ، أخذ عن العلامة احمد بن محمد احوزى الشهير وهذا عن العلامة سيدى احمد بن القطب سيدى محمد بن ناصر الدرعى التمكروتى ، ورحل الى فاس سنة 1134 هـ ثم أسس مدرسته وزاويته فى قرية امانملونين ــ الماء الابيض ــ بقبيلة ايت تاكن بصناكة بعمالة وارزازات ، وقد قام بهذه الرحلة التى أشار المؤلف هنا الى انه اسس فيها تلك الاسواق فى رمضان 1141 هـ صحبة طلبته ومريديه يسيح ويعلم ويرشد الناس ويؤسس الاسواق ويامر بحفر العيون ويصلح بين المتحاربين ، ورجع لزاويته فى جمدى الاخيرة عام 1142 هـ وتوفى بعد ثمانية ايام ، وقبره مزارة هناك راجع ترجمته فى الجزء 18 من المعسول .

560) علق هنا المؤلف يقول : « قرية من سملالة فى بسيط ازاءانكيضا » .

تنفصل بين الفريقين بعد مــا دامت أربعة عشر شهــرا فيما يقولــون حتى دب الشقاق الى صفوف الحسين ، ولذلك أسباب ، اهمها سببان كبيران ، أولهما أن القائد سعيد المجاطي (561) الذى تولى رسميا رئاسة اخوانه بظهيرشريف سنة 1299 هـ ، كان يظهر بمظهر القائد في شخصه ، فيركب الفرس الذى أركبه اياه السلطان ، ويلبس الحلة التي خلعها عليه ، فيجول كذلك في موسم تازروالت ، فحك (562) ذلك في صدر الحسين وهو الذى نعرف منه عزوفا هائلا لا يرضخ معه لشيء ، فأمر يوما عبيده في يوم خميس بالموسم ، وقد امتلأ بكل الرؤساء من الآفاق ، فأنزلوا القائد سعيد عن فرسه ، وأداروا يديه وراء ظهره فاعتقلوه تحت أعين الناس اذ شاهدوا كلهم ذلك ، ثم أطلقه بعد ساعة ، ولا سبب لذلك الا ليعرف الناس أنــه لا يمكن لاحــد أن يتطاول امــام الحسين سيد الجنوب السوسى وهو من هو ، الرئيس المسموع الكلمة فيه ، لكنه أدى ثمن ذلك غاليا ، لان والد القائد سعيد وهو أمغار "محمد ثار ثائره من هذه الاهانة التي جاءت بلا سبب ، فأسرها في نفسه الى أن ياتي أوان القصاص ، والسبب الثاني هو أن الحسين كان غرم «ال تاجاجت (563) مالا كثيرا بدعوى أنهم أفسدوا له شيئا ،

---

561) هو سعيد بن أمغار "محمد من قرية أدعلي بن باها في مجاط ، خدمه السعد بالحصول عــلى الظهير الحسنــى ســنة 1299 هـ . بالقيادة على مجاط لمكانة والده بما كان له من تعقل ورأى وصبر ومنة الله عليه بأولاد صحاح الاجسام كفوه مؤونة مشقة التكسب ، ولكن تلك القيادة صــارت سببا لخراب تلك الدار ، لان الولد محروم من أخلاق والــده فأخذ يتشاحن مع النــاس ويعتــدى عليهم ، وقد القى عليا اخا الرئيس مبارك بوالطعام من جرف سحيق في تاكجكالت ، وكم القى منه عيره ، وقد خربت القبائل دارهم مرتين فارتحل ، ولما زحف القائد سعيد الكيلولي الحــاحــي الــى بويكرا في جمادي الاولى عام 1314 هـ والى تزنيت في جمدى الاولى عام 1315 هـ مد اليه يده فخالف بذلك خطة قومه ، ثم توجه للدوائر الحكومية بمراكش حيث الوزير احمد بن موسى ، ولكن حوادث تلك الظروف كانت تتقلب بسرعة ولما انعقدت الحماية مد يده للفرنسيين ، فالقى عليــه اصحــاب الهيبة القبض في هوارة عند فرارهم من تارودانت بعــد مراكش الى ما وراء تيزنيــت حيث استقروا ، فاعطوه لاحمد بن مبارك بو الطعام فقتله بعمه على سنة 1331 هـ اما والداه فقد ماتا سنة 1322 هـ . راجع الجزءين 19 و 20 من المعسول .

562) قــال فــى لســان العرب : « وحك الشيء في صدرى واحك واحتك : عمل ، والاول أجوده، ثم قال بعد كلام: « ويقال حك فى صدرى واحتك وهو ما يقع في خلدك من وسواس الشيطان » .

563) علق المؤلف هنا يقول : « بعدما دافعوا عن انفسهم دفاعا مجيدا ، ولكنهم اندحروا اخيرا فنفذوا شروط ايليغ عن تمامها » .

حتى أنهم أدوا له ثمن سلوقية (564) هلكت بسببهم وهو أربعمائة مثقال ، ثم أنه لم يعط لامثال أمغار ءمحمد من رؤساء مجاط ما كانوا ينتظرونه كحظ لهم من ذلك المغرم على العادة .

كان هذان السببان ماثلين أمام الاعين ، ثم دهمت حرب تارغنا ، فاتصل أمغار ءمحمد بواسطتها بالبعقيليين فعاهدوه على مناوأة ايليغ ، ففتح أمغار ءمحمد الباب فاستدعى البعقيليين لدخول بلاد مجاطة ، مع أن المجاطيين لم يكونوا كلهم أزاء أمغار ءمحمد ، فهناك علي ن بوهوش (ابن بوهوش) (565) والبنيرانيون لا يزالون في جانب الحسين ، ولكن لم يكن البعقيليون يتدفقون على مجاط ، حتى تغير الموقف ، فحنا علي ن بوهوش هامته ، وكان من أجبن الناس ، ثم استخذى البنيرانيون ، فاجتمع الكل في تاجاجت فاعلنوا انهم لابد مستردون من الحسين بن هاشم ما أخذ منهم ، فان مجاط ليسوا به كمرابطي تاغلولو وكأهل تازروالت الذين يغرم منهم ما يريد ، وعلى الضرب على هذا الوتر الحساس أجمع المجاطيون مع البعقيليين فصمدوا الى ايليغ نفسها ، فنزل المجاطيون في ايغير ملولن على قرى كانت من شيعة الحسين ، فخربوا قرية أكرض ، فجلا أهلها الى ايليغ ، وجاء البعقيليون تازروالت ، ولم يكن الا يوم او يومان حتى نزلوا جميعا حول ايليغ محاصرين للحسين ، وقد ثار ضده جميع ءال تازروالت ، فاصبح وليس معه الا اصحابه وسكان ايليغ لا غير ، وقد انقطع عنه البعمرانيون والاخصاصيون وكل الذين يبادرون اليه عند الشدائد ، وما ذلك الا لانقطاع طريقهم الى ايليغ ، وقد تسربت خيل من الاخصاص الى ايليغ ولكنها قليلة فسقط من فرسانها ستة قبل ان تدخل ،

---

564) مؤنث السلوقي وهو نوع من الكلاب طويل الجسم والاعضاء خفيفها ، منسوب الى سلوق ، قالوا انها بلدة باليمن ، قال القطامي :

معهم ضوار من سلوق كأنها ... حصن تجول تجرر الارسانا

565) تقدم في التعليق (539)

فتبين للحسين ان على كواهل المجاطيين الذين يهين رجالاتهم بلا سبب ويغرم اخوانهم بالدعاوى الباطلة قيام قوته لا غير ، فحين انفتلوا من حواليه انقضت قوته فأصبح صاغرا امام كل الناس .

دام الحصار أياما ، وقد يئس الحسين من أية نجدة جديدة ، فرأى أنه ان زاد في صلابته لا يعقبه ذلك الا الدمار العاجل ، فاحنى هامته رغما عن أنفه، وكسر من كبريائه، ففاتح البعقيليين فى المخابرة على ان يفرجوا عنه، وسرب الدراهم ، ولم تكد الدراهم تظهر حتى تفرقت قلوب المحاصرين ، وتشتت رأى المتحالفين، فاستولى البعقيليون على الدراهم كلها وابوا أن ينيلوا أى مجاطى ولو دانقا واحدا منها ، امغار ٓمحمد فمن دونه ، فقال قائلهم (566) ان ناله مجاطيا منها درهم واحد فلسنا بولتيتيين اقحاح ، فكان ذلك هو الحامل لا مغار ٓمحمد حتى قلب لهم ظهر المجن ، فاتصل من جديد بايليغ فانشقت العصا ، وكان الحاج المدنى الناصرى (567) قد جاء فى هذه الايام يجرى بالصلح بينهم وبين الحسين فاشترطوا عليه ان ياتى بالذبيحة الى مجمع القبائل فأتى بها ، ثم امرهم باطلاق البنادق دفعة واحدة دلالة على اعلان السلم (568) كما هى عادتهم ، فثارت البغلة بالحاج المدنى فألقته رعبا من فرقعة البارود ، وكان أمغار محمد دخل عند ابتداء المخابرة بينه وبين الحسين الى داره (569) ، فصارا يتلاومان فقال له أمغار محمد انك انت هو الخائس بالعهود والناكث للمواثيق فتريد ان تمد يديك فى مجاط اتباعا لآراء سفهائهم ، وما بيننا وبينك الا ذلك ، قالوا

566) علق المؤلف هنا يقول : « موح بن بلا التاماشتى البعقيلى ، وكان طالما فاتكا ، مات قبل 1320 هـ .

567) راجع فى شانه التعليق رقم 146 من صفحة 3 4.

568) قال المؤلف في تعليق هنا انهم يسمون اعلان الصلح باطلاق البنادق دفعة واحدة هكذا: «حاضارباش» ، ونضيف انهم يسمونه فى نواح اخرى من سوس « حاضرون » باسكان الضاد .

569) يعنى دار الحسين، والمراد بالدراهم المركومة المتكدسة . قال تعل: «سحاب مركوم».

ان الحسين أراه دراهم مركومة وقال له احمل منها ما شئت ، فقال له ان هـذه داري ولا اريد منها الا حسن العهد .

ثم قال له أمغار محمد اننا ومرابطينا نالنا منك ما نالنا فانصفنا مـن نفسك ثم لا ترى منا الا ما كنت تراه منا من قبل ، فهذه قضية الفقيه سيدى محمد بن عبد الله الالغى (570) قد ابيت ان تنصفه من خصمه السملالى ، فقال له الحسين ارسله الى لتكون قضيته أول مـا تاخـذه كعربون عن اخـلاصي لكم ، وكانت هذه القضية ان الفقيه كان داين سملاليا بشعير باعه له بثمن بـاهظ فى مجاعة 1295 هـ . الى اجل، وعند وصول الاجل افتى الحاج ياسين الواسخينى للسملالى بأنه ليس عليه الا رد الشعير بوجهه أو بثمنه ذلك النهار (571) ، فأخذ السملاليون بيد الفقيه الالغى فرفعوا قضيتهما الى الحسين ظنا منهم ان ذلك ادعى للفصل بسرعة ، فاذا بالحسين ياتى بأجل بعد أجل ، واخيرا طلب مـن الفقيه ان يحضر رسوم دينه وبما أفتاه به الاستاذ محمد ابن العربى الادوزى وغيره بأن له ما يطلبه لأن المدين ملى غير مضطر عند الشراء ، فأتاه بـذلك ، فماطله الى أن كان ما تقدم ، فلما كان يظهره أمغار محمد المجاطي من الدفـاع دائما عن مرابطي ايليغ اهتم بهذه القضية فجعلها عـلى رأس القائمة التى يطلب من الحسين تنفيذها ، ثم لما حضر الفقيه ابن عبد الله اعتذر اليه الحسين بأنـه

---

570) هو العلامة الجليل مؤسس المدرسة العلمية فى الغ التى جعل المؤلف الاتصال بها او بزاوية والده هناك شرطا فيمن يترجمهم فى « المعسول » ، كان ميلاده عام 1265 هـ وكان رجلا مقتدرا فى كل ناحية يتجه اليها ، تخرج بالاستاذ محمد بن ابراهيم التامانارتي والد العلامة الصالح الاديب البارع الاستاذ الطاهر الافراني ، فنشأ هو وهذا الاديب كفرسي رهان وان كان غبار الاستاذ الطاهر لا يشقه احد في الادب ، ثم لما رجع الى قريته الغ عمر مدرستها فلم يلبث ان اشتهر بالجد والاجتهاد فقصده الطلبة من كل فج ، ولما زار السلطان المولى الحسن الاول القطر السوسى سنة 1299 هـ ونزل حول تيزنيت ، كان الاستاذ محمد بن عبد الله ممن جاءوا للسلام على جلالته يتبعه جميع طلبة مدرسته، فاكبر السلطان شانه ووثق به علاقته ، ثم ذهب لزيارته ايضا بالحمراء فى سنة 1303 هـ ، واثناء الرجوع من عنده ادركه اجله فى احدى قرى تامصلوحت فى 22 ربيع الثانى من نفس العام ونقل رفاته بعد ذلك الى الغ ، راجع ترجمته الحافلة فى الاول من المعسول .

571) تقدمت الاشارة الى العلامة الحاج ياسين الواسخينى فى رقم 11 من المذكورين فى التعليق 521 ، وهو مترجم فى صفحة 242 من ثامن المعسول .

مكن رسومه للسملالى فأحرقها ، فقال له الفقيه ان ما أتيتك به انما هو المنتسخ من الاصل ، فعلت ذلك احتياطا لما عسى أن يحدث ، فهذه الرسوم كلها فى يدى ، فرفعه الحسين مع صاحبه السملالى الى الفقيه أحمد بن ابراهيم السملالى (572) ففض القضية على وفق مراد الفقيه الالغى ، هذه هى القضية التى كانت اذ ذاك أخذت هذا الدور ، ثم لم يسلك فيها الحسين هذا المسلك الا بعد الضغط .

انشقت عصا مـا بين مجاط وبعقيلة فـكان ذلك واعـلان السلم بعد مناوشات بين المجاطيين والبعقيليين الذين انشقوا أيضا فريقين ، سببا لفك الحصار عن الحسين ، فتنفس حينئذ الصعداء ، فخرج مجروح العاطفة منثلم الارادة ، وقد شاهـد فى ءاخر شيخوخته مـا لم يشاهـده قط فى كل حياته ، فأثر فيه ذلك حتى سقط مريضا عن قريب .

## حياة الحسين تنقضى

لم يكد حصار ايليغ يفك عند مختتم سنة 1302 هـ حتى مثل ابنه محمد بالحمراء فى ربيع الاول من السنة التالية ، فوجد هو ومن كان هناك من القواد السوسيين أن السلطان يهم بالرجوع الى سوس ، ومـا مقصده اليوم الا عـين مقصده أمس من تفقد صحراء سوس وسواحلها والبناءات التى أمر بها سنة 1299 هـ (573) ، ولذلك لم تتغير سياسته نحو الاهالى ، فصادف مجيء السلطان

---

572) هو الاول من المذكورين فى التعليق 521 .

573) من جملة تلك الابنية سور تيزنيت الذى كان كما وصفه المؤلف في صفحة 241 بقوله : « وهى لم يستدر بها اذ ذاك الا سياج قصير من الطوب كالذى يستدير بالبساتين عادة » ، فاسند امره الى خادمه الحاج مسعود الراشدى خال القائد علي الراشدى الذى كان باشا فى تارودانت فنقل منها الى باشوية فاس ، قال لما ورد عليه امر الانتقال لم يطلع عليه احد ، فذهب بعد العشاء لزيارة ضريح سيدى وسيدى هناك ، ومعه اعوانه فلما خرج وجد البغلة وحدها ولم يجد من يقبض له الركاب من الجهة الاخرى حتى يركب ، فابتداء يوم الخميس خامس شوال عام 1300 هـ ، واتمه في آخر ذى القعدة عام 1302 هـ .

قال المولى عبد الرحمان بن زيدان في حوادث سنة 1303 هـ « وبمراكش أقام حفلة العيد النبوى والمولد الكريم المصطفوى .

« ولما حضر بشريف الاعتاب أعيان القطر السوسى كابى عبد الله محمد بن الحسين بن هاشم والقائد دحمان بن بيروك التكنى — تقدمت الاشارة اليه فى بعض التعاليق قريبا — والحاج مسعود الراشدى ، والقائد احمد العبوبى السرغينى والعمال الذين يتصارفون معهم من ايت باعمران وباعقيلة وتيزنيت الخ الى ان قال : « أمـر وزيره محمد بن العربى الجامعى باحضارهـم بشريـف الاعتاب ومفاوضتهم فيما صمم عليه جنابه العالى من الوجهة لناحيتهم ، فاحضرهم وعرض عليهم القصد المولوى فاجابوا بالترحيب والبشر » (ص 242 ج 2 الاتحاف) .

مرضـا مزمنا بالحسين ، فجاء المولى عبد العزيز وهو صبـى صغير فى محفة صغيرة وسط موكب كبير حتى ذبح عند ضريح الشيخ ابن موسى ، وقد كـان محمد بن الحسين أحـد الذين قابلوا السلطان المولى الحسن فتلقاه السلطان بلطفه المعهود ، وتلقى منه سلام والده وخبر مرضه العضال ، فأغضى السلطان واعتنى بمحمد هذا ولم يدعه يفارق ركابه الى وادى نون ، وكذلك عند الرجوع ، ثم صاحبه الى نصف الطريق الى الحمراء ، فهناك بلغه نعي والده اذ توفى يـوم سادس شوال عام 1303 هـ (574) فرجع اذ ذاك وفى حقيبتـه ظهير شريـف بالولاية على قبائل تازروالت وسملالة ورسموكة والمعدر وأيت رخا وتانكرت وادا وشقـرا ، فانطوت صفحة الحسين فى حين أن صفحة ابنه محمد تنفتـح من جديـد .

## نظرات اخرى على الحسين حول حياته المتقدمة

كان الحسين باستنتاج كل ما تقدم ، رجلا كبير النفس ، عظيم الهمة ، عاشقا للمعالى ، مخلوقا للرياسة ، فجعلها بين عينيه ، ثم لا يرى أى شيء عقبـة دونها الا أزاله من طريقه بكل ما فى امكانه ، وحيث نشأ فى أسرة رئيسية عريقة فى الأمر والنهى ، لا يمكن له الا ان يسلك ذلك المسلك ، ان اراد ان يحافـظ على ما القاه الدهر على عاتقه من تراث ءابائه ثم كان مع هذه المزايا مـن رجـال عصره ، يرى الكرم من الاخلاق التى يؤسس عليها المجد ، فكان من أكرم الكرام، يقولون انه كان يقف على موائده فلا تقدم مائدة الى الأضياف حتى تمر تحت نظره ولو كان مشغولا ، وذكروا انه كان فى المجاعات يامر بجفان كالجوابى وقدور راسيات (575) ، فيقدم فيها الطعام الساذج خارج بابه ، فيصدر عنها المساكين

574) علق المؤلف هنا يقول : « هذا هو تاريخ موته تحقيقا كما يذكره اهله ، ولا عبرة بما فى بعض كتب التاريخ من غير ذلك » .

575) اقتباس من الآية الكريمة فى خبر ما تصنعه الجن لسليمن عليه السلام « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابى وقدور راسيات » سورة سبا .

والارامل شاكرين ، وكان مع ذلك ينزل الناس منازلهم اثاثا وطعاما وحضورا معهم وقد توسع في البناءات ، حتى ان جل تلك الجدران الكثيرة في ايليغ من عمل يده ، وكان ءاباؤه منذ احمد بن محمد يسكنون عند العوينة فوق ايليغ ، وكان عبيده تبلغ كوانينهم (576) زهاء مائة ، ولكل واحد منهم مالية خاصة وحرث وكسب ، فكانت حاشيته السوداء تلقى عليه ابهة تبهر الناظرين في أعين الأهالي السذج اذ لا يعرفون مثل ذلك من غيره من رؤسائهم ، وكان ظله وريفا لمن مشى وراءه وكان عند رأيه ونهيه يدافع عنه حتى لا يضيع منه دانق ، فيرتكب دونه كل ما في امكانه ، واما من كان ضده فانه يهاجمه بكل شيء ثم لا يستريح حتى ينال منه مراده بالفتك غيلة أو حربا أو بالاتيان عليه بسم أو نحوه ، وقد ذكروا ان محمد بن ابراهيم اعجلي طرقه مرة بايليغ ، وهو من البعقيليين الذين ربما بلغه عنهم شيء ، فلم يكد يرجع من عنده حتى سقط مريضا فمات عن قرب ، فقيل في ذلك ما قيل (577) ، ويذكر الشرفاء التازروالتيون ان عدد الذين ردوا بأمر الحسين من كبارهم وسادتهم ستة وثلاثون يعدونهم عدا ، وكان في ايليغ سلاسل ثقيلة واغلال وقيود كما هو معهود في سجن الحكومة ، ولم تخل قط ممن يعانقونها ، كما ذكره المخبرون ، ولكن مثل هذا البطش ان كان القارىء اليوم يستهجنه فانه في نظر عشاق الرئاسة مبرر ، فلوجا لستهم وحادثتهم عن ذلك لأوضحوا لك حججهم، ثم لا تقدر الا ان تكون معهم في نظراتهم ان نظرت الى ذلك بمثل نظرهم واعتبرت بيئتهم التي فيها يعملون عملهم ، وقديما قال العرب: (لا يفلح الحديد الا بالحديد) .

---

576) الكانون معروف وهو موقد النار ، وحيث انه لابد لكل اسرة من كانون فان السوسيين يعبرون كثيرا بالكانون عن الاسرة .

577) محمد بن ابراهيم اعجلي راجع عنه رقم 19 من التعليق 521 ، وقد ذكر المؤلف هذه الحكاية في ترجمته بصفحة 292 من الجزء الخامس من المعسول ، ولكنه تردد فيها ولم يجزم ، ولا نستبعد مثل ذلك من امثال الحسين بن هاشم مع من يجاذبونه حبال السياسة والنفوذ ، ولكننا نستغرب صدوره منه في حق شيخ فاضل يشتغل بكتاب الله ولا يزاحمه في نفوذ ولا جاه ولا مال .
واما قوله « الذين ردوا » في ءاخر السطر فمعناه هلكوا ، من الردى وهو الهلاك .

ثم ان الرؤساء الذين فى مثل مركز الحسين يحبون ان يتحدث الناس عنهم بمثل ذلك لترتجف الفرائص ويعظم الخوف منهم ، وما نعده اليوم مستهجنا يعدونه مستحسنا كالجندى الذى لا يؤدى مهمته فى الحرب الا بالفتك الذريع ، وهذا بين ظاهر لمن انصف وعرف ان لكل مقام حالة خاصة وأفعالا لا بد منها ، فلا يحط الحسين عن شرفه وان سمع عنه كل هذا .

ثم ان هناك اسبابا تكون حقيقية حججا واضحة لامثاله فيما يصنعون ، فقد كان عند الحسين انسان اسمه الحسين بن على من شرفاء تومانار ، كان خالطه بنفسه ، وجعله امينا على ماله وعلى حرمه ، ثم استخلفه فى ايليغ وقد توجه يوما الى وادى نون فبلغه عنه انه مس حرمه بما لا يصبر عنه حر أبى النفس من مطلق الناس فضلا عن أمثال الحسين ، ثم كأنه أحس بأن الحسين عارف بما وراء الأكمة فأوى الى داره ، فاستغاث برجال من المعدر وتهيأ للدفاع ، فدارت حرب هائلة ، فسقطت قتلى ، فجاء رؤساء المعدر يريدون اخراج اخوانهم ، فقالوا لهم لا نخرج الا ورب الدار معنا ، فبعد اخذ ورد خرج معهم فجلا عن داره ، فأمثال هذه القضايا التى يكون فيها الحسين معذورا لا بد ان تكون قليلة مما يكون فيها الحسين مدافعا عن نفسه او عن شرفه ، او نكثا لدسيسة تحاك حوله ، وما أكثر الدسائس حول أمثاله ، فيكون الحق فيها دائما فى جانبه فى حين ان العامة وأصحاب الاغراض يحملون دائما تبعتها للحسين شأن الدهماء فى جانب الرؤساء ، ولا بد للمنصف ان اراد ادراك الحقائق ان لا ينظر الى أمثال الحسين بنظراتهم ، فذلك أقرب الى الحق (578) .

---

578) الضمير فى بنظراتهم يعود على الدهماء المذكورة فى السطر قبله .

وقد علق المؤلف هنا بقوله : « يغفل كثير من المؤرخين التحفظ عند تتبعهم الاعمال القاسية التى يقوم بها أمثال الحسين ، ولا ينظرون الى ما يصدر عنه بالتانى فيتنكبون الانصاف ، مع ان الاحوال الغالبة هى التى توقع امثاله فى كثير مما يحكى عنهم ، ولله در بعض المؤرخين الأوروبيين حين اعتذروا عن المولى اسمعيل ، بمثل ذلك وهو حق لا غبار عليه » .

من جملة ما يؤثر عن الحسين انه كانت له اذكار خاصة ، ومخالطة مع مشايخ التصوف في وقته ، وكان للشيخ سعيد المعدرى (579) عنده مكانة ، فكثيرا ما يفد اليه بأصحابه ، ويصيخ الى نصائحه ، ويعتقده ويعتقد أصحابه ، وقد وقع مرة ان الحسين سأل أحد الفقراء من أصحابه عمن يصح كشفه من اولئك الفقراء فدلوه على فقير من ماسة ، فاستدعاه الى منزل عال عنده فباسطه وقال له اريد ان تريني شيئا من المغيبات ، فأطرق الفقير مليا ثم نزع قميصه فبقي عريانا أمامه ، فبادر العبيد فأخرجوه ، فاغتاظ الحسين وقال ان هؤلاء شياطين ، فبلغ ذلك شيخهم المعدرى ، فقصد ايليغ مع أصحابه ، فنزلوا بالحسين فجلس الشيخ معه ثم استدعى ذلك الفقير ، فقال له الحسين لو عرفت ما صنعه مريدك هذا لتبرأت منه ، فسأل الشيخ ذلك الفقير ، فقال : ان الحسين طلب مني ان ازيل الستار عن غيب ربي الذى أطلعني عليه ، فاخترت ان ازيل الستار عن عورتي دون ذلك ، فعرف الحسين منزع الفقير ورجع الى حسن نيته فيه ، فهذه الحكاية على ما فيها دالة على ان الحسين من الرؤساء السذج من ناحية استكشاف الغيب ، وما ذلك الا مما يتجسم في أفئدتهم الخفاقة من مخاوف يتوهمونها (580) .

وكان هناك بيت خاص ينزل فيه الفقير مبارك البصير الاخصاصي(581) وهو صوفي مشهور ، فكان يقابل دائما في ايليغ باحترام زائد ، فهؤلاء الصوفية

---

579) تقدمت الاشارة اليه والى اهمية مطالعة ترجمته في التعليق 557 .

580) ليس من اللازم ان لا يدفعهم لذلك الا المخاوف المتوهمة ، فلماذا لا يكون الدافع لهم الى ذلك هو حب الاطلاع او طلب الاقتناع الذى ربما يجلبهم الى الاقلاع عما هم فيه ، فان تفضل الله تعلى على بعض صالحي عباده باطلاعهم على غيبه امر مشاهد معروف .

581) هو مبارك بن ابراهيم البصير ولد اكمه مثل أبيه ابراهيم ، وكما كان الوالد قد حفظ القرءان العظيم ومختصر الشيخ خليل فقد كان الولد مطلعا على النحو والفقه والحديث والتفسير بل وعلى الهيئة ، وقد عوضهما الله عن بصرهما نور بصائرهما فكانا يخبران بالمغيبات ، وكان الوالد في ذلك أصرح من ابنه ، لأن الابن انما كان يلوح فلا يتفطن الناس لتلويحه حتى يقع بالفعل ما لوح له .

توفي سيدى مبارك عن 112 سنة في ربيع الأول سنة 1327 هـ ودفن بزاويته بقبيلة الأخصاص اما أبوه سيدى ابراهيم فقد توفي سنة 1280 هـ عن 114 سنة ودفن بمشهد سيدى حمو ابن الحسن في الاخصاص ، وترجمتهما في الثاني عشر من المعسول ، واخبارهما عجيبة فلتراجع .

ينشرون هناك مواعظهم ونصائحهم فيلقون من رب المثوى كل اصاخة ، ولــولا انه يتأثر بذلك ما ترددوا اليه وما كان تأثره الا رادعا له عن أمور تخالف الشرف والدين ، ولهذا تجد ممن يخالطون الحسين ثناء عطرا عليه بكل انواع الفضائل والفواضل ، لأنهم رأوا جانبا منها ، « وعين الرضا عن كل عيب كليلة » ، كما ان ءاخرين لم يروا منه الا الجانب الآخر ، والحق انه يجمع بينهما ، فكان احسن مثال لبيئته .

كان على ضريح الشيخ احمد بن موسى بناء من عهــد بودميعــة ، فأمــر بنقضه فبني عليه هذه القبة الموجودة الى الآن ، وكان عبده المعلم سالم هو القائم ببنائها ، ولم يكن يغب زيارة هذا الضريح كل جمعة غالبــا ، فينــزل باستــاذ المدرسة اذ ذاك احمد بن سعيد العركوبي فيجد طعاما شهيا (582)، وهو الذى بنى أيضا أحشوش (583) غربى متسوق الموسم ، وكان أخوه قبله أسسه ، وقــد اتبعوا منذ سقط هاشم والدهم فى رحبة الجمال ان لا يدخلوا الموسم بأنفسهم ، لذلك انتبذوا الى ذلك المحل ، بعد ما كان هاشم يجلس لفصل الدعاوى تحت جرف فى محل الموسم ، وهو المحل الذى تكون فيه النساء اليوم فى الموسم ، ثم كان أحشوش مجلس أبنائهم ومحكمتهم الخاصة أيام الموسم الى الآن .

وقد ذكرنا مقدار ما يستمده من القوة والنفوذ من الموسم ، فيدخــل عليه فيه ءالاف من الريالات من مكوسه ، كما يرمى به حبالة واسعة على القبائل السوسية كلها من وادى نون بصحراء سوس فهشتوكة الى ادا وتنان الى حاحة الى درن (584) الى سكتانة ، فكان عبيده يذهبون دائما فينتصفون ممن عبــث فى طريق الموسم ، فقد حكى لنا حاك انه يعرف انسانا من اصحاب الحسين نزل مع

---

582) راجع ترجمته بين المذكورين فى التعليق 521 فهو الثالث منهم .

583) قال المؤلف هنا « واحشوش هو الكوخ ، اطلقوه عليه لانه يشبه الكوخ حيث كــان بناؤه ساذجا » .

584) هو الاطلس الكبير الجاثم بين مراكش وتارودانت .

ثلة من الاعوان على هشتوكة بستة من الخيل ، كما ان ادا وتانان كانوا لا يتسوقون بعض الاوقات لشيء فعلوه في طريق الموسم حتى أنصفوا من انفسهم وكذلك سكتانة، والجزئيات الدالة على ذلك كثيرة ولم ينج من ذلك الا البعقيليون سوى الأكماريين منهم ، فربما يتصلون به فيصنع عندهم ذلك ، وهناك نادرة وقعت في بلدهم وهي ان واحدا منهم نزل عليه عون بفرسه ليؤدى حقا عليه للحسين بسبب الموسم باعانة بعض رؤسائهم ، فخرج ذلك الانسان فألقى سرج الفرس أمام العون وقلع وتده وطرده ، وقال له والله لا ترى مني دانقا ، ثم انخنس وراء داره فسبق العون الى ايليغ، فقال للحسين انك ارسلت صاحبك ففعلت معه كيت وكيت لئلا أسقط من عين زوجتي فتتهمني بالجبن ، ثم جئت اليك لتصنع بي ما تشاء ، فضحك الحسين وسامحه ، وقد ذكرنا فيما تقدم ان بسبب الدعاوى الموسمية كان يتوصل — بمداخلة رؤوس القبائل — الى اغراضه واغراضهم في كثيرين فيعتقلهم في الموسم بسبب وبلا سبب .

كانت له نساء حرائر ولكنه كان مولعا بالاماء السود ، فذكروا ان اليزيد العروسي صاحبه كان يباسطه ، فيشير الى كثرة عبيده السود مع كثرة سرياته من الجوارى السود ، فيقول له قد خفنا والله ان تحول الظلمة بيننا وبينك ، وقد ظهر له من هؤلاء الجوارى اولاد منهم الحاج الطاهر وقد مات في عهده بعد ان زوجه وظهر في الميدان ، ثم محمد الذى خلفه في مركزه ، وابراهيم والحاج الطيب .

## فكرتي الخاصة في الحسين

في كل ما تقدم لم أعد ان كنت حاكيا لما يقوله الناس حول الحسين ، فآتي بكل أمانة بأقوال اصدقائه وأعدائه ، فاجتهد ان اسلك الوسط لئلا يغتر القارىء بكلام احد الفريقين ، وبذلك خرجت أنا بفكرة جامعة عن الحسين بعد ما سمعت عنه كثيرا ، ووازنت بين افعاله ، فهو في نظرى من اكابر الرجال

السياسيين البارزين الجامعين لما لا بد منه لمن يمثل ذلك الدور في مثل بيئته بموازنة ما يسود عصره من التفكير ، منشدا بلسان حاله :

ولى فرس للحلم بالحلـم ملجم      ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فانى مقـــوم      ومن رام تعـــويجى فانـــى معوج

فقد كـــان ذا همة صوالة وأنفة زائـــدة ، مالكا لأمور ثلاثـــة : بسالـــة يقدم بها مغوارا لا يبالى جالبا عليه (قضاء الله ما كان جالبا (585) ، وكرم يستظل به كل من أوى اليه واحتمى بايليغ ، ودين حسن يرضى عنه اهل الدين ، فكان بجمعه لهذه الأمور ذا حظوة فى كل ما ياتى وما يذر ، واحسب انه لو كان فـــى مركز جده بودميعة الذى ذكرنا عنه ميوعة من ارادته ، لرأى منه ذلك العصـــر أسدا هصورا ولكن تأخر به عصره ، فلم يمكن أن يكون الا كما هـــو ، ثـــم اننى أعذره فى كثير مما يصدر عنه ، لأنى عرفت ان كثيرا من الناس يحسدونه على مركزه فيلصقون به حكايات وأفعالا لم تكن كلها صحيحة يحيطونه بها لينالوا بها من شرفه المؤثل .

هذه فكرتى الخاصة عن الحسين ، ولا أزعم أننى فيها على حق اليقين ، ولكن بنيتها على تتبعى لما عندى من حياته ، على ان حياته من نواح لا تزال غامضة أمامى ، كما لا تزال هناك مستندات توجد عند أحفاده توضح لنا الطريق فيما

---

585) هذا اقتباس أيضا من بيت فى قطعة سعد بن ناشب من شعراء الحماسة

ساغسل عنى العار بالسيف جالبـا      على قضاء الله مـاكـان جـالبــــا
واذهل عن دارى واجعل هدمهـــا      لعرضى من باقى المذمة حاجبـــا
ويصغر فى عينى تلادى اذا انثنت      يمينى بادراك الذى كنت طـالبـــا
فان تهدموا بالغدر دارى فانهـــا      تــراث كريم لا يبـالى الـعواقبـا
اخى غمرات لا يريد عـلى الـــذى      يهم به من مفظع الامـر صـاحبـا
اذا هــم القى بين عينيــه هـمــه      ولم يات ما ياتى من الامر هائبـــا
فيا لرزام رشحوا بى مقـدمـــــا      الى الموت خواضاً اليه الكتـائـبـا
اذا هم الفى بين عينيــه همــــه      ونكب عن ذكر العواقب جانبــــا
ولم يستشر فى رايه غيــر نفســه      ولم يرض الا قائـم السيف صاحبا

كنا نتوقف دون استيضاحه فيما تقدم ، فهذا ما عندى الآن عن يعسوب ايليغ الحديثة رحمه الله .

## محمد بن الحسين

ولد        127 هـ (586) فتلقن القرآن واخذ طرفا حسنا من المعارف على اساتذة منهم محمد بن عبد الله الأساكى الافرانى ملازم والده غالبا وكاتبه أحيانا (587) فنشأ منشأ حسنا تحت نظر والده الذى عرفنا منه انه مولع بالثقافة الدينية ، وممتن بحشر العلماء الى مجلسه ولفتهم اليه ، فيختلفون اليه فينة بعد فينة ، فلا ريب ان ولده تأثر بذلك الوسط ، فأخذ من هذا المجلس اخلاقا وافكارا سامية ، كما انه تلقن الفروسية فى ميدان والده وبين فرسان الأعوان والعبيد الكثيرين فى ايليغ ، كما انه تعلم الاقدام فى الحروب حتى كان يذكر فى عهد والده ، فقد ذكروا انه لما حاصر والده محمد بن على التومنارى الذى ذكرناه قبل ، كان محمد بن الحسين من بين المحاصرين ، حكى حاك حضر انه شاهده

---

586) ترك المؤلف هذا البياض هنا ليلحق فيه النيف الزائد على السبعين ليقول ان سنة ميلاد محمد بن الحسين الف ومائتان ونيف وسبعون ، ولكن لم يلحقه ، اما السبب فلا ندرى هل هو عدم ظفره به بالمرة او عدم تفرغه للبحث عنه فارجاه الى حين الطبع. ولقد رجعنا لخبر تراجم «ال سيدى احمد بن موسى فى المعسول فوجدناه قد احال فيه على هذا الكتاب فيما يتعلق بنال بودميعة مع الاسف ، كما انه لم يمس قسم « ايليغ الحديثة » من هذا الكتاب منذ حرره عام 1358 هـ فى منفاه الاول . ولو انه قدر له رحمه الله ان يراجعه لأفادنا كثيرا فوائد جديدة .

وقد وقع مثل هذا للمؤلف ايضا فى تاريخ ولادة على بن محمد الآتى .

587) محمد بن عبد الله بن سعيد بن احمد بن بلقاسم الاساكى الافرانى العلامة الجليل هذا ، هو الذى تقدم عنه فى صفحة 258 ان الحسين بن هاشم والد محمد هذا امره ان يكتب لجلالة السلطان المولى الحسن الاول بجواب مغلظ فامتنع وقال له : « لا والله لا افعل ولو ادى الامر الى قطع يدى ، فان دينى لا يحل لى ذلك » ، وقد نقلنا هناك تعليقا للمؤلف تحت رقم 519 ، وهو احد المذكورين فى التعليق 521 .

نقل المؤلف فى ترجمته فى صفحة 227 من الجزء 12 من المعسول عن بعض اهله انه مولود عام 1225 هـ ومتوفى 1290 هـ ، وانه لما امتنع من كتابة ما امره به الحسين بن هاشم واجابه بذلك الجواب الذى تشم منه روح احترام ولاة المسلمين والمحافظة على جمع كلمتهم قال له الحسين انت اذن رسولى اليه . فلما وصله ، ولقد سبقه خبر ما وقع ، قال له ما الذى كان يمنعك ان تكتب ما امرك به ؟ قال له لا اتعمد معصيته فى مقاومة وكيل الله فى ارضه ، فرفع المولى الحسن من شانه وعرف له مكانته رحم الله الجميع .

في معمعان الحرب وقد شمر أكمام قميصه وراء كتفيه ثم تناول بندقية فتقدم راجلا جاريا صامدا بصدره لرصاص من حوصروا في الدار ، فلم يقف ولم يفتر جريه حتى وقف عند اساس الدار ، فلم يجد من معه الا ان يقدموا اقدامه مع انهم لا يحملون في صدورهم مثل بسالته ، فهذه الحكاية تفيدنا عن بسالة محمد بن الحسين التى تذكر عند ءال ايليغ الحديثة .

## ينوب عن والده

ذكرنا ان محمد بن الحسين كان اتصل بالسلطان اول سنة 1303 هـ . وافدا عليه مع القواد السوسيين ، ولا ادرى الآن كيف كان اتصاله به ، فهل صمد اليه كفاحا حين أمن جانبه ، أو كان هناك واسطة كدحمان الاكلميمي صاحب والده وخليص السلطان (588) كما لا ادرى هل اتصل به قبل هذه المدة فيفد عليه بالحمراء في جملة القواد الذين كانوا يفدون بمناسبات الاعياد بعد سنة 1299 هـ ، فأيا كان فان الجو قد صفا امامه في حضرة السلطان ، وقد كان هذه المرة في ركابه الى وادى نون حين توجه السلطان لتفقد تلك الناحية ، فكان واسطة لكثير من رؤساء الاعراب فأعلى السلطان شأنهم ، ثم لم يزل معه في

---

588) من اسرة ءال بيروك الكليميميين الذين تقدمت الاشارة اليهم في التعليق رقم 532 .
واذا كنا قد الفنا الى الآن أن نرى ءال بيروك موالين للسدة الملكية العلوية . كما الفنا ان نرى كاهل الحسين بن هاشم مثقلا منها بالمسؤوليات فاننا وجدنا في صفحة 420 من خامس «الاتحاف» للنقيب ابن زيدان رسالة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان الى أخيه المولى العباس يخبره فيها بان بيروك التكني جد هذه الاسرة كان تواطأ في عهد والدهما مع الاصبان على أن يبنوا بشاطىء تكنة فوجه اليه المولى عبد الرحمان وحلفه في المصحف على ان لا يعود لذلك واقطعه دارا في الصويرة واعفى تجارته الواردة من الخارج من الاداءات المخزنية » ثم خلفه من بعده خلف اضاعوا تلك الوصايا وارادوا أن يعرضوا بلاد المسلمين للرزايا » فتواطؤوا مع الأصبان أيضا على البناء هناك فقامت القبائل المجاورة لهم لتمنعهم وعزمت على قتالهم ان لم يقلعوا » .

ثم قال : « وها هوذا كتاب المرابط السيد الحسين الاليغي يصلك فطالعه لتعلم ما ذكر فيه ، وان ذكروا لك ان أهل تلك الجهة هم الطالبون لذلك والراغبون فيه فاجبهم بان الامر بخلاف ذلك ، وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة وليس معه أحد فيما اراد فعله » الى ان قال : « وقد أخبر خديمنا الطالب عبد الله ابيهي بمثل ما أخبر به المرابط المذكور » .
وكان المولى العباس اذ ذاك في سفارة بمدريد ، والرسالة مؤرخة في 11 ربيع الاول عام 1178 هـ .

رجوعه الى ان كانت ضربة اداوتانان (589) فأذن له في الرجوع بعد مـا زوده بظهير شريف بتوليته على قبائل سميناها قبل .

## يخلف والـــده

رجع الى ايليغ بعد ما دفن الحسين فأدار الأمور ادارة حسنة ، وقـــد استردت ايليغ من سمعتها ما كانت فقدته ايام حصارها الماضى ، بعد ما اتصل بالحضرة الحسنية ليقطع عن القائد الابلاغى وامثاله ما يوشحون به دعايتهم ضد ايليغ بأنها خارجة عن الحكومة ،فقد نفعت هذه الدعاية البعقيليين فقوتهم قوة أدبية فى حرب تارغنا وبعدها ، حتى كان حول ايليغ ما كـادت تتخرب بسببه لولا العناية التى لا تزال تلاحظها بعين السعادة .

## معـركة تامدا ن ارعمان (590)

رأيت الاهانة التى كانت أصابت ايليغ فتفطرت بها شهامة الحسيـن حتى القته في مرض لوى به الى الهلاك ، واذ كان ابنه فى البسالة التى ذكرناها

---

589) كانت وقعة اداوتانان هذه في يوم الثلاثاء سابع عشر شوال 1303 هـ ، وكان السلطان قضى عيد الفطر بتارودانت ونزل فى بسيط الاسطاح وراء الوادى الوعر خـارج بـاب الخميس بها ، وقد أدار الجيوش بادا وتانان من كل جهة ، فجاءهم مولاى الامين بفرقـة من الجيش من ناحية سوق الثلاثاء ، والقـائد الامرانى من ايمسكر ، وطائفة اخرى من ناحية قبيلة ادا وبوزيا فـى حـاحـة ، ومعها طائفة من هوارة ، وطلع السلطان من جهة أكادير حتى بلغ المحل المسمى الى فحاصره التانانيون فى مضيق زلق على صخرة لا يسع الا مرور فارس واحد ، فسقط فيه بعض القتلى ، فـرجع السلطان ليدخل اليهم من جهة تاماعايت فاستعصت عليه فاتجه حينئذ للطلوع من اسيف ن ييك فاستولى على قمة الجبال في بسيط تيقى المعروف ، فساحت الجيوش فى شعابهم وسهولهم فارتاعوا وقدموا الهدايا واحضروا المؤون للجيش ، ولكن لم يلبث االسلطان بعد هذا النصر أن رحل عنهم بغتة وترك المؤون المقـدمـــة لـه .

قال الفقيه سيدى الحسين التامكونسى التنانى انه اطلع على ان موقت السلطان فقير فذهب لزيارته فلما رءاه اعطاه تميرات وقال له تبلغوا بهذه فان ما معنا من الزاد قد نفد ، وانى لا آكل الا من طعام السلطان وهو لا ياكل الا مما ياتيه من داره لئلا يقع فى أكل الحرام ، وانه قد طوى منذ الامس ولم يذق طعاما .

قال : فقلت له انتم هكذا جياع والخير ينهال عليكم من كل جهة ، فوعدته بالرجوع اليه من الغد ، فهيأت طعاما واتيته به فاذا بهم قد ارتحلوا مع طلوع الفجر » .

590) معنى تامدا الغدير او المستنقع ومعنى ارعمان بكسر الهمز واسكان الراء والعين الجمال بكسر الجيم اى غدير الجمال ، وهى محل فى تازروالت وقد وقعت عام 1304 هـ .

عنه ، وقد استرجعت ايليغ فى عهده مكانتها الأولى ، فأخلص لها المجاطيون من جديد ، فلا بد من أخذ الثار من البعقيليين الذين تولوا كبر كل ما جرى ، فهيأ الله لذلك سبباخاصا من أجل شرفاء كثيرين نحو خمسين كانوا ثـاروا أمـام رئيسهم الجديد ، فمد لهم البعقيليون يد الاعانة ، فعمروا ديارهم ليدافعوا عنها ، وهذه عادة البعقيليين من قديم مع ايليغ ، فلا يكاد يبرز أمامها مناوىء من أهـل تازروالت او من غيرهم حتى يقفوا ازاءه معاونين ، فأرسل ابن الحسين الى كل شيعته من الأعراب والمجاطيين والبعمرانيين وغيرهـم فصمـد الى مناهضـة البعقيليين الذين انتشرت رجالاتهم فى ذلك البسيط ، فدارت حرب عنيفة صدق فيها الاعراب الحملة مع المجاطيين ، فهبت لهم ريح النصر ، فاندحر البعقيليون اندحارا كبيرا ، فتتبعهم المطاردون يقتلون ويسلبون حتى كان البعقيلى يلقـى كل ما يحمله حتى السلاح ليخف لعله ينجو بنفسه ، والخيل تطاردهم فى ذلك البسيط ، فكانت دائرة عاركة لبنى بعقيلة لـم ينسوهـا الى الآن ، ويقـال ان أسلحتهم وما كانوا يلقونه بين السدر فى ذلك البسيط لم يزل الرعاة يعثرون عليه الى ما بعد المعركة بأكثر من سنة ، فلذلك كانت معركة تامدا ن ايرعمان ــ وهو اسم المكان الذى وقفت فيه المعركة ــ درسا قويا تلقته باعقيلة من ايليغ لتعلم ان ايليغ لا تزال حية كما كانت ، فرجع ابن الحسين وقد اخذ بثار والده ، ومثله من ياخذ بالثار ، فجلا الشرفاء الذين كانوا سبب الحرب عن ديارهـم ، وكانوا نحو خمسين كانونا ، فنزلوا بادا وباعقيل ، فلم يقم بهم هؤلاء فتشتتوا.

### ايليغ فى عهـده

ظهر ابن الحسين بهذا المظهـر فعـرف الناس منـه ان الشبل ابـن الأسد حقيقة ، فسار سيرة والده فى الموسم وفى شيعـة تاكوزولت ، وفـى المخزنية التى ألفها الناس فى ايلّيغ ، فبقيت تلك الحاشية السوداء مع كرمه الجم ، واخلاقه الدمثة ، ومداخلته للناس ، تحيط به هالة متسعة من الهيبـة ، وكـان

يتردد في كل مناسبة الى الحمراء ليؤدى للعرش التحية الواجبة في كل أيام المولى الحسن ، وكان العلماء الذين ألفوا ايليغ لا يزالون يترددون اليه كالحاج الحسين الافراني ، وابن العربي الأدوزي ، والحاج الحسن التامود يزتي ، والعلماء الالغيين ، كما كان غيرهم ينزل فيه خصوصا الشنكيطيين الذين يجتازون الى الحجاز ، كمحمد بن يحيا الوالاتي المشهور (591) فانه بقي هناك ما شاء الله ، وفي ذلك العهد دارت بينه وبين ابن العربي الادوزي محاورة حول معرفة النبي بنبوته ، أبعد نزول الوحي عليه ، أم كان يعرف ذلك في الأزل ، فألف كلا الرجلين مؤلفا فيما ذهب اليه (*) كما كانت تلك الحاشية السوداء من الموالى سببا ءاخر بعث ابن العربي المذكور على ان الف كتاب الموالى ، وذلك انه التقى هناك بالقائد دحمان الاكليميمي ، فصار هذا يعيب الموالى ، فأراد المذكور أن يرد عليه،

591) تقدمت تراجم جميع هؤلاء المذكورين هنا سوى هذا الاخير فهو العلامة لجليل العظيم القدر محمد بن يحيا الولاتي الحوضي الشنكيطي ، ظهر تبحره في العلوم في بلده ، وكان يستظهر جميع معلوماته ، فاشتغل في بلده بالتدريس والقضاء مجانا ، ويتعيش من التكسب بالتجارة .

رحل من بلده سنة 1312 هـ متوجها الى الحج فصار يدرس للطلبة اينما طلبوا ذلك منه ، وقد مر بكثير من المدارس السوسية فترك فيها دويا عظيما من حيث سعة الاطلاع والاستحضار والمناقشة العالية ، ومر بالسويرة فوجد العلامة الشريف مولاى احمد بن المامون البلغيثي المشهور قاضيا فيها فتلقن منه هذا الطريقة التيجانية وكان الامام الولاتي من اساطينها ، فرأى منه مولاى احمد بن المامون ما بهره من العلم والعمل والصدق والاخلاص فوطأ له كنفه وبسط له جنابه ، ثم مر بفاس وتنازع مع علمائها في صحة ثبوت الهلال بالتلغراف وألف في الموضوع كما الفوا كما مر بمصر واتصل بكثير من علمائها ، وانشده بعضهم بيتا يمدح به النارجيلة التي يدخنون بها ، اذ يقول :

ولابسة من الياقوت تاجا * تقهقه لي اذا قبلت فاها

فقال له الامام الولاتي لو قلت تقرقر لي لقلت حقا .

حج وعاد الى مصر فاشترى فيها كتبا كثيرة واهدى له منها ايضا شيء كثير ، وترك في كل المدن التي مربها ذكرا عطرا لعلمه وعمله ، والف في رحلته الحجازية هذه وله تاليف اخرى كشرحه للبخاري تركه في تونس للطبع ، ويقال ان مؤلفاته تبلغ المائة . ورجع الى بلده ولاتة سنة 1318 هـ فاستأنف عمله في القضاء والتدريس مجانا ، وكبر اولاده فكفوه مؤونة التكسب حتى توفي في رمضان عام 1330 هـ . راجع عنه ثامن المعسول ، وترجمة الاستاذ محمد بن العربي الادوزي في خامسه .

*) لم نتمكن مع الاسف من الاطلاع على اى واحد من التاليفين ، ولكن عثرنا على ما يشهد للوالاتي صراحة في صفحة 143 من الجزء الاول الباب 12 من الفتوحات المكية للامام الاكبر الشيخ محي الدين بن العربي فليراجعه من شاء .

فذكرمحاسنهم، وتأثيرهم فىالاسلام، وأسماء العلماء الذين كانوا موالى(592)، ثمن هناك نعرف شيئا عن مجلس ايليغ ايام محمد بن الحسين الكريم الفياض الذى لا يعلم كيف يعطى ،حتى انه فاق والده فى هذا الخلق حتى تجاوز الحد الى الاسراف ، ولم يوازن بين الدخل والخرج فأداه ذلك الى ما سنذكر بعد .

## معركة توبوزار الهشتوكية (593)

كان المولى الحسن عين قواد كثيرين فى سوس سنة 1299 هـ . فظهروا بين القبائل ، ولكن لم يجدوا قوة يستندون اليها ليؤدوا من وظيفتهم للحكومة ما ينتظر منهم ، فحين كان السلطان فى كل السنين التى قضاها بعد ذلك مشغولا بالمشاكل الخارجية كان يكتفى بوجود هؤلاء اسماء بلا مسميات ، ويقنع بأن يمثلوا بين يديه فى الأعياد وان كانوا لا يمثلون من وراءهم تمثيلا حقيقيا الا ما كان من قواد رأس الوادى (594) وحدهم لمكانة تارودانت التى نظمت فيها قوة الحكومة الدائمة ، وقد تكون معنوية فقط ، وذلك كاف ، بخلاف الجنوب ، فلم تكف القوة الموجودة فى اسك لمساندة القواد ، ثم لما توفى

---

592) نضطر هنا لموافقة المؤلف فيما اشار اليه عند التعليق 525 من ان بعض هؤلاء العلماء يمثلون مع الحسين ما كان يمثله علماء ءاخرون فى بووابوض مع القائد عبد الملك المتوكى من التملق ، فان الاستاذ محمد بن العربى هذا قد ابعد واغرب فى تشبيهه حراطين الحسين المقعين عند منزع نعله والذين هم عبيد بطونهم اكثر مما هم عبيده هو بموالى صدر الاسلام الذين كانوا ابناء ملوك الفرس والروم ومن أشرف بيوتاتهم فرمت بهم الانتصارات الحربية الاسلامية الى احضان بيوت الصحابة والتابعين فربوهم كما يربون اولادهم ، فكان منهم اولئك الرجال العظام الذين نشروا الاسلام وعلومه .

593) محل بالقرب من وادى الغاس المعروف هناك ، وقد كانت هذه الوقعة فى فاتح جمدى الاولى عام 1315 هـ ، وسببها ان محمد بن الحسين الاليغى نزلها ليدافع عمن نهبوا تابوحنايكت ضد القائد سعيد الكليولى ومن معه ، كما ياتى فى التعليق 596 .

594) سبق ان ذكرنا فى هذه الحواشى ان المراد براس الوادى هو راس وادى سوس فيما وراء تارودانت شرقا الى اولوص الى سكتانة وما هناك من القبائل ، ومن المعلوم أن تارودانت التى وصفها المؤلف هنا بان القوة الحكومية منظمة فيها هى احدى المسالح الباشوية الخمس التى تكون عادة فى المغرب وهى تطوان وفاس الجديد ومكناس وقصبة مراكش وتارودانت .

المولى الحسن سنة 1311 هـ . وظهر الوزير احمد (595) ازاء المولى عبد العزيز بقوة كبيرة اعتنى بالداخلية فوفد عليه هؤلاء القواد ، فأعادوا الشكوى التي

---

595) تقدمت الاشارة الى منافسته للوزراء الجامعيين وتحمله وزر الفتك بهم فى التعليق رقم 425 ص 33 .

وكان ابتداء عمل هذه الاسرة فى الدولة لما اهدى السلطان سيدى محمد بن عبد الله احمد الاول ابن مبارك صغيرا لولده المولى سليمن فنشأ بين يديه واستوزره طول مدة ملكه حتى مات فى ايامه .

ثم كان موسى بن احمد حاجبا ايام المولى عبد الرحمن وايام ولده سيدى محمد ، وفى هذا الوقت ظهرت غيرته ممن يتولون الصدارة التى كانت هى رئاسة الوزارة ، اذ كان يرشح نفسه لها ولا يقنع بدونها ، وكان يحرص على تولية أهله فى المناصب السامية التى تليها .

فلما افضت المملكة الى المولى الحسن الاول ابقى فى الوزارة وزير والده الحاج ادريس بوعشرين نجل استاذ والده السيد الطيب بوعشرين ، فكان موسى يضايقه فى مكتبته ويجلس تجاهه ، حتى اضطر الحاج ادريس لطلب الاذن فى الذهاب الى الحج ، فصفت الوزارة لموسى واحل ابنه احمد فى محله بالحجابة ، وكانت له دالة على السلطان لاياد اسداها اليه هو واخوه عبد الله ايام ولايته للعهد ، وكان السلطان اذ ذاك حديث العهد بالملك وما زال يتهيب الامور .

ولما احتل موسى صدارة الوزارة جعل اخاه عبد الله علافا اى وزيرا للحربية ، وكان السيد محمد بن العربى الجامعى ابن خال المولى الحسن خليفة له فيها ، فاراد موسى أن يبعد السيد محمد ابن العربى عن جانب السلطان فعينه باشا لفاس وهيأ له العمامة والفرس اللذين جرت العادة باعطائهما للباشوات ، فلما ذهب السيد محمد بن العربى الى بيته واخبر اهله ، لامته خيرة زوجة والده على ذلك وأرته ان ذلك حيلة من موسى ليبعده من مركز النفوذ ، وكتبت رسالة الى السلطان تستأذنه أن تزوره فى تلك الساعة فاذن لها فاخبرته بما يبيته موسى واهله للدولة وطلبت منه ان لا يبعد عنه ابن خاله السيد محمد بن العربى ، وكانت خيرة هذه برزة ذهبت الى الحج مع اولاد اهلها فماتت هناك .

ولما حان وقت تنصيب الباشا من الغد ، خرج السلطان ورأى عبد الله بن احمد فاخبره بانه قد عينه باشا بفاس واعطاه العمامة الملفوفة على الشاشية والفرس ، فسقط فى يد موسى ، ثم قلد السلطان السيد محمد بن العربى وزارة الحربية .

ومن ذلك الوقت صار المولى الحسن ينظر الى موسى وكافة آله نظر الارتياب لتوسعه فيهم محاولتهم لتعدى طورهم من العبودية ، بل شاع أن أحمد كان يحاول اثبات شرفهم فى سلالة .

ولما توفى موسى سنة 1296 هـ كان ولده احمد يطمع فى صدارة الوزارة ، ولما ركب السلطان ليحضر تشييع الجنازة كان احمد ينتظر ان يامره بان يسير خلفه لان تلك هى العادة عندما يموت الوزير ، فمن تبع السلطان فى الجنازة هو الذى يخلفه ولكن السلطان استدعى السيد محمد ابن العربى الجامعى وامره بالركوب وراءه ، فأيس احمد وبقى حاجبا .

يقال انه لما كان المولى عبد العزيز وهو صغير يميل لاحمد لانه كان مكلفا بالاشراف عليه فى الكتاب وهو الذى كان يعطيه ما يقدمه لاستاذه فى المناسبات كالحذاقات والختمات وما يشبهها علمه مرة أن يطلب من السلطان أن يستوزره مكان موسى والده ، فلما كان بين يدى والده فى الدار مرة طلب منه ذلك فقال له السلطان « استوزره انت متى صرت سلطانا » فكان الأمر كما قال .

كانوا يكررونها كل سنة على مسامع السلطان المتوفى فصادفوا هذه المرة من الوزير اصاخة ، فأمرهم ان يجتمعوا فى هشتوكة ، وان ينتظروا هناك جيشا حكوميا يوطد لهم ، فتجمع بعضهم فى تابوحنايكت مع ابن يطو من

---

ثم لم يلبث السيد محمد بن العربي الجامعي ان اصيب بالفالج وهو راجع مع السلطان ذات مرة من مراكش فمرض بذلك فى الرباط ، فكان ينوب عنه كاتبه الصنهاجي ، ثم لما مات هذا قلد السلطان الوزارة لاخيه الآخر السيد الحاج المعطى بن العربى والحربية لاخيهما السيد محمد الصغير وهما اللذان نكبهما احمد ايام المولى عبد العزيز ، وكان حنق السلطان يزداد على احمد حتى ان الكتاب شعروا بانه اذا وصل المادحون فى ليلة المولد لقول البصيرى فى الهمزية « ومن الاهل تسعد الوزراء » كان السلطان يلتفت الى اخواله الجامعيين نكاية بالحاجب احمد ، وكان يهم بصرفه عن الحجابة الى باشوية تطوان وبقى السيد محمد بن العربى مفلوجا ثلاثين سنة وولد كثيرا من اولاده فى تلك الحالة ، ويقولون انه بهى الطلعة أزهر اللون .

اما اصل الجامعيين هؤلاء فانهم من ذوى منبع من الصحراء قرب فيكيك وبشار ، واول من دخل منهم الى المغرب يسمى الشرقى ، وقد نزل بخيامه على أولاد جامع ، فأحسنوا ايواءه وكان له اتصال مع سلطان ذلك الوقت ولا ندرى هل هو المولى اسمعيل او ولده المولى عبد الله او ولده سيدى محمد ابن عبد الله ، وهو سبب انخراط اولاد جامع فى الجيوش السلطانية لانه كان يثنى عليهم فى حضرة السلطان ، ثم دخل فاسا واقتنى املاكا بحارة فندق اليهودى بها ، ومنها المحل المعروف الآن بنزل (اوطيل) الجامعى .

ثم خلفه ولده القائد محمد بن الشرقى فى قيادة اولاد جامع ، ثم ولده السيد عبد الملك ، ثم ظهر المختار ابن عبد الملك الذى قال فيه صاحب الاستقصاء « الفقيه العلامة الاديب » فاستوزره المولى عبد الرحمان سنة 1247 بدل الوزير الاديب محمد بن ادريس ، ثم صاهره على بنتيه فاطمة لولده سيدى محمد ولى العهد واخرى لاخيه المولى عبد السلام ، وفاطمة تلك هى والدة السلطان المولى الحسن الاول .

وبعد موت السيد المختار سنة 1252 هـ . بمراكش ودفنه بصحن مشهد مولاى على الشريف هناك ، تولى الوزارة مكانه ولده العربى ، وكان لا يتفق مع المولى محمد بن عبد الرحمان زوج اخته ، ولذلك اخره المولى عبد الرحمان عن الوزارة ورده الى منصب اسلافه وهو قيادة اولاد جامع ، فلما مات المولى عبد الرحمان قام السيد العربى بأخذ البيعة بفاس لسيدى محمد رغم ما كان بينهما من النفور ، ومن عجيب الاتفاق ان العربى هذا وقف عند قبر المولى ادريس وقال اذا كان له الخير فى سيدى محمد بن عبد الرحمان فذاك والا فلا أراه الله وجهه ، فمات قبل دخول السلطان الجديد لفاس من مراكش ، ولا تخلو الدواوين المخزنية من كتاب ووزراء من الجامعيين دائما ، وقد كان السيد محمد بن العربى المذكور خليفة لعبد الله اخى موسى فى الحربية ايام المولى الحسن حتى كان ما اسلفناه فى التعليق 125 من صفحة 33 وما اوردناه اعلاه .

وغالب ذلك متفرق فى تراجم هؤلاء الاشخاص فى الاتحاف للنقيب العلامة المولى عبد الرحمان ابن زيدان ، وقد استقيناه مجملا هكذا من العلامة الجليل شيبة الحمد وبقية السلف الصالح سيدى محمد بن الحاج ادريس بن محمد بن المختار الجامعى ، وقد نشأ جنابه هو واخوته سيدى محمد وسيدى احمد وسيدى محمد الصديق بين يدى افاضل العلماء كسيدى احمد بن الخياط وسيدى الفاطمى الشرادى وقضى السنين كاتبا فى الحاشية السلطانية ثم كان باشا برودانة نحو عشرة اعوام ،اخرها سنة نفى السلطان المقدس سيدى محمد بن يوسف عن عرشه فطرده المستعمرون من تارودانت واسندوها للقائد محمد بن ابراهيم التيوتى .

رؤساء الجند الحكومي(596) وكان معهجندقليل ـ ذلك ما حدثت به ـ فزحفالقائد سعيد الكلولي بالحاحيين وغيرهم لأداء المامورية التي كلفته بها الحكومة ، وقد كانت الفت من الحاحيين تمهيد سوس كما صنعه القائد عبد الملك بواسطة محمد بن يحيا أغناج (597) .

سمعت القبائل الجنوبية بهذه الحملة التي يعرفون ان المقصود منها هو ابتزاز الأموال ، فكادوا يجمعون على مقاومتها لولا ما كان عراهم من تفرق بعد معركة تامدان ايرعمان ، فبعقيلة وشيعتهم كالتيزنتيين والجراريين لا يزالون ينتظرون بالشيعة الاخرى ما يتسبب عنه ان يأخذوا ثار تلك المعركة، ولم يقنعوا بحروب دارت بعدها في ازاغار ، بين ءال المعدر وتيزنيت ، واما ابن الحسين وشيعته فانهم بادروا لمدافعة الجيش الزاحف ، فكان المجاطيون والمعدريون وامثالهم مندفعين الى جهة هشتوكة ، ثم احتوش الهشتوكيون من

596) هو الحاج الهاشمي بن يعلو الجامعي كان من وصفان القصر الملكي الداخليين ، اما تابوحنايكت هذه فتقع في ايت بوالطيب من هشتوكة سوس ، وكان اول من نزل بها هو الشريف مولاي عبد السلام من عمومة المولى عبد العزيز ثم انضم اليه القواد الذين ثارت قبائلهم بعد وفاة السلطان مولاي الحسن الاول ، ثم ورد عليهم القائد سعيد الكيلولي الحاحي بصفة كونه قائدا عاما .

وسبب وقعة تابوحنايكت هو ان القائد السلطاني الذي كان هناك وهو القائد الحسين بن القائد ابراهيم الدليمي ذهب ليسلم على القائد سعيد الكيلولي فترفع عنه هذا وامره بالطاعة وتقديم المؤون لجيشه كما هي عادة المغلوبين ، فانف القائد الحسين من ذلك قائلا ما دام مصدر سلطتنا هو السلطان فباي سبب يخضع احدنا للآخر ؟ فاعتقله الكيلولي لأمنه جانب الوزير احمد بن موسى الذي اطلق يده في سوس الجنوبية كما اطلق يد الباشا حمو في سوس الشرقية والشمالية فثار لاعتقاله اخوانه ايت بوالطيب وانضم اليهم اهل ماسة وايت باكو وايت بولفاع وغيرهم فانقضوا على الجيوش السلطانية في تابوحنايكت في ءاخر يوم من شعبان عام 1314 هـ ، وبعد ان انتهبوا تابوحنايكت اعتقلوا الشريف المذكور ، وقد اطلق سراحه فيما بعد بما يقرب من المستحيل ، وسيق القائد الحسين الى سجن أكادير حيث بقي حتى كاد يصير مقعدا ، وتملص من السجن يوم وفاة الوزير أحمد بن موسى عام 1318 هـ . واضطراب الامور من جديد .

597) راجع أخبار هذين في أخبار ءال بيهي بن مولود ، وأخبار الثائر الطالب صالح في تعاليق منبثة في قسم « ايليغ الحديثة » من هذا الكتاب ، منها التعليقان 479 و 492 ، ونضيف هنا اننا عثرنا بين كتاب المولى عبد الرحمان عند النقيب ابن زيدان في صفحة 225 من خامس الاتحاف على اغناج ءاخر غير محمد بن يحيا هذا ، وهو الحسين اغناج كان عاملا على حاحة فعز له المولى عبدالرحمان وولاه وظيفة الكتابة ، ولا ندري علاقته بالاول .

كانوا فى تابوحنايكت ، فرابط ابن الحسين ومن معه في توبوزار ، فاستولى القائد سعيد على هشتوكة ، فبقى هناك شهورا يدرس الموقف ، فاتصل اذ ذاك بالتيزنيتيين والبعقليين وشيعتهم على ان تكون يدهم واحدة ، فلما تم له ذلك دارت الحرب فى توبوزار ، فاندحرت القبائل المدافعة بعد ما ابلى ابن الحسين ذلك النهار بلاء مذكورا وقد ربض فوق ثنية ، فكانت رمايته لا تخطىء ، لأنه كان من رماة الحدق (598) ، غير ان ذلك لا يجدى امام السلاح الجديد الذى تسلح به المهاجمون ، فبادر ابن الحسين فاتخذ الليل جملا ، فخاض فى احشاء الظلمة ، فقطع بلاد الجرارين فنجا الى داره ، وفى ذلك الحين انقض البعقيليون والتيزنيتيون على المعدريين من شيعته فنهبوا ديارهم ، فانفتح باب تيزنيت امام القائد سعيد الحاحى فدخلها .

هكذا ظهر من «ال ايليغ الحديثة أول مرة مدافعة الجيش الحكومى بالقوة بعد ما رأينا منهم احترام الحكومة دائما ، أو اجفالا امامها على الأقل (599)

---

598) الحدق جمع لحدقة العين ، ويكنون برماة الحدق عمن يصيبون فى رميهم ادق الاشياء حتى انهم ليصيبون حدق اعدائهم ، وقد ادعيت هذه التسمية لبنى ثعل ولقوم من هل النوبة ، ولفخذ القارة من بنى الهون بن خزيمة ، قال الامام السهيلى اثناء الكلام على من ذكر ابن هشام فى سيرته أنهم اسلموا بعد ابى بكر رضى الله عنهم وعد منهم مسعود بن القارى : « والقارة لقب » ولهم يقال « قد انصف القارة من راماها » وكانوا رماة ، فقال السهيلى : « وكانوا رماة الحدق » فمن راماهم فقد انصفهم ، قال ابن الونان :

لا تامن الدهر الخؤون انه * ارشق نبلا من رماة الحدق

599) لا يعاب أى شىء من ذلك على «ال ايليغ ولا على كل من كان فى جانبهم ، فان بين مجىء المولى الحسن الاول وغيره من ملوك الدولة العلوية الى سوس وبين مجىء القائد سعيد الكيلولى ومن معه فرقا كبيرا ، فقد راينا فى التعليق 589 ان سيدى الحسين التامكونسى نقل عن موقت السلطان ان جلالته لا يتبلغ الا بما ياتيه من داره ، وذكر مثل ذلك غيره من المؤرخين ومنهم المؤلف فى الجزء 14 من المعسول عند الكلام على ترجمة القائد الحسين الدليمى .

أما هؤلاء القواد الواردون الى تابوحنايكت وبويكرا فانهم طلاب ثراء أكثر مما هم قواد للجيوش الوطنية ، لانهم لا يهتمون بشىء مثل اهتمامهم بالنهب واحتواش الاموال ، ولو انهم تعففوا عما فى ايدى الناس ، وقدروا الموقف فى الداخل والخارج قدره لكانوا صلحاء بررة بوطنهم ولرءاهم السوسيون رحمة لاكماهم فى الواقع نقمة ولتلقوهم بمثل ما تلقوا به السلطان المولى الحسن رحمه الله .

## احمد بن محمد بن الحسين يظهر

انسحب محمد بن الحسين من الميدان بعد معركة توبوزار ، تاركا وراءه ابنه الشهم احمد بن محمد ، وكان من رجالات ايليغ المذكورين ، وقد أدرك كثيرا من عصر جده الحسين فكان له منشأ حسنا متأثرا بتلك البيئة ، وكان دائما عضد والده الأيمن ، وهو حر ابن حرة ، لذلك لم يكد والده يتوارى أثر تلك المعركة حتى بادر فاتصل بالحاحيين فربط معهم ما تمشى مع حبله ايامهم كلها ، سواء الكيلوليون أم النفلوسيون ، فكان قائدا على تازروالت وايت رخا وبعض ايفران كتانكرت ، فجال في مجالات الحاحيين فغرم لهم مغارم باهضة ونزع باسمهم بغالا وخيلا من الناس ، كما ملأ سجونهم بمثل محمد أنافال ومبارك الرخاويين (600) ، وكان كاتبه الخاص حينا الفقيه سعيد ابن الطيب الأكماري (601) ، ولم يزل يبدىء ويعيد ما بين سنتي 1315 هـ . و 1321 هـ .

---

واذا كان الوزير احمد بن موسى يقول عن رئاسته للحكومة اذ ذاك انه انما ستر الفضيحة وانه لو تخلى عنها لفاح نتنها ، كما اشيع عنه وكما ذكره عنه المؤلف في الصفحة 255 من ثالث المعسول فانه لم يعد في ارساله القائد سعيد الكيلولي لجنوبي سوس حول تزنيت والباشا حمو البخاري الى شرقيه وشماليه حول تارودانت ان مهدبهما لتشوق الناس للاستعمار واستبطانهم له .

وكثيرا ما يكون هؤلاء الولاة الشرهين النهمين سببا في نفور الناس من ممثلي السلطة المركزية، لولا ان السوسيين لحسن الحظ يحسنون التمييز بين هولاء وخسة اغراضهم وبين رئيس السلطة المركزية الذى هو السلطان والذى يرونه خليفة الله في الارض .

ومن أراد أن يعرف ما سجله التاريخ السوسى فى ذلك فليراجع ما نقله المولف فى الخامس عشر من المعسول عن أبى فارس الادوزى عن الكيلولى وما قاله قاضي تارودانت سيدى موسى عن الباشا حمو فى ص 14 ج 18 من المعسول .

ولو أن هؤلاء جاءوا الى سوس كمبشرين بالواقع الوطني فى الداخل والخارج وكمثيرين للحماس الوطنى لكانت الحالة غير الحالة ، ولكن أحمد بن موسى الذى سطا على الوزارة لصغر المولى عبد العزيز كما سطا عليها ابوه قبله ايام المولى الحسن لا يهمه الا أن يكون هو وانصاره وحدهم في الميدان ، في وقت تتلاعب فيه الرياح الهوج بمصالح الوطن العليا ، فاذا عبنا على الحسين اجفاله ابام المولى الحسن سنة 1283 هـ فاننا لا نعيب على ولده محمد بن الحسين مقاومته لهولاء الجبابرة السفاكين الشرهين ، راجع التعليق رقم 1 من الصفحة 282 من ثالث المعسول ولابد ، كما تجب مراجعة صفحة 231 من الجزء 15 منه ، وكذلك الجزء 20 .

600) تقدم ذكرهما فى التعليق 537 .

601) هو العلامة الجليل سعيد بن الطيب بن خالد ، والده الطيب من المذكورين فى التعليق 521 ، وكان ماهرا مقداما يخوض في النوازل واقبل عليه الناس فيها لحذقه وحسن خلقه ، وكان مولعا بالصلاة في اوقاتها جماعة ، وكان يجهر بالتكبيرات والتحميدات ليسمعه من يجاورونه ، حتى صار الناس يتحينون وقت صلاته ليصلوا بتسميعه خصوصا فى صلاة الصبح بداره ، وكان الناس يسمعونه في الصيف اكثر مما يسمعونه في الشتاء . راجع ترجمته فى صفحة 98 من حادى عشر المعسول .

الى ان خرجت ءاخر قافلة من الحاجيين من تيزنيت حيـن استدعت الحكومـة جندها في الوقت الذى نشبت فيه ثورة بوحمارة (602) في تازة ، ثم أوى بعد ذلك الى داره ، ولم يبق له ولا لأهله الا التازروالتيون لا غير ، وقد حفظت دارهم مما أصاب ديار القواد من النهب والتدمير بأيدى العامة الى نحو سنة 1326 هـ فسافر الى الحج ، فصادفه أجله في طنجة ، وكان جامعا لأخلاق الرجولة باسلا مـغواراً ذا هيبـة .

---

602) هو الجيلاني الزرهوني من دوار اولاد يوسف من زرهون ، كان له نوع ثقافة ، وكان من اتباع المولى عمر ولد السلطان المولى الحسن وهذا هو الذى كان يرى نفسه أهلا لخلافة والده ، كما كان مدة من اتباع القائد عبد الكريم ولد با محمد الشركي ، وكان يتعاطى الخوض في الاسماء وأسـرار الحـروف .

ولما اعلن الحاجب احمد بن موسى تتويج المولى عبد العزيز سنة 1311 هـ في الرباط وتولى هو صدارة الوزارة التى كان يطمع اليها من قديم وبلغت اوامره بذلك الى باشا فاس على الراشدى او عبد الكريم الشركي الذى كان اذ ذاك باشا على فاس الجديد ، فاذا بالطبول تدق اعلانا للتتويج فلما سأل المولى عمر عن سببها واطلع على الواقع ارسل عونه المهدى بن العربي المنابهي لخـرق الطبول فخرقها ، فكان ذلك سبب قبض الباشا عليه وايداعه السجن ، وكان فيه هو والجيلانى الزرهونى هذا ، واذا عرفنا سبب سجن المنابهي فقد بحثنا عن سبب خاص لسجن الجيلاني فلم نعثر عليه ، ولعله سجن هو الآخر لنفس السبب اذ ربما يكون المولى عمر كلفهما معا بخرق الطبول ، ويقال ان الجيلاني هذا كان يستعمل الرمل والخط الزناتى لاستطلاع مستقبله ومستقبل رفيقه في السجن ، فبشر رفيقه بانه سيكون وزيرا ، فبادر الآخر بتبشيره باستخدامه كاتبا معه اذا توزر ، فقال له الجيلاني تبا لك انني سأكون اذ ذاك ملكا وسأفسد عليك وزارتك ، فكان الأمر كـذلك ، وبعد خروجهما من السجن انحاش المهدى بن العربى المنابهي للوزير الجديد احمد بن موسى حتى صار من خاصته ، اما الجيلاني فبقي يتسكع حتى مات الوزير احمد وقبض المنابهي على زمام الامور ، فجاء لزيارته فترفع عنه فخرج من فاس وساح في جبالة وناحية طنجة يبث الدعاية ضد الدولة ويندس بين المتفقرين والمتصوفين حتى عاد الى قبيلة الحياينة فادعى أنـه هو المولى "محمد بـن السلطان المولى الحسن وان اخوته اضطهدوه ، فكان ذلك اول ثورته التى ابتدأت سنة 1321 هـ وكلفت الدولة المغربية كثيرا من الانفس والاموال ، حتى قبض عليه القائد الناجم السوسي الاخصاصي أحد قواد الارحاء بعد سبعة أعوام من ذلك التاريخ أى يوم الاحد 5 شعبان عام 1327 هـ في مشهد سيدى عمران في قبيلة بني قيس من بني مزكلدة بجبالة .

وقد دهم الناس امره وظنوه بادرة الانفراج في المغرب ، ولكنه انما كان فتنة من فتن الاستعمار ، وقد اغتر به حتى كبار علماء القرويين فقد كان العلامة سيدى احمد بن الخياط وتلميذه العلامة سيدى الفاطمي الشرادى عند السيد محمد بن العباس الجامعي في غرسة الشفشاوني بفاس بمناسبة حفلات شعبان ومعهما تلميذهما العلامة الخير الصالح سيدى محمد بن الحاج ادريس بن محمد الجامعي ـ وعنه ننقل بعض ما هنا ـ وأبو حمارة على أبواب فاس فاستبشروا بقرب دخـولـه واظهروا الفرح وكان هناك رجل مجذوب كان خرازا أصله من تلمسان ويسمى سيدى الحاج فاعتراه الجذب فجلس بعيدا عنهم ينتظر فضلة الطعام فسأله بعضهم ـ وكانوا يعرفون جذبه ـ فهاج وازبد وصار يقول : « الا تستحيون ان تتركوا ولد الناس ـ يعني المولى عبد العزيز ـ وتـأتوا بمجهول

## بقية أخبار محمد بن الحسين

لم يظهر بعد معركة توبوزار في أية معركة بعد ، بل أصابت رياسته وسمعته زمانة ، فتضاءل أمره لأسباب كثيرة ، منها تبدل أحوال سوس من سنة 1315 هـ (603) فجاءت أمور أخرى انطفأت بها جذوة تاكوزولت وتاحوكات، ولا يخفى ما لتناطحهما من رفعة شأن ايليغ كما أوضحناه فيما تقدم ، ومنها تكالب المجاطيين بعد ان نسفوا القائد سعيد المجاطى سنة 1323 هـ ، وكانت ايليغ تناصره ، فصاروا يضادون ايليغ بكل قواهم ، وقد تولى معظم ذلك البنيرانيون والرخاويون ، فكفوا يد الايليغيين بعض الكف عما كانوا يعهدونه في الموسم ، فنقصت هيبتهم لذلك نقصا ظاهرا ، ومنها اسراف ابن الحسين في الجود ، فلم يوازن بين الدخل والخرج فأداه ذلك الى الاحتياج ، فصار يرهن املاكه ، وذلك ممـا يحط من شأنه في أعين الناس كثيرا ، ثم دخلت الفـوضى بين أعـوانـه وعبيده واهله ، فيضع كل واحد منهم يده على ما يجده فيبيعه بأبخس ثمن مع هروبهم من اجل ضيق المعاش بهم ، فبعد ما نهب من الخرثى (604) والذخائـر والأثاث القيم ما له بال صادف هذا اجذاب تازروالت سنين متوالية ، فخلـت

---

فتان ؟ والله لا كان ذلك ابدا » فتعجب الحاضرون واقلعوا عن الخوض في ذلك ، فلم يلبث ابو حمارة ان انهزم في احدى الوقائع قرب فاس فارتحل حتى قبض عليه وقال المولف في المعسول ان الذى كلف بقتله يسمى مبارك السوسى ولم يزد ، ومبارك هذا من ايت حميتى بتشديد التاء ، من زاوية اكضاض في تاكركوست ن وانسا في اولوص وسبب خروجه من بلده انه قتل ثلاثة من ايت واحمان من قرية أوسلا هناك في نزاع معه على السقي من الساقية جاء اولهم يمنعه من رد الماء لحقله فضربه بالمجرفة المسماة آمادير فرماه في الساقية فجاء اخوه فالحقه به فجاء الثالث فالحقه بهما كذلك ، ومن هناك فر الى مراكش ايام المولى عبد العزيز فوجد الناس يتجندون فانخرط في الجيش ، فاصبح قائدا من قواد العساكر .

اما تفاصيل المعارك وكيفية القبض عليه وموته فانها في الجزء العشرين من المعسول ، وفي الاول من الاتحاف للنقيب ابن زيدان ، ولا عبرة بما ذكره من ان الذى قبضه هو العشى ، كما شهد به الناجم والقائد العربى قائد المشور ، واسم العشى العربى من قواد المائة مع قائد الرحا احمد بوعودة ،

603) هي السنة التي انهزم فيها امير ايليغ محمد بن الحسين في معركة توبوزار كما تقدم، فانسحب مندحـرا .

604) متاع البيت واثـاثـه .

المخازن ، وظهرت الفاقة على ايليغ فتضعضع أمره تضعضعا يراه كل أحد ، ومنها ما ظهر من الخلاف هناك ، فقد بدأ بين علي وبين والده ابن الحسين خلاف كثير ادى الى ما لا تحمد عقباه ، فهجر هذا والده الى المعدر سنة 1327 هـ . بخيله واصحابه ، ثم جرى الشيخ الوالد حتى صالح ما بينهما فرجع الى والده فرضي عنه والتأم ما بينهما سنة 1328 هـ ، ومنها ما استولى على ابن الحسين من تصوف وتبتل كثير ، فألقى وراءه كل ادارة للشؤون ، مقبلا على اذكار كثيرة ، وعلى تلاوة المصحف بكثرة ، وعلى انابة عجيبة توثر عنه أخيرا ، فضاع كل شيء من يده واصبح قانعا باجزاء عمره بما سنح وتيسر ، فهذا ما ظهر لنا من اسباب سقوط ايليغ الحديثة من مجدها الشامخ .

ثم لما جاءت ثورة الهيبة (605) لازم ابن الحسين الحياد عنها هو وسلالة التى تتبع خطواته من قديم ، فلم يؤثر عن احد تخلف عن الهيبة

605) هو الشريف الشيخ احمد الهيبة المولود سنة 1293 هـ ابن الشيخ العلامة محمد مصطفى المعروف بالشيخ ماء العينين الذائع الصيت وصاحب التاليف العجيبة فى جميع الفنون .

وهذه احدى الأسر العربية المغربية العريقة ، كانوا يقطنون القطر الشنكيطي فحافظوا فيه على السنة والشريعة الاسلامية والعلوم الدينية ، وكانوا احدى دعائم الاتحاد الوطنى هناك ، اذ كان لهم اتصال دائم بالدولة المغربية وكان لهم فيها كامل الثقة وحسن الاعتقاد ، وكانوا يسافرون عن طريق المغرب الى فاس والقيروان وغيرهما من العواصم الاسلامية لتلقى العلوم واقتناء الكتب .

ولما احتلت الجيوش الفرنسية بلادهم الصحراوية بقيادة الكولونيل Gouraud الذى اصبح جنرالا فى سنة 1914 م هاجر هذا الشيخ فى اتباعه الى التخوم الصحراوية السوسية فرارا بدينه وحريته فقدر له ملوك المغرب ذلك من عهد المولى عبد الرحمان الى عهد المولى عبد الحفيظ اذ فى أيامه توفى بتزنيت سنة 1328 هـ فكان الملوك يقومون به وباتباعه البالغين نحو عشرة الاف بين تلميذ ومريد ومقعد ومعتوه وعاجز فيؤويهم ويعلمهم ويحملهم فى الاسفار .

وكان يمر بالقطر السوسى اذا ورد من الصحراء ، وكان يتصل برؤسائه ومن جملتهم حيدة ابن ميس المذكور فى التعليق 606 اذ قال له ذات مرة اذا صار أحد اولادى اميرا فأعنوه ولا تحاربوه، وذلك كشف منه للغيب .

ولما وفد على المولى عبد الحفيظ فى أوائل عهد الحماية وجد الكولونيل **Gouraud** المذكور من جملة الضباط الذى جاءوا للمشاركة فى احتلال المغرب فرجع من مراكش ولم يبلغ فاسا كما كان ينوى ، وقد أشار عليه المولى عبد الحفيظ بالرجوع مخافة ان تمتد اليه يد الفرنسيين المتضامنين فيما بينهم . فيكون عليه فى ذلك لوم التاريخ .

اما ولده احمد الهيبة هذا فهو الذى تجلى فيه كشف والده بالامارة واعلن نفسه سلطانا عام 1330 هـ فى اوخر ايام المولى عبد الحفيظ ، وقد وقع عليه الاختيار لأنه هو الذى خلف والده فى مكانته بين أهله ، وكانت الغاية من قيامه أولا هى انقاذ المغرب وتحريره من الحماية الاجنبية ، ولما ظهر أمره طمعت المانية ان تستغله فى محاربة الفرنسيين فى المغرب بواسطة القانديين الكيلوليين ـ بالكاف المعقودة ـ الحاحيين مبارك ثم أخيه عبد الرحمان كما أكده المؤلف فى المعسول وقال ان ذلك قل من يعرفه .

اما السوسيون فكانوا ازاءه فرقتين فرقة انضمت اليه وهى الاكثرية ، وفرقة تجنبته خوف ان لا يتم أمره فيتوارطوا ، وكانت الحماية قد تمت اذ ذاك فسهل قبول الدعاية السيئة ضد المولى عبد الحفيظ واتهامه بأشنع الاعمال ، ولم يكن هم كل من انضم الى الهيبة من السوسيين الا الجهاد فى سبيل الله ، وحتى اولئك الحاحيون أنفسهم لا غرض لهم سوى محاربة الحماية .

وبعد اقبال وادبار واقدام واحجام اجتمع عليه اهل ناحية تيزنيت من السوسيين وعلى راسهم العلماء فتبعهم من سواهم ، فانتصب الشيخ احمد الهيبة ملكا على عرشه تتلى أمامه القصائد ويخاطبه الشاعر الفحل المرن الاستاذ الطاهر الافرانى بامارة المومنين وبالخلافة (فيصك تسليم الخلافة سمعه) كما قال ابن الزيات فى ابراهيم بن المهدى الثائر على المامون العباسى ، وتكون له بلاط مخزنى من الشلحيين الذين يحاولون محاكاة ما يشاهدونه فى بلاط المولى الحسن الاول اذا زار بلادهم .

ولما استوثق من نفسه أزمع الرحلة الى احتلال مراكش عاصمة الجنوب المغربى ليتقدم منها الى مصادمة الجيش الفرنسى المتشعب من الدار البيضاء فى شعب مختلفة تتجه كل شعبة منها الى نقطة معينة من الرقعة المغربية وفق برنامج منظم مدقق مدروس متحد القيادة ، ولذلك أشير عليه بالمرور الى مراكش عن طريق امسكروض لئلا يقع فى قبضة الموالين لاحدى تلك الشعب ، وقد وصلها فى خامس رمضان 1330 هـ الموافق 18 غشت 1912 ، فكان أعظم همه دخول القصور الملكية والاستحواذ على ذخائرها وكنوزها ومباهجها وملذاتها .

ولما حضر للسلام عليه كبار قواد الحوز أشار عليه الباشا حيدة بالقبض عليهم ونفيهم الى شواهق الجبال السوسية لأنهم يتلونون ويتقلبون فأبى عليه ذلك بحجة انهم فى أمان لديه .

وقد كان من قدر الله اذ ذاك ان فسد ما بين السلطان المولى عبد الحفيظ فى فاس وبين صدر وزرائه المدنى الاكلاوى فتسلل هذا الى مراكش بحجة الاطلاع على أحوالها والاتصال بأخيه الحاج التهامى الذى كان باشاها ، فعزله المولى عبد الحفيظ تبعا لأخيه وأسند الباشوية وأوسع منها الى خديمه السيد ادريس منو السوسى الهشتوكى ـ معدم ابى حمارة ـ والذى أخذ عنه المؤلف ما ضمنه كتاب « على مائدة الغداء » الذى ما يزال مخطوطا .

وقد كان ما بين المدنى الاكلاوى والفرنسيين قد فسد ولكنه رجع الى الاتصال بهم ، كما ذكر الجنرال مانجان Charles Mangin فى مذكراته بقوله «الاخبار الواردة سيئة ، وان الكلاوى الرئيس البربرى الكبير ، الوزير السابق الذى كنا غضبنا عليه ، قد عاد الينا يفيدنا ،وانه يناصبه العداء المتوكى الرئيس البربرى الآخر المعادى للفرنسيين » .

فصادف دخول الهيبة لمراكش وجود المدنى الاكلاوى فيها فكان ذلك من أثمن الفرص له لتثبيت قدمه فى الصداقة الفرنسية .

وكان من أعمال الهيبة بمراكش ان أسر تسعة فرنسيين منهم القنصل Maigret ومستشاره ، والكومندان Verlet Hanus مع اربعة ضباط ، وكانت الأوامر قد صدرت للقنصل ان لا يبرح مراكش ولو وقع ما وقع : فقد أصبح هم الاكلاويين ان يحرصا على سلامة أولئك الفرنسيين باى ثمن كان ، خصوصا مع ان أسرهم كان انتزاعا لهم من يد الحاج التهامى .

وكانت القيادة العامة بالرباط تتردد اذ ذاك فيمن سترسله الى ما وراء نهر ام الربيع هل هو الكولونيل Gouraud او الكولونيل Mangin ، فوقع الاختيار أخيرا على هذا الاخير ، وكان كما قطع أم الربيع الى أزمور فاصبح يتردد بينها وبين الجديدة ، وهناك اتصل به اليوطى على الساعة التاسعة ونصف من مساء يوم 9 غشت 1912 م من الدار البيضاء فقرأ له فى التلفون عدة برقيات وردت عليه من الصويرة بتقدم الهيبة الى مراكش . ولما عاد اليوطي من الغد الى الرباط وجد أمامه خبر استفحال أمر الهيبة ، فاصدر الاوامر حالا الى الكولونيل مانجان بالاسراع الى مشرع ابن عبو بين سطات ومراكش وابقاء على قيادة الاعمال الحربية بدكالة والاعمال السياسية بالرحامنة ، زيادة على القيادة العسكرية الجديدة ، وفى 12 غشت جاءته سيارة الى أزمور فأخذته الى مشرع ابن عبو حيث وجد كثيرا من الجنود تتجمع ، وقد صرح الجنرال مانجان انه لم يكن فى نية الفرنسيين ان يقاتلوا وانما يرمون الى اظهار القوة ليعضدوا بها الاعمال السياسية التى يقوم بها قنصلهم الذى نعته بقوله .

« qui tient la balance entre le Glaoui et le Mtougui, personnages importants qui se disputent la préponderance dans le Haouz » .

اما الهيبة فقد وجد نفسه في طرفة عين ملكا في مراكش وتبجبح قصورها ، ونسي ما جاء من أجله واغتر بظاهر من يتربصون به الدوائر وتصامم عن النصح ، واكتفى بأن وجه أخوه مربيه ربه في بعض الاعراب والسوسيين ومن انضم اليهم من الرحامنة وقد قدرهم الجنرال مانجان بعشرة الاف ، ولم تكد بعض القذائف تمر من فوقهم حتى ولوا الادبار منهزمين يتسابقون الى مراكش .

وقال الذين حضروا اذ ذاك ان من اسباب الانهزام كون الموالين للفرنسيين من قواد الحوز اضرموا النار في معسكر مربيه ربه ، فعلم ان العدو امامه والخيانة والغدر وراءه ، فولى منهزما ، فوصل مراكش عند السحر فلم تشرق الشمس حتى خرجوا فارين نحو تارودانت ، فاستولى الحاج التهامى الكلاوى الذى تعين باشا على المدينة بدلا من السيد ادريس منو منذ فسد الجو بين أخيه المدني وبين السلطان المولى عبد الحفيظ ولكن لم يكن تنصيبه فى المستطاع اذ ذاك كما حكاه الجنرال مانجان عن القنصل Maigret ، فكان كل ما يمكن ان يكون مما يقع فى أمثال هذه الاحوال من تصفية الحسابات وانتهاز اختلال الاحوال ، وقضت مراكش ذلك اليوم فى النظام الظاهر والفوضى الخفية .

ومن الغد عسكر الكولونيل مانجان في كيليز وأرسل قذيفتين عظيمتين تتزان في الجو وتهزان الغافلين بمراكش ، فخرج الاعيان لاستقباله ، وذبحت بين يديه بقرة رمزا للطاعة والانقياد ، وهناك اعلن باشوية الحاج التهامي على المدينة وعين لها قاضيا .

ولما وصل الشيخ الهيبة تالكجونت علم ان احمد بن على الكابا باشا تارودانت يسابقه اليها ليحتلها ويغلقها دونه ، وقد تنكر له بعد الهزيمة ، فانتدب جماعة من اتباعه فيهم اخوه مربيه ربه لاحتلالها ، فراح اليها يوم 29 رمضان 1330 هـ . وفى صباح العيد أوتى براس الكابا فعلق في الحائط الشرقي بساحتها العمومية أساراك .

وقد ابلعته فرنسة ريقه فى تارودانت وامهلته محاولة استمالته اليها بكل انواع الاغراء والاطماع ولكن بدون جدوى ، فدهمته الجيوش الحوزية بقيادة الحاج التهامى الاكلاوى لتعضيد حيدة ابن ميس قائد الجيوش السوسية الذى تنكر هو الآخر للهيبة بعد ان كان قائدا عاما لجيوشه ، فخرج من تارودانت مساء يوم 17 جمدى الثانية عام 1331 هـ ، فاجتاز أرض هوارة كلها تحت الرصاص والنهب حتى نزل فى أسرسيف بهشتوكة ، فتبعه حيدة أيضا ، فوقف دون الهيبة قائده الوفى

بتيزنيت سواهـم ، ثم لما جاء ابن دحان (606) الى تيزنيت رأى ان الـواجب

---

الناجم المذكور في الجزء 20 من المعسول ، وهزم حيدة عدة مرات ، حتى تقوى اخيرا لأن من ورائه المورد الفرنسي المتدفق ، لفر الهيبة ومن معه الى تيمكر (بالكاف المعقودة) في ايت والياض حيث بقي سنة ، ثم تفرقت جموعه وداهمته الجيوش التابعة للحماية من كل جهة فأوى الى عدة قـرى في ادا وباعقيل حيث ظـل يتردد حتى أواه القائد سعيد بن المقدم الى داره بكردوس حيث بقي تعطف عليه بعض القبائل ببعض اعشار محصولاتها الزراعية حتى قبضه الله اليه في 18 رمضان عام 1337 هـ رحمة الله عليه ، وبقي أهله بعده على الفرار بدينهم وحريتهم حتى استقل المغرب فاستردوا مكانتهم .

606) هو محمد بن دحان العبدي ، أحد قواد الارحاء العسكرية ، والرحى هي الف جندي ، في أيام المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ ، وقد اصبح هؤلاء القواد الكثيرون عاطلين بعـد ان شتت الفرنسيون الجيش المغربي ، وكان أول ما فعلوه في ذلك هو أنهم أذاعوا ان خيل هذا الجيش مريضة فجمعوها في عين قادوس بفاس واعدموها كلها رميا بالرصاص ، — وقد ظهر انه كان وباء في الدواب حوالي عام 1913 م — فقام ضدهم في ذلك بعض قواد الارحاء ، فخـافوا ان ينضم اليـه أمثاله فتعظم القضية فحلوا الجند المغربي نهائيا ، فصار أسعد اولئك القواد المعزولين حظا من وجد منهم اي عمل يتعيش منه في ظل النظام الجديد ، فخنعوا وانصاعوا .

وكان ابن دحان هذا وجيها كامل القامة مستدير اللحية ، ولم يكن حلقها شائعا اذ ذاك ، فلما تم احتلال تيزنيت احتيج لمن يقوم فيها بالدور المطلوب ، وهو قطع الطريق على المتمسكين بالاستقلال القديم المناضلين عنه حتى لا يثيروا ما تم احتلاله من المغرب ، والعمل على اجتـذاب المتزعمين لـه كتال الشيخ ماء العينين التابعين لولده الشيخ احمد الهيبة الـذي أعـلـن سلطـانا وجعلهـا نقطـة انطلاق لاحتـلال ما وراءها حيث لا يزال الشيـخ احمد الهيبة سلطـانـا ، بعـد ما ضـرد مـن مراكش ثم تارودانت .

وقد كان الاختيار وقع على القائد الحبيب باقا الفطواكي أحد قواد الارحاء اولئك ، فاركب في سفينة أنزلته امام أكلو بكاف معقودة ساكنة ليتصل باليابسة في زورق ، فكان من قدر الله ان انقلب به الزورق فنجا من معه وغرق هو حتى القى البحر جثته بعد ذلك .

ثم اختير بعده ابن دحان هذا فاركب الباخرة ونزل حيث ذكر فدخـل تيزنيـت متسلـلا في شعبان عام 1331هـ ، فأغدقت عليه سلطات الحماية الأموال لشراء الخيل وتجنيد الجنـود باسـم السلطان ، فصدق فيه ظن من رشحوه ، وكانت تلك فرصة ثمينة له لاحتجان المال ، فظل حاكما بأمره في تيزنيت وما حواليها عدة أعوام ، وكم نكب من افاضل وانتهب من أموال وخرب من بيوت بحجة انحراف اهلها عما جاء من أجله وميلهم لآل ماء العينين .

ثم لم يلبث ان ظهر في الأفق من هو أكثر منه تهورا واجتراء واخلاصا لسلطات الحماية وهو حيدة بن ميس الصحراوي الجلالي المنابهي البرحيلي باشا تارودانت اذ ذاك ، الذي تم على يده طرد الشيخ احمد الهيبة من تارودانت وعظم شانه عند الفرنسيين فاحترمه كل رؤساء ذلك العهد حتى الباشا الكلاوي نفسه ، واسندت اليه رئاسة احتلال ما لم يزل مستقلا من القطر السوسـي ، فأنف ابن دحان من الخضوع له ، فطلب الانتقال لأي جهة تيسرت ، ورعيا لسابق خدماته سوعد على باشوية أزمور حيث ظل عدة أعوام في البذخ والترف وسكنى القصور ، وحدث الثقات المشاهدون انه اتخذ هناك بناية جعل اسفلها زاوية تيجانية لأنه من مريدي هذه الطريقة ، وكان يتخذ اعلاها ملهى يخلو فيه بالمغنيات والمعازف ، وفي ذلك كان يقضي امثاله اذ ذاك أوقات فراغهم ، ثم مات عامل عبدة بلده فطلب الانتقال اليها وهناك توفي بعد نحو خمسة أعوام من عام 1350 هـ الذي حدده المؤلف لوفاته في المعسول .

يقضي عليه ان يسكن هناك ، فبقي فيها ما شاء الله ، ثم رجع الى داره ، وحاله بى نفسيته حاله ، صلوات في الصف واذكار كثيرة واقبال على شأنه ، وكرم بكل ما تيسر لا يرد أحدا .

---

ثم بعد ابن دحان جاء القائد عبد الرحمان الصويرى المسمى حديمان ، فخلفه في الاعمال المدنية ، ومعه القبطان جوستينار المستعرب الشهير الذى كان يسكن سلا والمتوفى أخيرا بفرنسة وهو مترجم بعض « الفوائد الجمة » للقاضي التامانارتي .

وبعد حديمان جاء القائد الطيب الكندافي فاستبد وابتز الاموال ما شاء له الابتزاز واربى طغيانه على طغيان من قبله حتى صار الناس يترحمون على ابن دحان فلم يبق لاحد سبدا ولا لبدا ومن ابى فالسجن حتى أعفي من تزنيت سنة 1339 هـ ورجع الى داره بوادى نفيس .

اما الطاغية الجبار الغاشم حيدة بن ميس ، وكان أشيب حتى خرج الشعر الاشيب من اذنيه، فقد تولى القيادة العامة لاخضاع ماوراء تيزنيت عامي 1333 و1335 هـ وفي هذه السنة مات ، ونشير على القارىء الكريم ان يراجع ترجمته ابتداء من ءاخر صفحة 153 من الجزء الرابع من كتاب « خلال جزولة » للمؤلف .

ونضيف الى ذلك انه لما أراد الصعود في مخنق بين جبلين قرب أكادير زوكاغن (الحصن الأحمر) في13 ربيع الاول 1335 هـ أتاه فارس عليه برنوسان‌ابيض وفوقه أسود، يقود ثورا جيدا ذبحه بين‌يديه وتلك علامة الطاعة ، وقال له مرحبا بك ايها الباشا ، ولا يهولنك سفهاؤنا فنحن برءاء منهم ، فاغتر حيدة بذلك ، ففرق القرطاس على عساكره وتقدموا في المخنق ، ولكن لم يكادوا يتوسطونه حتى صار الرصاص ينصب عليهم من بين الصخور كالمطر ، فأصابته رصاصة فسقط فجعل أصحابه يفرون وينتهب بعضهم بعضا ، وحكى لي من حضر ان احد جنوده كان على فرس فمر بكاتبه الطيب ابن ءمحمد بن صالح الرداني من ذرية القاضي ابن صالح صاحب السلطان المولى سليمان فسلبه كل ما عليه وكان الطيب بدينا جبانا . وجعل هو يامر من يمرون به هاربين ان يضرموا النار على وجهه — يخشى ان يعرف فيقطع رأسه — ولكن من يطيق منهم ان يفعل ذلك حتى ولو كان مصلحة ؟ لخوفهم منه — فاضرمها عليه عبيد صبيان له يعتادون ان يتبعوه حيثما توجه ، ولكنه عرف وقطع رأسه وعلق في كردوس في احتفال كبير .

كما نضيف هنا انه لما رجع من حرب أبي حمارة في تازة صار أعيان ناحية رأس الوادى يتواردون عليه لداره في قرية أولاد ابن الرحيل لتهنئته وفيهم القائد احمد الغرابي من أعيان قبيلة المنابهة ، فرأى عليه حيدة جلبابا اهداه له ولد هذا الاخير احمد لما حوصرت دارهم — كما في ترجمته المشار اليها ءانفا — فلما استقر به المجلس دخل عليه حيدة وصاحبه اليزيد ولد عويش المقتول في دار ولد بوعكاد في هوارة ، فقال له أنذهب نحن لمعاونة السلطان وتنتهبون ديارنا وتأتيني انت لابسا جلبابي ؟ ففهم القائد احمد ما يريدان ، فقال له أرجوك ايها الباشا اذا اردت ان تعمل شيئا فأخرج ولدى الصغير حتى لا يرى شيئا وكان له ولد يضمه في حجره على بغلته ، فقال له حيدة فلنقدمه اذن قبلك لئلا يراك ، فذبحه له اليزيد في حجره ثم ألحقه به ، حسبناالله ونعم الوكيل .

اما الآن « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون » .

## وفــــاتـــه

كان بعض العلماء لا يفارقون حضرته ككاتبه الخاص وقاضيه احمــد بن محمد الخياطى (607) المتوفى 1343 هـ ، وكابن عمه عــلى بن عثمــان (608) الذى كان صاهره حينا ببنته ( 1349 هـ ) ، وكأحمد بن مبارك الدشائرى المعدرى 1350 هـ ، وكعبد الرحمن الزفضى الدكالى دفين حاحة المتوفى نحو 1319 هـ ، وكـ . . . السملالى ( . . . ) ( 609) ، وكانت حضرته طيبة الأنفاس ، يستمــد هؤلاء الاطراف فيها من الرأس ، الى ان توفى عن احوال مغبوطة ، وسمعة فــى نفسه مشكورة ، فى 27 رمضان 1335 هـ .

---

607) هو العلامة الجليل سيدى احمد بن محمد الخياطى العينى لازم سيدى محمد بن الحسن الايليغى هذا نحو خمسين سنة ، توفى فى الساعة الثامنة من ليلة السبت ثالث رمضان من السنة التى ذكرها المؤلف ، راجع ترجمته الحافلة فى صفحة 396 من الجزء 13 من المعسول .

608) هو على بن عثمان بن على بن هاشم بن على بن يحيا بن احمد بن محمد بن على بودميعة ، ماتت عنده البنت المذكورة فرد جهازها الى والدها تورعا منه ، فبقى فقيرا فاتخذه الطلبــة مضــرب المثل فى الشؤم ، وذلك لأن موارد العيش فى تلك الناحية ناضبة ، الا مع التعليم فى أحد المدارس او الخوض فى النوازل ، وذلك لا يتيسر لكل الناس ، وقد ذكر المؤلف فى المعسول انه توفى فى فاتح محرم عا1344 بدلا من 1349 هـ المذكور هنا ، ويظهر ان ما فى المعسول اوثق لأن تاليفه له كان بعد هذا ، ونحن الآن فى سادس ربيع الثانى عام 1386 هـ ، والجزء الثانى عشر من المعسول مطبوع عام 1382 هـ الموافق 1962 م اما « أيليغ الحديثة » هذه فان المؤلف رحمه الله لم يضــع فيهــايــده مــنــذ حررهــا سنــة 1358 هـ ، وايضــا فــان مــا رايــنــاه منــه مــن مزيــد الاعتنــاء بالمعسول يجعلنا نعتمده .

609) لم نظفر لهؤلاء الثلاثة بتراجم تفيدنا اخبارهم كما تعودنا ، وكل ما عثرنا عليه هو ان اولهما من تلاميذ سيدى مسعود بن محمد المعدرى المترجم ابتداء من صفحة 8 من الثالث عشر من المعسول ، واخبرنا الاستاذ الحسن بن احمد البونعمانى الشاعر المشهور المترجم فى نفس الجزء ان سيدى احمد بن مبارك يلقبه طلبة سيدى مسعود التشنيق لقلق وتعصب كانا فيه . وحاولنا ان نعرف عنه أكثر من ذلك فلم يتيسر ، واما الثانى فلم نجد له خبرا غير الذى هنا ، واما الثالث فها انت ذا ايها القارىء الكريم ترى ان المؤلف رحمه الله ترك محل اسمه ومحل وفاته فارغين الى ان يجد بما يملؤهما ولكن حال أجله رحمه الله دون ذلك .

## علي بن محمد الرئيس الحالي

ولد 129 (610) ، فحفظ القرءان وأخذ بعض معـارف عن أحمد الخياطي وءاخرين فنشأ كما ينشأ امثاله من أبناء الرؤساء ، فبدر منه في الصبا ما يعذر معه لشبيبته .

فان يك عامر قد قال جهـلا فان مطية الجهـل الشباب

ثم حسنت أخلاقه فأقبل على اصلاح شؤونه ، فكان له خط جيد وعبارة حسنة ، مع ولوعه بالتاريخ وكتبه على اختلاف أنواعها قديمها وحديثها ، محببـة اليـه المذكـرات العلمية ، وعنده الى الآن عالم يسمى محمد بن الأنصاري يلازمه * وشغلهما المطالعة والمدارسة ، وقد حافظ على موالاة أهل الخير ارثا عن أجداده. فاتصل بالشيخ الوالد (611) حين رد ما كان بينه وبين والده الى ما حمدت عقباه، فبقي على ذلك الولاء الى اليوم .

وهو في نفسه مقدام مغامر ، كريم النفس واليد أريحي ، قادر للناس أقدارهم ، يحب معالي الأمور ، وقد اتصل بالحكومة بعد والده وتعرف برجـال الحماية وواصلهم بتيزنيت في وقت لا يصلهم فيه من الجبليين الا قليلون ، وكان يفد على الحواضر ، ويستفيد من مخالطات طبقات مختلفة ، فرقي ذلـك

---

610) وقع للمؤلف هنا مثل ما وقع له في التعليق رقم 586 اذ ترك هنا أيضا بياضا للنيف الزائد على التسعين ، فراجعه هناك .

*) راجع ترجمته في صفحة 26 من الجزء الثاني من رحلات « خلال جزولة » للمؤلف .

611) يعني به والده الشيخ الصوفي المربي المجد الراسخ سيدي الحاج علي بـن احـمـد الدرقاوي مؤسس الزاوية الدرقاوية الالغية التي جعل المؤلف الاتصال بها وبمدرسة الاستاذ محمد بن عبد الله الالغي شرطا فيمن يترجمهم في المعسول كما سبقت الاشارة اليه في التعليق 570 .

وهذا الشيخ من الفذاذ المربين الذين يقل ان ياتي لهم الزمان بنظير ، فقد تخرج به كثير من فحول الصوفية العارفين ، وتصاغر بين يديه للأخذ كثير من العلماء المتضلعين ، ومن اراد ان يعرفه فليراجع ترجمته ابتداء من صفحة 184 من الجزء الأول من المعسول وغيره من كتب المؤلف كالترياق المداوي ، ومن افواه الرجال ، وكتراجم اتباعه في المعسول .

فكره بالنسبة الى أهل بلاده ، وقد جاذب المجاطيين الذين وجدهم برزوا لمعاداة داره مجاذبات ، كالبنيرانيين الذين كان والده أفضل عليهم كثيـرا ، فجازوا أبنـاءه جزاء سمار .

وقد اتخذت قضية مولاى البشير التازروالتى دورا كبيرا فى تلك المجاذبات ، فقد كان اهله جلوا عن تازروالت الى تيزنيت ، ثم رده محمد بن الحسين ، ولكنه لم يدع بث الدسائس ضد ايليغ فمد لـه بعض المجـاطيـين اعانة ، فكان ما لا يحمد ، كما جاذب ايضا القائد المـدنـى (612) رجـل هذه الجهات من سنة 1335 هـ ، الى سنة 1352 هـ ، فلم يرضخ له ، ولكنه مـع ذلك قد حرم الحرية فى تازروالت حتى فى أبناء عمه الشـرفاء ، فعلى هذه الحالة طلع الاحتلال اواخر سنة 1352 هـ ، فكان اول مبادر للترحيب بالحالة الجديدة ، فنال الأمن فى نفسه واهله ، واستراح من تلك المجاذبات العنيفة ، فأقبل على خويصة نفسه ، دافعا بولده الحسين كنائب عنه الى ادارة الشؤون وتنفيذ مـا تامر به الحكومة .

هـذا ءاخر ما تيسر لنا كتبه عن ايليغ الحديثة ، فتم لنا ما اردنا من ايراد الأدوار التى تقلبت فيها « **ايـليـغ** » قديما وحديثا .

وكان الفراغ من هذا فى العاشرة من رابع ربيع الثانى عام 1358 هـ

---

612) تقدمت الاشارة الى أخباره فى التعليق 535.

والى هنا تنتهى هذه التعاليق التى تيسرت لنا على كتاب أستاذنا العلامـة الجليـل سيـدى محمد المختار السوسى ، نرجو الله ان ينفعنا بها وينفع غيرنا وان يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وبرورا منا بأستاذنا وأداءا لحقه ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، ولا معول لنا الا على حسن الظن به ، ورجاء شفاعة نبيه ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله واصحابه وأزواجه وذريته ، وكافة أهل بيته ، وحفظة سنته ، « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله » والسلام ، بعد عصر يوم الثلاثاء 6 ربيع الثانى 1386 هـ 26 يوليه 1966 م .

محمد بن عبد الله الروداني : صفحة 228 الجزء 14 من المعسول .

# فهرس

# محتويات الكتاب

صحيفة

صحيفة

صحيفة



## تمهيد

من هو الشيخ احمد بن موسى

صحيفة



## أبناء الشيخ من صلبه واعقابهم



## على ابن الشيخ

**الثـــــورة** صحيفة



**كيف حال سوس فى ذلك العهد**

## ابراهيم بن محمد بن الشيخ فى الميدان

صحيفة



## الحسن بن على بن الشيخ



## مجادبة الامارة بين أبناء الشيخ

صحيفة



## كيف ابتداء امره

صحيفة



**الامير الجديد يستميل اليه بالسياسة**



**المصادمة بين يحيا وبين بودميعة**



**درعة تنضوى تحت ايليغ**

صحيفة



## تاسيس ايليغ

### الايليغيون يستردون تارودانت بعد موت يحيا

صحيفة



### وقفة ادبية



### أقوال الشعراء فى ذلك

**الاستـلاء عـلى اكـاديـر** صحيفـة



**سجلمـاسـة تبـايـع ايليـغ بدورهـا**



**السودان السعدى ينضوى تحت ايليغ**

## نظرة عامة على ايالة ايليغ نحو سنة 1044 صحيفة



## مستاصل ايليغ ينبعث من مهده



## هل بويع الشريف بن علي في سجلماسة قبل هذا الحين ؟



## مولاي محمد بن الشريف يتلع راسه

صحيفة



## ايليغ تصطك اذانها لثورة ابن الشريف



## تسريح المولى الشريف من الاعتقال



## بيعة مولاي محمد وانقضاضه على درعة

صحيفة



## مراسلة بين بودميعة ومولاى محمد بن الشريف



## ايليغ والدلائيون

صحيفة

صحيفة



## ايـلـيـغ والـزيـدانـيـون



## هل التأم شمل البديع وايليغ اخيرا ؟

صحيفة



## ايليغ والتجارة مع اوربة

**مع هولندة** **صحيفة**

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة



## مع انكلترة

صحيفة

صحيفة



## مع فرنسة

صحيفة

صحيفة



## ايليغ الحديثة



## محمد بن موسى فى الافق

صحيفة

**مستمد قوتـه ونفـوذه** **صحيفـة**



**كيف بيئة ذلك العـصر**



**محـا ربــاتـه**

صحيفة



## ابن أخيه يحاول غيلته



## كيـف مجلس الحسيـن

صحيفة



## كيف يأتمر مع أهل نحلته

صحيفة



## الحسين والحكومة



## هل كان عازما على استعادة امارة اجداده

صحيفة



## وفادته على الحاج عبد الله الحاحى

صحيفة

صحيفة



## حياة الحسين تنقضي

## نظرات أخرى على الحسين حول حياته المتقدمة

صحيفة



## فكرتي الخاصة في الحسين



## محمد بن الحسيـن



## ينـوب عـن والده

صحيفة



## يخلف والده



## معركة تامدا ن ارعمان



## ايليغ فى عهده



## معركة توبوزار الهشتوكية

صحيفة



**احمد بن محمد بن الحسين يظهر**

صحيفة



## بقية اخبار محمد بن الحسين

صحيفة

